دور الأدب

في

معركة التحرر والبناء

مؤتمر الأدباء العرب الخامس

١٥ - ٢١ شباط ١٩٦٥

بغداد

القسم الأول

وقائع المؤتمر

الأدب وفلسطين

الأدب والتراث

لسان العرب

دور الأدب

في

معركة التحرر والبناء

مؤتمر الأدباء العرب الخامس

١٥ - ٢١ شباط ١٩٦٥

بغداد

القسم الأول

وقائع المؤتمر

الأدب وفلسطين

الأدب والتراث

الناشـــر

عبدالحميد العاني

مطبعة العاني ـ بغداد

١٣٨٤ ـ ١٩٦٥

أصدرته

اللجنة التحضيرية لمؤتمر الأدباء العرب الخامس

نسقه وأشرف عليه

الدكتور أحمد مطلوب   عبد الله الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

للدكتور عبدالعزيز الدوري
رئيس المؤتمر

عقد مؤتمر الادباء الخامس بعد فترة تجاوزت الست سنوات حفلت فيها البلاد العربية بالاحداث من تحرر بعض الاقطار الى اتخاذ الاشتراكية نهجا في بعض الاقطار المتحررة ، الى امتداد الثورة العربية الى اقطار اخرى • كما شهد الوطن العربي نشاطا فكريا يتباين في نطاقه وسويته ويعبر عن جهود الادباء والمفكرين للمساهمة في تحرير أمتهم في بناء مجتمع عربي أفضل •

ان عقد المؤتمرات الفكرية ضرورة قومية لالتقاء الافكار وتبادل الآراء • وقد ساهم الفكر العربي في معركة أمته مساهمة ايجابية وكان رائدا في كثير من الفترات وحري به أن يقدر معركة أمته ، وان يوضح الطريق لها ، وان يتسم بالاصالة والوضوح في هذه المرحلة الخطيرة •

ان الانطلاق الشامل في المجتمع العربي يتطلب تعبئة فكرية واسعة ؛ ليستطيع الفكر ان يقوم بدوره ، وان يكون في مستوى مسئولياته• لذا وسعنا نطاق المؤتمر ليجمع رجال الفكر والادب ، وهو توسع طيب في اطار المؤتمر •

والوطن العربي يخوض معركة شاملة على مستويات مختلفة بين جهاد للتحرر من الاستعمار ، وكفاح للتحرر من التبعية والاستغلال ، وتعبئة

للوصول الى حياة أفضل تحقق الكفاية والعدل والكرامة .

ومهما تباعدت الاجزاء أو تباينت المستويات فالمعركة واحدة ؛ لانها تعبر عن ثورة شاملة ، ولان أهدافها الكبرى واحدة .

وينتظر وسط هذا التوثب ـ وعلى الرغم من وضوح الاهداف الكبرى ـ ان تظهر اتجاهات ، وان يتباين النتاج الادبي بين اجتهاد فكرى ، ومحافظة واضحة ، وبين نقل واقتباس . وهكذا أهمية الالتقاء ، وأهمية الوضوح الفكري .

وقد اخترنا للمؤتمر موضوعه من واقع الامة وهو « دور الادب في معركة التحرر والبناء » ، فكان تعبيرا عن طبيعة المرحلة التى تمر بها الامة العربية ، وتأييدا لدور الادب فيها .

واجتمع مؤتمر الادباء العرب ، وضم نخبة واسعة من مفكرى الوطن العربي وادبائه ، وشارك اعضاؤه في جو تشيع فيه الصراحة والحرية ، ويتسع لكل رأى أو نقد .

وكشف المؤتمر بما قدم من دراسات ، وبما ظهر فيه من التقاء حول الخطوط الفكرية الرئيسة ، وبما تخلله من جهد ، وبما اتخذ من توصيات ، عن أهمية اللقاء الفكرى . ومن الحق ان نقول ان المؤتمر كان محاولة جدية للتعاون الفكرى ،وانه كان خطوة ايجابية على طريق الوحدة الفكرية .

وقد اتسمت توصيات المؤتمر برغبة صادقة لتأكيد دور الفكر في التحرير والبناء ، وبرسم خطوط واضحة لموقفه من قضايا المجتمع العربى واهدافه . واوصى بتكوين اتحاد الادباء العرب ، وأقر نظامه الاساسي .

ولنا كل الثقة بتكوين هذا الاتحاد ليسير جديا نحو الوحدة الفكرية البناءة ، وليحقق شعار المؤتمر « الفكر ثورة وبناء » .

الدكتور عبدالعزيز الدوري

رئيس جامعة بغداد

١٩٦٥/٥/٣٠

وقائع المؤتمر

نحو المؤتمر

بعد أن مضت أكثر من ست سنوات على انعقاد مؤتمر الادباء العرب الرابع في الكويت[1] ، فكرت جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين في أن يعقد المؤتمر الخامس للادباء العرب في بغداد ليعالج قضايا الادب ويستعرض التطور الفكرى الذى مرت به الامة العربية خلال تلك السنوات التى حدثت فيها كثير من الثورات التحررية والانتفاضات الفكرية •

وتداولت الهيئة الادارية لجمعية المؤلفين والكتاب في فكرة عقد المؤتمر ، وأقرت ذلك في جلستها بتاريخ ٢٤-١-١٩٦٤ • وارسلت اقتراحها الى كل من وزارة الثقافة والارشاد والتربية والخارجية • وقد رحبت وزارة الثقافة والارشاد بذلك وبذلت جهدا طيبا في تأييد المشروع •

وتكونت لجنة تحضيرية من اعضاء الهيئة الادارية للجمعية ومن ممثلين لوزارتي الثقافة والارشاد ، والتربية ، والمجمع العلمي • واتصلت الجمعية بالمكتب الدائم للمؤتمر في القاهرة لارسال ممثل الى بغداد ليشارك في وضع خطة المؤتمر •

وفي مساء يوم ٢٦-٩-١٩٦٤ اجتمعت اللجنة التحضيرية في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين بحضور الاستاذ يوسف الشاروني عضو المكتب الدائم للمؤتمر ، وتم الاتفاق على مشروع برنامج المؤتمر ، وعلى أن يكون للمؤتمر موضوع واحد هو « دور الادب في معركة التحرر والبناء » • ثم تقرر أن توضع موضوعات فرعية لترسم وجهة واضحة للمؤتمر ، واتفق على ان تكون فروع الموضوع على الوجه الاتي :

أ ـ الادب والاستعمار :

١ ـ الادب والغزو الفكرى •

---

(١) افتتح المؤتمر الرابع في الكويت يوم السبت ٢٠-١٢-١٩٥٨ •

٢ ـ الادب ومعركة التحرر السياسي .
٣ ـ الادب والتمهيد للثورة الشاملة .

ب ـ الادب والثورة :

١ ـ مفهوم الثورة في الادب .
٢ ـ الثورة والمجتمع العربي الجديد .

ج ـ الادب وفلسطين :

١ ـ دور الادب في معركة فلسطين .
٢ ـ آثار النكبة في الادب .

د ـ الادب والوحدة العربية :

١ ـ الادب ومقومات الوحدة العربية .
٢ ـ الادب وحتمية الوحدة العربية .
٣ ـ مفهوم الوحدة في الادب العربي .

هـ ـ الادب والبناء :

١ ـ الادب والعدالة الاجتماعية .
٢ ـ الادب والديمقراطية .

و ـ الادب والتراث :

١ ـ التراث والمجتمع الجديد .
٢ ـ التراث بين الرجعية والتقدمية .

ونوقشت طريقة المشاركة فى المؤتمر واتفق على :ـ

١ ـ ان تدعى البلاد العربية لارسال وفود رسمية حدد عدد اعضائها .

٢ ـ ان يدعى عدد من المفكرين والادباء .

وترك الباب مفتوحا لمن يريد الحضور والمشاركة بصورة خاصة ، ليكون ضيف اللجنة التحضيرية في اثناء انعقاد المؤتمر بعد أن توافق اللجنة على مشاركته .

وتقرر أن يعقد المؤتمر في ديسمبر / كانون الاول ١٩٦٤، ولكن ضرورة

توفير الوقت ، ووجود التزامات اخرى أدت الى تحدد الموعد بين ١٥ ـ ٢١ فبراير/شباط ١٩٦٥ ٠

ولما عرفت اللجنة التحضيرية بتوافق هذا الموعد وموسم مهرجان الشعر السادس الذى يقيمه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية فى القاهرة ، وجهت دعوة الى المجلس الاعلى ليعقد المهرجان في بغداد كي يكون اللقاء الادبي شاملا ٠ وقد استجاب المجلس الاعلى لهذه الدعوة مشكورا ، وتقرر أن يكون المهرجان بين ٢٠ ـ ٢٥ فبراير / شباط ١٩٦٥م ٠

ووجهت الدعوة رسمية وشخصية الى :ـ

١ ـ الجمهورية العربية المتحدة ٠
٢ ـ الجمهورية التونسية ٠
٣ ـ المملكة المغربية ٠
٤ ـ الجمهورية الجزائرية ٠
٥ ـ المملكة الليبية ٠
٦ ـ الجمهورية السودانية ٠
٧ ـ المملكة العربية السعودية ٠
٨ ـ دولة الكويت ٠
٩ ـ الجمهورية اللبنانية ٠
١٠ـ الجمهورية السورية ٠
١١ـ المملكة الاردنية الهاشمية ٠
١٢ـ فلسطين ٠
١٣ـ الجمهورية اليمانية ٠
١٤ـ المكتب الدائم لاتحاد الادباء العرب في القاهرة ٠
١٥ـ جامعة الدول العربية ٠
١٦ـ قطر ٠
١٧ـ البحرين ٠

وطلبت اللجنة التحضيرية من كل وفد أن يعد محاضرة في احد

الموضوعات الفرعية ، كما رحبت بالبحوث والمحاضرات التى يقدمها اى عضو في المؤتمر •

واتفق على أن يخصص لـكل قطر محاضرة عامة في جلسات المؤتمر ، أما باقي البحوث فتناقش في لجان المؤتمر الفرعية • وحرصت اللجنة على اشراك أكبر عدد من الادباء ورجال الفكر العراقيين ، فوجهت الدعوة الى الجمعيات والنقابات الادبية والمهنية ، وارسلت دعوات شخصية الى عدد كبير من رجال الفكر والادب •

وقد تفضل السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف ووافق على رعاية حفل افتتاح المؤتمر •

وفي الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين ١٥ شباط ١٩٦٥ (١٤ شوال ١٣٨٤هـ) اجتمعت الوفود في قاعة الشعب ببغداد لتسلم وثائق المؤتمر • ثم عقد رؤساء الوفود جلسة في الساعة الثانية عشرة لاقرار جدول المؤتمر وللاتفاق على الخطوط الاساسية للعمل ، وعلى تكوين اللجان الرئيسة للمؤتمر •

وكان محضر الجلسة الاولى كما يأتي :

محضر الجلسة الاولى لرؤساء الوفود

اجتمع رؤساء وفود مؤتمر الادباء العرب الخامس صباح الاثنين ١٥ شباط ٩٦٥ وتناقشوا في الامور التى تهم تنظيم المؤتمر ونظروا في القضايا التى ينبغي أن ترسم خطوطها الرئيسة العامة •

وبعد المناقشة وابداء وجهات النظر اتخذت القرارات الاتية :ـ

اولا ـ تقرر ان تكون رئاسة المؤتمر للعراق ، وان يكون رؤساء الوفود نوابا للرئيس •

ثانيا ـ تقرر ان تخصص اربع جلسات للمحاضرات العامة مساء ويراعى في ذلك ان تكون محاضرات كل جلسة مختصة بفرع من فروع موضوع المؤتمر وان يكون لكل وفد محاضرة فيها • وقد اتفق على ان تكون محاضرات الجلسات على الوجه الاتي :ـ

١ ـ الادب والثورة (الثلاثاء ١٦ شباط) •

أ ـ الادب ومعركة التحرير السياسي في السودان للاستاذ محمد المهدى مجذوب (السودان) •

ب ـ مفهوم الثورة في الادب العربي للاستاذ سعيد الشيباني (اليمن) •

ج ـ الادب ومعركة التحرير للاستاذ علي صدقي عبدالقادر (ليبيا) •

د ـ محمد العيد وملامح من المأساة الاستعمارية في الجزائر للاستاذ صالح خرفي (الجزائر) •

٢ ـ الادب والبناء (الاربعاء ١٧ شباط ١٩٦٥) :

أ ـ الادب والوحدة العربية للدكتورة سهير القلماوى (الجمهورية العربية المتحدة) •

ب ـ الادب والقومية العربية للاستاذ مصطفى البندارى (قطر) •

ج ـ عروبة الخليج للاستاذ سيف مرزوق الشملان (الكويت) •

٣ ـ الادب والتراث (الخميس ١٨ شباط ١٩٦٥) :

أ ـ التراث والمجتمع الجديد للدكتور ناصرالدين الاسد (الاردن) •

ب ـ الادب والغزو الفكرى للاستاذة نازك الملائكة (العراق) •

ج ـ الادب والغزو الفكرى للاستاذ منور صمادح (تونس) •

د ـ التراث بين الرجعية والتقدمية ـ الشيخ نديم الجسر (لبنان) •

هـ ـ وقدمت الدكتورة عائشة عبدالرحمن بحثها بعنوان ـ كتاب العربية الاكبر •

٤ ـ الادب الادب وفلسطين (السبت ٢٠ شباط ١٩٦٥) :

أ ـ فلسطين والادب للدكتور اسحاق موسى الحسيني (فلسطين) •

ب ـ دور الادب في معركة فلسطين للاستاذة سميرة عزام (فلسطين) •

ج - الادب وفلسطين للدكتور جودة الركابي (سورية) •

د - نكبة فلسطين واثرها في الادب العربي الحديث للدكتور جميل سعيد (العراق) •

هـ - دور الادب في معركة فلسطين - للاستاذ عبدالله بن خميس (المملكة العربية السعودية) •

ثالثا - تلقى البحوث الاخرى في جلسات لجان المؤتمر صباحا • وقد تقرر أن تكون اللجان الاتية :-

١ - الادب والثورة •

٢ - الادب والبناء •

٣ - الادب والتراث •

٤ - الادب وفلسطين •

ويضاف اليها لجنة خامسة لوضع لائحة نظام لاتحاد الادباء العرب ولجنة سادسة لوضع لائحة قانون لصيانة حقوق المؤلفين •

رابعا :

أ - تقرر ان يرأس رئيس الوفد العراقي المؤتمر في الجلستين الافتتاحية والختامية •

ب - ان يتولى رئاسة الجلسات العامة الاخرى السادة التالية اسماؤهم نيابة عن رئيس المؤتمر :

١ - رئيس وفد تونس (الثلاثاء ١٦ شباط ١٩٦٥) •

٢ - رئيس وفد الجزائر (الاربعاء ١٧ شباط ١٩٦٥) •

٣ - رئيس وفد السودان (الخميس ١٨ شباط ١٩٦٥) •

٤ - رئيس وفد سورية (السبت ٢٠ شباط ١٩٦٥) •

خامسا - يكون لكل لجنة رئيس ومقرر كما يأتي :

١ - لجنة الادب والثورة •

الرئيس من الجمهورية العربية المتحدة - الاستاذ الدكتور محمد مهدي علام •

المقرر من اليمن ـ الاستاذ محمد الشرفي •

٢ ـ لجنة الادب والبناء •

الرئيس من الكويت ـ الاستاذ عبدالرزاق البصير •

المقرر من قطر الاستاذ مصطفى البندارى •

٣ ـ لجنة الادب والتراث :ـ

الرئيس من الاردن ـ الدكتور ناصر الدين الاسد •

المقرر من المغرب ـ الاستاذ حسن السايح •

٤ ـ لجنة الادب وفلسطين :ـ

الرئيس من فلسطين ـ الدكتور اسحاق موسى الحسيني•

المقرر من عمان •

٥ ـ لجنة اتحاد الادباء العرب :ـ

الرئيس من لبنان ـ الدكتور سهيل ادريس •

المقرر من البحرين ـ الاستاذ حسن الجشي •

٦ ـ لجنة حماية حقوق المؤلفين :

الرئيس من ليبيا الاستاذ عبدالله القويرى •

المقرر من السعودية ـ الاستاذ عبدالله بن خميس •

سادسا ـ تكوين لجنة صياغة لقرارات المؤتمر من اربعة ممثلين عن :ـ

١ ـ وفد الجمهورية العربية المتحدة •

٢ ـ وفد العراق •

٣ ـ وفد لبنان •

٤ ـ وفد جامعة الدول العربية •

سابعا ـ يكون الاستاذ يوسف السباعي مقررا للمؤتمر •

ثامنا ـ يعين معلق لابحاث كل جلسة عامة يساعد على توجيه المناقشة وتقرر اختيار الاساتذة :

١ ـ الدكتور احسان عباس (الادب والثورة) •

٢ ـ الاستاذ مصطفى الفارسى (الادب والبناء) •

٣ ـ الاستاذ أمين الخولي (الادب والتراث) •
٤ ـ الدكتور محمود سليم الحوت (الادب وفلسطين) •

وفي الساعة الثامنة من مساء يوم الاثنين ١٥ شباط ١٩٦٥ اقيم حفل افتتاح المؤتمر برعاية السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف حسب البرنامج المقرر وهو :

حفـل الافتتاح

- القرآن الكريم ـ يرتله المقرىء الشيخ راتب الكلحي •
- كلمة السيد رئيس الجمهورية •
- كلمة اللجنة التحضيرية للدكتور عبدالرزاق محيي الدين •
- كلمات الوفود :

١ ـ كلمة وفد جامعة الدول العربية ـ الاستاذ قاسم الخطاط •
٢ ـ كلمة وفد المملكة الاردنية الهاشمية ـ الدكتور ناصرالدين الاسد •
٣ ـ كلمة وفد الجمهورية التونسية ـ الاستاذ محمد الامين الشابي •
٤ ـ كلمة وفد الجمهورية الجزائرية ـ الاستاذ عبدالله ركيبي •
٥ ـ كلمة وفد الجمهورية السودانية ـ الاستاذ التيجاني عامر •
٦ ـ كلمة وفد المملكة العربية السعودية ـ الاستاذ حسن كتبي •
٧ ـ كلمة وفد الجمهورية العربية المتحدة ـ الاستاذ يوسف السباعى •
٨ ـ كلمة وفد فلسطين • الدكتور اسحاق موسى الحسينى •
٩ ـ كلمة وفد دولة الكويت ـ الاستاذ عبدالرزاق البصير •
١٠ـ كلمة وفد الجمهورية اللبنانية ـ الدكتور سهيل ادريس •
١١ـ كلمة وفد المملكة الليبية ـ الاستاذ رجب الماجرى •

١٢ـ كلمة وفد المملكة المغربية ـ الاستاذ حسن السايح •

١٣ـ كلمة وفد الجمهورية اليمانية ـ الاستاذ سعيد الشيباني •

١٤ـ كلمة وفد البحرين ـ الاستاذ حسن جواد الجشي •

١٥ـ كلمة وفد أمامة عمان ـ الاستاذ محمد بن عبدى •

١٦ـ كلمة مندوب امارة قطر ـ الاستاذ مصطفى البندارى •

١٧ـ كلمة وفد الجمهورية العراقية ـ الدكتور عبدالعزيز الدورى•

ولم يحضر وفد سورية حفلة الافتتاح حيث تأخر وصوله الى بغداد في ذلك الحين[١] •

وفي تمام الساعة الثانية عشرة مساء انتهى حفل افتتاح المؤتمر على ان يعقد جلساته في صبيحة اليوم الثاني في قاعة الشعب •

أما الكلمات التى القيت في حفل الافتتاح فهي :ـ

---

(١) القى الاستاذ فؤاد الشايب رئيس وفد سورية كلمة في جلسة الختام سيأتي نصها •

كلمة

السيد رئيس الجمهورية

المشير الركن

عبدالسلام محمد عارف

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الضيوف ، أيها المؤتمرون ، اخواتي اخواني ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول القرآن .

يسرني ان أرحب بكم باسمي واسم الحكومة العراقية واسم الشعب العراقي ويسر بغداد أن ترحب اليوم بكل فخر واعتزاز وتحتضن قادة الفكر والادب وحملة الاقلام في مؤتمرهم والشعراء في مهرجانهم كما احتضنت بالامس القريب مؤتمرات الفن والموسيقى والطب والهندسة والتشريع والعمل والصناعة والتربية والتعليم .

ان بغداد العروبة تعيد مجدها الزاهر بالتقاء ابناء العروبة وتمد يدها لاشقائها في الوطن العربي (تصفيق) لجمع الشمل في هدف واحد وصف واحد بل في دولة العرب الوحدوية الكبرى (تصفيق) واني اذ أرى أمامي هذا الملأ الصالح من الناطقين بلغة الضاد تحملني الذكرى الى اسواق العرب في جاهليتها واسلامها الى عكاظ في بطاح الارض المقدسة حين كان العرب يجتمعون في مجالس البحث فينشد الشعراء ويخطب الخطباء يتفاخرون بكرائم الاخلاق ويتفاخرون بالاحساب والانساب ويقررون افضل العادات التي تنظم المجتمع ثم تعلق نفائس القصائد في أركان الكعبة وتحملني الذكرى الى المربد في البصرة وعلى شواطيء شط العرب الى ذلك

المجتمع الحافل الذى كان يفد اليه ابناء الصحراء ينقلون اللغة والحديث والاخبار والكلمات النادرة وقواعد اللغة الى النحاة والفقهاء ورواة الشعر وعلماء اللغة • في هذا المربد الحافل دونت اصول لغتنا وازدهرت فصاحة العربية وحفظ الرواة قصائد الشعراء ودونت دواوين شعراء الجاهلية هناك كانوا يتساجلون في شعرهم ونثرهم ويجمعون صفوة نتائج فكر الصحراء الصافي حتى خرجوا على العالم بهذه اللغة الفصيحة التى أثارت اعجاب الامم واستطاعت ان تدون حضارة مشرقة ازدهرت في بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وغرناطة وطليطلة وشعّت ما وراء ذلك • وكل ما حالت دون اجتماعنا الايام لمت شملنا وجمعتنا في وحدة الفكر والشعور فهي اداة جمع كلمتنا وهي رمز وحدتنا (تصفيق) سجلت لغتنا مآثر العرب في الكرم والشجاعة والوفاء والتواضع وسجلت ابداع الفكر العربي ثم سجلت صفاوة القرآن في العدل والمساواة والاخاء والقضاء على كل تميز عنصري وعصبية جاهلية • فبرزت شخصيتنا القومية في ثروة هائلة تزخر بالقوة والعزة والفلسفة والعلم والرياضيات والفلك والتشريع • وقد حفظتها هذه اللغة في أطوارها جميعا وتركتها سخية تجود على كل ذهنية تمر بها لتأخذ منها ما تشاء وتدع ما تشاء وتبنى عليها ما تشاء • ومنذ فجر مدنيتنا الاول بدأت معارضة الاقوال الدخيلة ونبتت فكرة الشعوبية واخذ فريق من المتعلمين منهم والمستعمرين الذين اتقنوا العربية يعارضون نتاجنا الفكرى واصول العقيدة ويترجمون كتب الزندقة ويضعون الاحاديث والاخبار ويشوهون معالم التاريخ ليضعوا الحواجز بين ناشئتنا وحضارتنا • ووقف لهم كتاب العرب في ذلك العهد وقاوموهم ولكن كانت مقاومتهم متأخرة وتلا هذا الغزو الفكرى غزو مسلح ، هولاكو من الشرق والصليبيون من الغرب وصمدت حضارتنا وقوتنا لهذين الغزوين وردتهما على اعقابهم وتلا هذا الغزو المسلح غزو استعمارى اخر باساليب جديدة وخطط مرسومة فوضع يده على منافذ السبل في البر والبحر واتخذ من ذلك طرقا لمواصلاته الى الارض الشاسعة الخيانة تحول بين النصر والجيش والغيظ واخذ الاستعمار

يمارس سلطانه في ابتزاز الثروة ومحاربة الفضيلة والقضاء على تراثنا وتقاليدنا وعاداتنا وذلك لقطع صلات الامة بامجادها الكريمة ولم يترك وسيلة لذلك الا استعملها وكانت الجزائر الحبيبة احدى هذه الضحايا التى برزت فيها خطط الاستعمار وظلت تنوء تحت نير ثقيل أكثر من ١٣٠ عاما وكادت تنمحي منها جميع معالم حضارتنا لولا اصالة عاداتنا وتقاليدنا ولغتنا وعقيدتنا ولولا نزول الاخ الكريم احمد بن بله واخوته وجهاد ابناء الجزائر البواسل وخوضهم المعارك الدامية الفاصلة وها هي الجزائر تعود الى حضيرة العروبة عربية مسلحة ناصعة الجبين . وبعد الحرب العالمية الثانية أمعن الاستعمار في هجرانه وانشأ في قلب بلادنا المقدسة ركيزته اسرائيل في غفلة من الضمير العالمي وشرد ابناءنا فى العراء واسكن ديارهم وحقولهم ومروجهم عصابات من شذاذ الآفاق وتركهم على الحدود ينظرون الى ثروتهم تنهب وتستغل واعينهم تفيض من الدمع حزنا وقلوبهم تتمزق حسرة وألما ، لقد كانت جيوشنا في ذلك العهد ترابط في قلب فلسطين وكانت الخيانة تحول بين النصر والجيش والفيض يملأ قلوبنا والايمان بالله يتردد بين جوانحنا بان النصر كائن لنا لا محالة .

لقد رأينا بلادنا تنحدر الى الهاوية ورأينا الاحلاف تعقد فيها الامور لا ناقة لنا فيها ولا جمل وسلاحنا بايدينا والعدو يتربص بنا ويساوم على بلادنا ونهب ثرواتنا فنزل الاحرار فى مصر العزيزة (تصفيق) بقيادة الاخ الكبير الرئيس جمال عبدالناصر (تصفيق) في ٢٣ تموز ١٩٥٢ وتكشف لمصر فلق الصبح المبين ثم جاءت ثورة احرار العراق (تصفيق) في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ فنزلنا وخضناها معركة ضارية طار لها صواب الاستعمار وقضينا على عروشه واوكاره ومفاسده واعلناها جمهورية عربية (تصفيق) وضاحة الجبين وكادت ثورتنا تضع يدها بيد شقيقتها مصر لولا انحراف الشعوبيين والفوضويين الذين برزوا مرة أخرى من مطاوى التاريخ ليعيدوا جرائمهم الاولى فنزلنا اليهم في ١٤ رمضان المبارك (تصفيق) وقضينا عليهم وعلى شعوبيتهم وعلى طاغوتهم وخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصواب واتبعوا

الشهوات وباؤا بغضب من الله والشعب فازحناهم في ١٨ تشرين ١٩٦٣ (تصفيق) • ازحناهم عن وجودنا وكيان امتنا وتم لنا النصر والحمد لله واخذت بلادنا تسير حثيثا على الصعيد القومي ومع الركب العالمي ووضعنا في الاقتصاد والتشريع والثقافة والصحة لنخرج بمجتمعنا الى حياة فاضلة •

أيها الاخوة ، فتحنا بايماننا وسلاحنا أبواب الحرية وانطلقت شعوبنا للعمل في ظل العدل والمساواة والاخاء واصبحت ثرواتنا بايدينا نستغلها كيفما نشاء ونختار وفي أى وقت نريد دور لغتنا التى هى رمز وحدتنا ومنطق عواطفنا ولسان تفكيرنا بل جاء دوركم ايها السادة وها انتم اولاء تضعون ذلك بانفسكم وتقررون ان يكون موضوع عملكم دور الادب في معركة التحرير والبناء في الوطن العربي لقد قام السلاح بحقه وسيقوم بأكثر وجاء دور الكتاب ، جاء دور الفكر في بناء أمتنا ، في تكوين وحدتنا التى تعيد مجدنا وتحفظ كرامتنا ومكانتنا بين الامم ولكن لا تظنوا ان معاركنا قد انتهت مع الاستعمار ، ان السيف لم يغمد وان فلسطين الجريحة تئن من ألم الجراح المثخنة وان الاستعمار يحاول ان يثبت اقدام ركيزته في ربوعنا ولا يعلم ان الله يملى للظالم فاذا اخذه اخذه أخذ عزيز مقتدر ولم يفلت قال انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين (تصفيق) •

ايها السادة : ان معركتنا بالجنوب العربي دائرة رحاها وان الاستعمار لا يزال يكيد لثورة اليمن التى قام بها الاحرار بقيادة الاخ العزيز السلال (تصفيق) ليخرجوا بها من الظلمات الى النور ومن العزلة الى الانطلاق مع الركب العربي وان الاستعمار يعبىء قواه في محاولة غادرة ومؤامرة لئيمة حقيرة للقضاء على عروبة الخليج العربي وهو يعلم ان الحقائق التاريخية والاوضاع الجغرافية والصلات الثقافية الدينية والدم واللغة تثبت وتؤيد عروبة الخليج العربي وانه جزء من الوطن العربي ، ان شعبه شعب عربي اصيل متمسك بعروبته وعقيدته وتقاليده وعاداته وتراثه ان الامة العربية مدعوة للوقوف وقفة صادقة وفي طليعتها العراق ضد الاستعمار ومحاولاته • ان على المستعمرين واذنابهم ان يفهموا اننا لن نسمح بتكرار مأساة فلسطين

في الخليج العربي (تصفيق) واننا وان كنا قد ارسلنا رسالة الى مؤتمر اتحاد الصحفيين العرب نشاركه فيها في اهدافه فاننا بعد اطـــلاعنا على توصياته ومقرراته نؤيده كل التأييد في ما توصل اليه ونأمل ان تكون خاتمته فاتحة خير للفكر والاعلام العربي (تصفيق) .

أيها الاخوة : ان الاستعمار يعبيء قواه في كل ناحية يرى فيها ثغرة ينحدر منها الى وطننا الحبيب يشترى الذمم ويخلق الاذناب ويتعامل مع الدخلاء يحاربنا بالسلاح ويحاربنا لتمزيق الوحدة والصف ويؤيد كل انفصال ويحاربنا حتى في الغذاء . فوتوا عليه الفرص باقلامكم فان أدبنـــا أدب خلاّق انه أدب مبدع ، ان من يملك ناصية هذه اللغة الغنية اجدر به ان يقود أمة الى الفضائل والمعالي .

لقد خلق القرآن أمة العرب والاسلام وبايديكم لغة القرآن فاوجدوا مجتمعا فاضلا وحياة فضلى ، سجلوا لابنائنا معاركنا التى يحملنا بها أرواحنا على أكفنا لتحرير أمتنا ، سجلوا لهم مآسي مخالب الاستعمار التى كانت ناشبة في صدر أمتنا ، افهموهم أن اشتراكيتنا اشتراكية عربية اسلامية منتزعة من عقيدتنا وتقاليدنا وعاداتنا وتراثنا (تصفيق) . انها عدل ومساواة . انهـا تكافؤ فرص لابنائنا كلهم . انها تقضى على الاحتكار الممقوت والاستغـلال وتفتح آفاقا لمواهب الفرد ان تظهر وان يعمل ويعيـــش عيشة كريمة . صفوا لابنائنا فلسفة قوميتنا الانسانية العادلة . افهموهم ان الفكر العربـي الاسلامي عميق واسع . انه تقدمي متطور ثورى جماهيرى . انه مبدع يستطيع أن يوجد لنفسه بنفسه نظاما اقتصاديا واجتماعيا متطورا مبنيا عـلى عقيدته وفضائله وكرائم اخلاقه وحبه للانسانية . وانه غير محتاج لافـكار ضحلة تريد ان تقضي على شخصيتنا وميزاتنا . افهموهم معنى الحريـة والديمقراطية التى جاء بها الفكر العربي الاسلامي اتوجه اليكم ايها المؤتمرون يا حملة شعلة الفكر طالبا منكم ان يتبوأ المد الثورى والتـيار الجماهيرى القومي الوحدوى مكانة في أدبكم ولغتكم وفي كتبكم وفي انتاجكم كله لتنشئوا لنا جيلا قوميا عربيا اسلاميا فانكم ان ربيتم الجيل على فكرة واحدة ومنوال

واحد وعقيدة واحدة كونتم حصنا حصينا وسدا منيعا ضد الآفات اللاقومية الوافدة التى غزتنا باشكال مختلفة ، بآراء واحزاب واغراءات يتعذر حصرها. انكم ان فعلتم ذلك استطعنا ان نقضى على اعدائنا بما فيه الحزبية الممقوتة التى تتآمر على سلامة بلادنا وقوميتنا ، الحزبية اللاقومية العلمانية الالحادية الشعوبية التى لم تجن منها الامة غير الدمار والفرقة .

ايها المؤتمرون ، ايها الاخوة ، انتم العدة والوسيلة وحملة الامانة لتربية الاجيال الصاعدة لجماهيرنا المتحررة الثائرة ، بسطوا لهم الآراء واجعلوها سهلة في متناول عقولهم لتحصنوهم من غزوات الافكار والمبادىء الالحادية التى صبت جام غضبها على العروبة والاسلام وكلما كان التعبير بسيطا سهلا للجماهير كان الفهم اسهل .

اننا نحثكم باسم ثوراتنا التحررية الجماهيرية نطلب منكم الادب الجماهيرى الذى تبسطون به الديمقراطية الحقيقية والاشتراكية العربية الاسلامية الاصيلة .

اننا نحثكم باسم ثورتنا التحررية الجماهيرية تطلب منكم الادب الجماهيرى الذى تبسطون به الديمقراطية الحقيقية والاشتراكية العربية الاصيلة .

ان الامانة في أعناقكم ولا مجال للتردد ، نريدها عربية اسلامية في الادب والنشيد والقصيدة والقصص ، في العلم في التعبير وحتى في التسمية فاذا قمنا بذلك نكون قد قمنا بواجبنا تجاه خالقنا . هيئوا الجيل الى وحدتنا القومية وافهموهم ان هذا الشرق العربي الاسلامي تكمن فيه طاقات هائلة وان على شواطىء الرافدين نبتت الحضارات القديمة التى تنبىء العالم ان هذا الشرق العربي الاسلامى فيه استعداد هائل للتطور والابداع والاشعاع وفي هذه الربوع نبتت الحضارة العربية الاسلامية التي ازدهرت وقدمت للبشرية اروع نتاج الفكر الانسانى . افهموهم اننا مقبلون على بناء حضارة تقدمية متطورة للاسهام في تكوين الحضارة البشرية . افهموا الجيل أن الاستقرار في هذا الشرق العربي الاسلامي لا يتم الا بوحدة الامة العربية

(تصفيق) وان ميزان القوى بايدينا وان أمتنا تشرف على مضيق جبل طارق وبيدها قناة السويس وتشرف على باب المندب وفي هذا الحوض الممتد من المحيط تزدهر شريعة محمد ومبادىء محمد تلك المبادىء التى تكرم بنى آدم وترفع مكانة الانسانية وتعترف وتعتز بالاديان السماوية وتنظر الى بنى الانسان انهم اخوة يعيشون في كرامة على وجه هذه البسيطة .

ايها الاخوة يا حملة مشاعل الفكر انكم تعلمون مكانة الادب والشعر في تكوين الامم وبناء المجتمعات وتعلمون ان الامانة التى تحملونها ثقيلة وانكم مسؤولون أمام امتكم في أداء الرسالة على وجهها الاكمل وانني اذ ارجو ان يسفر مؤتمركم الادبي ومهرجانكم الشعرى عن نتاج مبدع في سبيل أمتنا اسأل الله ان يمدكم بعونه وعنايته ويوفقكم لاداء رسالة الحرية والعروبة والاسلام . وثقوا باننا معكم وان العراق حكومة وشعبا يسندكم في تنفيذ مقرراتكم وتوصياتكم والله في عون العبد مادام العبد في عون اخيه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المشير الركن عبدالسلام محمد عارف

رئيس الجمهورية العراقية

كلمـة

الدكتور عبدالرزاق محيي الدين

عن اللجنة التحضيرية للمؤتمر

سيدى رئيس الجمهورية

باسم اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء العرب الخامس ، وباسم المكتب الدائم له في القاهرة ، ارفع لكم جزيل الشكر ، وكريم الثناء والدعاء على تفضلكم بقبول رعاية المؤتمر وافتتاحه ، ايمانا منكم بدور الفكر في هذه الامة ، ودور الادب في تجلية الفكر وتعليته ، ودور الادباء في قيادة الفكرة وسيادتها •

سيداتي سادتي ، أعضاء المؤتمر من وفود الاقطار العربية كذلك باسم اللجنة هنا وباسم المكتب الدائم للمؤتمر في القاهرة ، وباسم ادباء العراق اتقدم لكم بكريم الترحيب وبليغ التقدير ان استجبتم لدعوة جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ، فاحتجزتم من وقتكم الثمين ومن اعمالكم في اقطاركم ما وفرتموه لهذا المؤتمر من سفر أيام عن مواطن عملكم ، ومن جهد ودراسة تتصل بموضوع المؤتمر الرئيس ايثارا منكم لقضايا الفكر الحيوية التى تتصل بحياة أدبنا وامتنا في ظروفها الراهنة • فشكرا لكم وأهلا ومرحبا بكم في وطنكم العراق كذلك باسم من تقدمت باسمه ارفع خالص الشكر مع قبول المعذرة الى الاساتذة الافاضل الذين دعوناهم للمشاركة معنا في جهد المؤتمر وحضور جلساته فحالت بينهم وبين الحضور مسؤوليات علمية تتطلب أن لا يغادروا اقطارهم أو ارتباطات رسمية سابقة تلزمهم أن يفوا بها ، أو حالة صحية لا تمكنهم من تحمل العناء في مثل هذا الفصل •

وارى لزاما عليّ ومؤتمر الادباء العرب ينعقد بعد فترة من زمن افتقد الادب العربي خلالها أعلاما كانوا من ابرز اعلامه قادة ومفكرين كان لهم

الاثر البالغ في النهوض به وباىمانــه وتطويره ، ان اذكر هؤلاء بكريم الثناء ، وان اشيد باثرهم في هذه المناسبة التى يجتمع فيها اخوان لهم في تحمل رسالة الادب .

١ - استاذ الجيل وفيلسوفه الدكتور لطفي السيد .

٢ - كاتب الامة العربية وعقلها الجبار المرحوم محمود العقاد .

٣ - الفقيد الكريم على الامة العربية في سائر اقطارها ولسان القومية المؤمنة في تاريخنا الحديث المغفور له الاستاذ محمد سعيد العريان الذى يعرف العالم العربي عامة والعراق خاصة ما كان له من أثر في خدمة هذه الامة ، وفي الريادة الصادقة لقضيتها ، وفي دعم التقارب بين اقطارها والتهيئة لوحدتها .

ثم الشاعر والكاتب العربي الملهم المغفور له الاستاذ محمد علي الحوماني فالشاعر العراقى المبدع الذى احتضر مأسوفاً عليه في ميعة العمر المغفور له بدر شاكر السياب .

فالى روح هؤلاء جميعا ذكرى طيبة من مؤتمرنا ودعاء في آن يتغمدهم برحمته .

وختاما استأنف الشكر للسيد الرئيس ولاعضاء المؤتمر سائلا الله ان يكون التوفيق حليفنا ، وان يتحقق لامتنا الكثير من اهدافها في الحياة . انه ولي التوفيق .

الدكتور عبدالرزاق محيي الدين
وزير الدولة ولشؤون الوحـــدة

كلمـة

الاستاذ قاسم الخطاط

مندوب جامعة الدول العربية

بسم الله الرحمن الرحيم
سيدى رئيس الجمهورية
سيدى رئيس المؤتمر
ايها الاخوة الاعزاء

باسم الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وباسم أمينها العام الاستاذ عبدالخالق حسونة ، وباسمي ، احيي القائـد البطل الرئيس عبدالسـلام محمد عارف ، الذى يعقد هذا المؤتمر تحت رعايته الكريمة ، والذى تولى رئاسة اول مؤتمر للملوك والرؤساء العرب في كانون الثانى من عام ١٩٦٤ ، في نطاق جامعة الدول العربية ، ذلك المؤتمر العظيم الذى دعا اليه رائـد الامة العربية الرئيس العربي جمال عبدالناصر والذى به بدأت صفحـة جديدة في تاريخ هذه الامة ، اذ رأت قادتها وابناءها يقفون صفا واحـدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

واحييكم انتم صفوة رجال القلم والفكر والادب في ارجاء وطننـا العربي الـكبير .

سادتي ، منذ انشئت جامعة الدول العربية في عام ١٩٤٥ وهى تولى الشؤون الثقافية اهتماما خاصا ، فكانت أول معاهدة عقدت في نطاقها بـين الدول العربية ، هى المعاهدة الثقافية التى ابرمت عام ١٩٤٦ وتشكلت اللجنة الثقافية والمكتب الدائم والادارة الثقافية والشعب القومية في عواصم الدول أعضاء الجامعة .

وساهمت الامانة العامة للجامعة مساهمة فعالة في خدمة الثقافة العربية

والادب العربي عن طريق التأليف والترجمة والنشر وعقـــد المؤتمرات الثقافية والمؤتمرات العلمية العربية والمهرجانات الادبية ، كما انشـــأت معهد احياء المخطوطات العربية ومعهد الدراسات العربية العالية ومتحـف الثقافة العربية وتوجت جهودها بانشاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التى وقعت وصدقت عليها أربع دول من الدول اعضاء الجامعة ويجـرى اتخاذ الاجراءات الرسمية في الدول العربية الاخرى للتصديق عليها .

وفي منتصف آذار القادم ، سيعقد في بغداد ، المجلس الاعلى لنشر الثقافة العربية في الخارج بدعوة من الامانة العامة للجامعة ، ومن أهدافه انشاء دار عربية للترجمة والتأليف والنشر تقوم بترجمة أمهات الـكتب العربية الى اللغات الحية ، للتعريف بالتراث الثقافي العربي ، كما ان من أهدافه انشاء المراكز الثقافية ومدارس تعليم اللغة العربية والعمل على نشر اللغة العربية ، في البلاد الاسيوية الافريقية خاصة وفي البلاد الاخرى عامة .

ســـادتي

ان الموضوعات التى يبحثها مؤتمركم هذا موضوعات هامة ستترك آثارا بعيدة في ميدان الثقافة والادب في الوطن العربي ، وانني ارجو أن يوفق مؤتمركم الى اتخاذ القرارات والتوصيات الكفيلة بتحقيق الاهداف التى يسعى اليها المؤتمر ، وان يوفق في وضع مشروع نظام أساسي لاتحاد الادباء العرب ، يجمع شملهم ويوحد جهودهم في خدمة الثقافة العربية ، وفـي وضع مشروع قانون موحد لحقوق التأليف يضمن لرجال القلم في الوطن العربي حقوقهم فيما تنتجه اقلامهم ويسعد الامانة العامة لجـــامعة الدول العربية أن تعلن استعدادها للعمل على تحقيق الاهداف التى يسعى اليهـا مؤتمركم العتيد ، بكل ما تملكه من امكانيات .

وأسأل الله لـكم التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قاسم الخطاط

كلمة

الدكتور ناصرالدين الأسد

رئيس وفد المملكة الاردنية الهاشمية

السيد رئيس الجمهورية

السادة الزملاء

ايها السيدات والسادة الاماثل

يسعدنى ان أقف بينكم موقفي هذا لانقل اليكم تحيات أهلكم وعشيرتكم في بلدكم الاردن : ملكه وحكومته وشعبه ، ولاعرب لكم عن عميق تقدير الادباء في ذلك الثغر المرابط من ثغور العروبة لهذه الدعوة الكريمة التي جمعت أدباء العربية في جو من الصفاء والاخاء ووحدة الهدف والعمل ، في هذه الحاضرة الزاهرة التى ملأت الدنيا ، حقبة طويلة ، علما ونورا وهدى وحضارة •

ولئن فصلت سبع سنوات طوال بين الدورة الماضية والدورة الحاضرة لمؤتمر الادباء العرب ، فان لقاء الادباء انفسهم لم ينقطع قط ، لقد كانوا دائما في لقاء متصل : في احساسهم الواحد بقضايا امتهم ، وفي تفاعلهم المستمر بمراحل تطورها ، وفي عملهم الدائب على أداء رسالتهم القومية • ولا أشك في أن كل من يصدر عن بينة وينزع عن معرفة يرى أن أدبنا العربي لم يتخلف عن اية معركة من معاركنا ولم ينفصل عن أية قضية من قضايا أمتنا • فقد خاض أدبنا العربي ، منذ ان كان لنا ادب معروف ، جميع معاركنا القومية والاجتماعية والفكرية والحربية في صدق واصالة ، حتى صار تراثنا الادبى بحق ديوان أمتنا وسجلها التاريخي : خاض هذه المعارك في جاهليتنا معركة معركة ، فصور لنا جوانب الحياة العربية فى جميع ميادينها ، وشارك في بناء تلك الحياة مشاركة ايجابية على النحو الذى تعرفون وخاض معركة الهدى والضلال في أول العهد بالاسلام ، ومعركة الانطلاقة الكبرى الى العالم من حول الجزيرة العربية ، ومعركة اصطراع الافكار والعقائد والنظم المتباينة في مرحلة تكون المجتمع الجديد آنذاك ، ومعركة الدفاع عن الاصالة العربية وتراثها أمام الغزو الاجنبي الفكرى والاجتماعي والعسكرى فى

العصور المتابعة ، منذ آيام بني أمية حتى يومنا هذا .

واذا كنا اقرب ادراكا لحاضرنا والصق معرفة به ، فهل يجوز لنا ان نذكر هذه الاشواط الطوال التى قطعناها في مراحل نهضتنا الحاضرة دون أن نذكر المشاركة العميقة التى كانت لادبائنا منذ مطلع القرن التاسع عشر في التمهيد لهذه النهضة الفكرية والاجتماعية والقومية والحضارية عامة ، وفي مواكبتها ، ثم في تطويرها ودفعها الى الامام .

لقد كان أدبنا ، منذ ان كان لنا ادب ، قائدا ورائـدا في جميع معاركنا وقضايانا ، لم يختلف عن معركة ، ولم ينفصل عن قضية .

وكان أدبنا ، منذ ان كان لنا أدب ، يشارك في هذه المعارك مشاركة واسعة عميقة ، يكن يقتصر على الرصد والتسجيل ، ولكنه كان أيضا أمضى وسائل التنبيه الفكرى والتوجيه القومى والبناء النفسى للامة .

وكان أدبنا - بعد ذلك كله - يصدر عن نفس واحدة واحساس مشترك ، وان تناءت البقاع ، حتى بعد ان مزق المستعمر جسم هذا الوطن الواحد وجعله مزقا متناثرة اصطنع فيها الحدود واقام بينها السدود ، فشارك أدباء العربية - على اختلاف امصارهم - في معارك التحرير التى خاضتها أمصارهم وسائـر الامصار العربية ، في بلاد الشام والعراق ومصر والسودان والجزيرة العربية والمغرب الكبيرة . وهل ظل أديب عربي ، من اى مصر كان ، لم يشارك بادبه في معركة فلسطين مثلا ثم في نكبة أمتنا فيها ؟ وفي معركة الجزائـر ثم في نصر أمتنا فيها ؟

فلا عجب اذن في ان يجتمع بين حين وحين ادباء العرب ، لينظروا في أمرهم ويتدبروا موقفهم ، ويتعاونوا ، في يقظة جماعية ووعي مشـترك ، على تخطيط معالم الطريق بين ايديهم ، وعلى تحديد الاهداف تحديدا ييسر السبيل اليها ويزيد من حفز الهمة ومضاعفة الجهد لبلوغها .

ومن هنا كان فضل هذه الدعوة الكريمة وفضل الداعين اليها ، ومن أجل هذا أرجو ان يتقبل العراق العربي الابي ، رئيسا وحكومة وادباء ، عميق شكرنا وتقديرنا اذ اتاح لنا هذا اللقاء الحر وبسر السبيل اليه بدقـة التنظيم وبما عرف عن العراق من حسن استقبال وكرم وفادة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور ناصرالدين الاسد

كلمة

الاستاذ الامين الشابي

رئيس وفد الجمهورية التونسية

سيادة رئيس الجمهورية

سيدى رئيس المؤتمر

حضرات الاعضاء

سيداتى ، سادتي

باسم الوفد التونسى الى هذا المؤتمر وباسم أدباء تونس أحيي أدباء العروبة الوافدين من المغرب والمشرق العربيين على بلاد العراق الشقيقة المضيافة ، تجمعنا لغة الضاد ، وأسرة الادب ، ومساعي العروبة وآمالها المشتركة .

واسمحوا لي ـ بهذه المناسبة السعيدة ـ ان ارفع عبارات الشكر الجزيل والامتنان البالغ الى سيادة رئيس الجمهورية السيد المشير الركن عبدالسلام محمد عارف الذى أتاح للادب العربي هذه الفرصة الثمينة ، وشرف هذه الجلسة الافتتاحية بحضوره الكريم ، وتفضل بأن القي على مسامعكم ذلكم الخطاب الرائع الذى يصلح بحق أن يكون دستورا للادباء العرب ، ونبراسا للناشئة العربية . كما اتوجه بجزيل الثناء للحكومة العراقية عما اسدته من كريم الحفاوة للمؤتمرين الادباء العرب .

سيداتى سادتي

ان هذا المؤتمر ليزيد تعارف أدباء العرب اتصالا ، ولحمتهم وشوقا ، وتوصيات مؤتمراتهم السابقة فاعلية ونجاعة . ولقد عبر منذ حين أعضاء الهيئة التحضيرية عن ابتهاجهم باستقبال أعضاء المؤتمر بأرض العراق الشقيقة فنقول لهم اننا نشاطرهم عواطفهم الاخوية ونطلب اليهم ان يبلغوا شعب العراق الابي ما نشعر به من اعتزاز وفخر بانعقاد هذا المؤتمر ببغداد ،

لان وجودنا في عاصمة الرشيد والمأمون يشعر القلوب والاذهان ذكرى الحضارة العربية التى نشأت وترعرعت في مصري العراق البصرة والكوفة ، ازدهرت في بغداد الخالدة حتى أصبحت لزمانها حضارة العالم ، عدة قرون ، انتشارا ، وعمقا ، وأصالة • وهذه الذكريات المجيدة لتحمّل العرب مسؤوليات جساما بقدر ما تشعرهم عزة وفخارا •

منذ انعقاد المؤتمر السابق بالكويت سنة ١٩٥٨ اكتمل صرح الحرية بالمغرب العربي بتحقيق استقلال الجزائر العربية الشقيقة ، بعد كفاح مرير ، وبطولة نادرة ، وتضحيات جسام • فسجل بذلك العرب انتصارا باهرا ، عزز صفوف الشعوب المضطهدة ، وأحيا في النفوس معاني الحق ودواعي نصرته ، وبعث على الايمان بأن المشاكل الاستعمارية القائمة في جزء من الاراضي العربية العزيزة أو في غيرها من بقاع العالم ستأخذ حتما طريقها الى الحل السريع المشرّف •

سيداتي سادتي

سيدرس مؤتمركم هذا ، خلال دورته الخامسة ، موضوع « دور الادب في معركة التحرير والبناء في الوطن العربي » • ومثل هذا الموضوع يدل دلالة واضحة على شعور العرب شعورا قويا بالمشاكل التى تواجه قادة الفكر والمسؤولين ، خاصة فيما يتعلق بالخروج من التخلف الاقتصادى والاجتماعي • فالتحرير السياسى لا يلتمس كفاية في حد ذاتها بل باعتباره الوسيلة الضرورية التى بدونها لا يتم أيما اصلاح ديموقراطي صحيح يهدف الى توفير التقدم الاقتصادى والاجتماعي والثقافي لمجموع الامة •

فعملية البناء هذه ، مهما ظهرت للنظرة العجلى ، باعتبار نتائجها المرجوة ، مادية صرفا ، فانها تستبطن مثلا أعلى ، وحياة روحية زاخرة ، وشروطا عقلية واضحة ، لابد ان تتوفر مسبقا لتتولاها بالرعاية وتضمن لها شرف المنزلة وأسباب النجاح فمثل هذه المحاولات الوجيهة للبناء والتشييد هي في أصلها غيرة انسانية قوية وتشدد خلقي متين وعاطفة سامية جياشة ، حتى تفوز القوى النابعة من الشعب بأوفر نصيب من مرافق الحياة الاقتصادية

والاجتماعية والثقافية المتطورة ، ومن ثم في الحياة البشرية على الاطلاق •

ولا يكتفي ، لضمان النجاح في معركة الخروج من التخلف ، توفير مقدرات التنمية ، ووضع المخططات المحكمة ، مالم تتوفر الارادة الجماعية والحماس المتأجج الشامل ، مع الشعور الواضح بالحياة والاهداف ومايتطلبه هذا الوعي الجماعي من تطور في المشاعر والفعاليات والعواطف •

والادباء العرب المجتمعون في هذه القاعة ، ومن يمثلون في مختلف الاقطار العربية قد شاطروا الشعب العربي حلوه ومره ولطالما غضبوا للشعب وكافحوا في سبيل استرجاع حقوقه السلبية ابان المعارك التحريرية ، وما أكثرها منذ نصف قرن • وهم أبناء الشعب الصادقون وقادة الفكر الامناء ولا يفوتهم ما لهذا « الجهاد الاكبر » ـ على حد تعبير الرسول الاعظم محمد ابن عبدالله ـ من بالغ الاهمية في تحقيق مصير أفضل للامة العربية •

ويتمثل واجب الادباء العرب لتيسير هذا التحول العاطفي والعقلي ، في اثارة الطموح في النفوس البائسة وتفجير ينابيع الرحمة التى في قلب الانسان •

الا أن التحول بالمجتمع المتخلف ، من اقتصاده التقليدي الى الاقتصاد الصناعي ، مع الحرص على الاسراع بهذا التحول ، لا يخلو من ادخال القيم والاضطراب والتعويض ، على النظم الصالحة المتأصلة ، والثقافات الاصيلة الموروثة ، والعادات الاجتماعية الكريمة • ومن واجب الادباء أن أن يجنبوا الشعوب العربية هذا التدهور الذى أصاب المجتمعات الصناعية المزدهر اقتصاديا فاعتبره قادة الفكر النزهاء في الغرب وبالا على القيم الخالدة لكل حضارة •

أما جانب اليسر ، بالنسبة للادباء العرب ، في هذا المسعى الجليل والعمل الجبار ، فهو أن الحضارة العربية كما ورثناها عن عصورها الذهبية ، تشتمل على ما لهذه الحضارة الصناعية السائدة في العالم من عناصر القوة من حيث تجانس الحياة الروحية ومتانة الفكرة العلمية وخصوبة الوسائل الصناعية •

ويتمثل جانب العسر من جهة في العادات التى ورثناها عن عصور الانحطاط وما في المدنية الصناعية من مظاهر التحلل والتفكك من جهة أخرى • وهذه الادواء بمثابة « الطفيليات » التى ينبغي ازاحتها بتوفير الغذاء الروحي الكفيل بازالتها • وهذا العمل الانشائي يقوم على الابتكار والخلق كما يقوم على التحليل والمراقبة والتجربة والمراقبة •

ومدار النجاح على الوعي والاخلاص والشجاعة الادبية • والحضارات مهما كانت حيوتها ، يصيبها كلا العادات ، فتتضاءل حيوية القلوب والعقول والارواح • ومما يشرف أدباء العرب انهم تعدوا ، طيلة نحو قرن ، لآثار الحضارة العربية الموروثة ، ينفضون عنها ما تراكم من غبار • ولعل الوقت قد حان لنجني ثمار هذه المساعي الموصولة • بقي تدارك ذلكم الزيف الذى يندد به مفكرو العرب المخلصون وادباؤه الملهمون •

وفي هذا المقام ، يحق لنا ان نذكر بما قام به في هذا المنهاج الاصلاحي مدرس « نظامية بغداد » الذى سمت همته الى احياء علوم الدين على قداستها ، فاصبح ، لعشرات الاجيال ، مرشدا الى الصدق والسمو والخلق الكريم ، أعني أبا حامد الغزالي •

فلتكن هذه السنة شعارنا مع الرجاء ان يكون لهذا المؤتمر كامل النجاح والتوفيق • والسلام عليكم ورحمة الله •

الامين الشابي

كلمـة

الاستاذ عبدالله ركيبي

رئيس وفد الجمهورية الجزائرية

سيدى رئيس الجمهورية

السيد رئيس المؤتمر

اعضاء المؤتمر

باسم الشعب الجزائرى الحر

باسم المثقفين والادباء الجزائريين احييكم واشكركم على ان اتحتم الفرصة للجزائـر لتمثل في هذا المؤتمر الادبي .

والواقع ان الجزائر كانت ممثلة في جميـع المؤتمـرات الادبية والمهرجـانات الشعرية .. بل كانت ممثلة في مشـاعركم واحاسيسكم وعواطفكم النبيلة .. انتم ايها الادباء ، ايها الكتاب ، لقد عبرتم بكلماتكم وقصائدكم عن مشاعر وعواطف الاخوة تجاه الثورة الجزائرية المنتصرة .. لقد كانت كلماتكم الصادقة المخلصة تنطق من افواهكم واقلامكم لتغذي وتلهب الحماس في ابطال الاوراس والونشـريس وجرجى وفي الوديان والسهول فيتدافعون نحو الموت والجهاد .. لقد كافحتم مع ابطالنا ومجاهدينا بالـكلمة الشريفة .. الكلمة المؤمنة الصادقة .. وتوج كفاح المدفع والقلم بنصر الجزائـر وثورتها العربية المؤمنة .. لقد كانت الكلمة وما تزال هي الاشعاع الذى يضيىء درب المناضلين ويفتح لهم الطريق لمتابعة النضال هـي أجل حرية الانسان العربي وكرامته بل من أجل حرية المناضل في أى مكان ..

ايتها الاخوات .. ايها الاخوة

بالامس القريب حضرت الجزائر مؤتمر الاباء العرب بالـكويت ، فوجهتها اليكم تحية من حملة المدافع الى حملة الاقلام ، وكانت الكلمـة

تنطلق من مؤتمر البطولة في الكويت ، تعززها بطولة في الاطلس ، وكان التجاوب في أروع مظاهره بين فكرة منطلقة وواقع يحدوها وبطولة درجنا على قراءتها تاريخا موروثـا ، فعشناها واقعا ملموسا •

تلك كانت تحية الامس ، واليوم وقد وضعت الحـــرب اوزارها ، وتحررت الجزائر من أسر الاستعمار ، فهل لي ان اوجهها منكم واليكم تحية من حملة اقلام الى حملة اقلام ؟

لقد كان حضور الجزائـر المؤتمرات الادبية ، حضور الخطبة المثيرة توزن بالتصفيق الحاد والقصيدة الرنانة تقيم بالهتاف الصاعد ، والنداء المستثير • وكانت تلك هي الموضوعية بذاتها لثورة أعز ما تتطلع اليه تجمع كل عربي على صعيدها ، وتعاطف قومى في ظل انطلاقها لا في سبيل نصرتها فحسب ولكن في سبيل نصرة الوحدة العربية •

والجزائـر بايمانها بثورتها لم تعدم فيكم هذا التعاطف القومى والتجمع العربي • انتم حداة كل ثورة تنزع الى عرق عربي اصيل وتنبع من قيـم عربية اسلامية خالدة •

وكانت الجزائر ببطولتها بيت القصيد لمؤتمركم بالامس • ولن تكون الا كذلك في مؤتمركم اليوم • وانتم مع (الادب والاستعمار) وللجزائـر فيهما وقفة لا تنكر ، وتاريخ حافل ، كل ذنبه انه فصل عنكم بسور من حديد فعاش في طي النسيان • أو انتم مع (الادب والاشتراكية) وللجزائر فيهما تجربة هي محل الاعجاب والتقدير • أو انتم مع الادب (الادب والغزو الفكرى) وللجزائر فيهما اسطورة بطولية • ولعل الرصاصة المدوية فـي غرة نوفمبر ١٩٥٤ ، أول ما لفت نظر المشرق العربي الى مأساة الجزائـر وتلك بداية عهده الحقيقي بها أما عهد الجزائر بالمشرق العربي فانه لا يعرف حدودا زمنية ، فقد كان أقوى من اى سور حديدى اقامه المستعمر • وكانت النظرة العاطفية المشوقة انفذ من اى ذر للرماد في الاعـيـن ، فبقدر تفنن الدخيل في النيل من الروابط العربية كانت الجزائـر دائمة التطلع الى منبت هذه الروابط ومرابع أمجادها •

أما المأساة الجزائرية فقد كانت اوغل في القدم من سنة ١٩٥٤ ، واطول نفسا من سبع سنوات دامية ، وان للمأساة ملامح غير التى لمسناها في ثورة المليون ونصف شهيد وان لها لضحايا اسبق • وان لها لالسنة غير السنة اللهيب الحديثة العهد بنا ، وان لها لمقدمات كانت الثورة الاخيرة خاتمة رائعة لها •

ولعل الكثير ممن عرف الجزائر بطولة سلاح ، لم يتعرف عليها بطولة أدب وممن أعجب بها قمم جبال • فاته الاعجاب بها منابر خطابه وشعر ، وممن أكبرها انتفاضة سواعد مفتولة ، وانطلاقة افكار سياسية ، حرمه المستعمر الفرصة أن يكبر الجزائر انتفاضة وانطلاقة أدب ثورى عاش المأساة بأحاسيسه ومشاعره وعواطفه •••

ولا اخالها الا معجزة هى الاخرى ان نطلع عليكم بأدب عربي فصيح ، سارت (بتفرنسه) الركبان • وان نطالعكم بادب يؤكد صلة وطنه الوثيقة بالضاد فمن حكم استعمارى كانت كل خططه حربا على الضاد ونبرهن على أن الجزائر عاشت في صميم العروبة يوم قامت بينها وبين العروبة أسوار من حديد ، نجحت في ابعادكم حسيا ، بقدر فشلها في النيل من تعلقنا بكم روحيا •

ان الاستعمار العنصري حرم المشرق العربي حضور المسرحية الدامية من أول فصولها سنة ١٨٣٥ ، ويوم دخل المشرق قاعة المسرح كانت (الدراما) في خاتمتها الفاصلة ، فتجاوب معها وانصهر في احداثها وقفز على الخشبة يلعب دوره الخالد •

ولعل الله يقيض لمؤتمراتكم الادبية من ابناء الجزائر ، من يجلى معالم أراد المستعمر طمسها ، ويرجع الى التاريخ العربي البطولي حلقة من ١٣٠ سنة أرادها المستعمر لحسابه ، ويطلق صوتا أراد الدخيل خنقه ، وأدبا مهموسا قال عنه الشاعر الجزائرى محمد العيد :

وما أنا الا طائر فوق أيكة ... يردد سجعا خافتا ذات مغرب
يسر به تحت الدجى ، متسترا ... ليأمن رمي الصائد المترقب
فلا تحقرى صوتي الرقيق ، فانه ... من الشعب كالسلك الرقيق المكهرب

وفعلا جلجل صوت صادق يردد بان الجزائـر عربية وستبقى عربية الى الابد •• لقد صرخ الامام باديس يرد على الادعاءآت الكاذبة عندمـا قـال :

شـعب الجزائر مسـلم والى العـروبة ينتسـب
من قال حـاد عـن أصـله أو قال مـات فقـد كـذب
أو رام ادمـاجـا لـه رام المحـال مـن الطـلب

تلك كانت صيحة الشعب الكبرى التى استمرت حتى انتصرت ثورتنا الزاحفة المستمرة •• ثورة أول نوفمبر وثورة الاشتراكية اليوم التى تنبع من أقباسنا العربية الاسلامية والتى تهدف الى ان يعيش الفرد حياة حـرة كريمة •• اننا نبني مجتمعا اشتراكيا يؤمن بالعدالة وبالانسان ••

وانتم يا حملة الفكر والادب هذا دوركم في تعميق هذه المفاهيم •• ان واجبكم ان تكونوا مع الشعب لانكم طليعته الواقعية وتكونواحربا على اعداء الشعب لانكم مهيئون لان تقودوا وترسموا الطريق للانسان في الوطن العربي وان مسؤوليتكم لاعظم مسؤولية وواجبكم هو النضال من اجـل الانسان من اجل فلسطين العربية التى ستعود حتما الى الوطن العربي •• علينا ان نهز الاعداءبالمدافع وبالاقلام ليعترفوا بحقنا السليب في فلسطين ••

ايها الادباء ان التاريخ سجل فاجعلوه يسجل عنا صفحـات بيضاء مشرقة •• صفحات نضالية ثورية ••

تحياتي لـكم وللعراق شعبا وحكومة •

وفقنا الله لما فيه خير العروبة والاسلام • والسلام •

عبدالله ركيبي

كلمـة

الاستاذ التيجاني عامر

رئيس وفد الجمهورية السودانية

سيدى الرئيس

السادة الوزراء

السادة ادباء العرب

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته •

وبعد : من أعماق ثورة السودان الفتية التى حررته من الظلم والبطش والطغيان ـ ومن أعماق الثورات العربية المجيدة الخالدة في جميع انحاء الوطن •

لقد جئناكم بقلوبنا وقلوب الملايين من ابناء السودان المناضل الذين غادر اجدادهم الجزيرة العربية منذ قرون وارتادوا أواسط افريقية وظلوا بها مرابطين ومجاهدين لنشر الثقافة العربية وحفظ التراث الاسلامي ونشره في الاحراش والادغال ولا يزال احفادهم يعربون ويحررون ويقاومون تيارات عنيفة من الاستعمار وصنائعه هدفها الحد من انتشار العروبة ومحاربة أمجادها والاعجاب بها ـ ونحن على دين آبائنا في المغامرات العربية لازلنا ندفع عجلة التاريخ بعنف واصرار متطلعين الى اليوم الذى تخفق فيه راية العروبة بين النجوم الزاهرة •

ان الرسالة التى يلقيها الادب على عاتق الادباء العرب رسالة جد خطيرة لانها في حقيقتها رسالات فيها رسالة السياسي المبصر ورسالة المجاهد المناضل ورسالة المصلح الذى يحطم مظاهر الخرافة والدجل ـ ورسالة الفنان الملهم المكتشف ورسالة القارىء الباحث يكشف باطلاعه ما يراد بنا من سوء عن طريق الثقافة أدبا وتاريخا وفنا ـ

ونحن اليوم نواجه الاستعمار قديمه وجديده مصممين على نسف خططه وازالته من الجنوب العربي والقضاء على رواسبه الخادعة في كل صقع عربي عاملين في ذات الوقت ما وسعنا العمل والجهد على خنق الصهيونية المجرمة الاثمة وتطهير ارضها الشهيدة المقدسة من اوضار الاعتداء والسلب .

هذه هي كبريات معارك الادب اليوم بالنسبة للعربي في كل مكان - والى ان يتم لنا ما نصبو اليه فلنطرح جانبا معركة الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والسريالية والمعقول واللامعقول ونواجه معركة التحرر بكل اسلوب قوي مؤثر شعرا كان أم نثرا أم قصصا - اننا ندعو الى النقض والتقويم والتقييم كما ندعو لاطراح التعصب والجنوح الى التمسك بأحد الطرفين - فالفن ليس فيه جديد يطغى على القديم ويمحوه ، فهو أما اصيل أو غير أصيل - والجديد تطور يضاف الى قديم ما يزال جديدا لانه أصيل . ان اليوم الذى ننسى فيه ابن الرومي والمتنبي والمعري واضرابهم من رواد الادب العربي الاوائل لهو اليوم الذى نفقد فيه ذواتنا ونصبح أمة أو أمما تخلت عن طابعها الاصيل وانصهرت في ثقافات وفنون اخرى وتلاشت فيها الى الابد .

ان التجديد ضرورة - ونحن ندعو اليه ونسهم فيه ولكننا نريده موصولا بثقافاتهم وفنونهم يغزون بجيوشهم ليطمسوا معالم الشعوب ويصيرونها تابعة لهم في جميع أساليب الحياة ووجوهها .

اننا نيابة عن الشعب السوداني المعتد بمكانه في العروبة نتقدم بالحمد والتقدير للعراق الثائر الحر الذى جدد شباب هذا المؤتمر واعاده الى سالف نشاطه بعد ان تعطل سنوات وكادت تحجبه رغم أهميته ظلمات النسيان . ولئن فعل العراق ذلك محمودا ومشكورا من كل الشعوب العربية وادبائها - فانما يفعل بدافع الاصالة في نشره وازدهاره وتوسعه منذ عهد الرشيد والمأمون وتلك دوافع تحمل دلالات الشعور بالمسؤولية الادبية العظمى لاستمرار النهوض الادبي وهو لعمرى عامل هام لحراسة المكاسب

العربية السياسية والقومية وابراز وجودها وتسجيلها للتاريخ القادم فــي صور شتى من الفنون الادبية الخالدة •

ونعيد الحمد والثناء للعراق للفرصة الحسنة التى وجدناها بالتعرف على وفود الادباء من جميع انحاء الوطن العربي وهي صورة من حسن الحظ لا تتاح الا بهذا التنظيم المقصود الذى نرجو ان يطرد في كل عـام ليتمكن العرب من التعرف عن طريق ابحاثهم واشخاصهم من معرفة كل دقائق الوطن العربي باجزائـه المترامية •

وقبل ان ابرح مكاني هذا يشرفني ان اقدم للمؤتمر الموقر الســادة اعضاء وفد السودان لهذا المؤتمر وهم :

الاستاذ محمد المهدى المجذوب من وزارة الخـــارجية السودانية والاستاذ علي عبدالله يعقوب المدرس بكلية الاحفاد بالسودان •

التيجاني عامر

كلمــة

الاستاذ حسن كتبي

رئيس وفد المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم
سيادة الرئيس الجليل
حضرات السادة
من (مكة)

مهبط الوحي ، وعاصمة الدعوة الاسلامية ، اشرف بحمل التحيــة الى (بغـــداد) •

مركز النهضة العربية ، وعصورها الذهبية ، ونضوج مواهبها العلمية، والفكرية ، والضارية ••

تحية من عند الله مباركة طيبة •• وهى في الوقت نفسه تحية لـك يا سيادة الرئيس •• ولحكومتك الساهرة العاملة •• وتحية للنخبة الممتازة من رجال الفكر العربي ، والادب العربي والرأى في الامة العربية ••

واننا لنشكر لحكومة العراق الرشيدة وهي في طريقها الى الاصلاح والبناء ، والعمل الصالح لصالح الامة العربية •• ان استوحت تاريخ هذا البلد المجيد ، الذى كان قبلة الرأى السديد ، والعـــلوم ، والمـــدنية ، والحضارة ، في وقت لم يكن على وجه الارض بلد ينافسه في جميع هذ الخـــلال •

نشكرها على انها استوحت من ذلك التاريخ الحافل بالخير ، فـكرة اقامة هذا المؤتمر •• ليعيد لبغداد الخالدة ، سيرتها الحسنة الاولى •••

ولا شك ان اجتماع نخبة من اولي الرأى ، والفكر ، وحملة مشاعل الادب في البلاد العربية ، في حرم بلد ، له مثل تاريخ (بغداد) الخالدة ،

سيكون وسيظل ايضا ، من الاحداث الهامة الجليلة بالنسبة للرأى العام العالمي - في الوقت الحاضر - كما انه من غير شك من اهم واجل واعظم الاحداث بالنسبة لنا معشر الامة العربية .

يا حضرات السادة

ان الكلمة التى تنطق بها السنتكم وتسيل بها اقلامكم ، وتنفجر عنها ينابيع نفوسكم الطيبة .. لهي الكلمة التى ضرب لها القرآن الكريم مثلا أكرم مثل .. واعظم مثل .

مثل كلمة طيبة ، كشجرة طيبة ، اصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ..

وانه بالكلمة الطيبة .. اخرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم العالم من الظلمات الى النور .. واقام العدالة .. وحقق الحرية .. والامن .. والسلام للبشرية ..

وان الكلمة الطيبة التى جاء بها رسول الانسانية ، قد امتدت من مكة مهبط الوحي .. الى هذه البلاد الكريمة مع فجر التاريخ الاسلامي فوجدت فيها التربة الخصبة ، الغنية ، الكريمة الصالحة - فحققت الحضارة الاسلامية التى نعيش .. ويعيش معنا العالم في ظلالها المباركة الوريقة ..

ايها السادة

ان اجدادكم .. هم حملة هذه الكلمة الطيبة المباركة ، الى العالم .. وهم الذين سادوا وقادوا الامم .. وتم لهم السلطان الذى لم يتم لاحد قبلهم .. كما لم يتم على هيئته وروحه .. وكرامته وسلامته لاحد بعدهم ..

وان اجدادكم .. هم الذين صقلوا الفكر الانساني .. ووسعوا مداركه .. وارتادوا مجاهله .. وخلفوا للحضارة الانسانية تراثا لم يزل حتى الان (الصخرة) التى قام عليها بناء الحضارة الحديثة ، والعلوم الحديثة ، والاختراعات الحديثة ، وكل نعمة علمية وتقدم علمي يعيش فيه عالم اليوم ..

وان اجدادكم ، هم الذين وعدهم الله وعده الصادق ـ وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ••

واتم ايها السادة ـ الامناء على تلك الثروة العظيمة •• والمسؤولون عن القيام بهذه المسؤولية الجسيمة •

فالكلمة الطيبة ـ هي امانة الله في اعناقكم •• وذمته في صدوركم والمسؤولية التى سوف يحاسبكم عليها حسابا عسيرا ••

فالكلمة الطيبة ، تنطق بها السنتكم وتخطها اقلامكم هى التى تدفع الفكر العربي ، اتجاهات معينة ، حسبما توجهونه بها •• وتدفع مع هذا الفكر ، جميع طاقات أمتكم وشعوبكم الى نفس الاتجاه •• والرائد ينبغى ان لا يكذب أهله ••

ولست اريد ان اطيل الحديث ••

ولكن يطيب لي أن أكرر شكرى للسيد الرئيس الجليل عبدالسلام عارف ولحكومته الفتية التى استوحت تاريخ هذا البلد الخالد الذى مثل دور القيادة والريادة في تاريخ الامة العربية ليعيد له سيرته الاولى ، ومجده التليد باللقاء الفكرى بين قادة الفكر في الامة العربية •

واتمنى لمؤتمركم هذا كل توفيق •

حسن كتبي

كلمـة

الاستاذ يوسف السباعي

رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة

سيدى الرئيس

سيداتي •• وسادتي :

يسعدني ان احييكم يا ادباء العروبة ، باسم وفد الجمهورية العربية المتحدة ، بمناسبة انعقاد الدورة الخامسة لهذا المؤتمر العربى المجيد ، وان اقدم الشكر والامتنان للعراق الشقيق شعبا وحكومة ، على احتضانه مؤتمر الادباء العرب ، في دورته الحالية مؤكدا بذلك اهتمامه الكبير ، ورعايتـه الكريمة للفكر العربي واهله ، وان احمل الى شعب العراق الثائر ، وزعيمه البطل •• الرئيس عبدالسلام محمد عارف ، تحـيات وتقدير شعب الجمهورية العربية المتحدة وتحيات زعيمه البطل الرئيس جمال عبدالناصر وتقديره العظيم للرسالة السـامية للادب والادباء اطيب تمنياته لمؤتمركم بالنجاح •

ايها الاخوة العرب :

يطيب لي في مستهل هذه الكلمة ، ان اتحدث عـن اهمية الادب العربي باعتباره دعامة من دعامات القومية العربية ، وهي عقيدة لكل عربي ، نمت •• وترعرعت •• على مدى التاريخ ، فامتزجت بضميره ، واختلطت بوجدانه واصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته ، وقد شارك الادباء بنتاجهم الادبي والفكرى ، في تأصيل القومية العربية وتأكيد معناها ، وبخاصة فـي عصر النهضة العربية الحديثة ، حين بدىء في بذل الجهود في هذا السبيل ، فحقق الادب العربي نجاحا كبيرا في الكشف عن خصائص الشخصية العربية الاصيلة ، وان العرب أخوة ، يربطهم رباط واحد ، وتشدهم قومية واحدة•

ايها السادة الزملاء :

احس الادباء في هذا العصر المليء بالاحداث الجسام ، ان عليهم واجبا ينبغى ان يشاركوا به في المعارك التى يخوضها الوطن العربي ، من اجل حريته وكرامته ، فعقدوا أربعة مؤتمرات •• اولها في لبنان •• وثانيهما في سوريا •• وثالثهما في القاهرة •• ورابعهما في الكويت • وكانت البحوث التى القيت فيها ، والتوصيات ، والقرارات ، التى صدرت عنها ، تهدف في مجملها الى ابراز دور الادب في ايقاظ الوعى العربي ، وتأكيد معنى القومية العربية ، والعناية بموضوعات البطولة العربية ، وابراز معانيها السامية ، وغاياتها النبيلة ، كما اتجهت ايضا الى دراسة القضايا التى تهم الادب في الوطن العربي ، وفي مقدمتها قضايا الحرية ، والمساواة ، والسلام ، وتقديم كل عون من شأنه توطيد العلاقات بينهم ، ودعم مستواهم الفكرى والاجتماعي •

سيداتي •• سادتي :

يهم وفد الجمهورية العربية المتحدة ان يجمل الجهود التى قامت بها الجمهورية العربية ، في سبيل تحقيق توصيات الدورة الرابعة للمؤتمر ، فيما يلي :

فيما يتصل بموضوعات البطولة العربية ، قامت اجهزة الدولة المعنية بشؤون الثقافة ، بتشجيع التأليف والنشر ، في هذا المجال •• وعلى سبيل المثال لا الحصر ، يعقد المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية مسابقة سنوية بين طلاب الجامعات والمعاهد العليا ، في سائر البلاد العربية ، واخرى بين الشباب العربي دون الثلاثين ، تقدم للفائزين فيها جوائز مالية ، وذلك في الشعر ، والمقال ، والبحث الموجز ، والمسرحية ذات الفصل الواحد ، ومن موضوعات المسابقة الاولى : البطولات العربية والاسلامية • ومن موضوعات المسابقة الثانية : صور من الكفاح العربي في سبيل الحرية •

كما عقد المجلس مسابقتين ادبيتين في القصة والمسرحية • بمناسبة

الاحتفال بانتصار العرب في معركة رشيد ، ضد الغزو الانكليزي ، ومعركة المنصورة ضد الغزو الصليبي الاستعماري وقد قام احد المؤرخين العرب ، بتكليف من المجلس ، بمناسبة الاحتفال بالمعركة الاخيرة ، بوضع مؤلف عنوانه : حملة لويس التاسع على مصر – سجل فيه احداث هذه الحملة•• والدور البطولي الذي قامت به الجيوش العربية في الذود عن الوطن العربي •

هذا الى جانب جوائز الدولة التشجيعية التي تقدمها الدولة للانتاج الفكري والادبي ، بفنونه المختلفة ، ومنه ما يتصل بالبطولات العربية •

كما عنيت الدولة بالتوسع في النشاط المسرحي فقامت ببناء دور للعرض المسرحي على أحدث النظم الفنية ، وتكوين عدد من الفرق المسرحية تقدم مسرحيات يتصل بعضها بقضايانا العربية والاجتماعية ، كما اصدرت مجلة خاصة بالنشاط المسرحي ، وفيما يتصل بنشر الكتاب العربي وتوزيعه فقد أعد المجلس مشروع قانون بانشاء اتحاد للناشرين ، في الجمهورية العربية المتحدة • من شأنه تحقيق الغرض بما يتفق وتوصيات المؤتمر في دورته السابقة •

كما كان للترجمة والتراث نصيب كبير من العناية ، فمثلا يقوم مشروع المكتبة العربية بالجمهورية العربية المتحدة ، بترجمة عيون الفكر الانساني من العربية واليها كما يعنى بنشر مجموعة مختارة من كتب التراث، محققة تحقيقا علميا ، تباع للقارىء بتكاليف طبعها •

كذلك اهتمت الدولة باصدار مجموعة من المجلات الادبية ، يختص بعضها بفن مستقل من فنون الادب : كالقصة •• والشعر •• والمسرح •

أما فيما يتصل بتوصية المؤتمر السابق بالدعوة الى انشاء اتحاد للادباء في كل دولة عربية ، فقد انشىء في الجمهورية العربية المتحدة اتحاد يضم الجمعيات الادبية : وبهذه المناسبة تقدم وفد الجمهورية العربية المتحدة للمؤتمر في دورته الحالية ، بمشروع قانون لاتحاد الادباء والناشرين العرب لدراسته •

وفي ختام هذه الكلمة اتوجه الى الله جلت قدرته ان يوفقنا ويسدد خطانا ، لنحقق ما ينتظره العرب وادباؤهم ومفكروهم لخير الامة العربية والانسانية جمعاء ولاشك ان مؤتمركم هذا بما يتناوله من موضوعات هامة في حياة الامة العربية ، سيكون له أعظم الاثر في رفع مستوى الفكر العربي وتعميق دراسة الادب بين الادباء العرب وبينهم وبين قرائهم في جميع اجزاء الوطن العربي ، وفي مساهمة الادب مساهمة فعالة في تحرير بقية الوطن العربي من براثن الصهيونية والاستعمار ووحدته وتدعيم بنائه وتحقيق الحرية والرخاء والعدالة والمساواة والسلام .

يوسف السباعي

كلمــة

الدكتور اسحاق موسى الحسيني

رئيس وفد فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم فلسطين وتربتها المقدسة المعطرة بدم الشهداء الذين افتدوها بأرواحهم ، منذ زمن الناصر صلاح الدين ، الى عهد المنصور جمال عبدالناصر ، وباسم منظمة التحرير الفلسطينية التى تشرفت بحمل أمانة التحرير والفداء ، وباسم زملائي اعضاء الوفد ، اشكر لوطننا العربي الغالي العراق ، رئيسا وحكومة وشعبا ، دعوتنا الكريمة الى هذا المؤتمر الذى يضم نخبة من الادباء العرب ، حملة مشعل الهداية والقيادة •

انني اشعر وانا في بغداد اني كالشجرة المعمرة الضاربة جذورها في أعماق الارض ، اذ ليس الوطن أرضا فحسب ، انه حضارة بما تشمله من أدب وعلوم وفنون ودين وخلق • وفي هذه الرقعة من الوطن العربي استكملت الحضارة عناصرها ورسخت وشمخت حتى اضحت حضارتها عالمية يصل نورها الى معظم بلدان العالم • لم تكن بغداد في القرن الثامن والتاسع والعاشر عاصمة العرب وحدهم ، بل كانت عاصمة من كبريات عواصم الدين ان لم تكن كبراها اطلاقا،ولاعجب اذا احس العربي ان جذوره في هذه الارض الطيبة ضاربة في اعماق التاريخ •

واني لاشعر بنشوة ما بعدها نشوة وانا أتأمل في تاريخ العرب واستعرض الاسماء المتألقة كالنجوم الزاهرة في دنيا العلوم والآداب واني لاقدم تحية صادقة باجلال وخشوع الى بناة الحضارة العربية القديمة والى ابنائهم واحفادهم الذين صانوا التراث وحفظوا الادب واللغة من الاندثار ، والى علماء العراق وادبائه المعاصرين الذين وصلوا ما انقطع رغم الاحداث الجسام •

ان الامة العربية بأشد الحاجة في هذه المرحلة من تاريخها الى ادبائها ليواكبوها في سيرها ، ويضيئوا أمامها الانوار • ان الادباء هم الذين يصوغون للامة مثلها العليا ويبصرونها بقضاياها ويعينونهـا على الرؤية الصحيحة تسير قدما في مضمار الحضارة • ان الادباءليسوا حملة اقلام فحسب ، انهم قادة سياسيون واجتماعيون واخلاقيون •

وقضية فلسطين هي كبرى القضايا العربية المعاصرة • وهي قضيـة انسانية وقومية ووطنية • واسرائيل الاثيمة تضمر للامة العربية جمعاء عداء سافرا وهى تطالب بمد حدودها من النيل الى الفرات تحقيقا لنبوءة باطـلة تقرأها صراحة في كتبها القديمة والحديثة •

ان نكبة فلسطين أشد وطأة على العرب من نـكبة الانـدلس ؛ لان فلسطين بلاد مقدسة للمسلين والمسيحيين ؛ ولانها صلة الوصل بين معظـم البلدان العربية ؛ ولانها فم الصحراء العربية التى دفعت بالموجات المتعاقبة الى اطرافها ؛ ولان التخلي عنها دمار محقق للامة العربية كلها •

ان الاضاليل الاسرائيلية كثيرة ، ولكنها قائمة على اوهام واحـلام ابتداء من الحق الالهي الذى يزعمونه الى حق الفتح الذى يدعونه كذبـا وبهتانا ، وليس حاضرهم بأسوأ من ماضيهم • فتاريخهم مع انفسهم ومـع العرب ومع العالـم أجمع تأريخ شـعب قديم متأله ينتحـل لنفسه الولايـة على البشرية حسب احكام الهية لا سند لها • وقد ضاقت بهم الدنيا لضيق في نفوسهم واخلاقهم وستظل ضيقة بهم الى ان يؤمنوا بما يفرضه العصر من سجاحة واخوة ومساواة وعدالة •

ايها السادة :

ان فلسطين أمانة في اعناقكم ، وانتم خير من يحمل الامانة ، ودولـة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

الدكتور اسحاق موسى الحسيني

كلمـــة

الاستاذ عبدالرزاق البصير

رئيس وفد الكويت

يحتفظ التاريخ العربي بصورة خاصة والتاريخ الاسلامي بصورة عامة بمكانة كبيرة لبغداد .. حتى ان بعض الادباء وهو ابن العميد كان اذا ما لقى مفكرا من المفكرين او شاعرا من الشعراء لا يسأله عن فلسفة أو تاريخ أو فكر أو شعر ، وانما كان يسأله عن بغداد فاذا كانت اجابته مفصلة تدل على تعمق معرفة بعاصمة الرشيد عده مفكرا من المفكرين أو شاعرا من الشعراء أو وضعه في مكانته الادبية . وان كانت اجابته عن بغداد مبهمة غامضة تدل على جهله بدار السلام لم يستقبله أو يرض عنه .. لان الجهل ببغداد يعتبر جهلا بينبوع المعرفة فلقاء ادباء العرب في بغداد انما يتمشى مع تاريخها العظيم . وانه ليسعدني ان احمل تحية الكويت الرابضة على الخليج العربي .. تلك الدولة التي لم تقل جهدا في خدمة الحضارة العربية ، والذى يدل على ذلك عنايتها بالتراث العربى ، فقد احيت حتى الان اربعة عشر جزءا من اهم تراثنا القديم ، وهى الان في سبيل احياء تاج العروس ، وسيبلغ خمسين مجلدا ، وهو مشروع جليل بلاشك .

ادباء الكويت ومثقفوها وجميع افرادها يحيون بغداد ولسان حالهم يقول :

بغداد حياك الحيا وبـ   ـلا يجود عليك ساكب
وجرى بواديك السلام   كجري ماء النهر دائب
انت الوذيلة للذي   يبغي مشاهدة المناقب
ولأنت نجم خافق   في غيهب الازمات ثاقب
ولأنت سيف صارم   صقلته احداث النوائب
ما فل حدك في القراع   ولا نبت منه المضارب
انت الولود فما عقمـ   ـت وكم ولدت من محارب
فاليك ألف تحية   فيها اريج الحب لاهب
واليك يا بلد السلام   دوام سلم غير عازب

عبدالرزاق البصير

كلمـة
الدكتور سهيل ادريس
ممثل وفد لبنـان

سيادة الرئيس ، ايها الزملاء الكرام .

كلفني اخواني من ادباء لبنان الذين وجهت اليهم دعوة شخصية لحضور هذا المؤتمر أن انوب عنهم في القاء هذه الكلمة تحية منهم الى ادباء العرب في مؤتمرهم الخامس الحافل ، وشكرا للمسؤولين في حكومة الثورة العراقية ، ولجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين .

ان هذه الدورة الخامسة التى يعقدها المؤتمر تأتي في اعقاب انتصارات كبيرة احرزتها الامة العربية في نضالها الطويل الشاق من أجل خلق حضارة عربية جديدة تناسب مع ماضيهذه الامة الذى كان شعلة وهاجة في ظلام القرون الوسطى ، وتجارى الحضارة الراهنة التي تحمل مشعلها أمم ليس العرب دونها عراقة واصالة .

ولا ريب في أن دور الفكر والادب في تحقيق هذه الحضارة دور قيادى طليعى ، لان تجسيد هذه الحضارة في صورتها المثلى انما يتوقف على جلاء المفاهيم وتعقيد النظريات وارساء قواعد التخطيط الفكرى الذى يتولاه قادة الرأى والادباء . من هناكانت أهمية هذا الدور وخطورته من جهة ، وثقل المهمة وما يواجهها من عقبات من جهة أخرى . ان على الاديب العربي في هذا الطور من حياة الامة العربية ان يخوض معركتين في وقت واحد : اولاهما لخلق نتاج جديد يحافظ على اصالة التراث ولكنه يتجاوزه تمشيا مع مقتضيات العصر وروحه ، والثانية للوقوف في وجه تيارات الغزو الفكرى الذى يعمل على تهجين النتاج الادبي العربي الحديث وتنغيله .

ولعل لبنان هو اشد البلدان العربية تعرضا لموجات هذا الغزو الفكرى وارحبه ارضا لاخصابه ، لما تتنازعه من رياح الطائفية والفرقة ومحاولات

تزييف حقيقته وصرفه عنها الى ظاهر مصطنع يتنافى مع ماضيه وحاضره ومستقبله • ومن هنا تزداد أهمية الدور الذى يقـــوم به الاديب العربي الواعي في لبنان الذى ينبغي ان يمضى في الطريق أمامه ، ولكنه لا يفتأ ينظر خلفه ليحمي ظهره من الغزو والغدر ومحاولات الطمس والتهجين •

ولايماننا بوحدة المصير العربي في مختلف ابعاده السياسية والاقتصادية والثقافية ، فنحن نؤمن بان هذه المعركة معركة مشتركة أو ينبغي ان تكون كذلك ، وعلى الادباء العرب ان يتكاتفوا في خوضها ، وعلى المسؤولـين أن يدعموهم ويساندوهم من غير الزام أو اكراه •

ايها الزملاء الكرام

ان الموضوع الذى يعالجه هذا المؤتمر هو بلاشك اخطر الموضوعات التى طرحت على المؤتمر في أية دورة من دوراته السابقة • فلنعمل على ان نكون في اعمالنا على مستوى خطورته ، ولنحرص على ان نتخذ له من التوصيات ما يتناسب مع أهميته وما يتيسر تنفيذه خاصة ، حتى نظل واقعين ومدركين أهمية الفعالية فيما نأخذ به انفسنا من عمل وتصميم •

الدكتور سهيل ادريس

كلمـة
الاستاذ رجب الماجري
رئيس وفد المملكة الليبية

سيدى رئيس الجمهورية

سيدى رئيس المؤتمر

مواطني العرب الاحبة .

انه ليسعد الادباء الليبين وليبيا بأسرها ان تلتقى بكم اليوم بعد طول انقطاع بعد خضوع دام أكثر من خمسة قرون مضت للعهد العثمانى المظلم وللاستعمار الايطالى البغيض .

ففي هذا هذا العهد الاول والثاني كادت تفقد ليبيا عروبتها وعقيدتها بل اننا لا نتحرج في ان نقول انها كادت ان ترشد الى الجاهلية الاولى وما من شك في ان دراسة ادب أمة من الامم ينبغي ان يمهد له بدراسة تاريخ نهضتها الفكرية وهو الذى يمكن الدارس والباحث من تقدير مدى ما وصل اليه الادب فيها ومدى امكانيته في التطور والمساهمة في معركة التحرر والبناء .

وان ليبيا اذ تشاركم في هذا المؤتمر في تواضع انما تأمل من هذا المؤتمر مزيدا في تحقيق اهداف الادباء . نود لادبائنا ان يكون بينهم شاعر كحافظ ابراهيم تضطره ظروفه لان يقول :

اذا نطقت فقاع السجن متكأي
وان سكت فان النفس لم تطب

انا الادباء الليبيين الذين قاسوا طغيان الايطاليين وكبت حريتهم ليؤمنون ايمانا مطلقا بحرية الادب بحرية الفكر يريدون ادباء يستشهدون بقول شاعر ليبيا المغفور له احمد رفيق :

اذا المرء في دين وعرض ومبدأ
تسامح أو حابى فليس بانسان

اننا نبني على ايماننا بحرية الاديب ، الحرية المطلقة انه لن يكون هناك أدب يمكننا من التطور ويمكننا من المواكبة ما نصبو اليه من اهداف سامية ما لم يكن أدبا حرا • ان الحرية هى التى تمنح الادب الرفيع الذى يدفع بمواكب الشعب الى الامام • نريد من هذا المؤتمر ان يحقق الادباء العرب مزيدا من الحرية لينتجوا مزيدا من الادب الرفيع وعلى مستوى افضل ، نريد من هذه الحرية ان تحقق اهدافنا وتهدى سبيلنا فنسير في موكب موحد ينتهي بنا الى ما نصبو اليه من مكانة بين الامم •

واننا لنرى في هذا المؤتمر تحديد لتلك الشرارة التى انطلقت منها الثورة الفكرية العربية في العهد العباسي الاول ونريد من هذا المؤتمر ان يجدد هذه الشرارة وعلى ضوء ما وصل اليه الفكر الحديث من تطور سواء في الشكل أو المضمون فسيروا على بركة الله واني ليسعدني ان أكرر احترامي وتقدير مشاعر الادباء الليبين الحقة نحو العراق الشقيق الذى اتاح لادباء العرب هذه الفرصة علهم يصلون فيها الى نتائج حاسمة •

والله الموفق •

رجب الماجري

كلمــة
الاستاذ حسن السايح
رئيس وفد المملكة المغربية

سيدى الرئيس

تحية من جبل الاطلس

تحية من المغرب

تحية من ادباء المغرب أزفها الى ادباء العرب مشفوعة باطيب تمنيـات المغاربة اجمعين •

ايها الادباء ، ان ادباء المغرب ليعتزون برحم العروبة الموصول بيننا ، كما انهم يشاطرون عرب المشرق صفاءهم ويقاسمونهم ضراءهم ، ويشعرون بقلب واحد لخدمة قضية الحرية في المغرب والمشرق •

ايها الادباء ان لسان الادب العربي المغربي لينطلق معبرا عن ابتهاجه بفرصة انعقاد مؤتمر الادباء في بلاد الرافدين البلاد الذى صهرت الحضارات القديمة في الحضارة العربية وبلورت الشخصية العربية الخالدة بلاد الخلفاء العاملين والعلماء المبتكرين ، والفلاسفة العظام ، والشــعراء الملهمين بلاد المنصور وهارون الرشيد والمأمون ، بلاد الكندي والخليل بلاد المتنبي وابي تمام واسحاق الموصلي •

ايها الادباء ، ان النهضة العربية منذ نشأتها مدينة للحرف العربي ، فالروح النابضة في الحرف من (الف) الى (ياء) هي التى حركت الشعوب العربية فانطلقت ، والحرف المشحون بالثورة هو الذى حرك عجلات تاريخ العرب الحديث ، والحرف وحده انتصر تاريخنا وبه سننتصر في معركة الشعوب ، ان الحرف رمز رجال الفكر الذين يجتمعون اليوم ليقودوا الامة الى العزة والسلام فلا عزة في الدنيا اذا استعبد العربي ، ولا سلام في العالم اذا استعبد المستعمرون في أية صور الاستعباد رواد الســـلام في التاريخ القديم والحديث •

ايها الادباء : هذا هو المؤتمر الخامس لادباء العرب ، وقد بدأ أعماله في مؤتمره الاول ليخط للامة العربية طريق الخلاص فتحدى بغى القوات الظالمة ، ومن المؤتمر الاول الى اليوم شهدت الامة العربية احداثا جساما غيرت معالم التاريخ الحديث ، فقد تحطم الاستعمار في آسيا وافريقيا ، وتكسرت الاغلال ، وانطلقت صيحة العرب تنافح عن المستضعفين وعانت هذه الامة تجارب خطيرة للوحدة ، وظلت الامة العربية في تجربتها القاسية هى الامة العربية المتحدة المشاعر والاهداف ، فقد انتصرت الثورة العربية في المغرب العربي في تونس اولا والمغرب ثانيا والجزائر اخيرا وانتصرت الحركات التحررية في العالم العربي كله وساندت الامة العربية كل أمة مغلوبة على أمرها ثم تمخضت في الداخل عن تحقيق العدالة الاجتماعية وارساء قواعد الديمقراطية •

ايها الادباء : لقد جاهد الادب في معركة الحرية ضد المستعمر وظلمه، وضد التبعية المستغلة وضد كل ثقافة تحمل غزوا فكريا يسعى الى استئصال الذاتية العربية العنيدة ، وقاد ادبنا المعركة ضد الصهيونية الظالمة وقد علمنا التاريخ اننا دائما على حق وان الحق دائما ينتصر •

ان الامة العربية تواجه اليوم احداثا جساما فمن واجب المؤتمر ان يخط الطريق في حلها وهو لابد ان يفعل ولكن الفعل يجب ان يكون جماعيا ليتجاوب الادب في البلاد العربية كلها وان ابرز هذه الاحداث هى :

ـ مأساة فلسطين ـ وهى انعاش الاقتصاد العربي ـ وهي اتساع الوعى العربي الاصيل في وجدان الامة العربية جمعاء ـ

واني باسم ادباء المغرب اشكر للحكومة العراقية ضيافتها للادباء العرب•

المجد للكتاب والادباء العرب الذين اخرجوا الشعارات والاهداف الى نطاق الوضوح والتخطيط •

والمجد للكتاب والادباء الذين نفخوا الشعور النبيل ووضحوا اطار العمل •

حسن السايح

كلمــة

الاستاذ سعيد الشيباني

رئيس وفد الجمهورية اليمانية

الاخ العربي عبدالسلام محمد عارف والاخ العربي رئيس مؤتمر الادباء العرب ، انقل الكيم والى جميع الاديبات والادباء اشواق صنعاء الى مستقبل افضل وما اريد ان اقوله اساسا في هذا الموضوع ان الادباء فيما بينهم ، فنرى عبثا يصرع في المجتمع العربي بين الادباء كالصراع مثلا بين المعقول واللامعقول فاذا قلت انا ان مساحة اليمن ١٧٥ ألف ميل مربع وان مائة الف ميل مربع يحتله الانكليز في الجنوب هل تعتقدون ان هذا معقول أم غير معقول ، واذا قلت ان في صحراء فلسطين مليون مشتت لا اعرف ان كانوا يداعبون الرياح أم الرياح تداعبهم ، فهل تعتقدون ان هذا معقول .

عليكن للمعقول واللامعقول موقف وليس هناك شيء اسمه لا معقول كل شيء معقول حتى اللامعقول ان فرضنا وجوده وطبيعي لا ندخل في أمور كثيرة ونشقت افكارنا في معقول ولا معقول فلا نقول كما قال السابقون ، من الاقدم البيضة أم الدجاجة ، أم امور مثل هذه التى لا يمكن لانسان ان يلمس منها شيء او يستنتج منها شيء فعل الادباء العرب ان كانوا ثوريين حقيقيين ان يكون لهم موقفا متضامن يقفون به ضد اى تجاه ضد الشعب العربي في كل منطقة من مناطقه ، ونحن في اليمن نواجه مشاكل كثيرة ونحتاج الى الحرف الشريف ايناصرنا في كل منطقة عربية نحتاج الى الشعراء والادباء ونحتاج الى الوجدان الموسيقي والى كل شيء نحتاج الى السلاح ونحتاج الى كل شيء تمتعون به في بلادكم وهذه ليست مسؤولية الادباء فقط وانما هي مسؤولية الرئيس عبدالسلام عارف والرئيس عبدالناصر والرئيس أحمد بن بله وكل الشرفاء في الوطن العربي .

ونحن رأينا بالنسبة للادب ان واجب الادب هو ان يحول المجتمع تحويلا فعليا ، تحويلا كيفيا بدلا من الصراع بين الادباء والمدارس الادبية

بين الشعر الحر والشعر العمودى فليكن الشعر حرا أو ليكن عموديا أو يكن بلا اعمدة فالذى يهمنا هو موقف الشاعر ذاته ان يكون موقفه منسجما مع ما يقول وكذلك بالنسبة للروائي وبالنسبة للقصصي وبالنسبة لاي كاتب أو لاي شاعر آخر •

نحن نرى ان موقف الادب ذاته بالنسبة للقضايا العربية هو موقف متشتت لم يتحد بعد وان أمورا نوقشت كثيرة من أجل النشر ومن أجل اتحاد الادباء العرب ومن اجل كل شيء ولكن شيئا ما لم يطبق وهذه هي المصيبة ، نحن في صنعاء وفي عدن نواجه الاستعمار ونواجه الرجعية رجعية عتيدة • جذورها الف عام واستعمار آتٍ من شمال اوربا • بيننا وبينهم آلاف الاميال وصل ليحتل الجزء الجنوبي من اليمن ويحارب الثورة وقد احسن الاخ العربي عبدالسلام محمد عارف حينما وضح لكم هذه النقطة خاصة واحسن الاخ رئيس الوفد السوداني حينما يحث المعقول واللامعقول ونحن نحسن ايضا ان كان لنا موقف في هذه الامور ، نحن رأينا في الادب استطيع الخصه في ابيات شعرية قليلة : فليكن عموديا حتى لا تتهدم الاعمدة :

لن نلقي القلم المسموم ثانية
حتى نري ظالمينا اعجب العجب
حتى نحرر بالقبلات موعدنا
في الحب من رهبة الطغيان والريب
حتى نلاقي في امن وفي دعة
محبوبة جبها معتزة وابي
لن نلطم الخد ان جارت مصائبنا
فليس من يلطم الخدين بالعربي
حتام هذا علينا في ضمائرنا
بالحرف نصنع فجر الكادح العربي
وان شموس افاقت من مراقدها
فاي ثلج على القمات لم يذب

سعيد الشيباني

كلمة

الاستاذ حسن جواد الجشي

(البحرين)

سيدى الرئيس

حضرات السيدات والسادة انه لشرف عظيم لي ان تتاح لي الفرصة في هذا المؤتمر العتيد لاقف باسم الادب والادباء في البحرين محييا طلائع الفكر العربي ومرحبا بحملة المشاعل على دروب النضال في معركة المصير اللاهبة التى تخوضها امتنا سعيا وراء اهدافها الكبرى من المحيط الى الخليج •

لقد مضت ست سنوات او أكثر منذ انعقاد الدورة الرابعة لهذا المؤتمر في الكويت • وهي فترة واجهت خلالها امتنا العربية احداثا مصيرية حاسمة ، كل حدث منها كان جديرا بان يقام له مؤتمر بل مؤتمرات •• وكانت الجماهير الواعية تتحفز يمنه ويسره متطلعة الى روادها ، الى الهازجين بأحلامها الى الذين يوقدون الحرف متوهجا باصرارها ، الى أدبائها •• فلا نسمع الا اصواتا متفرقة تأتيها هامسة تارة وفي صخب تارة أخرى !

صحيح ان الفن ـ ايها السادة ـ ليس نتاجا جماعيا مشتركا وانما هو تعبير فردى يبلغه المبدع عبر مخاض عسير ومعاناة دائبة لينقل اشواقه وتأملاته وتعكس آمال أمته وآلامها في المستوى الذى تتفاعل فيه مع احساسه وادراكه • ولكن جماهيرنا المتحفزة وهي تعيش في دوامة من الصراع العقائدى وفي فترة انتقالية يكافح فيها المفاهيم المتقهقرة ـ وهي في صحوة الموت ـ بكل ما في الكائن من شهوة عارمة للتشبث بالحياة وهو يرى اجفانه تطبق على ظلمة الفناء ، فتثير البلبلة في الأذهان وتجرف معها الى المنحدر براعم لو تفتحت في اشراقة الشمس ، شمس الحرية والتقدمية لبددت بنفحاتها كثيرا من هذا النتن الذى خلفته لنا عصور الظلام •

ان جماهيرنا المتحفزة وهي تجابه هذا الضباب المنعقد في سماء حياتها ، وتتشوق الى حياة افضل ، والى افق ارحب من الفهم العميق المتفاعل مع تراثها الاصيل لتتطلع الى صناع الفكر والمبدعين من ادبائها وفنانيها لتسمع صوتهم المدوى وهو يجلجل في ارادة موحدة تنير لها الدرب وتوضح معالم التحرك ! ولا يجوز مطلقا ان يكون صوت الادباء ، وهم هداة القافلة ، دون صوت المهندسين أو المحامين العرب أو غيرهم في معارك النضال التى يستعر اوارها على ارض العرب في كل مكان •

سيداتي سادتي :

عندما اختير موضوع « البطولة في الادب العربي » ليكون محور البحث في المؤتمر الرابع الذى عقد في الكويت كانت الامة العربية لا تزال تعيش في نشوة البطولة الخارقة التى كتبت اساطيرها بدم الشهداء على أرض البطولة ، أرض بورسعيد ، وعلى أرض المليون شهيد فكان الموضوع مستمدا من ملابسات الواقع ومن روحه •

ولكن الامة العربية وقد اخذت تستعيد ثقتها بنفسها وتدرك مكانتها بين أمم العالم خلال السنوات التى تلت معركة النصر اخذت تعيد النظر في الاسس التى ترتكز عليها حياتها وتمعن في البحث حتى الجذور عن عوامل التخلف والانحطاط وتحاول ان تعيد بناء حياتها على دعائم جديدة مستمدة من روح العصر ومن العناصر الخالدة في تراثها المشرق العريق وبذلك تستطيع ان تأخذ مكانتها اللائقة وتنضم الى ركب الحضارة الزاحف فاعلة منتجة ، متميزة الشخصية زاهية الالوان !

ولذلك فانني اعتقد ان التوفيق كان حليف اللجنة التحضيرية التي جعلت من « دور الادب في معركة التحرير والبناء في الوطن العربي » موضوعا لهذا المؤتمر فنحن نخوض اليوم حقا هذه المعركة بكل ابعادها •

نحن ثورة والثورة ليست جهدا سياسيا او اجتماعيا فحسب وانما هى قبل ذلك عمل انساني • بمعنى انها لكى تأخذ مداها الصحيح وتستكمل مقوماتها الاصيلة ، يجب ان تتم اولا داخل الانسان بحيث تشيع رؤية

جديدة في نفسه تلقى على التناقض الحاد في المجتمع اضواء تكشف عن طبيعتها وخطورتها وتمد النفس بقيم ومفاهيم تتناسب هذه الرؤية تمهيدا للانقلاب على الواقع الفاسد •

ودور الادب في هذه المعركة واضح لانه هو الذى يمنح هذه الرؤية لا بالوعظ الجاف ولكن بالاحداث والمواقف والمشاعر التى يستمدها الفنان من الواقع المتفاعل مع تصوراته ويعيد بناءها وفق منطق خاص هو المنطق الفني الذى يخضع لقوانينه الذاتية ورؤاه الجمالية ، وبذلك تنفذ الرؤية الجديدة وهى صيغتها الفنية الى النفس غائرة في اعماقها متلاحمة مع مشاعرها •

ان الفنان الاصيل لا يمكن ان يكون الا مع الثورة ، باسلوبه الخاص المتميز لانه في كل جيل طليعة الثائرين على القيم السائدة بما يقدمه من مفاهيم جديدة وبما يمارسه من نقد للحياة من خلال تصويره الخاص لاحداثها وعلاقاتها ومن خلال مواقفه من ظاهراتها ومن الاخرين • وبذلك يكون الفن الاصيل عملا نقديا يهدف الى تغيير مجرى الحياة سواء أراد الفنان أم لم يرد ••

ان الامة العربية ايها السادة ـ تخوض اليوم ازمة من ازماتها المصيرية والفنان العربي مطالب بان يعيش مشكلات امته لا ان يعتزل في ابراجه العاجية متلهيا ـ برحلة حنان الى القمر ـ أو بشمعة يوقدها في معبد !

اننا لا نريد ان يكون الاديب العربي داعية أو خطيبا فالفن شيء غير ذلك تماما بل هو فوق ذلك وانما نريده ان يكون انسانيا ، وانسانيته لا يمكن أن تتحقق الا اذا أمن بحق ابناء أمته في الحياة والكرامة والعدالة •

اننا نريده ان يكون ملتزما لا ملزما بحيث تنبع مواقفه من ذاته وبذلك تتحقق الاصالة في الاحساس والرؤيا •

اننا نريده واسع الافق يعكس العام من خلال تصوره للموقف الخاص وبذلك ليضفى ادبه عنصر الخلود •

ان الفن رسالة وهؤلاء الذين يفزعهم ربط الفن بروح الواقع سواء كانوا اساتذة للفلسفة أو كتابا أو نقادا للادب أو شعراء تقليديين أو مجددين يجب ان يدركوا انهم لا يعكسون اشواقنا ولا يحيون ازماتنا المصيرية •

ومهما تغنوا في تقديم مذهبهم ، مذهب الفن للفن ، في صيغ جديدة خادعة ، مصنوعة أو مستوردة فلن يزيدونا الا ايمانا بهروبهم من المعركة وبدورانهم في فلك من الاحلام المريضة التى لا تفرز غير السلبية الهدامة •

سيداتي سادتي

اذا كان ذلك هو دور الادب في معركة البناء والتحرر ، فهل ادى ادباؤنا دورهم في هذه المعركة ؟

اننا لا نستطيع ان ننكر دور الادب في نهضتنا الحديثة منذ فجرها الاول والا انكرنا هذه النهضة نفسها ، رغم ما يشوب أكثره من انفصالية ساذجة وروح خطابية ليس لها اهداف واضحة محددة وذلك بحكم الظروف التاريخية التى احاطت منشأ هذا الادب •

ومع ذلك فقد كانت جماهير المدن تتجاوب معه لان الوجدان العربي وهو في تلقائيته غير المصقولة بالثقافة ينفعل بالصيغ الخطابية ذات الرنين العالي والافكار الحاسمة ويهتز لها اشد من اهتزازه بالصيغ الهامسة التى تتقطر في الوجدان وتحول الى جزء من نسيجه الحي بعكس تلك الصيحات الهاتفة التى لا تلبث ان تتبدد كما تتبدد الانفاس اللاهثة !

اما اليوم فاننا في مجال القصة بعض الادباء الذين احتضنوا تيار الواقعية الاشتراكية ورسموا حياتها وتطلعاتها القومية والطبقية كما نجد في مجال الشعر بعض الشعراء الذين عكسوا قلق هذا الجيل وصور ازمات الانسان العربي المعاصر في بناء مبتكر جديد •

كذلك نجد أمثال هؤلاء في النقد ممن جعلوا مدرسة الفن للحياة ذات فاعلية خلاقة •

كذلك نجد أمثال هؤلاء في النقد ممن جعلوا مدرسة الفن للحياة ذات فاعلية خلاقة •

ولكن ادبنا العربي على العموم لم ينهض برسالته التى هو جدير بها الى المستوى القومي والعالمي المنشود فلا يزال أكثر انتاجنا في الشعر ذا صبغة فردية يرفل بحلل واشكال تقليدية محنطة أو يهوم في نثرية معتمة لا يحمل أى سمة من سمات الشعر الصادق ٠

وفي القصة والرواية لا تزال الكثرة العظمى من هذا الانتاج تعبر عن الطبقات المنحلة المنحسرة ولا تلتزم بالقوانين العلمية بل يقوم بناؤها على الغيبية المنحلة والصدف ٠

ولذلك فاننا نتطلع الى ان يكون هذا المؤتمر ، بما يجرى فيه من حوار وبما يدور بين اعضائه من مناقشات وبما يتخذه من قرارات نقطة انطلاق لمراجعة كثير من مفاهيمنا الادبية وارسائها على اسس متطورة منبثقة من واقعنا القومي والحضارى ومن روح العصر الذى نعيش فيه ، بحيث ينفض هذا الادب عن كاهله غبار القرون ويمزق التبعية فلا يصبح مجرد كليشهات مكررة أو شعارات مستعارة ومصنوعة أو تهويمات حالمة وانما يواجه الحياة ، حياتنا في صدق وتجاوب أصيل ، وبقدرة فنية مبدعة ، وبارتباط واع بما في لغتنا من روح جمالية وموسيقية متميزة وبانفصال صادق بروح الجماهير واشواقها وقدرتها على تطوير الحياة والتطور معها ٠

وختاما انتهز هذه الفرصة لاحيي الجهد الكبير المشكور الذى بذله ولايزاله الرجال القائمون على رعاية هذا المؤتمر كما احيي العراق الحبيب ممثلا في احراره الذين أعادوا اليه وجهه المشرق وقشعوا عن سمائه ظلمات الانحراف وبددوا من آفاق سحب الشعوبية والعمالة ٠

والمجد والخلود للامة العربية والسلام عليكم ورحمة الله ٠

حسن جواد الجشي

كلمــة

الاستاذ محمد بن عبدي

رئيس وفد امامة عمان

سيدى الرئيس

السادة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، يسر وفد امامة عمان ان يشارك في المؤتمر الخامس للادباء العرب الذى ينعقد الان في الجمهورية العراقية ، في هذا العهد الثورى وفي ظل حكومته الوطنية التى يقودهـــا الرئيس عبدالسلام محمد عارف صانع الثورات .

ايها السادة ، باسم شعب عمان وباسم ثورته اللاهبة نحيي مؤتمركـم هذا ونتمنى من أعماق قلوبنا بان يحالف مؤتمركم التوفيق والنجـــاح في أعماله ومقرراته التى ستكون ثمرة هذا الاجتماع الذى يمثل كافـــة الاقطار العربية الشقيقة ، وانه لشرف عظيم بأن تشارك عمان في هذا المؤتمر الجليل وهى – تمر باحلك وأدق مرحلة في كفاحها الدامي مع الاستعمار البريطاني .

أيها السادة : لقد عرف عن هذا القطر العربي حضارات وتاريـخ مجيد منذ فجر الاسلام فقد بعث الرسول الاعظم محمد صلى الله عليـــه وسلم عمرو بن العاص الى عمان ودعاهم الى الاسلام فأسلموا وقد امتدح الرسول الاعظم أهل عمان ودعا لهم بالخير والبركة ، وقال من اراد منكم الرزق فعليه بعمان وانتشر الاسلام في عمان وسادت الحضارة الاسلامية كل ربوع عمان فقد استطاع العمانيون نشر الحضارة الاسلامية لا في عمان وحدها فحسب بل تعدتها الى القارة الافريقية ، ، ففي شرق افريقيا أوصل العمانيون الاسلام وبنوا الحضارة ونشروا تعاليم الدين الحنيف وازدهـــر الفكر والادب في عهد امة اليعاربة ، ففي عمان ادباء وشعراء ومفكرون

تعاقبوا على ممر الايام فنذكر على سبيل المثال بعض هؤلاء الشعراء كالستالي وابن شيخان وابى نبهان وابن عديم ومن شعره الوطني نذكر بعض الابيات بعنوان (المجد لا يملك عن وراثة) :

ياللرجال ألم يأن الجهــاد لكم	بلى لقــد فات أبان وأبــان
يا للرجال اقيموا وزن قسطكم	فما لكم قبل وزن القسط ميزان
يا للرجال احفظــوا اوطان ملتكم	فما لكم بعد خذل الدين اوطان
ياللرجال احفظوا أحساب مجدكم	ان لم تكن فيكم للدين اشجان
ياللرجال اندبوا لله غـيرتـكم	والوقت قد ضاق والتثبيط خسران
يا لرجــال ألا لله منتصــر	فناصر الله لايعروه خــذلان
يا للرجال أروني من شهامتكم	ان الحوادث آســاد وسـيدان
يا للرجال ألم يدهش عقولـكم	صوت الارامل والايتام اذ هانوا
يا للرجال دماء المسلمين غدت	هدرا كما عبثت بالماء صبيان

ايها السادة ، ان لعمان تاريخا حافلا بالامجاد والثقافة والادب العربي ولكن المستعمرين بتآمرهم وغزواتهم المتكررة على هذا القــطر العربي استطاعوا تدمـير هذا البلد وعرقلوا ثقافته وفكره وادبه وكان دائما عرضـة لغزواتهم وقبل ان يعرف العالم ما معنى الاستعمار استطاعوا ان يهزمــوا الاستعمار البرتغالى وينزلوا به هزائم نكرى لا في عمان والخليج بل لاحقوه الى شرقي افريقيا وأجلوه منها ومن ذلك اليوم أسسوا الحضارة الاسلامية وبنوا هناك أمجادا عربية تشهد بعظمة الحضارة العربية وكان ذلك في عهد الامام سيف بن سلطان المـكنى بقيد الارض وتعرضت عمان لغزوات عدة قام بها الاستعمار الهولندى والفرنسي ، والفارسى ،والانكليزى • وانتصرت عمان على الغزاة الطامعين ، ولكن الاستعمار البريطاني تجاهل تلك الهزيمة وعاد أدراجه مرة ثانية وجاء بطريقة شرسة وقحة هي سياسة فرق تسد فاستطاع بتآمره ان يجزيء البلد الواحد والشعب الواحد الى شعوب فبعـد معارك طاحنة استطاع تمزيق هذا الشعب وتفتيت وطنه وخلق امارات يجزىء صغيرة لا تقدر على العيش الا بمساعدة الاستعمار ليضمن بذلك البقاء طويلا في هذا البلد العربي •

ايها السادة ، لقد ألقت بريطانيا بكل حممها على الشعب العربي العماني فقتلت النساء والاطفال ويتمت الارامل واحرقت المزارع ودمرت قنوات الري وساقت مئات المواطنين الى السجون والمعتقلات الرهيبة من بينهم العلماء والادباء والمفكرون وعاملت هؤلاء المعتقلين معاملة وحشية لا انسانية حيث زجت بهم في سجون عفنة لا يتسرب اليها الهواء ولا الشمس وانتشر المرض بينهم وفتك بالكثير ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، ولم تكتف بريطانيا بهذه الاعمال الاجرامية بل تعدت الى تشريد الآلاف من المواطنين خارج وطنهم يعيشون الان في حالة بؤس وفقر مدقع وشجعت الهجرة الاجنبية على البلاد وفتحت المجال والعمل داخل البلاد وقسم انضم في قواتها وحمل السلاح ضد المواطن العربي والقسم الآخر يسرت له سبل العيش وتركته يتنعم بخيرات هذا الشعب ، انها حقا مأساة يندى لها الجبين وكل ما نخشاه أن تتضاعف حملات الاستعمار على هذا القطر العربي وتتكرر مأساة فلسطين .

اننا نهيب بالحكومات العربية في ان تدرك الخطر الذى يهدد عروبة الخليج وان تضع حدا لخطر الهجرة الاجنبية وان تتدخل بكل الوسائل الممكنة ، ونناشدهم كذلك تدعيم ومساندة الثورة العربية المسلحة التى يرفع لواءها الشعب العماني لان عمان بحكم موقعها بوابة الخليج فتحرير عمان تحرير الخليج .

ايها السادة ، ان قضية عمان جديرة بان يعيرها كل عربي اهتمامه لما يكتنفها من اخطار وملابسات ، وانتم يا رجال الفكر والادب ويا حملة الاقلام تكون مسؤوليتكم من هذه القضية مسؤولية مضاعفة لانكم أدرى ما للتغلغل الاستعمارى وتحكمه في المنطقة من كوارث وخيمة لا على الشعب العربي العمانى وحده وانما على العروبة كلها ، اننا نضع أمامكم هذه القضية وكلنا ثقة وامل بان تكون موضع بحث واهتمام مؤتمركم الجليل والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد بن عبدي

كلمـة

الاستاذ مصطفى البنداري

(قطــــــر)

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى رئيس الجمهورية

سيدى رئيس المؤتمر

سيداتي وسادتي

باسم قطر ، شعبها وحكومتها ، احيي في شخصكم يا سيادة الرئيس ، شعب العراق العربي الابي ، ورئيس العراق البطـل الوفـي ، واحيـي السيدات والسادة أعضاء المؤتمر اولئك الذين يمثلون القيادة الفكرية الواعية لامتنا العربية المجيدة .

ان امتنا يا سيادة الرئيس ، تمر اليوم بمرحلة حاسمة من مراحـل تاريخها الطويل ، مرحلة يتقرر فيها مصيرها ومستقبلها . ومن توفيق الله لهذه الامة ان قيض لها زعامات قوية مخلصة ، تؤمن بحقها في الحيـاة الحرة الكريمة . زعامات هى في مستوى الاحداث التى أرادها القدر لها ، فهي تعمل في اصرار لا يعرف التردد ، ولا يعترف باليأس ، وفي ايمان يعقبه النصر تلو النصر .

وكان من حظ العراق الشقيق ، زعامتكم الرشيدة يا سيدى الرئيس. وهي زعامة اجتمع لها من الفضائل الانسانية ، ما توجه الايمان الصادق بالله ، والاخلاص الصادق للعروبة .

ولقد افتتحتم الان ـ مشكورين ـ يا سيادة الرئيس ، مؤتمر الادباء العرب ، مؤتمر الرواد الذين طالما دعوا الى القومية العربية ، في أحلـك

الظروف واقساها ، وهم اليوم يدعمونها ويستوحونها فيما يجرى على السنتهم واقلامهم •

ولا ريب في ان الثمرة المرجوة من هذا المؤتمر ، ستكون تأصيل المفهوم العربي ليستقر في كل فكر وكل عاطفة •

ونحن في قطر على شاطىء الخليج في اقصى الشرق من عالمكم العربي نؤمن بالقومية العربية أعمق الايمان ، نؤمن باننا جزء لا يتجزأ من هذه الامة العريقة ، نؤمن بان في وحدتنا حياتنا وعزنا ومجدنا •

سيدى الرئيس

شكرا للعراق وليتوج الله جهادكم في سبيل أمة عربية واحدة بالتوفيق والنجاح •

وليرع الله مؤتمرنا ليؤتي ثمره •

وليكتب الله لامتنا النصر على عدوها لنسترد الوطن السليب • وتحرر ما بقى من أرضنا وبلادنا • والسلام عليكم ورحمة الله •

مصطفى البنداري

كلمة

الدكتور عبدالعزيز الدوري

رئيس وفد العراق ورئيس المؤتمر

السيد رئيس الجمهورية

حضرات الزملاء اعضاء المؤتمر

سيداتي وسادتي

انه ليسعدنا أن يرى السيد رئيس الجمهورية هذا المؤتمر ، مقدرا بذلك دور الادب والفكر في الثورة وفي بناء المجتمع العربي الجديد .

لقد نهضت هذه الامة وخدمت البشرية بمداد العلماء ودم الشهداء ، ولن يستقيم أمرنا الا بما استقام به أوله .

لقد مرت بنا أحداث منذ الدورة الرابعة للمؤتمر . ولئن أراد المؤتمر السابق أن يذكي روح البطولة والفداء ، فان مؤتمرنا هذا يتنادى لما هو أبقى ، لتثمين دور الادب والفكر في الثورة ، ولتأكيد مسؤلياته في البناء .

وحرى بنا اليوم أن نحيي انطلاق الجزائر في ثورة البناء بعد ثورة التحرر ، وحرى بنا أن نحيي ثورة اليمن واندفاعها الى حياة حديثة كريمة . وجدير بنا ان نحيي الثورة البناءة في الجمهورية العربية المتحدة ، أم الثورات ورائدة البناء ، وجدير بنا ان نحيي ثورة العراق في مسيرتها الهادفة .

اننا نحيي ثورة عمان ، وثورة الجنوب اليمني المحتل ، ونحيي قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، ونحيي قبل كل هذا وبعده أرواح الشهداء الذين فتحوا الطريق ونبارك أقلام الكتاب والادباء الذين اضفوا النور على الربوع وانارو الدروب .

لقد انطلق المد الثورى يغمر كل جزء من وطننا ، وان تباين ارتفاعه بين الهضاب والسهول ، فانه واحد في مقوماته وأهدافه ، اندفع بقوة

تجاوزت نشاط الفكر وسار بتصميم استبق التخطيط في كثير من الاحيان •

ان انتفاضات الشعوب تحطم القيود وتهدم السدود وتمهد لجو العزة والكرامة ، وعلى الفكر أن يغرس الثورة في النفوس وان يعطيها محتواها واصالتها ، وان يخلق المجتمع العربي الجديد •

والفكر الواعي ، ان هو الا حصيلة تجربة المجتمع وارثه ، وادراكه لمرحلة مجتمعه ومشاكلها ، وتمثل لاهداف الامة وامانيها في حياة كريمة •

ولايصح أن يبقى مجتمعنا ساحة لصـــراع الاراء ولهبوب الرياح شرقية أو غربية فقد سرنا في الطريق الثورى المستقل وليست الثورة ازالة فاسد أو بال أو متحجر وحسب بل انها فـــكر عميق عادل وبناء جديد شامل •

اننا بحاجة الى الفكر الايجابي الذى يعبر عن ذات الامة وعن قيمها ، الفكر الذى يجسد الثورة العربية بأهدافها الـكبرى ، الفكر الذى يضع الاطار النظرى للاشتراكية العربية ويرسم محتواها ، الفكر الذى يرسـم طريق الوحدة الشاملة وطبيعتها ، الفكر الذى يعطي للحرية مدلولها في مجتمعنا الجديد •

لقد قام الفكر بدوره في المعركة ضد الاستعمار والتبعية والاستغلال ، وقام بدوره ضد الغزو الفكرى الذى هدد ذات الامة وارثها ، وقام بدوره في التمهيد للثورة الشاملة •

ولـكننا الان في مرحلة تخطت فيها الاحداث الفكر ، وتجلى الشعور بوحدة الثورة العربية • ومع شعورنا بان هذه ظاهرة طبيعية ، فان الحال يوجب التعبئة ويوجب تمحيص الافكار والمفاهيم وتلاقي الاراء في ضوء الاهداف والغايات • ووحدة الثورة تنطوى على وحدة الفكر في تفاعله مع الواقع ، وتفرض على الفكر أن يأخذ دوره في بلورة مفاهيمها وفي تحويلها الى ثورة بناءة تمكن الامة العربية من تحقيق امكانياتها ومن بناء المجتمع العربي الافضل •

ومن هنا كان اختيار موضوع المؤتمر (دور الادب في معركة التحرر

والبناء) ومن الخير أن يعقد المؤتمر في بغداد ، مهد الحضارة العربيـــة ومعقل العروبة في جناحها الشرقي ، والمدنية التي طالما حملت عبء الصراع الفكرى مع التيارات الوافدة شعوبية وغربية .

وفي بغداد تعرضت الاراء والمفاهيم لاختبارات قاسية وتعرضت العروبة لمحن واحداث لتخرج ناصعة الجبين مؤكدة عروبتها ، معلنة اندفاعهـا في طريق الوحدة العربية مؤكدة وجهتها الثورية في طريق الاشتراكية العربية النابعة من ارثها الحضارى ومفاهيمها الاسلامية .

ان بغداد جديرة بان تستقبل هذا المؤتمر العتيد ، وسعيدة بهذا اللقاء ، كما انها حرية بان ترى في بحوثـه ومناقشاته عدة جديدة لدعم الوحدة العربية ، ولتحقيق مجتمع الكفاية والعدل ، ولترسيخ دعائم الحرية .

والسلام عليكم .

الدكتور عبدالعزيز الدوري

أعضاء الوفود

أما اعضاء الوفود العربية فهم :

١ ـ وفد جامعة الدول العربية :

الاستاذ محمد التهامي
الاستاذ قاسم الخطاط (رئيس الوفد)

٢ ـ وفد الجمهورية العربية المتحدة :

الاستاذ يوسف السباعي (رئيس الوفد)
الدكتورة سهير القلماوى
الدكتور مهدى علام
الدكتور محمد مندور
الاستاذ محمود حسن اسماعيل
الدكتور زكي نجيب محمود
الاستاذ صالح جودة
الاستاذ احمد رامي
الاستاذ عبدالرحمن صدقي
الدكتور يوسف ادريس
الاستاذ عصام الحيني
الدكتور محمد خلف‌الله أحمد
الاستاذ عبدالرحمن الشرقاوى
الاستاذ عباس خضر

الاستاذ أمين الخولي
الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء)
الدكتور محمد احمد خلف الله
الدكتور جمال‌الدين الشيال
الدكتور احمد محمد الحوفي
الدكتور كمال‌الدين سامح
الاستاذة شريفة فتحي
الاستاذة روحية القليني
الاستاذة كريمة الدكتور زكي مبارك
الاستاذة مهجة عثمان
الدكتورة طلعة الرفاعي
الاستاذ زكي غنيم

٣ ـ وفد المملكة المغربية :

الاستاذ عبدالكريم غلاب (رئيس الوفد)
الاستاذ حسن السائح
الاستاذ أحمد بلقات

٤ ـ وفد الجمهورية الجزائرية :

الاستاذ عبدالله ركيبي (رئيس الوفد)
الاستاذ صالح الخرفي

٥ ـ وفد الجمهورية التونسية :

الاستاذ أمين الشابي (رئيس الوفد)
نورالدين صمود
الاستاذة زبيدة بشير
الاستاذ أحمد اللقماني

الاستاذ منور صمادح
الاستاذ محمد المزالي
الاستاذ مصطفى الفارسي

٦ ـ وفد المملكة الليبية :

الاستاذ رجب الماجرى (رئيس الوفد)
الاستاذ علي صدقي عبدالقادر
الاستاذ عبدالله محمد القويرى

٧ ـ وفد المملكة العربية السعودية :

الاستاذ حسن الكتبي (رئيس الوفد)
الاستاذ عبدالله بن خميس
الاستاذ عبدالله أحمد عبدالجبار

٨ ـ وفد الجمهورية السودانية :

الاستاذ التيجاني عامر (رئيس الوفد)
الاستاذ محمد المهدى مجذوب
الاستاذ علي عبدالله يعقوب

٩ ـ وفد الجمهورية اليمانية :

الاستاذ سعيد الشيباني (رئيس الوفد)
الاستاذ محمد الشرفي
الاستاذ ابراهيم الحضراني

١٠- وفد الجمهورية اللبنانية :

الدكتور سهيل ادريس (رئيس الوفد)
الشيخ نديم الجسر
الاستاذ حسن الامين
الدكتور خليل حاوى
الدكتور محمود زايد
الدكتور محمد يوسف نجم
الدكتور احسان عباس

١١- وفد دولة الكويت :

الاستاذ عبدالرزاق البصير (رئيس الوفد)
الاستاذ عبدالله سنان
الاستاذ سيف مرزوق الشملان
الاستاذ أحمد السقاف

١٢- وفد الجمهورية السورية :

الاستاذ فؤاد الشايب (رئيس الوفد)
الدكتور جودة الركابي
الاستاذ سليم الزركلي
الاستاذة وداد سكاكيني
الدكتور شكري فيصل
الاستاذ مطاع صفدي

١٣- وفد المملكة الاردنية الهاشمية :

الدكتور ناصرالدين الاسد (رئيس الوفد)
الاستاذ محمود الروسان

١٤- وفد امامة عمان :

الاستاذ محمد بن عبدى
عبدالله بن حميد بن سلمان

١٥- وفد امارة قطر :

الاستاذ مصطفى البندارى

١٦- من الجنوب العربي :

الاستاذ طه امان

١٧- من البحرين :

الاستاذ حسن جواد الجشى

١٨- وفد فلسطين :

الدكتور اسحاق موسى الحسيني (رئيس الوفد)
الاستاذ محمود سليم الحوت
الاستاذة سميرة عزام

١٩ـ وفد الجمهورية العراقية :

١ ـ الشيخ محمد رضا الشبيبي
٢ ـ الدكتور مهدي البصير
٣ ـ الدكتور عبدالعزيز الدوري (رئيس الوفد)
٤ ـ الدكتور عبدالرزاق محيي‌الدين
٥ ـ الدكتور جميل سعيد
٦ ـ الدكتور أحمد عبدالستار الجوارى
٧ ـ الدكتور صالح احمد العلي
٨ ـ الدكتور مصطفى جواد
٩ ـ الدكتور محمد بديع شريف
١٠ـ الاستاذ ناجي معروف
١١ـ الاستاذ حافظ جميل
١٢ـ الدكتور عبدالجبار الجومرد
١٣ـ الدكتور عبدالعزيز البسام
١٤ـ الدكتور محمود غناوي
١٥ـ الدكتور عبدالرحمن خالد القيسي
١٦ـ الاستاذ فؤاد الركابي
١٧ـ الدكتور نوري الحافظ
١٨ـ الدكتور عبدالهادى محبوبة
١٩ـ الدكتور احمد شاكر شلال
٢٠ـ الدكتور علي الزبيدى
٢١ـ الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي
٢٢ـ الاستاذة نازك الملائكة
٢٣ـ الدكتورة خديجة الحديثي

٢٤ـ الاستاذة صبيحة الشيخ داود
٢٥ـ الدكتور أحمد مطلوب
٢٦ـ الدكتور يوسف عزالدين
٢٧ـ الدكتور عبدالرزاق الجليلي
٢٨ـ الاستاذ جمال‌الدين الالوسي
٢٩ـ الاستاذ فريد فتيان
٣٠ـ الاستاذ خالد الشواف
٣١ـ الاستاذ نعمان ماهر
٣٢ـ الاستاذ عبدالرزاق الهلالي
٣٣ـ الاستاذ احمد الوائلي
٣٤ـ الاستاذ عبدالغني الخضري
٣٥ـ الاستاذ عباس العزاوى
٣٦ـ الاستاذ كوركيس عواد
٣٧ـ الدكتور أحمد حسن الرحيم
٣٨ـ الدكتور ابراهيم عبدالله محيي‌الدين
٣٩ـ الدكتور علي الوردى
٤٠ـ الدكتور ياسين خليل
٤١ـ الدكتور فاضل زكي
٤٢ـ الدكتور صفاء خلوصى
٤٣ـ الاستاذ احمد حامد الصراف
٤٤ـ الاستاذ جعفر الخياط
٤٥ـ الاستاذ فؤاد عباس
٤٦ـ الاستاذ مهدى مقلد
٤٨ـ الاستاذ هلال ناجي
٤٩ـ الاستاذ عبدالوهاب الامين
٥٠ـ الاستاذ خالد العزي

٥١- الاستاذ فيصل حسون

٥٢- الاستاذ عبدالحميد العلوجي

٥٣- الاستاذ سعيد الديوه‌جي

٥٤- الاستاذ نورالدين الواعظ

٥٥- الاستاذ نعمان عبدالرزاق

٥٦- الدكتور معمر خالد الشابندر

اللجـان

وقد انبثقت عن المؤتمر ست لجان فرعية هي :

١ ـ لجنة الادب وفلسطين .
٢ ـ لجنة الادب والثورة .
٣ ـ لجنة الادب والبناء .
٤ ـ لجنة الادب والتراث .
٥ ـ لجنة وضع نظام اتحاد الادباء العرب .
٦ ـ لجنة حقوق التأليف واتحاد الناشرين .

وأعضاء هذه اللجان هم :

لجنة الادب وفلسطين

١ ـ الدكتور اسحاق موسى الحسيني	رئيس اللجنة
٢ ـ الدكتور احسان عباس	مقرر اللجنة
٣ ـ الاستاذ هلال ناجي	العـراق
٤ ـ الدكتوره طلعة الرفاعي	جامعة الدول العربية
٥ ـ الاستاذ فؤاد عباس	العـراق
٦ ـ الاستاذ خالد العزي	العـراق
٧ ـ الشيخ عبدالغني الخضري	العـراق
٨ ـ الاستاذة سميرة عزام	فلسطين
٩ ـ الدكتور محمد يوسف نجم	لبنان
١٠ـ الاستاذ محمود الروسان	الاردن
١١ـ الاستاذ عبدالله سنان الحمد	الـكويت
١٢ـ الشيخ حسين الصغير	العـراق
١٣ـ الاستاذ سعيد البدرى	العـراق
١٤ـ الاستاذة كريمة زكي مبارك	الجمهورية العربية المتحدة

١٥ـ الاستاذ احمد رامي	الجمهورية العربية المتحدة	
١٦ـ الاستاذ احمد اللغماني	**تونس**	
١٧ـ الدكتور كمال‌الدين سامح	الجمهورية العربية المتحدة	
١٨ـ السيدة شريفة فتحي	الجمهورية العربية المتحدة	
١٩ـ الآنسة روحية القليني	الجمهورية العربية المتحدة	
٢٠ـ الاستاذ حسن الامين	لبنان	
٢١ـ الشيخ احمد الوائلي	العـراق	
٢٢ـ الدكتور جودة الركابي	سورية	

لجنة الادب والثورة

١ ـ الدكتور محمد مهدى علام	العربية المتحدة	رئيسا
٢ ـ محمد الشرفي	اليمن	مقـــررا
٣ ـ مقبولة الحلي	العـراق	
٤ ـ الامين الشابى	**تونس**	
٥ ـ زكي نجيب محمود	الجمهورية العربية المتحدة	
٦ ـ محمود سليم الحوت	فلسطين	
٧ ـ سعيد الشيباني	اليمن	
٨ ـ مطاع صفدى	عن الادباء الاحرار في سوريا	
٩ ـ خليل حاوى	لبنان	
١٠ـ محمد التهامي	وفد الجامعة العربية	
١١ـ عبدالرحمن القيسى	العـراق	
١٢ـ صالح خرفي	**الجزائـر**	

لجنة الادب والبناء

١ ـ الدكتورة سهير القلماوي	الجمهورية العربية المتحدة	رئيسا
٢ ـ الدكتور عبدالعزيز الدورى	الجمهورية العراقية	
٣ ـ الاستاذ عبدالرزاق البصير	الـكويت	مقررا
٤ ـ الاستاذ مصطفى البندارى	قطر	

٥ ـ الدكتورة خديجة الحديثي	العراق
٦ ـ الدكتور احمد مطلوب	العراق
٧ ـ الاستاذ عبدالله الجبوری	العراق
٨ ـ الاستاذة وداد سكاكيني	سوريا
٩ ـ الاستاذ علي صدقي عبدالقادر	ليبيا
١٠ـ الاستاذ عبدالله عبدالجبار	السعودية
١١ـ الاستاذ عبدالله الرقيبي	الجزائر
١٢ـ الاستاذ مصطفى الفارسی	تونس
١٣ـ الدكتور احمد حسن الرحيم	العراق
١٤ـ الدكتور ياسين خليل	العراق
١٥ـ الاستاذ محمد خلف الله احمد	الجمهورية العربية المتحدة
١٦ـ الدكتور احمد الحوفي	الجمهورية العربية المتحدة
١٧ـ الاستاذ أمين الخولي	الجمهورية العربية المتحدة
١٨ـ الاستاذ فؤاد الشايب	سوريا

لجنة الادب والتراث

١ ـ الدكتور ناصرالدين الاسد	الاردن	رئيسا
٢ ـ حسن السائح	المغرب	مقررا
٣ ـ الشيخ نديم الجسر	طرابلس	
٤ ـ سعيد الديوهجي	العراق	
٥ ـ علي الخاقاني	العراق	
٦ ـ محمد كاظم الطريحي	العراق	
٧ ـ عبدالرحمن صدقي	الجمهورية العربية المتحدة	
٨ ـ نعمان عبدالرزاق السامرائي	العراق	
٩ ـ محمود يوسف زايد	لبنان	
١٠ـ سيف مرزوق الشملان	الكويت	
١١ـ الدكتور صالح احمد العلي	العراق	

١٢- عبدالكريم غلاب	المغرب
١٣- احمد السقاف	الكويت
١٤- عباس العزاوى	العراق
١٥- حسن كتبي	السعودية
١٦- ابراهيم الحضراني	اليمن
١٧- نورالدين صموه	تونس
١٨- زبيدة بشير	تونس
١٩- فاضل زكي	العراق
٢٠- الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء)	الجمهورية العربية المتحدة

لجنة وضع نظام اتحاد الادباء العرب

١ - الدكتور سهيل ادريس	لبنان	رئيسا
٢ - الاستاذ حسن الجشي	البحرين	مقررا

الاعضاء

٣ - الاستاذ صالح جودت	الجمهورية العربية المتحدة
٤ - الاستاذ التجاني عامر	السودان
٥ - الاستاذ احمد بلقات	المغرب
٦ - الدكتور يوسف ادريس	الجمهورية العربية المتحدة
٧ - الدكتور محمد مندور	الجمهورية العربية المتحدة
٨ - الاستاذ قاسم الخطاط	وفد الجامعة العربية
٩ - الاستاذالشيخ نديم الجسر	لبنان
١٠- الدكتور علي الزبيدى	العراق
١١- الاستاذ سليم الزركلي	سوريا
١٢- الدكتورمحمد أحمد خلف الله	الجمهورية العربية المتحدة

لجنة حقوق التاليف واتحاد الناشرين

١ ـ عبدالله القويري	ليبيا	رئيسا
٢ ـ عبدالله بن خميس	السعودية	مقرر
٣ ـ صبيحة الشيخ داود	العراق	
٤ ـ صفاء خلوصي	العراق	
٥ ـ عباس خضر	الجمهورية العربية المتحدة	
٦ ـ محمود حسن اسماعيل	الجمهورية العربية المتحدة	
٧ ـ منور صمادح	تونس	
٨ ـ علي عبدالله يعقوب	السودان	
٩ ـ عبدالرحمن الشرقاوى	الجمهورية العربية المتحدة	
١٠ـ محمود البرشومي	الجمهورية العربية المتحدة	

* ● *

وعقد رؤساء الوفود جلسة ظهر يوم الخميس الموافق ١٨ـ٢ـ١٩٦٥ برآسة الدكتور عبدالعزيز الدورى وقرروا ما يلي :

١ ـ تجتمع لجنة الصياغة برآسة رئيس المؤتمر ، وتضع صيغة التوصيات وتقدمها للمؤتمر . ويمكن لمن يود من رؤساء الوفود حضور اجتماع اللجنة .

٢ ـ تعقد الجلسة الختامية للمؤتمر في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاحد ٢/٢١ ، ويكون برنامجها كما يلي :

١ ـ كلمة وفد الجمهورية السورية .

٢ ـ تلاوة التوصيات واقرارها .

٣ ـ كلمة رئيس المؤتمر .

٤ ـ كلمة الاستاذ قاسم الخطاط مندوب الجامعة العربية نيابة عن الوفود .

ختام المؤتمر

وفي تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاحد ٢١ شباط ١٩٦٥ (٢٠ شوال ١٣٨٤) اختتم مؤتمر الادباء العرب الخامس اعماله في بغداد • بعد ان القى الاستاذ فؤاد الشايب رئيس وفد سورية كلمة الوفد السوري

بدأ مقرر الجلسة الاستاذ الدكتور مهدي علام بقراءة بعض الرسائل والتوصيات وكانت تتضمن :

١ ـ تأجيل مهرجان الشعر في تونس •

٢ ـ برقية من أمين الاتحاد العام للصحفيين العرب •

٣ ـ برقية أمين يوسف ـ اعتذار وتحية للمؤتمر •

٤ ـ برقية مكتب الجبهة القومية لتحرير الجنوب العربي المحتل •

٥ ـ برقية رئيس مكتب الفكر العربي في الخرطوم •

٦ ـ برقية اتحاد الكتاب الصينيين •

٧ ـ برقية اتحاد الكتاب السوفييت •

٨ ـ توضيح من اللجنة التحضيرية عن الادباء العراقين الموجودين في الاتحاد السوفييتي •

وبعد ذلك تلا الدكتور علام توصيات المؤتمر وقراراته • وقد شكر وفد لبنان بادرة فسح المجال للادباء العراقين الموجودين في الخارج بالعودة الى العراق •

والقى بعد ذلك السيد رئيس جامعة بغداد ورئيس مؤتمر الادباء العرب الخامس الدكتور عبدالعزيز الدوري كلمة الختام • ثم القى الاستاذ الخطاط مندوب جامعة الدول العربية كلمة بالنيابة عن الوفود العربية •

ثم قرر المؤتمر تشكيل لجنة متابعة لقرارات المؤتمر من السادة :

١ ـ الاستاذ يوسف السباعي رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة

٢ ـ الاستاذ الدكتور محمد مهدي علام عضو وفد الجمهورية العربية المتحدة •

٣ ـ الاستاذ قاسم الخطاط مندوب الجامعة العربية على ان يكون

رؤساء الوفود ممثلين لهذه اللجنة في بلادهم • وينتظـــر من اللجنة تقديم تقارير عن الخطوات التى تنجزها •

أما البرقيات والـكلمات والتوصيات والقرارات التى القيت في جلسة الختام فهي :

البرقيـــات

١ ــ برقية الاستاذ صبري أبي المجد :

الدكتور عبدالعزيز الدورى رئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء العرب بغداد •

اسعدتني دعوتكم الكريمة للاشتراك في مؤتمر الادباء العرب الـذى يعقد اليوم جلساته بالعراق واذا كانت ظروف العمل بالمؤتمر الاول لاتحاد الصحفين العرب الذى عقد بالكويت قد اعاقنا عن المساهمة الفعالة في هذا المؤتمر وعن شهود جلسة الافتتاح فانني اقدم عذرى راجيا لـكم التوفيق والسداد في خدمة الشعب العربي وسيظل عراق الثورة بقيادة زعيمـــه عبدالسلام محمد عارف حصنا أكبر للثورة العربية والوحدة العربيـــة والاشتراكية العربية •

صبرى أبو المجد الامين العام لاتحاد

الصحفين العرب

٢ ــ برقية الاستاذ أمين يوسف غراب :

السيد الامين العام لمؤتمر الادباء العرب بغداد ــ العراق

لئن حال مرضي دون تحقيق أمنية عزيزة وهي زيارة العراق الشقيق والمشاركة في هذه المناسبة العظيمة فاني بقلبي وعواطفي معكم داعيا الله ان يحقق ما نرجوه جميعا لوطننا وقوميتنا ولغتنا وادبنا العربي من عزة ومجد •

أمين يوسف غراب

٣ ـ برقية الاستاذ عبدالله الخاصرة :

مؤتمر الادباء العرب ـ بغداد

نرجو لمؤتمركم النجاح واناشدكم شجب مؤتمر لندن الذى سيعقد في ٢ مارس لانه مؤامرة ضد الثورة نطالبكم دعم ثورة شعبكم المسلحة في الجنوب المحتل •

عبدالله الخاصره مكتب الجبهة
القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل

٤ ـ برقية الاستاذ أبي القاسم عثمان :

مؤتمر الادباء العرب بغداد ـ العراق

بمناسبة انعقاد الدورة الخامسة لمؤتمركم العتيد يسر هذا المكتب ان يزجى اليكم اطيب تمنياته راجيا ان تحققوا الاهداف التى نؤمن بها جميعا •

ابو القاسم عثمان رئيس مكتب
الفكر العربي صندوق البريد ٢٠٧١ الخرطوم

٥ ـ برقية اتحاد الكتاب الصينيين :

الى مؤتمر الادباء العرب ـ بغداد

يسرنا ان يعقد مؤتمر الادباء العرب في بغداد في ١٥ شباط • تتمنى للمؤتمر كل النجاح وللادب العربي الازدهار •

اتحاد الكتاب الصينيين

٦ ـ برقية اتحاد الكتاب السوفييت :

رئيس اللجنة التحضيرية ـ بغداد

نبعث بتحياتنا لمؤتمر الادباء العرب ونتمنى له النجاح في جمع المثقفين العرب في الكفاح ضد الاستعمار ومن أجل السلم والدمقراطية وسعادة الشعوب •

اتحاد الكتاب السوفيت

توضيح من اللجنة التحضيرية للمؤتمر

كانت قد وردت رسالة عن عدد من المشتغلين بقضايا الادب والثقافة من العراقيين اللاجئين في الاتحـــاد السوفياتي ، ممن شهدهم مؤتمر الادباء العرب المنعقد في الـكويت سنة ١٩٥٨ يناشدون فيها مؤتمـــر الادباء العرب الخامس ، الوساطة لهم في العودة الى العراق •

وعلى الرغم من ان اللجنة التحضيرية مقتنعة بان بعضهم قد أســـاء الى الادب والقومية في فترة المد الفوضوى على عهد عبدالـكريم قاسم ـ فقد قامت اللجنة بالاتصال بالمسؤولين لمعرفة حقيقة الامر ، فحصلت على المعلومات الآتية :

١ ـ ان حكومة ثورة الثامن عشر من تشرين سنة ١٩٦٣ لم تسجن أو تعتقل أحدا من المفكرين والادباء لاى سبب •

٢ ـ انها لم تسقط جنسية أحد من منتحلي الافكار والعقائـد من أى نوع • بل انها أطلقت من كان معتقلا منهم ، وأعادت الى بعضهم جنسيته حـين تقدم بطلب الى الحكومة العراقية وفق القوانين المرعية •

أما بخصوص الاسماء التى نوهت عنها رسالتهم فان غالبهم في العراق ، أو خرج منه برغبته وباذن من الحكومة ليعمل في البـــلاد العربية • ومن ظل منهم باقيا في الاتحاد السوفياتى كان قد ترك العراق قبل ثورة الرابع عشر من رمضان ، وفي عهد عبدالـكريم قاسم ، ولم يعد للعراق بعد الثورة ، كما انه لم يصدر بشأنه أمر من قريب أو من بعيد •

٣ ـ ان الذين أسقطت عنهم الجنسية العراقية بموجب قانون اسقاط الجنسية

عن المتجنسين بها ، كان لارتكابهم جرائم مخلة بالامن العام والسـلامة الوطنية •

وهذا القانون يجيز اسقاط الجنسية عمن اكتسبها اكتسابا من الطارئين على العراق ، لا من أبنائه المولودين فيه •

وفي وسع هؤلاء ان يتقدموا بطلب الى السلطات لتنظر في أمرهم ، كما فعلت مع غيرهم من أمثالهم ، وأعادت لهم الجنسية •

٢١-٢-١٩٦٥

اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء

العرب الخامس

كلمـة

الاستاذ فؤاد الشايب

رئيس وفد سورية

فرصة سعيدة أتاحها لي الاخوة رؤساء الوفود العربيـــة في هذا المؤتمر ، اذ قرروا في جلسلة لهم عقدت برياسة الاخ الدكتور الدورى رئيس المؤتمر ان يتاح للمندوب السورى الكلام في جلسة الاختتام بعـد أن فاته شرف الاشتراك مع زملائـه في حفلة الافتتاح •

وانها بالحق لرغبة كريمة وأمر رفيع اصدع له واستجيب استجابة النفس تتحكم بالامنية قبل ان تراها ، وتتمنى على الغيب ، فاذا بالواقـع أكرم من الغيب • ولكم كان صوب السحاب اسبق من دعاء التراب واسرع خاطرا •••

بالحق لم نتخلف ، نحن اعضاء الوفد السورى عن اليوم الموعـود الا بما قد فرضت علينا الصدف المحكمة التلاحم والترابـط ان نتخلف • لقد حاولنا قبل الموعد بأيام ان نسلك الى بغداد طريق الجو ، فلم يتيسر لنا ذلك ، وكان لابد ان نركب المركب الخشن حقا ، وهـــو السيارة التقليدية عابرة الصحراء التى كانت منذ اربعـــين عاما مركب الســـرعة والعجلة ، يصل المسافر به من بغداد الى دمشق ، باربع وعشرين ساعة ، فيتجمع لوصوله الناس ، يتأملون في عظمة هيكله وجليل أمره •••

وقد شاءت ظروف ، كأنها مدبرة ، وليست مدبرة الا في اوهامنـــا المتعبة ، ان نجتاز الصحراء بين البلدين الاخوين بتسع وعشرين ساعة ، لا بأربع وعشرين ••• وكان علينا ان نغرق طويلا في لجج الافكار الرديئة والحسابات السرية والتأملات الغارقة في أعماق السأم المضني •••

ومغزاه : على طريقة كليلة ودمنة ، من يركب الشراع في عصـــر النفاث ، لا يحق له ان يشكو الرياح ، ويحملها تبعة غرق الســـفن •

سقى الله أياما مضت ، عندما كان نصف بيت من الشعر - تجري الرياح بما لا تشتهي السفن - عزاء للمنكوب ، وحجة لراكب المجهول ، يتعلل به ويبرىء ذمته وساحته • وأما اليوم وقد تبدلت لغة العصر ، فلا أقل من أن تتبدل معها لغة الشعر • ولعل ما يشفع لنا أمامكم ، ايها الاخوة ، ان نعترف باننا اخترنا الشراع الذى تتحكم به الرياح وبئست الرياح مركبا ••

منذ أكثر من اثني عشر عامـا ، اى منذ عقدنا مؤتمر الادباء العرب لاول مرة في لبنان ونحن نقول : سيدعونا العراق ، ومتى يدعونـا العراق ؟ ولقد كنا نفتقده داعيا لا مدعوا ، ومتقدمـا في موكب الفكر والنضال ، لا متباطئا ، ولا متخلفا • وكانت تتعاور العراق أيام الشدة والهول ، بلا رحمة ولا هوادة ، وبالاخص منذ ان فـرض الاستعمار عليه ، بالاثارة والاهانة ، معركة عام الف وتسعمئة وواحد واربعين ، فخاضها بـكل كرامة وكبرياء ، ولكن بلا تكافؤ ولا عدة ، وانتهزها العدو فرصة لسحق المد العربي العظيم الذى كانت بشائره في بغداد تهز احلام الجهاد العربـي وامنيات البطولة والفداء • وكان لابـد ان يطـول بالمـد زمن التراجـع والانحسار ، وتتجمع له جديد روافد الالم والحقد ومر الهوان ، حتى تفجر كما يجب ان يحدث التفجر في ثورة الرابع عشر من تموز ، فعـاد الى موقعه الطبيعي من حياة العراق ، مزيلا اللعنة ، وماسحا الاهانة ، ومطهرا التراب العربي من رجس مدنسيه • فكانت الثورة التي فتحت للعرب ابواب العراق أبواب النضال العربي المشترك ، ليقف حيث يجب ان يقف في الصف الاول من قيادة العمل المنظم الذى يضع في جبين الهدف الاكبر وحدة الامة وبناء مجتمعها الجديد •

واليوم ، ودون عناء كبير في التحديق والتأمل وترصد ما جرى بعد يوم الثورة ، عام ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين ، نستطيع القول اننا نعيش في حمى الثورة ، وفي جوها الطبيعي المحمل بالوعود ، ونلمس في كل ما نرى ونسمع عنفها وعنفوانها ، ونشم في كل عود احتراق بخورها واشتعال زيتها ، وتوسع دوائرها في حياة المجتمع العراقي ، ثقافيا واجتماعيا •

من أجل هذا ، وقبل ان يرحب بنا العراق فوق أرضه ، ابناء أمة واحدة ولغة واحدة ، يتجمعون في هذا المؤتمر ، وتنعقد حولهم آمال واحلام ، نسبقه الى الترحيب به ، في الصف الاول من القيادة النضالية العربية ، عاملا بيده وقلبه وعقله ولسانه ، وبجميع طاقاته الكبرى ، من أجل عزة الامة وحريتها ووحدتها •

أيها الاخوة • بما انني عاصرت مولد الفكرة التي انعقد حولها مؤتمر الادباء العرب الاول في لبنان لاول مرة عام ١٩٥٤ ، وكنت بين الافراد الذين اسهموا في تنفيذها ، وبما انني اشتركت فعليا في كل دورة من دورات المؤتمر ، في دمشق والقاهرة والكويت ، ثم في بغداد ، استطيع ان أؤكد لكم ان مؤتمر بغداد كان أكثر المؤتمرات السابقة نجاحا ، واوسعها جولة، أو قد تساوى من حيث القمة الفكرية بمؤتمر القاهرة عام ١٩٥٧ عندما كان الوطن العربي يموز بالاحداث الجسام وكان المؤتمر بما طرحه من قضايا فكرية قومية على مستوى الحدث السياسي والانفعالات النفسية السائدة • بل ان ما سيسجل لمؤتمر الادباء في بغداد منفردا ، هو ظهور هذا التحول القاطع في التفكير القومي ، والثقافة العامة ، من حيز المسائل الذهنية والجدلية الجانبية ، الى مسائل اجتماعية واقعية تلازم القضية القومية وتمشي جانبها ، جزءا لا يتجزأ من حقيقتها ، مسيرا ومصيرا • وقد تبدت روح العلم خاصة في دراسة التاريخ القومي والتراث العربي بما يكشف عن جذور الشخصية القومية التي يجب ان تعتمد نموذجا مثاليا لسمات المستقبل في تكوين المجتمع العربي والانسان العربي •

وان يكن الحرص على دراسة الشخصية القومية في التاريخ والتراث دعوة تتناغم مع حرص المثقفين على تقييم التراث في ضوء العلم واليقين ، لا التسليم الساذج ولا التخمين ، فان هذا الحرص يعززه حرص اخر على فتح النوافذ واسعة لتيارات العصر ، دون خوف أو وجل ، ليتم تكوين الشخصية القومية ، تكوينا رياضيا حرا ، سليما ، تتوافر له جميع عناصر الغذاء والنماء •

ومما يسجل ايضا لمؤتمر الادباء في بغداد ، تفردا ، التقاء اجيال ثلاثة، من الشيوخ والمخضرمين والشباب ، على المائدة الواحدة ، وجها لوجه ، دون أن يبدو في جو المائـدة ما يشار اليه عادة بصراع الاجيال وتنابذهـا. لقد رأينا الشيوخ في حذر شديد من تهمة التخلف ، والشباب في حذر شديد من تهمة التهور ، حتى أن بعض الظواهر بدت لنا وكأن البعض قد احتل مكان الاخر في الصف ، واقام حيث يفرض الا يقيم ، فدل ذلك بأقل الدلالات على أن الحياة طفقت توزع نفسها في جوانب المجتمع وراء الافكار لا وراء الاشخاص والاجيال والاوهام ، بحيث ينتفي قيام نزاع مألـــوف بين القديم والجديد والشيوخ والشباب ، بالشكل الذى كان سائـدا فـي الاجواء البعيدة عن التفاعلات الثقافية .

وان يكن الباحث المتأمل لا ينفي وجود الصراع والتنابذ ، الى حد ما ، فلنا بعد ان شهدنا مؤتمر بغداد ان نستبشر بأن المشادة على اضعفها بـين المثقفين الذين طفقوا يشعرون بتبعاتهم وبمزايا التوازن العقلي والعاطفي الذي تعبر عنه في تاريخنا كلمات العدل والاعتدال والقسط والقسطاس والوسط مما يضعه العقل العربي في مقام القيم الخالدة .

فاذا قام الصراع بين افكار ، لا بين أجيال واشخاص ، وكان العـلم في مشكاته ، حيث يجب ان يكون ، فقد أمنا العثار في ضوء النهار ، وانقذنا أنفسنا من انقلاب المشادة الى خناقة ، والفكرة الى تصور غيبي وعصبية ضالة . اذ لا خوف من الافكار ان تتنازع وتؤكد الشرار ، بل الخوف من ان تحصر في خيانات الاحتكار أو تتولاها ادارات الاوقاف الخاصة .

أيها الاخوة ، يقولون التوصيات والحومات ، وأقول للقائلين دعونا من التوصيات والحكومات ، فمن شاء فلينفذ ، ومن شاء فليغلق الباب بوجه التوصيات واصحابها . ان الافكار لا تحجبها الاسوار ،والعصـر يفرض نفسه ، فمن أدبر أو شاخ فانه مسحوق تحت عجلات الزمـــن . فلنترك التوصيات ، ولنقل ان خير ما نحصد من هذه المؤتمرات هو . اللقاء بمـا يحمله من تعارف وتآلف ومواجهة مع الحقيقة العربية النيرة الخيرة ،

الكاملة الشاملة ، الصافية الجوهر ، المزورة بالابعاد ، المضيعة بالاوهام ، المبرقعة بالانحجاب الذى يؤلف تقليد الذات المنفصلة ، والانعزال الذى يزور ثقافة الخلية المستقلة • وما ان يتنازل المواطن العربي عن بعض ما يعلم عن أخيه المواطن العربي الاخر ، ليأخذ باللقاء علما جديدا بأحواله حتى يعلم أول ما يعلم انه كان مغرورا ، مضيعا ، جاهلا ، وكم مرة كنا نبدأ اللقاء في مثل هذه المؤتمرات اشباحا تقارب اشباحا ، واقنعة تواجه أقنعة ، وقفازا يصافح قفازا ••• كل منا يزعم انه العالم ، الفاهم ، الواثق ، الموثوق ، وان القرية التى اتى منها هي أم القرى ، والعلم الذى جاء به عن الحياة والناس والقريب والبعيد أول العلم وآخره ، ثم لا نلبث ان تسقط تلك الاصداف المتراكبة والاوهام الداكنة والمعارف المزورة ، بعد لقاء أول وثان وثالث ، واذا بالحياة لا تستطيع المضي فى انظار ذاتها ، واذ بالدم ليس ماء ولا سما ، واذ بالدوحة العريقة ليست جذوعا يابسة وحطبا ميتا ••• واذ بالفضاء الذى يحيط بهذه الاكوان ليس غبرا ودخانا ، بل صفاء وجاذبية وطبيعة كونية واحدة ، وليست الاجرام فيه كواكب مستقلة• وعوالم تحرسها نواميسها ، بل مجموعة واحدة ، تسبح في فلك واحد ، تدور بناموس واحد ، فطرت حقا لتعيش معا ، ولتموت معا ، اذا كان لحياتها حد ، ولازليتها نهاية •

وانا شخصيا ، شخصيا جدا ، قد احرزت نصرا كبيرا أريد ان اسجله لنفسي واتنعم به وحدي ، اذا كان لا يلذ احدا غيرى • لقد استطعت أن اقنع ، بعد يوم وليلة ، خادم الفندق المروع من الاطلاع على هويتي وجواز سفري ، اني لست فارسا مدججا باسلحة رهيبة ، هبط من المريخ ، أو لست أحد اقنعة هتشكوك التي يشاهدها في التلفزيون ، وقد ارتكب الجريمة ، ويثب لارتكاب جريمة • لقد استطعت ان اقنعه بانني لست خفاشا ، يمتص الدماء في الليل ، عندما سمحت له ان يتأمل طبيعتي من ثقب الباب ليتأكد انني لا احمل تحت ذراعي جناحي خفاش ولا سلاح تذويب النائم في فراشه ، او تذويب النخاع في جمجمته ••• لقد اخبرته

ان يدخل علي بفنجان من القهوة ، وكان قد عطل الجرس ليمتنع عن ندائي ورؤيتي • لقد جذبته الى اجراء خطاب بيني وبينه ثم رأيته يتودد لي ، ثم رأيته يبتسم ، ثم رأيته يغازلني ، رأيته ينقض علي شوقا ، كأنني أعرف أهله من أيام امرىء القيس ، ثم طفق يبكي لانني سأغادره بعد أيام ••• فكففت دمعه ، وبكيت معه ، وقلت له سأعود ••• قلت له سنلتقي ، لا أدرى اين ••• فكل مكان فوق أرض العروبة هو لي ولك يا اخي ، وهو مكان لقاء وحب ووفاء •• سنلتقي كثيرا ، سنلتقي طويلا ••• والى اللقاء •

فؤاد الشايب

كلمـة

الدكتور عبدالعزيز الدوري

رئيس مؤتمر الادباء

الزملاء أعضاء المؤتمر

سيداتي وسادتي

ان عقد هذا المؤتمر تعبير عن الشعور بمسؤولية الفكر والادب ، وبدوره الرائد في المرحلة الخطيرة التى تمر بها أمتنا في معركة التحرر.

وجاء المؤتمر منتدى لالتقاء الافكار ولتبادل الآراء ولسبر الاتجاهات والمفاهيم . وكان جوه المفتوح سبيلا للتعاون بالتفاهم ولتوحيد الجهود بالالتقاء .

وكان المؤتمر تعبئة فكرية ، حين وجه جهوده الى قضايانا التى نعيشها والتى تمثلت في لجانه ـ الادب والثورة ، والادب وفلسطين ، والادب والتراث ، الادب والبناء .

وتجلت في المؤتمر وحدة الفكر ، وهي وحدة نابعة من أماني الشعوب العربية متمثلة في رجال الفكر والادب ، ومن وحدة كفاحها في سبيل حياة افضل . وهى وحدة صادرة من اعماق الامة العربية ومن وعيها لذاتها ودورها .

ولقد اكدتم في اجتماعكم محل الادباء والمفكرين في طليعة معركة التحرير ، واكدتم دور الادب الثورى في توسيع قاعدته الشعبية وفي توعية الجماهير ، وفي دعم الحركات التحررية في الوطن العربي وخارج حدوده .

ان هذا تأكيد منتظر لان الادب والفكر يرسم السبل ، ويوجه القوى ويعبىء الامكانيات .

وقد بانت في المؤتمر أهمية الوضوح الفكري والعمل في رسم السبل للمستقبل وفي التخطيط للبناء وهذه الناحية هي أهم ما يضطلع به الفكر العربي في مرحلته الحاضرة ، لانها السبيل لتكوين المجتمع العربي الجديد.

لقد أراد المؤتمر أن يكون عمله ايجابيا بناء ، فجاءت توصياته واضحة موجهة ، تكاد ان تكون في مجموعها اطارا مشتركا للفكر الواعي . جاءت توصياته عملية في معركة فلسطين ، حين تناول مجالات عمل الادباء في معركة الحق .

ورسم للادباء سبيل العناية بالتراث ليكون أداة لحفظ الذات ورعايتها ، ولكنه أكد أيضا على أهمية اغنائها بنتاج الفكر البشري عن وعي وادراك .

ووضع المؤتمر خطوطا واضحة لمعركة البناء ، تقضي بالادباء الى بذل كل جهد لضمان الوضوح الفكري ، في المفاهيم والاتجاهات القومية ، وفي تحديد الاشتراكية العربية وبنائها على قيم ومفاهيم عربية .

وفي وسط الاحداث والحركة ، رأى المؤتمر أهمية تنظيم جهود الادباء والمفكرين وامكانياتهم فوضع مشروع قانون لاتحاد الادباء العرب يمكنهم من العمل المشترك المخطط على صعيد عربي ، فالفكر لا يعرف الحدود ولا يعرف التجزئة ، وهو قبل كل شيء قاعدة الوحدة العربية الشاملة واداتها الكبرى .

ان ما يعنينا الآن هو التنفيذ والمتابعة وأملنا ان يحمل كل منا رسالة المؤتمر متمثلة في توصياته وان يعمل بكل سبيل على تحقيقها .

وأملنا ان لا ينفض المؤتمر دون تكوين جهاز للمتابعة حتى يتم تأسيس الاتحاد .

لقد تعاونا على توحيد المفاهيم حين وضعنا التوصيات ، وهي اداة لخطوطنا المشتركة ، فلنتعاون على تنفيذها بكل سبيل ، ليبقى الفكر رائدا في توثبنا الثوري وفي سبيل تحقيق وحدة الامة العربية وبناء مجتمع عربي افضل .

الدكتور عبدالعزيز الدوري

كلمـة

الاستاذ قاسم الخطاط

مندوب جامعة الدول العربية

سيدى رئيس المؤتمر

سيداتي سادتي

لقد اولاني رؤساء الوفود العربية الى هذا المؤتمر ، شرف التحدث باسمهم جميعا وان انوب عنهم في القاء كلمة الختام في هذا المؤتمر العظيم الذى جمع رجال الفكر والادب في أرجاء وطننا العربي الكبير من محيطه الى خليجه ، وانا اعتز بهذه الثقة الكريمة واعتبرها تكريما لجامعة الدول العربية في المضي •

سيداتى سادتي :

باسم جامعة الدول العربية ووفوها وأمينها العام الاستاذ عبدالخالـق حسونة ، وباسم اخوانى الاعزاء رؤساء وفود الدول العربية الى هـــذا المؤتمر وباسمي اتوجه بالحمد والشكر الى القائـد البطل الرئيـــس عبدالسلام محمد عارف ، على رعايته الكريمة لهذا المؤتمر ، وبالتقديـر والاعجاب على الكلمة الرائعة القيمة التى افتتح بها مؤتمرنا العظيم ، والتى عبر بها عن آمال الامة العربية في وحدتها الكبرى ، واشاد فيها بدور رجال الفكر والادب في معركة التحرر والبناء •

ولا يسعني باسم هؤلاء جميعا الا أن اشيد بكل مظـــاهر التكريم والترحيب التى احاطتنا بها حكومة الثورة في العراق ، رئيس الوزراء الفريق طاهر يحيى واعضاء وزارته ومعاونوهم الذين حرصوا على تدعيم هذا المؤتمر •

وانني أعبر عما يجول في انفسكم انتم رؤساء واعضاء الوفود العربية ، حين أعلن عن عميق التقدير واعظم الشكر لرئيس هذا المؤتمر ، الدكتور

عبدالعزيز الدوري ، الرجل الذى كان لعلمه وعظيم خلقه وسعة صدره وقدرته في ادارة الجلسات الفضل الاول في نجاح هذا المؤتمر •

فاليه والى الدكتور عبدالرزاق محيي الدين ، وزير الوحدة ، والى معاونيهما الذين بذلوا هذا الجهد الضخم في الاعداد أو لتنظيم هذا المؤتمر ، واتوجه بالحمد والشكر الى جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين التى وجهت الدعوة الى هذا المؤتمر العظيم •

اخواني ، اخواتي

ان الترحيب الصادر من الاعماق ، ذلك الترحيب الذى قوبلت به الوفود العربية من أبناء الشعب العربي في العراق الحبيب ، في كل مكان وفي كل حي وفي كل مدينة ، ترك اعظم الاثر في نفوسنا جميعا ، وزادنا ايمانا بوحدة أمتنا • وبان الطريق الى هذه الوحدة مفتوح على مصراعيه ، وبان موعدنا مع وحدتنا الكبرى قريب باذن الله •

فالى ابناء الشعب العراقي الكريم اتوجه بالشكر والحمد باسم الجامعة العربية والوفود العربية واعلن اعتزازنا بهذا الشعب العربي الابي الذى جاهد وكافح من اجل كرامة العرب وعزتهم ووحدتهم وتحت اقدامه تحطمت كل محاولات الاستعمار والشعوبية للتفريق بين ابناء الامة العربية الواحدة •

ولا بد لي ان اتوجه بالشكر الى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية الذى حرص على عقد مهرجان الشعر العربي السادس في بغداد ، خلال انعقاد مؤتمرنا العتيد هذا ، وتحية لسكرتيره العام الاستاذ يوسف السباعي وتقديرا لجهوده التي بذلها في سبيل نجاح مؤتمرنا هذا تحية له منا وهو في طريقه الى الجزائر المجاهدة •

سيداتي سادتي

ان التوصيات التى توصل اليها المؤتمر ، رسمت امام رجال الفكر

والادب ، طريق العمل القومي من أجل أمتهم العربية العظيمة ووطنهم العربي الكبير ، ومن أجل الاجزاء المغتصبة من هذا الوطن ، والاجزاء التى يجاهد ابناؤها للتخلص من نير الاستعمار والاضطهاد في الجنوب العربي المحتل وفي عمان وفي أماكن أخرى . وكأن هذه التوصيات ترسم الخطوط العريضة لميثاق وضعه رجال الفكر والادب لانفسهم .

اخواني اخوتي

احييكم اجمل تحية واشكركم واتمنى ان تكلل جهود هذا المؤتمر بالنجاح وان تنفذ توصياته .

والسلام عليكم ورحمة الله .

قاسم الخطاط

توصيات مؤتمر الادباء العرب

في دورته الخامسة ببغـــــداد

ان مؤتمر الادباء العرب في دورته الخامسة التي انعقدت في بغداد من ١٥ الى ٢١ شباط (فبراير) ١٩٦٥ ، يود ان يستهل بيانه بتوجيه الشكر الى شعب العراق والى رئيسه الزعيم العربي المشير الركن عبدالسلام محمد عارف • لما قد اضفياه على اعضائه ابان مقامهم في عاصمة الرشيد من كرم الضيافة وجميل الرعاية •

كانت المسائل التي طرحت للبحث أمام المؤتمر تتناول دور الادب في معركة التحرير والبناء وقد توزعت جوانب البحث ست لجان ، هي : لجنة الادب والبناء ، ولجنة الادب والتراث ، ولجنة الادب وفلسطين ، ولجنة وضع قانون اتحاد الادباء العرب ، ولجنة حقوق التأليف واتحاد الناشرين •

وتدارست هذه اللجان موضوعاتها ، فخرجت بالمبادىء والتوصيات الاتية :ـ

يرى المؤتمر ان الادباء والمفكرين العرب هم طليعة القوى الثورية التي تعمل على تطوير مجتمعنا العربي في شتى نواحي حياته ، ومن ثم كان من الطبيعي ان يجيء نتاجهم الادبي والفكري وثيق الصلة بالواقع لكي يتاح لهم ان يغيروه ويطوروه بما يستجيب لاماني الشعب العربي في وطنه الكبير •

ولهذا يرى المؤتمر ان الادب الثوري الحقيقي لا يقتصر على مواكبة التيارات لحياة الامة العربية ، بل هو رائد سباق الى الدعوة لحياة أفضل ، يصورها وفق ما تقتضيه طبيعة الخلق الفني •

ويرى المؤتمر ان تظل جهودنا الادبية في هذه الحقبة الثورية من حياتنا الحاضرة نابعة بالدرجة الاولى من وعي عميق بتراث الامة العربية وقيمها ، حتى تظل لها شخصيتها المستقلة المتميزة ، التي تعينها على مواصلة أدائها لرسالتها الانسانية والحضارية .

كما يرى المؤتمر الا غناء لادبنا في نهضته الحديثة عن الافادة من جميع التجارب الانسانية في مضمار الادب والفن ، فيفتح لها نوافذه ، ليأخذ منها ما يثريه وما يساعده على تأصيل ذاته .

وفي سبيل تحقيق هذه المبادىء والغايات ، يوصي المؤتمر بما يأتي :

١ ـ الادب والتوعية :

١ ـ ان يوجه الادباء عنايتهم الى القاعدة الشعبية وتعميق أغوارها من الناحية الفكرية لايقاظ الوعي العربي على اوسع نطاق ، حتى يواجه الشعب العربي مشكلاته بفهم وصدق تأكيداً للكيان العربي الاشتراكي الوحدوى الجديد .

٢ ـ ان يواصل الادباء تأييدهم لحركات التحرر في جميع اجزاء الوطن العربي ، وبخاصة في الجنوب اليمني المحتل وفي عمان ، والخليج العربي ، وتأييدهم لحركات التحرر العربية في الاجزاء السلبية من الوطن العربي .

٣ ـ ان يولي الادباء عنايتهم بحركات التحرر خارج الوطن العربي وبخاصة في افريقيا ، بأعتبار ان قضية الحرية في العالم كل لا يتجزأ .

٤ ـ ان يتعاون الباحثون العرب على وضع مؤلف شامل عن الحضارة العربية والاسلامية وعلى مراجعة الدراسات التى تناولت هذه هذه الحضارة ، لتقدير النزيه منها ، والتحذير مما شابته الاغراض والاهواء .

٥ ـ ان تنقل الى العربية روائع الادب العالمى ، وان يكون بين

اجزاء الامة العربية تعاون وتنسيق في حركة الترجمة ، وذلك بأنشاء جهاز مشترك ، حتى لا تبدد الجهود وتتكرر الترجمات للنص الواحد في غير ما يوجب •

٦ ـ ان تنقل الى العربية المؤلفات الادبية التى تخدم الاهداف القومية مما انتجه ادباء عرب بلغات أجنبية ، بأعتبارها جزءا من الادب القومي •

٢ ـ الادب وفلسطين :

يؤيد المؤتمر الحكومات العربية في اتخاذ الخطط الفعالة من اجل استرجاع حق الشعب العربي في فلسطين كاملا •

ويوصي بتهيئة الوسائل العملية الفعالة من رصد للاموال اللازمة وتعيين اللجان المختصة الكفيلة بتحقيق ما يأتي :ـ

١ ـ ان تؤرخ فلسطين من جميع النواحى السياسية والفكرية والادبية والروحية والاثرية ، لاثبات عراقة العربية في هذه البقعة المقدسة ، وابراز شخصيتها من خلال الحضارة العربية •

٢ ـ ان يؤلف معجم شامل لبلدان فلسطين وخططها يكتب بأسلوب حديث وذلك بغية المحافظة على شخصيتها •

٣ ـ نشر النتاج الادبي لابناء فلسطين منذ بداية النهضة •

٤ ـ جمع التراث الشعبي (الفولكلور) الفلسطيني •

٥ ـ دراسة النتاج الادبي الذى وضعه ادباء العالم العربى في موضوع فلسطين •

٦ ـ تشجيع الادب والفن الابداعيين اللذين يتناولان القضية الفلسطينية •

٧ ـ اختيار أجود ما في نتاج النكبة الشعري وترجمة ما كان منه انسانيا الى اللغات العالمية •

٨ ـ انشاء مركز رئيسي للبحوث الفلسطينية تتفرع عنه مراكز فرعية مهمتها جمع الوثائق المتعلقة بالقضية وتنسيق العمل مع المراكز الموجودة حاليا •

٩ ـ تكليف من هو متمكن من اللغات الاجنبية أنْ يؤلف في القضية الفلسطينية والجوانب الانسانية فيها •

١٠ـ تشجيع التأليف في قضية فلسطين للقراء العرب ، وللاجانب من شرقيين وغربيين باللغات الاجنبية وذلك لاطلاعهم على حقيقة القضية وعلى الجوانب الخفية منها ، والرد على مزاعم اسرائيل •

١١ـ تتبع القضايا التى تثار حول فلسطين في المحافل الدينية والسياسية والصحفية ولاسيما ما يخدم منها بني اسرائيل لتنفيذها وابراز الحقائق بشأنها والافادة من التراث الديني الاسلامي والمسيحي في هذا الصدد •

١٢ـ دعم الادباء والمفكرين والصحفيين الاجانب المتعاطفين في القضية الفلسطينية في مواجهة انواع الضغط والاضطهاد التي يتعرضون لها في المجالات التي تنشط فيها الصهيونية العالمية •

١٣ـ مد الصحافة العربية والاجنبية بالمعلومات الموثوق بها عن فلسطين وتتبع ما تكتبه لتصحيحه والتعليق عليه ومساندتها ماديا اذا اقتضى الامر ذلك •

١٤ـ انتاج الافلام السينمائية والتلفزيونية التي تدور موضوعاتها حول النواحي الانسانية لقضية فلسطين وينبغي ان يكون لهذه الافلام من القيمة ما يسمح لها بان تعرض في دول العالم • وتذليل جميع العقبات وتيسير الوسائل بحيث تيسر عرضها على اوسع نطاق •

١٥ـ اصدار مجلة خاصة بفلسطين على مستوى عربي عال •

١٦ـ العمل على رفع مستوى ركن فلسطين في كل اذاعة عربية بشكل يجعله هادفا ومؤديا لرسالته والافادة من الفلسطينيين في هذا المضمار ما امكن •

١٧ـ التوصية بادخال موضوع فلسطين في صلب المناهج التعليمية في جميع المدارس والمعاهد العالية •

١٨ـ وضع الكتب المدرسية والوسائل الايضاحية الفنية في قضية فلسطين حسب احدث وسائل التربية وعلى مختلف المستويات •

١٩- الاهتمام بادخال الموضوعات الفلسطينية في كتب الاطفال •

٢٠- مراقبة الاطالس والخرائط والكتب الجغرافية والتاريخية الاجنبية التي تستعمل في المدارس الخاصة والحكومية ، لمنع تسرب ما فيها من معلومات مضللة او مشوهة عن القضية الفلسطينية •

٢١- جمع نصوص مختارة من اجود ما قيل شعرا ونثرا في النكبة لتكون مادة للمطالعة والمحفوظات •

٢٢- وضع مسابقات كتابية وخطابية وفنية في المدارس عن قضية فلسطين والخطر الصهيوني •

٢٣- يوصي المؤتمر بتأييد منظمة التحرير الفلسطينية في عملها الايجابي •

٢٤- يوصي المؤتمر بتأييد اقتراح منظمة التحرير الفلسطينية بتخصيص يوم ٢٨ أيار (مايو) ليكون يوم فلسطين في جميع ارجاء الوطن العربي •

٢٥- مطالبة الدول العربية بان تعامل الفلسطينيين المقيمين فيها كما تعامل مواطنيها في الحقوق والواجبات الى ان تحل القضية الفلسطينية •

٣ - الادب والبناء :

١ - يؤيد المؤتمر رجال الفكر والادب الذين يدافعون عن القومية العربية وعن الوحدة العربية ، والذين يدحضون ما يثار حولهما من شكوك واضاليل •

٢ - يؤيد المؤتمر الخطوات التي تتخذها حكومات الدول العربية في بناء الاشتراكية العربية سبيلا لتحقيق العدالة الاجتماعية •

٣ - يوصي المؤتمر بضرورة توضيح الاطار الفكري للاشتراكية العربية ، وبالتأكيد على التراث العربي والاسلامي في بنائنا للاشتراكية العربية ، وضرورة التمييز بين اشتراكيتنا والاشتراكيات الاخرى •

٤ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بان تشجع الانتاج الادبي والعلمي الذى يخدم القومية والاشتراكية والوحدة •

٥ - يوصي المؤتمر رجال الفكر والادب بالعناية بالادب العربى الذى يخدم

فكرة القومية العربية والاشتراكية والوحدة في كل عصر وفي كل قطر جمعا ودراسة •

٦ ـ يوصي المؤتمر رجال الفكر والادب بتحاشي استعمال عبارة « شعوب عربية » في الدلالة على الامة العربية او الشعب العربي •

٧ ـ يوصي المؤتمر بدراسة المجتمع العربي في مختلف مجالاته ، دراسة علمية حديثة ، لتكون عونا للادباء والمثقفين على الوضوح في دعوتهم الى الاشتراكية العربية والوحدة العربية •

٨ ـ يوصي المؤتمر بدراسة الثقافة العربية والاسلامية دراسة توضح الصلة بين ماضينا وحاضرنا لتنير السبيل لمستقبلنا •

٩ ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بالعمل على تنفيذ القرار الذى سبق ان اتخذ في عدة مؤتمرات بشأن تأليف دائرة معارف عربية شاملة تليق بالامة العربية •

١٠ـ يوصي المؤتمر بتشجيع الانتاج الادبي والفني الذى يتجه الى الشباب في موضوع الاشتراكية العربية والوحدة العربية •

٤ ـ الادب والتـــراث :

يوصي المؤتمر بما يأتي :

١ ـ ان تصدر الحكومات العربية تشريعات لحماية مصادر تراثنا المخطوطة من الضياع والتلف والسرقة تحقق ما يأتي :

أ ـ انشاء مركز في كل قطر عربي لتسجيل المخطوطات التي تضمها جميع المكتبات الخاصة والعامة ومكتبات الاوقاف •

ب ـ الزام اصحاب المكتبات الخاصة والقائمين على امور المكتبـات العامة ومكتبات الاوقاف والجامعات والمجامع وغيرها بتسجيل كل مخطوطة في مكتباتهم لدى الجهات الرسمية •

ج ـ تحدد مدة معينة يتم فيها هذا التسجيل ويتعرض المخالف بعدها لتطبيق العقوبات التي ينص عليها التشريع ، ومنهـا مصادرة المخطوط غير المسجل •

د - يتولى مركز تسجيل المخطوطات في كل قطر عربى الاتصال بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية الذى يقوم باصدار نشرات دورية مسلسلة بهذه المخطوطات مع الاوصاف الضرورية وذكر مكان وجود المخطوط ، وتعرض هذه النشرات الدورية للبيع على اوسع نطاق ممكن في جميع البلاد العربية بسعر التكلفة •

هـ - يبذل مركز تسجيل المخطوطات في كل قطر عربي بسخاء على شراء المخطوطات التى يقبل اصحابها بيعها دون الزام او اكراه •

و - يمنع التشريع المطلوب ببيع اية مخطوطة الا بعد اخبار المركز كتابة باسم المشترى ومكان وجوده وعنوانه ، وينص على الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون ان يكون هذا البيع وسيلة لتسرب مخطوطات تراثنا الى خارج الوطن العربى •

٢ - توصية الامانة العامة لجامعة الدول العربية بمتابعة هذه التوصية بمجموعها الى ان يتم صدور هذا التشريع في كل قطر عربي ، ثم تتابع اجراءات التنفيذ حتى تتحقق الغاية المقصودة •

٣ - توصية الحكومات العربية بان تحشد في هذا المركز عددا كافيا من العلماء الخبراء بهذا التراث ومن الفنيين بالفهرسة والتصوير ، ويرصد له المال الذى يمكنه من النهوض برسالته •

٤ - توصية معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بأنشاء مركز فيه للتدريب على اصول العمل في التراث فحصا وتدقيقا •

٥ - يوصي المؤتمر الامانة العامة بجامعة الدول العربية بان تتابع مع الحكومات العربية اصدار « قانون الايداع » في كل قطر عربي بحيث يلزم كل ناشر وطابع بتقديم خمس نسخ من كل كتاب يطبع في ذلك القطر لايداعها في مركز خاص ، مثل المكتبة الوطنية العامة وتوضع بطاقة خاصة وفق نموذج معين تتضمن جميع المعلومات اللازمة ، وترسل نسخة منها الى مركز تسجيل المطبوعات العربية في

جامعة الدول العربية ، لاصدار نشرات دورية مسلسلة بجميع ما يطبع في البلاد العربية ، ليكون ذلك وسيلة من وسائل تنسيق التحقيق والتأليف والترجمة والتعريف بتراثنا الذى تتطبع آثاره • وقد صدر مثل هذا القانون في بعض البلاد العربية ، ويجب تعميم صدوره في البلاد التى لم يصدر بها بعد •

٦ ـ توصية وزارات التربية في البلاد العربية بان تعيد النظر في مناهجها وانظمتها لتربية ناشئتنا في مراحل التعليم المختلفة على اسس سليمة متينة من الدين والتراث ، ووصلهم بكل ما ينفع ثقافتهم من هـذا التراث •

٧ ـ توصية الجامعات العربية بما يأتي :ـ

أ ـ العناية بتحقيق تراثنا تحقيقا علميا ، وتدريب فئة من طلابهـا ولاسيما طلبة الدراسات العليا على ذلك •

ب ـ العناية بدراسة تراثنا دراسة عميقة محررة تحقق امرين :

ـ تلخيص هذا التراث من الشوائب الدخيلة التي دست عليه •

ـ تقديمه الى الناشئة وجمهرة المتعلمين والمثقفين على صورة تقربه اليهم وتحبيهم فيه فيعتزون بامتهم وتراثها الحضارى وتعود اليهم ثقتهم بأنفسهم واملهم في حاضرهم ومستقبلهم •

٥ ـ مشروع قانون اتحاد الادباء العرب :

يوصي المؤتمر الامانة العامة لجامعة الدول العربية بعرض مشـروع قانون اتحاد الادباء العرب الآتي نصه على مجلس جامعة الدول العربية لاقراره •

ويوصى حكومات الدول اعضاء الجامعة وحكـومات الـدول العربية غير الاعضاء بالعمل على تدعيم اتحاد الادباء العرب ولجانه المحلية التي ستنشأ في كل بلد عربي بموجب قانون الاتحاد •

المادة الاولى :

أ ـ تنشأ في الوطن العربي منظمة للادباء العرب تدعى الاتحاد العام للادباء العرب •

ب ـ تنشأ في كل قطر عربي لجنة محلية تضم ممثلين للاتحادات والجمعيات الادبية والادباء العرب في ذلك القطر ، وتكون تلك اللجنة هي الممثلة الرسمية لادباء ذلك القطر امام الاتحاد على ان يتم هذا خلال سنة واحدة من تنفيذ هذا القانون •

ج ـ للاتحاد العام ان يعين مراسلين له في البلاد الاجنبية التي فيها جاليات عربية •

المادة الثانية :

الى ان يتم قيام اللجان المحلية ، يتألف اتحاد الادباء العرب من :ـ

أ ـ الهيئات والجمعيات والنوادي الادبية في حالة وجود اتحاد محلي للادباء •

ج ـ الافراد الذين يضمهم الاتحاد العام من البلدان التي ليس فيها اتحادات علمية وذلك بأقتراح المكتب الدائم •

المادة الثالثة :

يباشر الاتحاد العام اختصاصاته بوساطة الهيئات الاتية :

أ ـ الامانة العامة

ب ـ المكتب الدائم

ج ـ المؤتمر

وذلك على الوجه المبين في النظام الداخلي •

المادة الرابعة :

تعتبر وفود الادباء وممثلو الهيئات في الاقطار العربية التالية مؤسسة لهذا الاتحاد •

الاردن ، تونس ، الجزائر ، السودان ، العربية السعودية ، سورية ، العربية المتحدة ، العراق ، فلسطين ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، اليمن ، البحرين ، عمان ، قطر •

المادة الخامسة :

اهداف الاتحاد :

أ ـ الدعوة الفكرية لتحرير الوطن العربي وتحقيق اهدافه القومية ودعم تراثه الثقافي والعلمي وايضاح دوره في بناء الحضارة الانسانية •

ب ـ التعارف بين الادباء العرب وتنمية روح الصداقة والتعاون بينهم •

ج ـ صيانة اللغة العربية ورفع مستواها بين ابناء الوطن العربي •

د ـ نشر الكنوز الادبية الدفينة من مخطوطات وكتب وتعميمها بين الجماهير •

هـ ـ عقد المؤتمرات الدورية واقامة المهرجانات والندوات الثقافية في سائر ارجاء الوطن العربي •

و ـ وضع المقترحات التوجيهية تيسيرا لمهمة الادباء في انشاء مجتمع عربي تتعاون فيه القوى الانسانية المبدعة الخلاقة •

ز ـ العمل على حماية حق الاديب في حرية التعبير ضمن حدود المثل القومية العربية والانسانية •

ح ـ العمل على حماية الاديب وحقه في حياة كريمة •

ط ـ المشاركة في المؤتمرات والحلقات الادبية الدولية او الاقليمية بأرسال ممثلين عن الاتحاد •

ى ـ اقامة صلات بين الاتحاد وبين الهيئات المماثلة في العالم وتنظيم التعاون معها في هذا السبيل •

ك ـ تعاون الاتحاد مع الجهات المعنية للعمل على نقل النتاج العربي الى اللغات الاجنبية وبالعكس •

المادة السادسة :

مقر الاتحاد وموارده :

١ ـ مركز الاتحاد الدائم مدينة (القاهرة) وينتقل هذا المكتب او المركز في اثناء انعقاد المؤتمر الدورى الى مكان انعقاده •

٢ ـ تكون موارد الاتحاد العام مما يأتي :

أ ـ مساهمة حكومات الدول والبلاد العربية التي التي لادبائها ممثلون في الاتحاد العام بنسب تقرر على ضوء ماهو متبع في توزيع أنصبة الدول في ميزانية الجامعة العربية •

ب ـ الهبات والتبرعات المقدمة من الدول او الهيئات او الاشخاص بشرط موافقة المكتب الدائم على قبولها •

ج ـ ايرادات المطبوعات والمنشورات •

المادة السابعة :

يجوز تعديل هذا القانون بقرار من اغلبية ثلثي اعضاء مؤتمر اتحاد ادباء العرب بناء على اقتراح يتخذه المكتب الدائم بأكثرية يبلغ عددها ثلثي الاصوات •

المادة الثامنة :

ينفذ هذا النظام اعتبارا من تاريخ التصديق عليه من مجلس جامعة الدول العربية •

ملاحظة : مرفق بهذا القانون النظام الداخلي لاتحاد الادباء العرب •

٦ ـ حقوق التاليف واتحاد الناشرين :

١ ـ يوصي المؤتمر ان تيسر للكتاب العربي وسائل النشر بالغاء القيود الجمركية على المواد اللازمة لنشر الكتاب •

٢ ـ يوصي المؤتمر بتيسير تداول الكتاب العربي بين الدول العربية بالغاء

القيود الجمركية بالنسبة للكتاب وتخفيض نفقات الشحن ، وتبسيط الاجراءات وسرعتها •

٣ ـ يوصي المؤتمر ان يعمل اتحاد الكتاب العربي على انشاء هيئة نشر عربية تتولى نشر الكتاب العربي في اوسع نطاق بالاتفاق مع الجهات المعنية •

٤ ـ يوصي المؤتمر بضمان حقوق مؤلفي النصوص الادبية التي تستغل وتؤدى بالوسائل الفنية الاخرى كالغناء والتمثيل من الناحيتين المادية والادبية •

٥ ـ يوصي المؤتمر بأعفاء الانتاج الادبى من الضرائب بجميع اشكالها •

مشروع النظام الداخلي

لاتحـــاد الادباء العرب

المادة الاولى :

يدير الاتحاد ويشرف على أعماله مكتب يدعى المكتب الدائم للاتحاد العام للادباء ويتألف من ممثلي الاتحادات المحلية ، وفي حالة عدم وجودها في أي قطر تختار الجمعيات والنوادى والهيئات الادبية القائمة فى هـــذا القطر ممثلا أو اثنين ، على ان يكون لـكل قطر صوت واحد فقط •

المادة الثانية :

ينتخب المـكتب من اعضائـه أمينا عامـــا وامينين مساعدين وامينا للصندوق لمدة سنتين •

المادة الثالثة :

مركز المـكتب الدائم هو مركز الاتحـــاد •

المادة الرابعة :

يجتمع المـكتب في مركزه الدائم أو في المـكان الذى يحدده مرتين في السنة على الاقل بناء على دعوة الامانة العامة ويرأس اجتماعاته رئيس الاتحاد المحلى أو ما يقوم مقامه في القطر الذى يجتمع فيه هذا المـكتب •

المادة الخامسة :

اختصاصات المـكتب الدائم :

أ ـ تمثيل الاتحاد والسعي لتحقيق اهدافه وتنفيذ قرارات مؤتمراته•

ب ـ تحديد مواعيد انعقاد مؤتمر اتحاد الادباء العرب ومكانه وتحديد

موضوعات البحوث ، ووضع جدول الاعمال وقبول المحاضرات والخطب وتعيين المحاضرين والخطباء •

ج ـ احالة الاقتراحات التي يتلقاها الى اللجان المختصة التي يؤلفها حسب الحاجة •

د ـ تعيين لجنة تحضيرية لكل مؤتمر يعهد اليها في مهمة تسهيل انعقاده •

هـ ـ تقرير الترتيبات اللازمة للاعمال التي تطرح على المؤتمر عند انعقاده •

و ـ على المكتب الدائم تعيين اللجان التى يراها محققة لاهداف الاتحاد وتنظيم اعماله وعلى مقررى كل لجنة من اللجان اعداد تقرير يطبع ويوزع قبل انعقاد المؤتمر يتضمن خلاصة الابحاث والاقتراحات الواردة الى اللجنة بين الدورتين وتعليقات اللجنة عليها ولا تدرج هذه الابحاث والمقترحات في التقرير ما لم تكن وردت الى المكتب الدائم قبل شهر من انعقاد المؤتمر على الاقل •

ز ـ تنظيم ميزانية الاتحاد وتحديد الموارد والنفقات ونسبة مساهمة الاتحاد المحلية والجمعيات والهيئات في هذه الميزانية •

ح ـ قبول الجمعيات والنوادى والهيئات الادبية العربية في عضوية الاتحاد •

ط ـ تعيين مراقب للحسابات أو أكثر •

ي ـ النظر في تقرير مراقبي الحسابات والموافقة عليه وتطبيق الحساب الختامي •

ك ـ اصدار القرارات التنظيمية المتعلقة بتطبيق هذا النظام الداخلي باكثرية ثلثي اعضائه •

ل ـ اقتراح تعديل القانون الاساسي والنظام الداخلي وفقا لاحكام المادة (٨) من القانون الاساسي والمادة (٣٤) من النظام الداخلي •

المادة السادسة :

يعتبر اجتماع المكتب الدائم قانونيا بحضور أكثرية اعضائه واذا لم يتوافر النصاب بعد الدعوة الاولى يحدد الامين العام الدعوة خلال شهر ويكون الاجتماع قانونيا بعد الدعوة الثانية مهما كان عدد الاعضاء الحاضرين .

المادة السابعة :

تتخذ قرارات المكتب الدائم بالاكثرية المطلقة الا فيما اشترطت له أكثرية خاصة في هذا النظام .

المادة الثامنة :

تتألف الامانة العامة من الامين العام والامينين المساعدين وامين الصندوق .

المادة التاسعة :

اختصاصات الامين العام :

١ - تمثيل المكتب الدائم أمام المنظمات والهيئات الحكومية والدولية .
٢ - تنفيذ قرارات المكتب الدائم وما يعهد اليه من الاعمال .
٣ - تعيين الموظفين اللازمين للاتحاد والمؤتمر والاشراف على اعمالهم وتحديد مكافآتهم ودرجاتهم وفقا للنظام الداخلي الذى يقره المكتب .
٤ - دعوة المكتب الدائم الى الاجتماع وتحديد موعده ومكان انعقاده والى الانعقاد ايضا اذا طلب اليه ذلك ثلث عدد الاعضاء وذلك من تاريخ وصول الطلب الى الامانة العامة .
٥ - تنظيم جدول اعمال المكتب والاشراف على تحضير اجتماعاته وضبط وقائع جلساته ومراسلاته وصيانة المعاملات والمحفوظات

والدراسات والوثائق وضبطها وتدوينها في سجلاتها الخاصة والقيام بجميع الاعمال الادارية التى تتطلبها هذه الامور .

٦ - تقوم الامانة العامة بطبع جميع المحاضرات والابحاث المقررة من المكتب الدائم وكذلك تقارير مقررى اللجان وتوزيعها على المؤتمر قبل انعقاده .

٧ - توقيع أوامر الصرف بالاشتراك مع أمين الصندوق .

المادة العاشرة :

الامين العام المساعد ينوب عن الامين العام في حالة غيابه عن مركز الاتحاد أو تعذر قيامه باختصاصاته .

المادة الحادية عشرة :

اختصاصات أمين الصندوق :

١ - حفظ أموال الاتحاد والمؤتمر والاشراف على تنفيذ الميزانية ومراقبة الانفاق في حدود الاعتمادات التى يفتحها المكتب .

٢ - اجراء الصرف في حدود الاعتمادات التي يفتحها بموجب أوامر صرف يوقعها أمين الصندوق أو الامين العام أو مساعده .

٣ - تحصيل الاموال بموجب ايصالات ذوات نسخ يوقعها أمين الصندوق أو الامين العام أو مساعده .

المادة الثانية عشرة :

تحفظ أموال الاتحاد في مصرف عربي ولا يجوز لامين الصندوق أن يحتفظ باكثر من مبلغ خمسين دينارا أو ما يعادلها لتأمين النفقات البسيطة أو المستعجلة .

المادة الثالثة عشرة :

يجوز للمكتب الدائم ان يقبل او يدعو لعضوية المؤتمر :

أ ــ اعلام الادب والشعر في البلاد العربية •

ب ــ من يرى المكتب الدائم قبولهم أو دعوتهم من الذين لهم صلة وثيقة بالادب والشعر عربا كانوا أم أجانب بناء على اقتراح الاعضاء •

المادة الرابعة عشرة :

يجوز للمكتب الدائم بأكثرية ارباع اعضائه ان يقرر رفض اشتراك عضو في دورات المؤتمر كما ان له بالاكثرية نفسها ان يقرر منع مشترك من حضور جلسات المؤتمر بناء على اقتراح رئيس المؤتمر •

المادة الخامسة عشرة :

تألف الهيئة العامة للمؤتمر من الاعضاء المشتركين فيه وهي صاحبة السلطة العليا في اتخاذ القرارات كلها واصدار التوجيهات التى تهدف الى تحقيق اغراض الاتحاد •

المادة السادسة عشرة :

جلسات المؤتمر علنية ويجوز ان تقرر الهيئة العامة باكثريتها المطلقة عقد جلسات سرية •

المادة السابعة عشرة :

اختصاصات الهيئة العامة :

١ ــ مناقشة البيان السنوى للامين العام للاتحاد •

٢ ــ النظر في توصيات لجان المؤتمر واتخاذ القرارات بشأنها •

٣ ــ اقتراح ادراج موضوعات في جدول اعمال المؤتمر •

٤ ــ المصادقة على الميزانية والحساب الختامي اللذين يقدمهما المكتب الدائم •

المادة الثامنة عشرة :

يرأس المؤتمر رئيس الاتحاد أو من يقوم مقامه في القطر الذى ينعقد المؤتمر فيه •

المادة التاسعة عشرة :

يرأس جلسات المؤتمر الاخرى بالتناوب رؤساء الاقطار الاعضاء •

المادة العشرون :

يعين المكتب الدائم أمينا لسر المؤتمر أو أكثر •

المادة الحادية والعشرون :

ينتخب رئيس كل جلسة للمؤتمر أمينا لسر الجلسة يعاون أمناء سر المؤتمر في تنظيم ضبط الجلسة وتسجيل وقائعها •

المادة الثانية والعشرون :

اختصاصات رئيس المؤتمر :

١ ـ تمثيل المؤتمر وطوال مدة انعقاده •

٢ ـ رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر للاشراف على أعمالها •

٣ ـ دعوة لجان المؤتمر وتنظيم اجتماعاتها •

المادة الثالثة والعشرون :

رئيس الجلسة هو المسؤول عن ادارتها وتنظيمها وحفظ النظام فيها •

المادة الرابعة والعشرون :

نظام جلسات المؤتمر والمناقشة :

١ ـ لا يجوز لاحد ان يتكلم في جلسات المؤتمر الا باذن من الرئيس •

٢ ـ للرئيس ان يحدد وقت الكلام في الموضوع وعدم مس كرامة الاشخاص والهيئات •

٣ ـ للرئيس في سبيل حفظ النظام في الجلسات ان يمنع من يشاء من الكلام وله اخراج من يشاء من قاعة الاجتماع وحق رفع

الجلسة الى موعد يحدده واتخاذ جميع الاجراءات الكفيلة بحفظ النظام •

٤ ـ تقديم الاقتراحات المطروحة للبحث على المؤتمر كتابة قبل انعقاد الجلسة بميعاد لا يقل عن (٢٤) ساعة في الوقت الذى يراه مناسبا وله الحق في انهاء المناقشة في المواد المطروحة وعرضها للتصديق عليها متى توجه بها عضوان •

المادة الخامسة والعشرون :

يعرض الرئيس الموضوعات والاقتراحات وتعديلها على التصويت ويقوم بمعاونته أمناء السر في احصاء الاصوات وتحديد الاكثرية ويجرى التصويت برفع الايدى الا اذا اتخذ المؤتمر قرارا باجراء التصويت في موضوع معين بطريقة أخرى •

المادة السادسة والعشرون :

تختص لجنة الافتتاح بسماع كلمة رئيس المؤتمر ومناقشة تقرير مكتب الاتحاد الدائم •

المادة السابعة والعشرون :

بعد جلسات الافتتاح ينظر المؤتمر في تقارير اللجان وتوصياتها التي ينظمها المكتب الدائم طبقا للترتيب المعد لعرضها عليه بمعرفة كل من رئيس المؤتمر والامانة العامة للمكتب الدائم وامين سر المؤتمر ويتداول فيها ويصدر بشأنها ما يراه من قرارات •

المادة الثامنة والعشرون :

لا يعرض على المؤتمر غير الاقتراحات الواردة في جدول الاعمال ما لم يقر المكتب الدائم عرضها •

المادة التاسعة والعشرون :

يعقد المؤتمر جلسات عامة للاستماع الى المحاضرات التى ينظمها المكتب الدائم •

المادة الثلاثون :

تصدر قرارات المؤتمر باغلبية اصوات الحاضرين .

المادة الواحدة والثلاثون :

المؤتمرات الدولية :

يتولى المكتب الدائم تنسيق جهود اعضاء الاتحاد العام في المؤتمرات الدولية وتتولى الامانة العامة للاتحاد امداد هؤلاء الاعضاء بتوجيهات الاتحاد ورغباته للاسترشاد بها في هذه المؤتمرات .

المادة الثانية والثلاثون :

للامين العام ان يدعو المكتب الدائم الى الانعقاد قبل انعقاد المؤتمرات الدولية لتنسيق الخطط وتقرير ما يلزم في هذه المناسبات .

المادة الثالثة والثلاثون :

للمكتب الدائم ان يطلب الى عضو او أكثر من اعضاء الاتحاد العام المشتركين في مؤتمر دولي ان يتولوا تمثيل الاتحاد في المؤتمر .

المادة الرابعة والثلاثون :

على رؤساء وفود الادباء العرب المشتركة في المؤتمر ان يتشاوروا فيما بينهم لتوحيد الخطط لرعاية مصالح الاتحاد .

المادة الخامسة والثلاثون :

تعديل النظام واقراره :

يجوز تعديل هذا النظام بقرار من مؤتمر الادباء العرب بناء على اقتراح من المكتب الدائم يصدر بالاغلبية المطلقة .

مشروع قانون
حماية حق المؤلف

الباب الاول
في حماية حقوق المؤلف والمؤدي

المادة الاولى :

يتمتع بحماية هذا القانون مؤلفو المصنفات المبتكرة في الاداب والفنون والعلوم أيا كان نوع هذه المصنفات او طريقة التعبير عنها او اهميتها او الغرض من تصنيفها •

ويعتبر مؤلفا الشخص الذى نشر المصنف منسوبا اليه سواء كان ذلك بذكر اسمه على المصنف أم بأية طريقة أخرى الا اذا قام الدليل على عكس ذلك •

ويسرى هذا الحكم على الاسم المستعار بشرط الا يقوم ادنى شك في حقيقة شخصية المؤلف •

المادة الثانية :

تشمل هذه الحماية بصفة خاصة مؤلفي :

المصنفات المكتوبة •

المصنفات الداخلة في فنون الرسم والتصوير بالخطوط او الالوان او الحفر او النحت او العمارة •

المصنفات التى تلقى شفويا كالمحاضرات والخطب والمواعظ وما يماثلها •

المصنفات المسرحية والمسرحيات الموسيقية •

المصنفات الموسيقية سواء اقترنت بالالفاظ او لم تقترن بها •

المصنفات الفوتوغرافية والسينمائية •

الخرائط الجغرافية والمخطوطات (الرسوم الكروكية) •

المصنفات المجسمة المتعلقة بالجغرافيا او الطبوغرافيا او العلوم •

المصنفات التي تؤدى بحركات او خطوات وتكون معدة ماديا للاخراج •

المصنفات المتعلقة بالفنون التطبيقية •

المصنفات التي تعد خصيصا او تذاع بواسطة الاذاعة اللاسلكية او التليفزيون •

وتشمل الحماية بوجه عام مؤلفي المصنفات التي يكون مظهر التعبير عنها الكتابة او الصوت او الرسم او التصوير او الحركة •

وتشمل الحماية كذلك عنوان المصنف اذا كان متميزا بطابع ابتكارى ولم يكن لفظا جاريا للدلالة على موضوع المصنف •

المادة الثالثة :

أ ـ يتمتع بالحماية من قام بترجمة المصنف الى لغة اخرى او بتحويله من لون من الوان الاداب او الفنون او العلوم الى لون آخر او من قام بتلخيصه او بتحريره او بتعديله او بشرحه او بالتعليق عليه باية صورة تظهره في شكل جديد وذلك كله مع عدم الاخلال بحقوق مؤلف المصنف الاصلي في الحالات التي يكون مصنفه كله أو جزء منه ذا طابع مستقل متكامل قد اتخذ اساسا لما سبق ذكره •

ب ـ يعتبر في حكم العمل الاصلي ويتمتع بحماية هذا القانون كل مصنف مستجد قائم على اساس استخدام جزء قصير غير صالح للاستقلال بنفسه من مصنف سابق لمؤلف آخر بقصد تطويره في صورة جديدة متكاملة •

جـ ـ حقوق مؤلف المصنف الفوتوغرافي لا يترتب عليها منع الغير من التقاط صورة جديدة للشيء المصور ولو اخذت هذه الصور الجديدة من ذات المكان وبصفة عامة في ذات الظروف التي اخذت فيها الصورة الاولى •

د ـ يتمتع بالحماية كذلك المؤدى •

ويعتبر مؤديا كل من ينفذ او ينقل الى الجمهور عملا فنيا من وضع غيره سواء كان هذا الاداء بالغناء او العزف او التوقيع او الالقاء او التصوير او الرسم او الحركات او الخطوات او بأية طريقة اخرى •

على ان حقوق مؤلف المصنف الفوتوغرافي لا يترتب عليها منع الغير من التقاط صور جديدة للشيء المصور ولو اخذت هذه الصور الجديدة من ذات المكان وبصفة عامة في ذات الظروف التي اخذت فيها الصورة الاولى •

المادة الرابعة :

مع عدم الاخلال بحكم المادة (١٩) لا تشمل الحماية :

اولا ـ المجموعات التي تنتظم مصنفات عدة كمختارات الشعر والنثر والموسيقى وغيرها من المجموعات وذلك مع عدم المساس بحقوق مؤلف كل مصنف •

ثانيا ـ مجموعات المصنفات التي آلت الى الملك العام •

ثالثا ـ مجموعات الوثائق الرسمية كنصوص القوانين والمراسيم واللوائح والاتفاقات الدولية والاحكام القضائية وسائر الوثائق الرسمية •

مع ذلك تتمتع المجموعت سالفة الذكر بالحماية اذا كانت متميزة بسبب يرجع الى الابتكار او الترتيب او اى مجهود شخصي آخر يستحق الحماية •

الباب الثاني

في حقوق المؤلف

الفصل الاول

احكام عامة

المادة الخامسة :

للمؤلف وحده الحق في تقرير نشر مصنفه وفي تعيين طريقة هذا النشر وله وحده الحق في استغلال مصنفه بأية طريقة من طرق الاستغلال ولا يجوز لغيره مباشرة هذا الحق دون اذن كتابى سابق منه او ممن يخلفه •

يتضمن حق المؤلف في الاستغلال :

المادة السادسة :

اولا ـ نقل المصنف الى الجمهور مباشرة باية صورة وخاصة باحدى الصور الاتية :

التلاوة العلنية او التوقيع الموسيقى او التمثيل المسرحي او العرض العلني او الاذاعة اللاسلكية للكلم او الصوت او للصور او للعرض بواسطة الفانوس السحرى او للسينما او نقل الاذاعة اللاسلكية بواسطة مكبر الصوت او بواسطة لوحة التليفزيون بعد وضعهما في مكان عام •

ثانيا ـ نقل المصنف الى الجمهور بطريقة غير مباشرة بنسخ صور منه تكون في متناول الجمهور ويتم هذا بصفة خاصة عن طريق الطباعة او الرسم او الحفر او التصوير الفوتوغرافي او الصب في قوالب او باية طريقة اخرى من طرق الفنون التخطيطية او المجسمة او عن طريق النشر الفوتوغرافي او السينمائي او الصوتي او الاداء الميكانيكي •

المادة السابعة :

للمؤلف وحده ادخال ما يرى من التعديل او التحوير على مصنفه وله وحده الحق في ترجمته الى لغة اخرى ولا يجوز لغيره ان يباشر صورة اخرى من الصور المنصوص عليها في الفقرة (أ) من المادة الثالثة الا باذن كتابي منه او ممن يخلفه •

المادة الثامنة :

تنتهي حماية حق المؤلف وحق من ترجم مصنفه الى لغة اجنبية اخرى في ترجمة ذلك المصنف الى اللغة العربية اذا لم يباشر المؤلف او المترجم هذا الحق بنفسه او بواسطة غيره في مدى خمس سنوات من تاريخ اول نشر للمصنف الاصلى او المترجم •

المادة التاسعة :

للمؤلف وحده الحق في ان ينسب اليه مصنفه وفي ان يدفع اى اعتداء على هذا الحق وله كذلك ان يمنع اى حذف او تغيير في مصنفه • على انه اذا حصل الحذف او التغيير في ترجمة المصنف مع ذكر ذلك فلا يكون للمؤلف الحق في منعه الا اذا أغفل المترجم الاشارة الى مواطن

الحذف او التغيير او ترتب على الترجمة مساس يسمعه المؤلف ومكانته الفنية •

المادة العاشرة :

لا يجوز الحجز على حق المؤلف وانما يجوز الحجز على سخ المصنف الذى تم نشره ولا يجوز الحجز على المصنفات التي يموت صاحبها قبل نشرها ما لم يثبت بصفة قاطعة انه كان يعدها للنشر قبل وفاته •

المادة الحادية عشرة :

لا يجوز للمؤلف بعد نشر مصنفه ان يمنع اداءه او القاءه في اجتماع عائلي أو في جمعية أو منتدى خاص أو مدرسة مادام لا يحصل في نظير ذلك رسم او مقابل مالي • ولموسيقى القوات العسكرية وغيرها من الفرق التابعة للدولة او الاشخاص العامة الاخرى عدا فرق الاذاعة اللاسلكية او التليفزيون الحق في اداء المصنفات من غير ان تلزم بدفع اى مقابل عن حق المؤلف ما دام لا يحصل في نظير ذلك رسم او مقابل مالي •

المادة الثانية عشرة :

اذا قام شخص بعمل نسخة واحدة من مصنف تم نشره وذلك لاستعماله الشخصي المحض فلا يجوز للمؤلف ان يمنعه من ذلك •

المادة الثالثة عشرة :

لا يجوز للمؤلف بعد نشر المصنف حظر التحليلات والاقتباسات القصيرة اذا قصد بها النقد او المناقشة او الاخبار ما دامت تشير الى المصنف واسم المؤلف اذا كان معروفا •

المادة الرابعة عشرة :

لا يجوز للصحف او النشرات الدورية ان تنقل المقالات او المصنفات بانواعها العلمية او الادبية او الفنية او الروايات المسلسلة والقصص الصغيرة

التي تنشر في الصحف والنشرات الدورية الاخرى دون موافقة مؤلفيها •

ولكن يجوز للصحف و النشرات الدورية ان تنشر مقتبسا او مختصرا او بيانا موجزا من المصنفات او الكتب او الروايات او القصص بغير اذن من مؤلفيها وبغير انقضاء المدة المنصوص عليها بالمادة الثامنة من هذا القانون •

ويجوز للصحف او النشرات الدورية ان تنقل المقالات الخاصة بالمناقشات السياسية او الاقتصادية او العلمية او الدينية التي تشغل الرأى العام في وقت معين ما دام لم يرد في الصحيفة ما يحظر النقل صراحة •

ولا تشمل الحماية المقررة في هذا القانون الاخبار اليومية والحوادث المختلفة التي لها طبيعة الاخبار العادية ويجب دائما في حالة النقل او نشر اقتباس او غيره مما ذكر بالفقرات السابقة ذكر المصدر بصفة واضحة واسم المؤلف ان كان مذكورا •

المادة الخامسة عشرة :

يجوز للصحف والاذاعة اللاسلكية والتليفزيون دون اذن المؤلف ان تنشر او تذيع على سبيل الاخبار الخطب والمحاضرات والاحاديث التي تلقى في الجلسات العلنية للهيئات التشريعية والادارية والاجتماعات العلمية والادبية والفنية والسياسية والاجتماعية والدينية ما دامت هذه الخطب والمحاضرات والاحاديث موجهة الى الجمهور كما يجوز لها ايضا دون اذن منه نشر ما يلقى من مرافعات قضائية علنية في حدود القانون •

المادة السادسة عشرة :

في الاحوال المنصوص عليها في المادتين السابقتين يكون للمؤلف وحده الحق في نشر مجموعات خطبه او مقالاته •

المادة السابعة عشرة :

في الكتب الدراسية وفي كتب الادب والتاريخ والعلوم والفنون يباح :

أ ـ نقل مقتطفات قصيرة من المصنفات التي سبق نشرها •

ب ـ نقل المصنفات التى سبق نشرها في الفنون التخطيطية او المجسمة او

الفوتوغرافية بشرط ان يقصر النقل على ما يلزم لتوضيح المكتوب •
ويجب في جميع الاحوال ان يذكر بوضوح المصادر المنقول عنها واسماء المؤلفين •

المادة الثامنة عشرة :

بعد وفاة المؤلف يكون لورثته وحدهم الحق في مباشرة حقوق الاستغلال المالي المنصوص عليها في المواد ٥ و٦ و٧ • فاذا كان المصنف عملا مشتركا وفقا لاحكام هذا القانون ومات احد المؤلفين بلا وارث فان نصيبه يؤول الى المؤلفين المشتركين وخلفهم ما لم يوجد اتفاق يخالف ذلك •

ومع ذلك يجوز للمؤلف ان يعين اشخاصا بالذات من الورثة او غيرهم ليكون لهم حقوق الاستغلال المالي المشار اليه في الفترة السابقة ولو جاوز من المؤلف في ذلك القدر الذى يجوز فيه الوصية •

المادة التاسعة عشرة :

اذا مات المؤلف قبل ان يقرر نشر مصنفه انتقل حق تقرير النشر الى من يخلفونه وفقا لاحكام المادة السابقة •

ولهؤلاء وحدهم مباشرة حقوق المؤلف الاخرى المنصوص عليها في الفقرة الاولى من المادة (٧) والمادة (٩) •

على انه اذا كان المؤلف قد اوصى بمنع النشر او بتعيين موعد له او بأي أمد آخر وجب تنفيذ ما أوصى به •

المادة العشرون :

مع عدم الاخلال بحكم المادة (٨) تنقضى حقوق الاستغلال المالي المنصوص عليها في هذا القانون بمضى خمسين سنة على وفاة المؤلف • على انه بالنسبة للمصنفات الفوتوغرافية والسينمائية التي يقتصر فيها على مجرد نقل المناظر نقلا آليا فتنقضى هذه الحقوق بمضى خمس عشرة سنة تبدأ من تاريخ اول نشر للمصنف •

وتحسب المدة في المصنفات المشتركة من تاريخ وفاة آخر من بقي حيا من المشتركين • فاذا كان صاحب الحق شخصا معنويا عاما او خاصا انقضت حقوق الاستغلال المالي بمضي خمسين سنة من تاريخ اول نشر للمصنف •

المادة الحادية والعشرون :

تبدأ مدة الحماية المبينة في الفقرة الاولى من المادة السابقة بالنسبة للمصنفات التي تنشر غفلاً من اسم المؤلف أو باسم مستعار من تاريخ نشرها ما لم يكشف المؤلف عن شخصيته خلالها فتبدأ مدة الحماية من تاريخ الوفاة •

المادة الثانية والعشرون :

تحسب مدة الحماية بالنسبة الى المصنفات التي تنشر لاول مرة بعد وفاة المؤلف من تاريخ وفاته وذلك مع عدم الاخلال بحكم الفقرة الثانية من المادة العشرين من هذا القانون •

المادة الثالثة والعشرون :

اذا لم يباشر الورثة او من يخلف المؤلف الحقوق المنصوص عليها في المادتين ١٨ و١٩ ورأى الوزير المختص ان الصالح العام تقتضى نشر المصنف فله ان يطلب الى خلف المؤلف نشره بكتاب موصى عليه مصحوب بعلم الوصول ، فاذا انقضت ستة شهور من تاريخ الطلب ولم يباشر النشر فللوزير مباشرة الحقوق المذكورة بعد استصدار أمر بذلك من رئيس المحكمة الابتدائية ويعوض حق خلف المؤلف في هذه الحالة تعويضا عادلا •

المادة الرابعة والعشرون :

في الاحوال التي تبدأ فيها مدة الحماية محسوبة من تاريخ نشر المصنف وفقا لاحكام هذه القانون يتخذ اول نشر للمصنف مبدأ لحساب المدة بغض النظر عن اعادة النشر الا اذا ادخل المؤلف على مصنفه عند

الاعادة تعديلات جوهرية بحيث يمكن اعتباره مصنفا جديدا •

فاذا كان المصنف يتكون من عدة اجزاء او مجلدات نشرت منفصلة وعلى فترات فيعتبر كل جزء او مجلد مصنفا مستقلا على حساب المدد •

الفصل الثاني

احكام خاصة ببعض المصنفات

المادة الخامسة والعشرون :

اذا اشترك عدة أشخاص في تأليف مصنف بحيث لا يمكن فصل نصيب كل منهم في العمل المشترك اعتبر الجميع اصحاب المصنف بالتساوى فيما بينهم الا اذا اتفق على غير ذلك وفي هذه الحالة لا يجوز لاحدهم مباشرة الحقوق المترتبة على حق المؤلف الا باتفاق جميع المؤلفين المشتركين• فاذا وقع خلاف بينهم يكون الفصل فيه من اختصاص المحكمة الابتدائية وذلك مع عدم الاخلال باحكام المواد ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ من هذا القانون • ولكل من المشتركين فيالتأليف الحق في رفع الدعاوى عند وقوع أى اعتداء على حق المؤلف •

المادة السادسة والعشرون :

اذا كان اشتراك كل من المؤلفين سيندرج تحت نوع مختلف من الفن فلكل منهم الحق في استغلال الجزء الذى ساهم به على حدة بشرط الا يضر ذلك باستغلال المصنف المشترك ما لم يتفق على غير ذلك •

المادة السابعة والعشرون :

المصنف الجماعى هو المصنف الذى يشترك في وضعه جماعة غير مسمين على غلافه بتوجيه شخص طبيعى او معنوى يتكفل بنشره باسمه واشرافه ويندمج عمل المشتركين فيه في الهدف العام الذى قصد اليه هذا الشخص الطبيعي او المعنوى بحيث لا يمكن فصل عمل كل من المشتركين ونميزه على حدة •

ويعتبر الشخص الطبيعي او المعنوى الذى وجه ابتكار هذا المصنف ونظمه مؤلفا ويكون له وحده الحق في مباشرة حقوق المؤلف •

المادة الثامنة والعشرون :

في المصنفات التى تحمل اسما مستعارا او التى لاتحمل اسم المؤلف يعتبر ان الناشر لها قد فوض من المؤلف في مباشرة الحقوق المقررة في هذا القانون ما لم ينصب المؤلف وكيلا اخر او يعلن شخصيته ويثبت صفته •

المادة التاسعة والعشرون :

في حالة الاشتراك في تأليف مصنفات الموسيقى الغنائية يكون لمؤلف الشطر الموسيقي وحده الحق في الترخيص بالاداء العلني للمصنف كله او بتنفيذه او بنشره او بعمل نسخ منه مع عدم الاخلال بحق مؤلف الشطر الادبى الحق في نشر الشطر الخاص به وحده على انه لا يجوز له التصرف في هذا الشطر ليكون أساسا لمصنف موسيقي آخر ما لم يتفق على ذلك •

المادة الثلاثون :

في المصنفات التي تنفذ بحركات مصحوبة بالموسيقى وفي الاستعراضات المصحوبة بموسيقى وفي جميع المصنفات المشابهة يكون لمؤلف الشطر غير الموسيقي الحق في الترخيص بالاداء العلني للمصنف المشترك كله او بتنفيذه أو بعمل نسخ منه ويكون لمؤلف الشطر الموسيقي حق التصرف في الموسيقى وحدها بشرط الا يستعمل في مصنف مشابه للمصنف المشترك ما لم يتفق على غير ذلك •

المادة الحادية والثلاثون :

يعتبر شركاء في تأليف مصنف سينمائي او المصنف المعد للاذاعة اللاسلكية والتليفزيون :

اولا ـ مؤلف العمل الادبي الذى اخذ عنه المصنف او صاحب الفكرة

المكتوبة للبرنامج السينمائي او الاذاعي او التليفزيون •

ثانيا ـ مؤلف السيناريو •

ثالثا ـ من قام بتحرير المصنف الادبى الموجود بشكل يجعله ملائما للفن السينمائي •

رابعا ـ مؤلف الحوار •

خامسا ـ واضع الموسيقى سواء اقام بوضعها خصيصا للمصنف السينمائي أو كان قد سبق له ان وضعها واعتمد عليها المصنف •

سادسا ـ المخرج اذا بسط رقابة فعلية وقام بعمل ايجابي من الناحية الفكرية لتحقيق المصنف السينمائي واذا كان المصنف السينمائي والمصنف المعد للاذاعية اللاسلكية او التليفزيون مبسطا أو مستخرجا من مصنف آخر سابق عليه يعتبر مؤلف هذا المصنف السابق مشتركا في المصنف الجديد •

المادة الثانية والثلاثون :

اذا امتنع احد المشتركين في تأليف مصنف سينمائي أو مصنف معد للاذاعة او التليفزيون عن القيام باتمام ما يخصه من العمل فلا يترتب على ذلك منع باقي المشتركين من استعمال الجزء الذى انجزه وذلك مع عدم الاخلال بما لممتنع من حقوق مترتبة على اشتراكه في التأليف •

المادة الثالثة والثلاثون :

يعتبر منتجا للمصنف السينمائي او الاذاعي أو التلفزيوني الشخص الذى يتولى تحقيق الشريط أو يتحمل مسؤولية هذا التحقيق ويضع في متناول مؤلفي المصنف السينمائي أو « الاذاعي » أو « التلفزيونى » الوسائل المادية والمالية الكفيلة بانتاج المصنف وتحقيق اخراجه •

ويعتبر المنتج دائما ناشر المصنف السينمائي وتكون له جميع حقوق

الناشر على الشريط وعلى نسخة •

ويكون المنتج طوال مدة استغلال الشريط المتفق عليها نائبا عن مؤلفي المصنف السينمائي وعن خلفه في الاتفاق على عرض الشريط واستغلاله كل ذلك دون الاخلال بحقوق مؤلفي المصنفات الادبية والموسيقية المقتبسة •

المادة الرابعة والثلاثون :

للهيئات الرسمية المنوط بها الاذاعة اللاسلكية الحق في اذاعة المصنفات التى تعرض أو توقع في المسارح أو في اى مكان عام آخر وعلى مديرى هذه الامكنة تمكين هذه الهيئات من ترتيب الوسائل الفنية اللازمة لهذه الاذاعة •

وعلى هذه الهيئات اذاعة اسم المؤلف وعنوان المصنف ودفع تعويض عادل للمؤلف أو لخلفه ولمستغل المكائن الذى يذاع منه المصنف اذا كان لذلك مقتض •

الفصل الثالث

نقل حقوق المؤلفين

المادة الخامسة والثلاثون :

للمؤلف ان ينقل الى الغير الحق في مباشرة حقوق الاستغلال المنصوص عليها في المواد ٥ (فقرة أ) و ٦ و ٧ (فقرة أ) من هذا القانون على ان نقل احد الحقوق لا يترتب عليه مباشرة حق آخر •

ويشترط لتمام التصرف ان يكون مكتوبا وان يحدد فيه صراحة وبالتفصيل كل حق على حدة يكون محل التصرف مع بيان مداه والغرض منه ومدة الاستغلال ومكانه •

وعلى المؤلف ان يمتنع من أى عمل من شأنه تعطيل استعمال الحق المتصرف فيه •

المادة السادسة والثلاثون

يقع باطلا كل تصرف في الحقوق المنصوص عليها في المواد ٥ (فقرة اولى) و ٦ و ٧ (فقرة اولى) و ٩ من هذا القانون ويجوز للمؤلف أو من ينوب عنه توكيل الغير في تحصيل حقوقه عن استغلال حقه في عمل نماذج من مصنف معين لمدة لا تزيد على سنة واحدة من تاريخ نشر المصنف ٠

المادة السابعة والثلاثون :

تصرف المؤلف في حقوقه على المصنف سواء كان كاملا أو جزئيا يجوز ان يكون على أساس مشاركة نسبية في الايراد الناتج منه الاستغلال

المادة الثامنة والثلاثون :

يعتبر باطلاً تصرف المؤلف في مجموع انتاجه الفكرى المستقبل ٠

المادة التاسعة والثلاثون :

لا يترتب على التصرف فى النسخة الاصلية من المؤلف ايا كان نوعه نقل حق المؤلف ولكن لا يجوز الزام من انتقلت اليه ملكية هذه النسخة بأن يمكن المؤلف من نسخها او نقلها أو عرضها وذلك كله ما لم يتفق على غير ذلك ٠

المادة الاربعون :

للمؤلف وحده اذا طرأت أسباب خطيرة ان يطلب من المحكمة الابتدائية الحكم بسحب مصنفه من التداول او بادخال تعديلات جوهرية عليه على الرغم من تصرفه في حقوق الاستغلال المالي ويلزم المؤلف في هذه الحالة أن يعوض مقدما من آلت حقوق الاستغلال المالي اليه تعويضا عادلا يدفع في غضون أجل تحديده المحكمة والا زال كل أثر للحكم ٠

الباب الثالث

الفصل الاول

(حقــوق المؤدي)

المادة الحادية والاربعون :

لرئيس المحكمة الابتدائية بنـــاء على طلب المؤلف أو من يخلفــه وبمقتضى أمر يصدر على عريضة أن يأمر بالاجراءات الاتية بالنسبة لـكل مصنف نشر او عرض بدون اذن كتابي من المؤلف او ممن يخلفه بالمخالفة لاحكام المواد ٦ و ٧ (فقرة اولى) من القانون •

اولا ـ اجراء وصف تفصيلي للمصنف •

ثانيا ـ وقف نشر المصنف او عرضه أو صناعته •

ثالثا ـ توقيع الحجز على المصنف الاصلي أو نسخه (كتبا كانت أم صورا أم رسومات أم فوتوغرافيات أم اسطوانات أم الواحا أم تماثيل أم غير ذلك) وكذلك على المواد التى تستعمل في اعادة نشر هذا المصنف او استخراج نسخ منه بشرط ان تكون تلك المواد غير صالحـــة الا لاعادة نشر المصنف •

رابعا ـ اثبات الاداء العلني بالنسبة لايقاع مصنف أو تمثيله أو القائه بين الجمهور ومنع استمرار الغرض القائم أو حظره مستقبلا •

خامسا ـ حصر الايراد الناتج من النشر أو العرض بمعرفة خبير ينـــدب لذلـك ان اقتضى الحـــال وتوقيـــع الحجز على هـــذا الايراد في جميع الاحوال ولرئيس المحكمة الابتدائية في جميع الاحوال ان يأمر بندب خبير لمعاونة المحضر المـكلف بالتنفيذ وان يفرض على الطـالب ايداع كفالة مناسبة •

ويجب ان يرفع الطالب أصل النزاع الى المحكمة المختصة في خلال الخمسة عشر يوما التالية لصدور الامر فاذا لم يرفع في هـــذا الميعاد زال كل اثر له •

المادة الثانية والاربعون :

يجوز لمن صدر ضده الامر ان يتظلم منه أمام رئيس المحكمة الامـر وفي هذه الحالة لرئيس المحكمة بعد سماع أقوال النزاع ان يقضى بتأييد الامر او الغائـه كليا أو جزئيا أو بتعيين حارس تكون مهمته اعادة نشر أو عرض صناعة أو استخراج نسخ ملمصنف محـــل النزاع على ان يودع الايراد الناتج في خزانة المحكمة الى ان يفصل في أصل النزاع من المحكمة المختصة •

المادة الثالثة والاربعون :

يجوز للمحكمة المطروح امامها أصل النزاع بناء على طلب المؤلـف أو من يقوم مقامه ان يأمر باتلاف نسخ أو صور المصنف الذى نشر بوجه غير مشروع والمواد التى استعملت في نشره بشرط الا تكون صالحة لعمل اخر • ولها ان تأمر بتغيير معالم النسخ والصور والمواد او جعلها غـــير صالحة للعمل وذلك كله على نفقة الطرف المسؤول على انه يجوز للمحكمة اذا كان حق المؤلف بعد فترة تقل عن سنتين ابتداء من تاريخ صدور الحكم وبشرط عدم الاخلال بحقوق المؤلف المنصوص عليها في المواد ٥ (ف) ، ٧ (ف ١) و (ف ١) ان تستبدل الحكم بتثبيت الحجز التحفظي على هذ الاشياء وفاء لما تقضى به للمؤلف من تعريضات بالحكم باتلاف أو تغيير المعالم •

وكذلك لا يجوز الحكم بالاتلاف أو تغيير المعـــالم اذا كان النزاع المطروح خاصا بترجمة مصنف الى اللغة العربية بالمخالفة لحكم المادة الثامنة ويقتصر الحكم على تثبيت الحجز التحفظي على المصنف المترجم وفاء لمـا تقضى به المحكمة للمؤلف من تعويضات •

وفي كل الاحوال يكون للمؤلف بالنسبة لدينه الناشيء عن حقه فـي التعويض امتياز على صافي ثمن بيع الاشياء وعلى النقود المحجوزة عليهـا ولا يتقدم على هذا الامتياز غير المصروفات القضائية والتي تنفق لحفظ تلك الاشياء وصيانتها ، ولتحصيل تلك المبالغ •

المادة الرابعة والاربعون :

لا يجوز بأى حال ان تكون المباني محل حجز تطبيقا للمادة العاشرة من هذا القانون ولا ان يقضى باتلافها او مصادرتها بقصد المحافظة على حقوق المؤلف المعماري الذى تكون تصميماته ورسومه قد استعملت بوجه غير مشروع •

الفصل الثاني

في الجـــزاءات

المادة الخامسة والاربعون :

يكون مرتكبا لجنحة الاعتداء على حق الملكية الادبية ويعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة اشهر وبغرامة لا تزيد على مائة جنيه او باحدى هاتين العقوبتين •

اولا ـ من اعتدى على حقوق المؤلف المنصوص عليها في المواد ٥ و ٦ و ٧ فقرة اولى وثالثة من القانون •

ثانيا ـ من باع مصنفا مقلدا أو من أدخل في الجمهورية العربية المتحدة دون اذن المؤلف او من يقوم مقامه مصنفات منشورة في الخـــارج تشملها الحماية التى يفرضها هذا القانون •

ثالثا ـ من قلد في الجمهورية العربية المتحدة مصنفات منشورة بالخارج وكذا من باع هذه المصنفات او صدرها او تولى شحنها الى الخارج •

وفي حالة العود الى ارتكاب جريمة مما نص عليه في هذه المادة تكون العقوبة الحبس وبغرامة لاتقل عن عشرة جنيهات ولا تزيد على ثلثمائة جنيه كما يجوز للمحكمة في حالة العود الحكم بغلق المؤسسة التى استغلها المقلدون او شركاؤهم في ارتكاب فعلهم لمدة معينة او نهائيا •

ويجوز للمحكمة ان تقضي بمصادرة جميع الادوات المخصصة للنشر غير المشروعة الذى وقع بالمخالفة لاحكام المواد ٥ ، ٦ ، ٧ فقرة اولى وثالثة • كما يجوز لها ان تأمر بنشر الحكم في جريدة واحدة او اكثر على نفقة المحكوم عليه •

الباب الرابع

احكـــام ختاميـة

المادة السادسة والاربعون :

يجب على ناشري المصنفات التي تعد للنشر عن طريق عمل نسـخ منها ان يودعوا خلال شهر من تاريخ النشر خمس نسخ من المصنف في دار الكتب المصرية وفقا للنظام الذى يصدر به قرار من وزير التربية •

ويعاقب على عدم الايداع بغرامة لا تزيد على خمسة وعشرين جنيها دون اخلال بوجوب ايداع النسخ •

ولا يترتب على عدم الايداع الاخلال بحقوق المؤلف التي يقررها هذا القانون • ولا تسرى هذه الاحكام على المصنفات المنشورة في الصحف والمجلات الدورية الا اذا نشرت هذه المصنفات على انفراد •

المادة السابعة والاربعون :

تسري أحكام هذا القانون على مصنفات المؤلفين المصريين والاجانب التي تنشر او تمثل او تعرض لاول مرة في مصر وكذلك على مصنفـات المؤلفين المصريين التي تنشر او تمثل او تعرض لاول مرة في بلد اجنبي • اما مصنفات المؤلفين الاجانب التي تنشر لاول مرة في بلد اجنبي فلا يحميها هذا القانون الا اذا كانت محمية في البلد الاجنبي وبشرط ان يشمل هذا البلد الرعاية المصريين بحماية مماثلة لمصنفاتهـم المنشورة او الممـثلة او المعروضة لاول مرة في مصر وان تمتد هذه الحماية الى البلاد التابعة لهذا البلد الاجنبي •

المادة الثامنة والاربعون :

مع عدم الاخلال باحكام المادة السابقة تسرى احكام هذا القانون على كل المصنفات الموجودة وقت العمل به •

على انه بالنسبة لحساب مدة حمـاية المصنفـات الموجودة يدخل في حساب هذه المدة الفترة التي انقضت من تاريخ الحادث المحدد لبدء سريان

المدة الى تاريخ العمل بهذا القانون •

وتسري احكام هذا القانون على كل الحوادث والاتفاقات التالية لوقت العمل •

توصيات اخيرة :

ثم اتخذ المؤتمر القرارات الآتية :

١ ـ يوصي المؤتمر الامانة العامة لجامعة العربية بعرض قانون اتحاد الادباء العرب على جامعة الدول العربية لاقراره ••

٢ ـ ويوصي حكومات الدول اعضاء الجامعة وحكومات الدول العربية غير الاعضاء بالعمل على تدعيم اتحاد الادباء العرب ولجانه المحلية التي ستنشأ في كل بلد عربي بموجب قانون الاتحاد •

٣ ـ ويوصي بتكوين (لجنة متابعة) من السادة الاستاذ يوسف السباعي والدكتور محمد مهدي علام والاستاذ قاسم الخطاط وذلك لمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر حتى يتم تأليف اتحاد الادباء العرب • ويعتبر رئيس (ممثل) كل وفد ممثلا للجنة في بلده • وتقدم اللجنة تقارير دورية الى رئاسة المؤتمر بما تم من خطوات •

مذكـرات

تحرير ارتيريا

لقد تقدم رئيس وفد السودان للمؤتمـــــر بمذكرة عن الحركة التحريرية التى تقوم بها جبهة التحرير الارتيرية ضد حكومة امبراطور اثيوبيا والتى جعلت مركز حركتها في السودان حيث احتضنهـا الاخوه العرب بالسودان حكومة وشعبا ومدوا لها يد العون ماديا وادبيا •

ولقد احتضنت لجنة رؤساء الوفود بالمؤتمر فكرة تشجيع ومساندة هذه الحركة التحريرية بارتيريا نسبة لغالبية العنصر العربي من سـكان ذلك الاقليم من قبائل « بني عامر » وغيرهم • هذا وقد جاء في قرارات المؤتمر الختامية ذكر لمساندة هذهالاقاليم بالذات في افريقيا تحت المادة الثالثة من قرارات « الادب والتوعية » •

ومما يزيد في وجوب اهتمام مؤتمر الادباء العرب بهذه القضية مـا وضح له بان دولة اثيوبيا التى تضم ارتيريا في اتحاد ـ قد منحت الشركات اليهـودية الصـهيونية أراضي واسـعة زراعية للاستثمار بعـد ان حرمت أهلها منها وبذلك مكنت للسرطان اليهودى من الانتشار بافريقيا على تخوم دولة عربية مثل السودان بالاضافة لانتزاع حق العرب انفسهم بارتيريا •

التيجاني عامر
وفد السودان

المهدية بالسودان

اكبر ثورة عربية اسلامية مسلحة في العالم العربي

بقلم التيجاني عامر

تعرضت الاستاذة الكبيرة سهير القلماوى كما تعرض الاستاذ مصطفى البندارى في بحثيهما « الادب والوحدة العربية والادب والقومية العربية بقاعة الشعب الى بداية القومية العربية كشرارة اولى من كفاح العرب في شتى الاقطار ضد الاحتلال العثماني وقد جاء في الامثلة التى ساقتها الدكتورة سهير القلماوى للنضال العربي ضد الاتراك نماذج من الكفاح في كل الاقطار العربية التى كانت ترزح تحت نير الحكم التركي ومن المؤسف ان لم يرد ذكر لكفاح السودانيين بتفوق السبق التاريخي والنصر ضد الدولة العثمانية ممثلة في خديوى مصر توفيق باشا بالرغم من ان المعارك الكبرى والحروب المتواصلة في بلد واسع شاسع مثل السودان قد ادت جميعا الى هزائم تاريخية منكرة للحكم الترك هناك ـ ولكى يطلع الادباء العرب على ملخص مختصر من قصة المهدية التى تمثل النضال العربي الاسلامي في أقوى صورة من القارن التاسع عشر ـ اسوق اليهم هذا البحث التاريخي الهام منذ ان تم عتح السودان في عام ١٨٢١ للخديوى الاول محمد علي باشا لم يستقر الحكم التركي على قاعدة معينة أو أسس ثابتة تستهدف اى نفع من ورائه للامة المستعمرة المغلوبة على أمرها ـ وانما سارت الادارة التركية المصرية على مخطط سياسي وضعه محمد علي بنفسه وهو امداد مصر من السودان بالذهب والعاج والعبيد باى ثمن كان ولم يطرأ على هذه السياسة اى تغيير أساسي الا في عهد اسماعيل بن محمد علي عندما واجهه الضغط الاوربي بخطر تجارة الرقيق بعد التقارير التى كتبها السيد صمويل شيكر صاحب اول محاولة جارة لاكتشاف منابع النيل والذى عينه

الخديوى اسماعيل بفرمان خامس حاكما للمناطق الاستوائية واعانه بالمال والرجال لاتمام مهمة الاكتشاف • وحتى هذه السياسة الجديدة التى تمنع تجارة الرقيق لم يمكن تطبيقها لاعتبارات شتى منها سوء المواصلات وترامى القطر السوداني واشتراك الحكام لاتراك في الخرطوم وغيرها مع مؤسسات الرقيق تجاريا واستفادة البعض الاخر من رجال الصف الثاني عن طريق الرشوة من استمرار تجارة الرقيق وازدهارها في الشرق الاوسط واسيا وتركيا •

أما الادارة التركية فيما عدا ذلك فقد قسمت الى مديريات وجعلت الخرطوم عاصمتها ثم فرضت على كل مديرية ايرادا خاصا لا بموجب مواردها الاقتصادية الحقيقية ولكن بحسب ما يتخليه الحاكم أو ما يحتاج اليه وهنا يلعب الحظ مع كل منطقة دورا حسنا أو سيئا وقد تتكرر الجباية مرة أو مرتين في العام باساليب لامكان معها للخلاص الا بالاستجابة أو الاستماتة •

وكان طبيعيا ان تتراكم رواسب البغضاء والحنق في نفوس السودانيين ضد هذا الحكم الغاشم الباطش الى درجة جعلت بعض القبائل تنتجع البوادى النائية حيث يتعسر تتبعهم هربا بما بقى لديهم في الحياة من البطش والتسلط •

ولكن الروابط المفككة وصعوبة الاتصال واستمرار الحروب القبلية المحلية التي لم يكن الاتراك يعنون بامرها بل يزيدون نارها ضراما ـ كل ذلك لم يهيء للشعب السوداني في عمومه ان يتجمع لدرء الخطر • ومقاومة البطش بالرغم من ازدهار الطرق الصوفية وكثرة رجال الدين في مختلف المناطق من تلك الحقبة ولكنهم سواء كان ذلك بفعل الاتراك على سياسة فرق تسد أو كان بطبيعة التنافس العقائدى المعروف بين اولياء كانوا جميعا على خلاف بوحوثه للاتباع وقد بلغ قمته في الفترة التى سبقت الثورة المهدى • والامام المهدى الذى تفقه فيالدين على يدى محمد الخير الغبشاوي في بربر ثم انتجع مشائخ الصوفية في النيل الابيض والنيل الازرق

ادرك بفطرته التحريرية وعزيمته الجبارة وعنصريته اللماحة ان المشايخ لن يكونوا سند لثورة عارمة دموية لا يكون خلاص الوطن والاسلام الا عن طريقها فاعتزل نبعيته عن المشائخ وتنسك وعقد العزم على أمر كبير غذاه بايمان أكبر منه واصرار أقوى من زبر الحديد وبدأ يتطلع الى الاتجاهات الاسلامية في العالم خارج السودان وأطلعت برأسها حركات ثورية بعضها سياسى مثل حركة السنوس في ليبيا وبعضها ديني مذهبي مثل حركة الوهابيين فيالجزيرة العربية وبعضها عسكرى تحريرى مثل حركة عرابي باشا في مصر • وقر قرار الامام المهدى بما الهمه الن ان يجعل حركته التحريرية اسلامية عامة يحدها الوطن الاسلامي كله وقبل ان يجمع الناس حوله لجأ بعبقرية الذهن المرتب في القرن التاسع الى اساليب القرن العشرين الحديثة حين قام بجولة في كردفان وهى آنذاكوبوضعها الجغرافي بين الغرب والشرق والشمال والجنوب حسب اسلوب المواصلات القديمة كانت مزدهرة وبها صفوة الرجال السودانيين من اصحاب النفوذ وهى كذلك القوى للقبائل السودانية ذات الولاء لزعمائها ـ وقام الامام برسالته السرية بين مختلف الرجال والقبائل ولاقت كل نجاح كما أوكل لبعض خلصائه مهمة نشر الحركة التحريرية بين جميع الناس وعاد يخطط للثورة العارمة على ضفاف النيل الابيض متخذا من الموقع الجغرافي حصنا لحماية طلائع الثورة ثم بدأ ينشر الدعوة التي ذكرنا انه جعلها اسلامية عامة وكتب الرسائل الى الخديوى والى مصر والى علماء الخرطوم يشرح فيها ما صار اليه الاسلام وما يجب ان يعمل لتدعيم تعاليمه كما جاءت في الكتاب والسنة ـ ولكن النزوع التحررى • الذى يجرى في دمه لم يجعله بان تكون ثورة رسائل واثارة ضد الظلم والاستبداد وانما أعلن ثورته على الحكم في السودان فورا بغير انتظار لاراء الذين راسلهم في هذا الشأن وكأنما علم سلفا ان جميع من كتب اليهم ضعاف لا يرقون الى مستوى قوته ومستسلمين اثروا السلامة ورغد العيش على الجهاد بالشظف والدماء والدموع فكان ان افتوا جميعا ببطلان الدعوة ووجوب قمع الثورة وكان

للامام رجاء وآمل في نجاح ثورة عرابي لتتم الوثبة الاسلامية على وادى النيل مصره وسودانه لتسهيل المهمات الجسام الاخرى ولكن أمر عرابي انتهى بتدخل الانكليز في موقعه التل الكبير برجاء من الخديوى توفيق لحماية عرشه وقوى بذلك نفوذ الانكليز لدى مصر •

ولم تمض ثورة الامام المهدى حتى نهايتها بغير جهاد مرير فهو خرج من جزيرة أبي علي جثث الطغاة التى عبر بها النهر وهو قد شق طريقه الى قدير على نتائج موقعتين كبيرتين مع الحكومة باسلحة غير متكافئة من حيث القوة ولكن الامام استعارض عن ضعف السلاح في جيشه بقوة العزيمة واختيار الموت على الحياة من الذل فرجحت كفته في المعركتين بنتائج لم تكن متوقعة اطلاقا •

ثم سار الجيش بعد ان تضخم بالرجال والعتاد المسلوب الى الابيض حسب الخطة المرسومة وكان انصاره داخل مدينة الابيض يثبطون الهمم عن معونة التركي ويمنون الناس بحياة كريمة وهو نفس اسلوب الطابور الخامس الحديث وكان من معه من الانصار في حال من قوة المعنويات لم يعرفها السودان قوة وثباتا من قبل كما لا يتحمل ان تتكرر مع التاريخ على ذلك المستوى وكأن بكل منهم يترنم بقول الشاعر عندما تشرع المدافع والبنادق على صدورهم :

ابت لي همتي وأبى ابائي ... واخذى الحمد بالثمن الربيح
واقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحي

واقتحم المهدى المدينة بعد ان حاصرها زمنا واضعف معنوياتها ومواد غذائها واستسلمت له كل قبائل كردفان ودارفور مدفوعة بحلاوة دعوة المهدى للجهاد وبعوامل الحقد والسخط على حكم غاشم البعيد عن الانسانية كابتعاده عن العدالة والرحمة اقتحم الابيض رغم قلاعها وحصونها ومتاريسها وانتزعها من يد الغاشم انتزاعا فيه تضحيات جسام ولكن انتصار المهدية في كردفان هو الذى ركز أمر السودان جميعه بيد الامام المهدى لان غرب

السودان في دارفور استسلم للامر الواقع وكذلك الجنوب في بحر الغزال وجعل الامام على كل المديرتين أميرا واستتب لهما الامر •

ولكن الحكومة أرادت ان ترمي بآخـــر كرت في يدها لاستعادة اغتصاب السودان فارسلت من مصر أكبر جيش توفرت له العدد والمعدات والرجال على اعتماد جازم بان هذا الجيش سيقمع هذه الثورة الى الابـد وجاء الجيش يتهادى تحت قيادة معكس وتربص له الامام المهدى بجيش تذوق حلاوة الانتصار وتخفق في جوانح رجاله قلوب اشربت روح الايمان فتصلبت عزيمة وفداء وما هى الا جولة حاسمة بين جيش خائر مســوق الى مصير معروف وبين جيش متماسك سعقيدة كالعقيدة الصــماء ومزود بمعرفة مصير الشهداء ـ ما هي الا جولة قصيرة حتى انهار ذلك الجيش المرموق وأبيد تاركا من العتاد ما كان عدة لجيش الامام في غزواته المقبلة ـ ولعلع اسم الامام المهدى في العالم كله وتناقلت الاقطار معجزاته في الحرب بالرضى والسعادة عند بعضهم وبالخوف والقلق عن بعض آخر وانتهى أمر الهزيمة الى مصر فقررت ترك السودان نهائيا ولكنها ارسلت غردون ليحاول انقاذ الحاميات والممتلكات والاسر التركية والمصرية من السودان • وظن غردون انه بمخالفة السياسة المرسومة تتحقق له البعض البطولات ليضيفها الى ماضيه في بطولات الصين فكتب الى الامام المهدى يغريه بانه قد اقـره ملكا على غرب السودان على ان يترك فكرة الاستمرار في امتداد الثورة لداخل السودان • ولكن الامام المهدى كشف لغردون قناع السياسة التى يتبعها وحذره وانذره واعطاه كل الفرص ليسلم العاصمة بغير دماء ولـكن طموح غردون الشخصي حال بينه وبين اتبـــاع سياسة ترحيل الحاميات الحكومية كما حال بينه وبين اتباع المهدى التى املاها عليه •

ومن الابيض قام الامير محمد الخير الغبشاوى بجيش من الجعليين ليحاصروا حامية بربر الكبرى وينشروا دعوة المهدية في شمال السودان وكانت الاستجابة له مدهشة ورائعة بما جعل الحامية لا تصمد للحصـــار الا قليلا ثم انهارت ـ وهنا تبرز عبقرية الامام المهدى لانه عند بدأ الزحف

على الخرطوم خطط لسقوط بربر اولا ليكون انصاره شـمال الخرطوم يمنعون أى مدد يصل الى الحكومة من مصر ووقع غردون العظيم المحنك في الفخ الذى نسجته عقليته قل ان يجود الزمان بمثلها ـ وحوصر غردون ولاذ بكبريائه عن الاستسلام فترة ولكنه عندما وثق من عدم وصول اى نجدة قام بحركة انتحارية فسمح للناس بالانضمام لجيش الامام المهـدى واستقبل يوم الفتح بصدر مفتوح للرماح وارضى غروره وطموحه باسلوب جذب العطف عليه حتى من الامام المهدى نفسه بعد فوات الاوان .

وبسقوط الخرطوم استتب الامر في يد الامام المهدى اللهم الا من مناوشات جانبية هنا وهناك ما لبثت ان تلاشت وخرج الطغاة البغاة نتيجة لثورة عارمة بدأت في عام ١٨٨١ ميلادية بالدعاية والدعـــــوة وانتهت ظافرة مظفرة في منتصف ١٨٨٥ ميلادية ولكن الامام المهدى الذى رسم خططا اخرى لامتداد الثورة وتدعيمها وتأمينها لم يمهله الاجل فتوفى في نفس عام ١٨٨٥ وكأنمـا هو على موعد مع فتح الخرطوم لينهي حياة حافلة بالبطولات المثالية النادرة والعبقريات القيادية التى كانت مثار اعجاب العالم كله .

هذه يا سيداتي وانساتي قصة أكبر واعظم ثورة اسلامية عربية حررت قطرا اسلاميا عربيا مساحته مليون ميل مربع بدأت بعزيمة فولاذية وتعززت بكلمات ورسائل ثم انتشرت كانتشار النار في الهشيم فهل لهذه المآثر من مثال في عالمنا العربي الاسلامى في القرون الماضية والقرن الحاضر ـ اللهم لا .

واذا كانت هذه الثورة على الصورة المختصرة التى سردتها لـكم تعتبر مفخرة التاريخ السوداني كله فانها لاشك في رسالتها لدى هذا المؤتمر تعتبر مفخرة التحرير العربي كله ضد الاستعمار واذا ثورة الجزائـر الحرة في هذا العصر فان ثورة المهدية لا نعرف لها مثيلا من نوعها خصوصا اذا تيسر للسادة الادباء العرب معرفة أحوال وظـروف السودانيين التى نشأت فيها هذه الثورة رغم عدم صلاحيتها من وجوه شتى والسلام عليكم ورحمة الله .

التيجاني عامر

رئيس وفد السودان لمؤتمر الادباء العرب

من « الغزو الفكرى » الى « الاقليمية الفكرية »

لابي سعد

اذا كان الادباء يعرفون من معلوماتهم الاولى ان لـكل قاعدة شذوذا ٠٠ واذا كانوا قد آمنوا من اقتناع بصدق هذه القاعدة ، فان الشيء الوحيد الذى خرج عن هذه القاعدة نفسها ، والذى يتحقق فيه شذوذ على الاطلاق هو ان كل البلاد التى عرفت الاستعمار وخبرته ، شهدت ـ عن كثب ـ عمله من اجل تدعيم الاقليمية وتغذية الطائفية ، واحتى اذا ما لم تكن هناك لا تلك ولا وهذه فانه يعمل على « خلق » و « ابتداع » نوع ما من أنواع العنصريـة حتى يضمن له الراحة ٠٠ عن طريق « تلهية الناس بعضهم بعضا بالمشاكسات والمماحكات ، ومهما اوتي المرء من ادراك فانه لا يستطيع ان يتوفر عـلى كل « الوسائل » التى يستعين بها المستعمرون لتحقيق اهدافهم ٠٠ لان المحتكر عادة يتوفر على طـاقـة قوية من « الحساسية » تجعله باستمرار يضرب اخماسه في اسداسه : يتعقب مرة بحواسه الخمس في كل جهاته الست ٠٠ ويفكر ثلاثين قبل ان يقوم بمخططه ٠٠٠

عرفنا في بعض البلاد انهم اى المستعمرين يفرقون بين شماله وجنوبه وبين شرقه وغربه ٠٠ بل كثيرا ما يتهيبون أيضا من احتمال التفاف الشمال كتلة واحدة ، والجنوب والشرق والغرب كذلك ، فيروحون ايضا يميزون بين قبائل الشمال نفسها ، وقبائل الشرق ٠٠ ثم يحتاطون أكثر من هذا فيعمدون الى القبيلة نفسها ليكسروها فرعا فرعا مخافة ان تتقوى سواعدها ، وهكذا ما يزالون يتتبعون شرايين القوة في الامة يتقفونها بالاســـــتنزاف والاقتصاص حتى تمسي هيكلا فاقدا لكل معاني الخصوبة ٠٠٠ وهكذا تتحقق الامنية فيسوء الاخ الظن باخيه ٠٠٠ ويزندى كلاهما بشـــــعور الاخر ٠٠٠

كلنا نعرف عن هذه الاقليميات الشيء الـكثير •• ونذوق منها شرقا وغربا الشيء الكثير •• لكن « الاقليمية الجديدة » التي نريد اليوم ان نضعها أمام اعلام الادب هي « الاقليمية الفكرية » نعم الاقليمية الفكرية التي تكون من مبتكرات الاستعمار •• يخالفها متى تعذر عليه التفريق ، بل انه ليضعها أحيانا كعلاوة على لائحة الاقليميات الاخرى ••• وحقيقة فانه اذا ما هضم السياسيون اليوم معنى كلمة « الاستعمر الجديد » فان على الادباء ان يتحملوا معنى كلمة « الاقليمية الجديدة » •• فالـكلمتان معـــا ممقوتتان في قاموس الحرية ، والعدالة ، والخلق •

ان الآمال والاحقاب التي مرت بنا ونحن نرسف في قيود الاغلال هي وحدها التي جعلتنا نتحسس ولو عن بعد ، ولو باي مغلف نتحسس نكهة الاستعمار الجديد •• فان من عاش ردحا من الزمان بين تلك الاشباح العفنة لا يمكنه بحال من الاحوال ان لا يذكرها عندما يمر طيفها ثانيـــة بالناس •••

لكن الادباء كحماة شداد للفكر ! تفتحت عيونهم فجأة على خطر مدلهم اخر •• ليس هو الذي يتمثل في « الغزو الفـكري » لبلاد آمنت بمقوماتها وبمعطياتها ولكن ـ وهذا حجر الزاوية ـ فيما تبع هذا الغزو الفكري من متاعب ، فيما تبعه من مآسي كان العن من الغزو في حد ذاته ••

لقد اقتحم الاستعمار بيوتا آمنة تنعم فيما بينها بالانسجام في التفكير والتعبير والتدبير ••• فهاله ذلك طبعا وراح يخطط لكسر ذلك الانسـجام وصدعه ••• فخلق معاهدة واغدق عليها من عطفه •• وعمد الى المدرسة العربية فكتم انفاسها ونكس اعلامها •••

شعر كثير من المخلصين منذ البدء ان القصد الى نسف مقومات البلاد من لغة وحضارة فتحدوا « المدرسة العصرية » وتهالكوا على « المدرسة العربية » بالرغم مما احتف بها من مصاعب ومكاره ••• وبمرور الزمن طمع هذا الدخيل في ان يرى ـ على أساس اختلاف اتجاه المعهد الجديد•• والمدرسة القديمة ـ ان يرى فريقين يتساجلان يسم الاول الثاني بالتزمت

والرجعية .. ويسم الثاني الاول بالالحاد والـكفر ... وهكذا نجح عن طريق ذلك « الغزو الفكرى » في استغلال اول ثمرة من ثماره .. وكانت هذه الثمرة اذا جاز لنا التعبير هي « الاقليمية الفكرية » ...

وهكذا والى جانب شمال وجنوب والى جانب شرق وغرب .. أمست هناك أقاليم ذات آفاق جديدة ... وقد شعر كثير من المخلصين ، وقد كان على رأسهم في بعض البلاد ـ لحسن الحظ ـ قادة بكل ما تحمله كلمـة القيادة من معنى .. فغدوا منذ هذه البدايات يعملون على تقريب الشـقة بين المدرستين ... وقد كان احد الذين تنبهوا للخطر الداهم الذى يتمثل في هذه « العنصرية الفكرية » كان أباً لاسرة كبيرة جعل بعضا من ابنائـه في تلك المدرسة .. وبعضا له في المعهد الاخر ، فما راعه ذات يوم الا ان يرى رؤيا عين ان احد بنيه يسفه احلام الاخر ! وان هذا الاخر لا يرضى ان ينتسب الى ذلك « الاحد » ! ...

لم ينتظر طبعا اولئك المخلصون من المستعمر ان يبارك خطواتهم أو ـ على الاقل ـ يدعها وشأنها ولكنهم وهم يعلمون اهدافه البعيدة حرصوا على تلافي بعض الاخطار .

والحقيقة انه لولا تلك المبادرة لكانت عواقب تلك الفروق اوخم مما وصل اليه الأمر .. ومع ذلك فاننا سجلنا ـ وبأسف مرير ان اول خلاف قصم الوطنيين في بعض البلاد منذ بداية الجهاد كان خلافا يرتكز على هذه الاقليمية الجديدة التى تقوم على العنصرية الثقافية ... وكما فعل المستعمر بالامس حينما عمد ـ في اطار تفريقاته ـ الى القبيلة الواحدة فجعل منهـا شيعا .. وعمد الى الشيع فجعل منها مذاهب ، وعمد الى المذاهب فجعل منها نحلا .. وكذلك كان أمره في « العنصرية الفكرية »التى استهدفها من « غزوه الفكرى » ... فقد حرص ايضا على ان يجعل من المثقفين ثقافة واحدة جماعات متباينة يستدرج شرقيها غربيها ويستجهل جنوبيها شماليها وهكذا نرى ان اقدس ما خلق الله يستغل لاسوأ ما خلق الله ! .. خلق الله اللسان والفكر والتثقيف لتكون الوسيلة الفعالة للقضاء على كـل

الفروق البدائية تضيف لنا فروق الجنوب والشمال •• فـــروق الشرق والغرب ، فاذا بهذه الثقافة الملغمة قليمية جديدة ، طائفية جديدة ، تلك هى « الاقليمية الفكرية » •••

ان كل الجهات التى عانت من الاستعمار ما عانت وخاصة منها بعض البلاد ، ستتدبر دون وزن هذه الكلمات لانها اى تلك البلاد فتحت عيونها على « المواطنين » من بلد واحد وأسرة واحدة وبيت واحد ••• احدهمـا درس هناك فهو يحمل لقبا مصقولا وثانيهما درس هنا ما درسه اخوه لكنه يحمل لقبالقلوبا ••••

ولم يتردد المستعمر ـ هذا ما علمنا ـ في خلق الالقاب •• وتزييف مدلولاتها ، « ان لقب «الفقيه» الذى ـ مثلا ـ كان عبر التاريخ لا يحلى به الاكبار الدولة ، أمسى في القاموس الجديد معروفا بنطق اخر وهو يعنى في اصطلاحهم شيئا ،ولكن هذا الشيء على كل حـــــال دون مدلول البروفيسور ، ولقب القاضي الذى كان عبر التاريخ يخيف اولياء الامر ، اصبح معروفا تحت اسم اخر •• وهو يعني في اصطلاحهم شيئاً ولكن هذا الشيء أدون بكثير من كلمة (حاج) وهكذا كان في الفاظ مشوة اخرى » •

وقد كان يدخل في اطار غزوهم الفكرى •• أو الهابهم للعنصريـة الفكرية اذا شئت ان تقول ان أبرز المتخصصين باللسان العربي كان لا يحظى عند التوظيف باكثر من محرر أو منشيء تقرع بابه عند الضرورات، عندما يظهر المتخصصون باللسان « الاخر » الى انشاء مقال أو تحرير بيان•• ومع كل ذلك •• فان مقاومة الفروق كانت تزداد ضراوة عند المؤمنـين كلما ازداد تعنت الذين يعززونها ، وامام تصلب بعض القادة اخذ المستعمر يسلك طريقا اخر •• تلك تجسيد « الفرق الشاسع » بين « الاصالة » و « السفالة » : اصالة التلقي بغير العربي وبسفالة التلقى بالعربي مثلا حتى يوهم اولئك القادة ان الاعتماد ينبغي ان يكون على اولئك لا على على هؤلاء ••• وما كانت كل تلك المؤامرات لتخفي ايضا على المخلصين من اولئك القادة •• بل ان في القادة من كان على العكس •• يعطى الدليل اثر

الدليل على ان « الاصالة والسفالة » لا وجود لها بين التكوينين •• وهكذا كان اولئك القادة يتعمدون اظهار بعض اولئك (الفقهاء) و (القضاة) وتكليفهم بمهام جسام •• كانوا يقومون بها على احسن وجه بالرغم من ان الظروف احيانا كانت تلقي بهم في « بحار » وتقضي منهم ان لا يبللوا اطرافهم بالماء !! وقد أدرك المغرضون ان من العبث ان يستمروا في المضاربة بالعقول ، وهكذا اختفوا •• بل انهم ارغموا على الاختفاء ، ولكنهم خلقوا بالرغم مما بذل اثارا واثار تتطلب منا المتابعة لتحقيق (العدالة الفكرية) بين بني البلاد ••• فانه اذا كان للعنصرية القبلية ما كان يبررها في نظر بعض العنصريين من اوضاع جغرافية ، خاصة ، ومراحل تاريخية ذاهبة •• فانه لا يوجد اطلاقا ما يستسيغ العنصرية الفكرية •• الا الانانية الظالمة ، واذا كان الرأى العام قد اجمع على مقاومة عنصرية اللون ، فانه اى ذلك الرأى حرى بان يثور على عنصرية عاتية تفرق بين البيض بعضهم بعضا وبين السود بعضا على اساس الفكر الذى كان وما يزال عنصر توعية لا أداة تغوية ••••

تحفظ الوفد السعودي

سيادة السيد الدكتور عبدالعزيز الدورى
رئيس مؤتمر الادباء العرب الخامس المحترم
بعد التحية

يتشرف الوفد السعودى بان يتقدم لسيادتكم باطيب تهانيه على نجاح المؤتمر في اجتماع الرأى ، وتوحيد الاتجاه ، ومعالجة القضايا العربية على صعيد من روح الود والاخاء والصفاء ، والشعور بالمسؤولية .

كما يتشرف بتقديم شكره لسيادة الرئيس الجليل عبدالسلام عارف ورجال حكومته وللسيد الدكتور عبدالرزاق محيىالدين ولشخصكم الكريم على مابذلتموه من جهد في سبيل تلك الاهداف السامية .

واننا تمشيا مع سياسة رائدنا وقائدنا جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية في العمل على توجيه الكلمة ، والدخول فيما تدخل فيه الامة العربية مما فيه خيرها وكرامتها فقد اشتركنا في تأييد الاهداف والموضوعات التى عالجها المؤتمر تأيدا كاملا . وكان بودنا الا نقدم اى تحفظ على اى شأن من الشؤون التى تضمنتها توصيات المؤتمر لولا ما لاحظناه من تعارض في المادة (٢) تحت عنوان الادب والبناء بشأن الاشتراكية مما يتعارض مع نظام الحكومة العربية السعودية ، وغير ذلك مما ورد فيه ذكر الاشتراكية على هذا المنوال .

واذا كانت الاشتراكية سبيلا للبناء كما تراه بعض الدول العربية الشقيقة الاخذة بها ـ فذلك لا يتعارض مع النظام الذى تأخذ به الحكومة

العربية السعودية ٠

ونظرا لان هذا الحق مما لا ينشأ عن اى تعارض ولا يفسد قضية الود والتأييد بين الحكومات الشقيقة والشعب العربي الموحد بامكانه وقضاياه ـ فانا نرجو ادراج هذا التحفظ الذى نقدمه لسيادتكم في ختام التوصيات التى قدمها المؤتمر ـ وتقبلوا فائق تحياتنا ٠

الوفد السعودي

نهاية المطاف

وبعد اقرار التوصيات تألفت لجنة متابعة من السادة : الاستاذ يوسف السباعي والدكتور محمد مهدى علام والاستاذ قاسم الخطاط لاجل متابعة تنفيذ القرارات لحين قيام اتحاد الادباء العرب ، وان يكون رئيس كل وفد ممثلا للجنة المتابعة في بلده .

واتفق على ان ترسل لجنة المتابعة وممثلوها تقارير دورية الى رئاسة المؤتمر عن خطوات التنفيذ ، كما اتفق على ان يطبع كتاب يضم البحوث والمحاضرات التى قدمت الى المؤتمر .

ثم تبرع وفد الكويت باسم دولة الكويت بمبلغ ألفي دينار لاتحاد الادباء العرب عند قيامه ، واعلن ذلك في الاجتماع الختامي .

واصدر المؤتمر صحيفة يومية باسم « المؤتمر » ، وقد صدر العدد الاول منها صباح الاحد ١٤ شباط **١٩٦٥** ، ثم سميت « مهرجان الشعر » من العدد التاسع حتى العدد الاخير (الثانى عشر) الصادر يوم الخميس ٢٥ شباط **١٩٦٥** الموافق **٢٤** شوال **١٣٨٣**هـ .

وقد أثار عقد المؤتمر في بغداد حركة فكرية ونشاطا ادبيا واسعا ، وكان في واقعه مظاهرة قومية فكرية كبرى .

المشرفان

الدكتور احمد مطلوب وعبدالله الجبوري

بغداد في ٣٠ـ٥ـ١٩٦٥
٢٧ محرم ١٣٨٥

الأدب وفلسطين

فلسطين والأدب

بقلم

الدكتور اسحاق موسى الحسيني

(١)

باسم فلسطين وتربتها المقدسة ، المعطرة بدم الشهداء الذين افتدوها بأرواحهم ، منذ زمن الناصر صلاح الدين ، الى عهد المنصور جمال عبدالناصر ، وبأسم منظمة التحرير الفلسطينية التى حملة أمانة التحرير والفداء ، اتقدم بوافر الشكر الى وطننا العربي الغالى العراقي ، رئيسا وحكومتا وشعبا لدعوته الكريمة الى هذا المؤتمر الذى يضم نخبة من الادباء العرب ، حملة مشعل الهداية والقيادة •

ايها الاخوان

ان أمام المؤتمر طائفة من القضايا الادبية المهمة ، وقد يكون من الفضول أن أفحم فيه موضوعا ذا طابع سياسي ، ولكن شفيعي أمران ، الاول ان مسؤولية العربي الفلسطيني تحتم عليه أن يوجه كامل عنايته الى قضية وطنه في كل وقت ، وفي كل مكان اني لاشعر شعورا عميقا أن أصواتا حزينة تنبعث من قبور الآباء والاجداد ، تقلق ضميري وتؤرقني ، أصواتا تناجيني في يقظتي ونومي ، وتستحثني على انقاذها من دنس المعتدين الآثمين •

أمي وأبي وجدتي وجدي وسائر بني قومي وكل حفنة من تراب أرضي يهيبون بي ان أغيثهم من الفزع الاكبر الذى نزل بهم •

تناديني السـفوح مخضبـات	وفي الآفـاق آثـار الخضـاب
تناديني الشـواطىء باكيـات	وفي سمع الـزمان صـدى انتحاب
تنـاديني مدائنـك اليـتامى	تناديني قُراك مـع القِبـاب

فأية عين تستطيع ان تغمض ، واى قلب يستطيع ان يطمئن واية روح تستطيع ان تهدأ ، وفي ظلمات القبور ، وفي رحبات الحمى ثورة يضج منها الناس والملائكة في الارض والسماء .

قبور اجدادنا على مرأى منا ، وارضنا التى رويناها بدمائنا على خطوات منا ، ومنازلنا التى بنيناها بكدنا وكفاحنا يسكنها أعداؤنا واشجارنا التـي غرسناها بسواعدنا يجمع ثمارها دخلاء معتدون تحت بصرنا . أوَ يطيب لنا بعد ذلك طعام ويهنأ لنا نوم ؟ أو نلام ان ملأنا الدنيا ضجيجا وملأنا السماء ثورة ؟ .

والشفيع الثانى ان قضية فلسطين هى قضية كل عربي ، امسلما كان أم مسيحيا . فالاسرائيليون يطمعون في الاستيلاء على بلادنا من نيلها الى فراتها ، وسياستهم التى يسلكونها هى اعداد شعب مسلح ، بفتياته وفتيانه ، بنسائه ورجاله ، لـكي يثب على بلادنا رقعة بعد رقعة مدمرا مدننا وقرانا ، مساجدنا وكنائسنا ، مبيدا حرثنا ونسلنا وهذا ما نص عليه كتابهم .

١ ـ ففي سفر التكوين : « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الـكبير نهـر الفرات » ١٨/١٥ .

٢ ـ وفيه : « وظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان أرام وباركه وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل .. والارض التى اعطيت ابراهيم (اسحق لك اعطيها . ولنسلك من بعدك اعطى الارض » تكوين ١٩/٣٥ .

٣ ـ وفي سفر التثنية : « الرب الهنا كلمنا في حوريب قائلا : كفاكم قعود في هذا الجبل . تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما

يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات » ٦/١ .

وتجاوزوا وطننا العربي الى العالم أجمع فهددوه بغزوهم ودمارهم :

١ ـ ففي سفر اشعيا : (١) ارفعوا الى السماوات عيونكم وانظروا الى الارض من تحت . فان السماوات كالدخان تضمحل ، والارض كالثوب تبلى ، وسكانها كالبعوض يموتون ... لا تخافوا من تعيير الناس ، ومن شتائمهم لا ترتاعوا ، لانهم كالثوب يأكلهم العث اما بري فالى الابد يكون ، وخلاصي الى دور الادوار » اشعيا ٥١/٦-٨.

٢ ـ وفيه « لانه تتحول اليك ثروة البحر ، ويأتي اليك غنى الامم .. وبنو الغريب يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك ... ، لان الامة والمملكة التي لا تخدمك تبيد ، وخرابا تخرب الامم » اشعيا ٦٠/٤ .

٣ ـ وفيه : « ويقف الاجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم . اما انتم فتدعون كهنة الرب ، تسمون خدام الهنا تأكلون ثروة الامم ، وعلى مجدهم تتآمرون » .

٤ ـ وفي سفر زكريا : « في ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح نار بين الحطب ، وكمشعل نار بين الحزم فيأكلون كل الشعوب حولهم عن اليمين وعن اليسار » .

٥ ـ وفي سفر ارميا : « ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك . انظر . قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتغرس » .

ايها الاخوان :

يطول الحديث بالاكثار من الشواهد التى تنذر بالخطر الذى يهددنا ويهدد العالم من قبل هذه الدويلة التى ركبها الغرور واضلها الهوى .

واستأذنكم في ان اتناول مسألتين : الاولى فساد النظريات التى اعتمد

عليها الاسرائيليون في اثبات حقهم الموهوم على فلسطين • والثاني واجب الادباء نحو فلسطين •

(٢)

اعتمد الاسرائيليون في التعلق بحقهم على ثلاث نقاط • ومن المؤسف انهم استطاعوا ان يغرروا بكثيرين من المسيحيين الغربيين الذين يؤمنون بالعهد القديم • وهم الذين يمدونهم بالتأييد المادى والمعنوى • وهذه النقاط هى (١) أنهم شعب الله المختار (٢) وان الههم وعدهم بالعودة الى فلسطين (٣) وانهم اسسوا مملكة في فلسطين واصبح لهم حق شرعي في استرجاعها •

واوجز في الرد عليها :

لقد قرأت العهد القديم كله قراءة فاحص مدقق • وقرأت جزءا منه بلغته الاصلية • ولا أعرف في التاريخ ، قديمه وحديثه ، امة عضب الهها عليها وقبح سيرتها ونعتها اقبح النعوت كامة بني اسرائيل •

ونحن لا نعترض على حكم الهي • ولكن الثقة اوعها الله هذه الامة قد سحبها هو نفسه ، والذريعة التى اوجبت تقديسها واحترامها قد افسدها الشعب الاسرائيلي نفسه طوال تاريخه منذ الخروج من مصر الى الارهاب والغدر اللذين مارسهما سنة ١٩٤٨ •

لنفرض ان والدا تحكم وفضل أحد اولاده على سائر ابنائه • افلا يجوز ان يسترجع تفضيله عندما يثبت ان ابنه هذا اخانه وداس شريعته ؟ •

وامامي من نصوص الذم الواردة فى العهد القديم ما يملأ صفحات • ولكني أجتزىء بامثلة :

١ – ففي سفر ارميا : « هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخارى بحيث لا يمكن جبره بعد ، وفي توفة يدفنون حتى لا موضع يكون للدفن • هكذا اصنع لهذا الموضع ،يقول الرب ، ولسكانه ، واجعل هذه المدينة مثل توفة • وتكون بيوت اورشليم وبيوت ملوك يهوذا

كموضع توفة تجسة كل البيوت التى بخروا على سطوحها لكل جند السماء وسكبوا سكائب لالهة أخرى » ١١/١٩ •

٢ ـ وجاء فيه : « لان الانبياء والكهنة تنجسوا جميعا ، بل في بيتي وجدت شرهم ـ يقول الرب ـ وقد رأيت في أبناء السامرة حماقة • تنبأوا بالبعل واضلوا شعبي اسرائيل • وفي انبياء اسرائيل رأيت ما يقشعر منه • يفسقون ويسلكون بالكذب ، ويشددون ايادى فاعلى الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره • صاروا لي كلهم كسدوم وسكانها كعمورة •• »١١/٢٣•

٣ ـ وجاء فيه : « هأنذا أرسل عليهم السيف والجوع والوباء واجعلهم كتين ردىء لا يؤكل من الرداءة • والحقهم بالسيف والجوع والوباء قلقا لكل ممالك الارض حلفا ودهشا وصفيرا وعارا في جميع الامم الذين طردتهم اليهم •• » ١٧/٢٩ •

٤ ـ وجاء في سفر جزقيال : « وقال يا ابن آدم : انا مرسلك الى بني اسرائيل الى أمة متمردة قد تمردت علي هم وآباؤهم علي الى ذات هذا اليوم » ٣/٢ •

٥ ـ وجاء في سفر عاموس : « اسمعوا هذا القول الذى انادى به عليكم مرثاة يا بيت اسرائيل سقطت عذراء اسرائيل لا تعود تقوم • انطرحت على الارض ليس من يقيمها » ١/٥ •

وماذا يبقى لشعب الله المختار بعد هذا ؟

اما وعدهم بالعودة الى فلسطين فان الههم نفسه ابطله لما ارتكبوا من آثام • جاء في سفر العدد : « وكلهم الرب موسى وهارون قائلا : حتى متى اغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي ؟ قل لهم حي انا ـ يقول الرب ـ لافعلن بكم كما تكلمتم في اذني • في هذا القفر تسقط جثثكم • جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا عليّ » •

لن تدخلوا الارض التى رفعت يدى لاسكنتكم فيها ما عدا كالب بن يَفُنَّه ويشوع بن نون •• فجثثكم انتم تسقط في هذا القفر • وبنوكم

يكونون رعاة في القفرة أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر .. في هذا القفر يفنون وفيه يموتون » ١٤/٣٠ .

وأدخل الله أولادهم لينشئوا ملكا . ولكنهم لم يكونوا خيرا من آبائهم الذين حرمت البلاد عليهم . وانزل الههم غضبه عليهم شواظا من نار ، ثم سبوا في القرن السادس قبل الميلاد لمخالفتهم شريعة الههم ولصنعهم الشر صباهم . وهكذا ضاعت الارض الموعودة . واذن فقد تحقق الوعد بانشاء مملكة داود وسليمان ، ثم انتهى بالسبي وانتهى نهاية أبدية بظهور السيد المسيح تنبأ بزوال الهيكل . وقد جاء في انجيل مرقس : « وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه : يا معلم انظر ما هذه الحجارة وهذه الابنية . فأجاب يسوع وقال له : انتظر هذه الابنية العظيمة . لا يترك حجر على حجر لا ينقض » ١/١٣ .

واما مملكتهم في فلسطين فكانت شر مملكة عرفها التاريخ حسب نصوص العهد القديم . وهذه عبارته : « هكذا قال السيد الرب . هذه اورشليم . فى وسط الشعوب قد اقمتها وحواليها الاراضى فخالفت احكامي بأشر من الامم وفرائضى بأشر من الاراضى التى حواليها » حزقيال ٥/٥ .

وعلاوة على ذلك استمر حكم داود اربعين سنة وسليمان اربعين سنة وسليمان اربعين سنة . ثم زالت تلك المملكة من الوجود . وبعد وفاة سليمان حوالى سنة ٩٢٢ قبل الميلاد تفسخت المملكة وانقسمت على نفسها . وبعد ذلك لم تنعم اسرائيل ولا يهوذا بالاستقلال الحقيقي . لان كلا منهما كانت تدين باستمرار وجودها الى حماية دولة عظمى .

واذا فرضنا أن الممالك اليهودية القديمة كانت مستقلة طوال حياتها من عزو داود لكنعان سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد الى زوال يهوذا سنة ٥٨٦ قبل الميلاد يكون حكم اليهود دام ٤١٤ سنة ، في حين دام حكم الرومان ٦٧٧ سنة ، ودام حكم العرب منذ الفتح الاسلامي الى الانتداب ثلاثة عشر قرنا تسقط منها نحو مائتى سنة حكم فيها الصليبيون حكما جزئيا .

(٣)

ايها السادة :

دست على العرب في ابان كفاحهم فى سبيل الحـــرية ومقارعتهم الاستعمار ، عبارة عجيبة هى : « الادب للادب » •

ومن المسلم به بداهة ان الادب لا يكون أدبا الا اذا توافرت شروط الادب ، كما لا يكون العلم علما الا اذا استكمل عناصر العلم •

والسؤال هو : أيصح ان يخلو الادب من المضمون ؟ وما هذا المضمون؟ ونحن نرى ان الادب لا يخلوا من مضمون ، واذا خلا منه أصبح كالزجاجة التى تخلو من الماء ، والطبق الذى يخلو من الطعام •

ولا نعتقد ان عطشان يرضى ان تقدم اليه زجاجة فارغة ، او جوعان يرضى ان يقدم اليه طبق فارغ ، وكذلك لا يرضي قارىء ان تقدم اليـه صفحات مسودة بعبارات جوفاء لا لب فيها •

والادب ـ كما نفهمه ـ تصوير للحياة ، وتعبير عنها ، وشـــرح لاسرارها • والاديب هو الممتلىء علما وحكمة ، وخيرا ومحبة ، وسموا ورفعة ، واحساسا بالجمال • وهو الذى يفيض على قرائه من ذات الخبرة المعطاء ولست أدرى كيف يمكن ان ينشىء انسانا ادبا دون ان تتوافر فيه هذه المعاني •

ومن ديدن صاحب المثل العليا ان يدافع عنها ، ويسعى الى كســب المزيد منها ، ليظل أدبه مرتقيا فى سيره • واذا توقف او انحدر أو انحدر ضحل أدبه وتلاشى • ومثله في ذلك كالشمعة ما تزال تذوب حتى يســرع خفقانها وتنطفىء شعلتها •

وكلما صلب عود الاديب وقوى تمسكه بمبادئه السامية ، وحـــلق في عالم الخير والحرية والجمال ، زادت نفسه اشراقا وزاد ادبه رفعة •

والمثل العليا لا تتجزأ • فالحق حق والخير خير والعـدل عـدل والحرية حرية ، في كل زمان ومكان •

وقضية فلسطين لها جوانب متعددة • جانب انساني وجانب قومي ،

وجانب وطني • والدفاع عنها امانة في عنق كل انسان شريف ، وكل عربي مؤمن بعربيته وكل وطني مخلص لوطنه •

والاديب ملزم التزاما لا فكاك منه بنصرة الحق والعدل والحرية • وقد شارك الاديب المدرك رسالته ، امته في كفاحها ، وعبر عن آمالها وآلامها ، وتصدر المكافحين في سبيل حريتها واستقلالها وجمع شملها وتوحيد كلمتها • وفي هذا هو اديب عربي • ولكنه ان ارتقى درجة ونصر المثل العليا في العالم كله ، وعبر عن شوق الاوسان الى الكمال وتطلعه الى تحقيق الاخوة الانسانية والمحبة الصافية والعدل المنزه عن الهوى جاء ادبه أدبا انسانيا وعمر أبد الدهر •

ولذا فاننا نهيب بالادباء عامة ، وبالادباء العرب خاصة ، ان يتفهموا قضية فلسطين من جميع جوانبها ، وان يمنحوها من فيض نفوسهم ما يحقق لها النصر حتى ترسخ قواعد العدل والحرية في المجتمع الانساني •

ان على الادباء العرب مسؤولية خطيرة في هذه المرحلة الحرجة من تاريخهم • فما تزال في البشرية رواسب من الطغيان والاثرة ولكل القوى الضعيف وصبغ الباطل بصبغة الحق • وما تزال الامة العربية تعاني من بقايا عهود الاستعمار • سوادها ساذج وخيراتها منهوبة ، ودور البداوة والزراعة يعم شطرا كبيرا منها ، وفهمها لحقوقها وواجباتها مشوش ، والرأسملية المستغلة جشعة بشعة ، والايمان بالله ايمانا عميقا سليما قلق ، والثقة بالقيم الخلقية متزعزع •

والسياج الوحيد لسلامتها هو ايقاظ وعيها ، وانقاذ سوادها من مشاكله الاقتصادية والاجتماعية ، ونقلها الى دور الحضارة الحديثة بكامل معناها ، وتوطيد الحكم الديمقراطي فيها ، واخيرا بل أولا وآخرا ، جمع شملها وتوحيد كلمتها حتى ترجع الى ما اراد الله لها ان تكون امة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضها بعضا •

فاية مسؤولية هذه التي يحملها الادباء العرب في هذه المرحلة من

حياتهم ؟ انها مرحلة خطيرة يتقرر فيها مصيرهم ومصير أمتهم • ان الافعى بل الافاعي ، فافرة افواهها • وان لم تحطم رؤوسها حل الدمار وعم البلاء •

(٤)

انها الاخوة :

لقد اطلت ولكن لابد من كلمة لا يتم الحديث الا بها • فنحن نعلن اليوم - كما اعلنا دوما قولا وعملا - اننا لا ننتمي الى مناهضي السامية ، ولم ننتم اليها طوال تأريخنا ، منذ فجر الاسلام الى العصر الحديث •

فالديانة اليهودية اصلا من الديانات السماوية ، واليهود من اهل الكتاب الذين حفظ الاسلام حقوقهم ورعى عهودهم • ومن الثابت علميا ان العرب لم يضطهدوا اليهود باعتبارهم جنسا من الاجناس • وان آذوا افرادا او جماعات منهم فلم يحدث ذلك الا تأديبا او زجرا •

وتأريخ اليهود في الغرب حافل بالمآسي • وليس من شأننا ان نخوض في هذا الموضوع ولكننا يجب ان نوضح امرين • الاول ان العالم الاسلامي كان ملاذا لليهود وحمى في ابان الاضطهاد الغربي لهم • وقد اطمأن اليهود ، في المدن الاسلامية ، من بغداد شرقا الى قرطبة غربا ، الى العدل الاسلامي ، فازدهرت تجارتهم ، ونمت صناعاتهم وعلومهم • وحين اشتدت وطأة محاكم التفتيش عليهم في القرن الخامس عشر للميلاد • في اسبانيا ، هاجر معظمهم الى شمالي افريقيا ، حيث استقروا واثروا • وخرج من ابنائهم في اسبانيا وشمالي افريقيا عدد من الفلاسفة والعلماء والادباء • وكان اليهود قبل نكبة فلسطين بالصهيونية الاثيمة اصحاب ثراء وجاه في جميع المدن العربية •

والامر الثانى ان اليهود لم يحفظوا للعرب والمسلمين فضلهم عليهم ، ولم يقابلوا احسانهم بمثله او باقل منه بل اوغلوا في الشر الى ابعد حد • فقد صبوا نقمتهم التي نقموها على الغرب - قديما وحديثا - على العرب الذين اطعموهم من جوع وآمنوهم من خوف •

لم يتعظوا بقسوة النازية والفاشية عليهم ، ولم يستخلصوا الدرس

الانساني العميق من مأساة الاضطهاد العنصري ، فيخرجوا منه اوسع افقا واكرم نفسا وارفع انسانية • بل طبقوا على العرب الآمنين في البلد الذى آواهم ، شر ما تعلموه من اعدائهم من وسائل الارهاب والتعذيب من حرب أعصاب بالغة القسوة ، الى نشر الاراجيف بوساطة عمـلائهم عن عـرب فلسطين بوسائل غاية في الخبث ، الى قتل النساء والاطفال والمسنين خلافا لقواعد الحرب ، الى الاعتداء على الاماكن الدينية الى تشريد المسالمين عن ديارهم جماعات •

وبعد هذا يستصرخ اليهود الضمير الانساني ، ويؤلبون الغرب علينا ، ويتظاهرون بالسلم والرحمة ، ولكنها خدائع لن تدوم • واكبر عدو لهم هو في انفسهم ومن انفسهم • وما داموا يؤمنون انهم شعب الله المختار الذى له السيادة على البشرية قاطبة بحكم الهي ، وانهم كهنة الله ، وسادة الناس ومعلموهم ـ كما تقرأ في كتبهم القديمة والحديثة ـ فلن يريحوا ولـن يستريحوا • ومصير النزعات الشريرة المخالفة للمبادىء الانسانية الى زوال • ودولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة •

الدكتور اسحاق موسى الحسيني

الأدب وقضية فلسطين

بقلم
الدكتور محمد مهدي علام

للادب معنيان او اطلاقان ، الادب بمعناه الاخص ، وهو الذى اصطلح الكتاب من قديم على انه التعبير الجميل عن المعنى الاصيل ، أو الصورة الرائعة للفكرة الطارئة ، أو الابداع في التعبير والتصوير لخواطر النفس • وهو في نطاق هذا المعنى لابد ان يمس العاطفة الانسانية ، وان يهز مشاعرها ، فيجتذب قارئه أو سامعه عن طريق الوجدان ، أكثر مما يقنعه عن طريق الحجة والبرهان • ويتمثل الادب بهذا المعنى في الشعر ، والقصة بانواعها ، والمقالة الادبية •

وهناك الادب بمعناه الاعم ، وهو يشمل الادب بمعناه الاخص ، مضافا اليه الوان اخرى من الكتابة ، تختلف عنه في عدم اعتمادها على العاطفة ، مستعيضة عنها أسلوبا اخر في اجتذاب القارىء أو السامع ، هو منطق الحجة والبرهان • ويدخل في نطاق هذا المفهوم للادب عديد من الكتابات في فروع المعرفة الانسانية المتصلة بالتاريخ والاجتماع والفلسفة والسياسة ، بل المتصلة بالادب نفسه • فالبحوث الادبية وتاريخ الادب ، والنقد الادبي لا استطيع ان اسميها أدبا بالمعنى الاخص ، لانها لا تقوم على جمال التعبير ، والابداع في التصوير ، والتحليق في الخيال ، واجتذاب القارى بسحر الكلمة وروعة الاسلوب ، وانما تعتمد على المنطق الذى يخضع الكاتب لمقاييس تختلف عن مقاييس الاديب ، وترتفع فوق اقناع الوجدان •

ونحن مع ذلك لا ندخل في نطاق الادب بمعناه الاعم كل ما يكتب في التاريخ أو السياسة أو الفلسفة أو الاجتماع ، فقد يصل ما يكتب في هذه الفروع الى درجة من الدقة في التفكير ، والقصد في التعبير ،

والخضوع لمقتضيات العلم ، الى درجة تقربه من العلوم الرياضية ، وتخليه من جمال التعبير الادبي ، فيصبح بذلك علما لا أدبا •

ومن اليسير تحديد خطوط فاصلة بين الادب بمعناه الاخص ، والادب بمعناه الاعم ، في كثير من الموضوعات ، ولكن بعض الموضوعات تتماس فيها الخطوط المحددة ، واحيانا تتدخل ، وربما اتحدت • فموضوعات القومية العربية ، والوحدة العربية ، والاستعمار ، والاشتراكية، والقنبلة الذرية ، وتحديد النسل ، يلقى في كثير مما يكتب عنها الادب بمعناه الاخص والادب بمعناه الاعم ، وقد ينفرد الادب الاخص بفنونه التعبيرية عنها شعرا ومقالة وقصة ومسرحية ، وقد ينفرد الادب الاعم بما يكتب على أساس من العلم والتاريخ والاحصاء والحجج المنطقية •

والموضوع الذى اتحدث عنه في مؤتمركم الموقر ، ، وهو « قضية فلسطين » في مقدمة الموضوعات التي تناولها الادب بمفهوميه الخاص والعام • فعند الكلام على « وعد بلفور » مثلا نلتقي بالادب القانوني الذى يحلل هذا الوعد ، ويفنده على أساس قانوني تشعر فيه بالحجج والادلة من غير عرض تصويرى بلاغي يدخله في نطاق الادب بالمفهوم الخاص • ومع ذلك نجد عرضا لهذا الوعد المشئوم يتناوله من الناحية السياسية ، متتبعا جذوره الاولى في الحركة الصهيونية ، وموضحا ما يترتب عليه من انتقاص وحرمان لاهل البلاد التي صدر بشأنها هذا الوعد المشؤوم ، انتقاص والى جانب ماكتب عن « وعد بلفور » من الناحية القانونية والناحية السياسية نجد عشرات من النصوص التي تناولته من الناحية الادبية ، معتمدة على جمال التصوير وقوة التأثير ، كما يقول مثلا مصطفى وهبي التل في نغمة حزن وأسى على مصير بلاده ، وأهلها العرب من مسلمين ونصارى :

يا رب ان (بلفور) أنفذ وعده	كم مسلما يبقى وكم نصراني !
وكيان مسجد قريتي ، من ذا الذى	يبقى عليه اذا ازيل كياني ؟
وكنيسة العذراء ، أين مكانها	سيكون ؟ ان بعث اليهود مكاني ؟

أو كما يقول ابراهيم الدباغ (ديوان الطليعة) في نقمة ســاخطة غاضبة :

ما وعد (بلفور) من أمر السماء ،ولا في الجدب من ارضنا رزق لمحتطب،
هل وعد(بلفور) تشريع ، اذا فرطت اغلوطة منه تدعو الناس للعجب ؟
ما حكمه بعد احكام السماء ، ولا يرضى به بعد حكم الله غير غبـي
يحوطه باسمه القانون ، معتصمـا بنصه ، ممعنا كالفيصـل الذرب

أو كما يقول جورج صيدح في سمو وانفة :

مهلا خلائف (بلفور) الكريم لقد جاوزتمو شأوه في حلبـة الكـرم
حامى حمانا ، حمانا الله منك ومن وصاية فرضتهـا عصبـة الامـــم
أكل شأنك ارغام الشعوب ، وأن تقوم فيها مقام الخصم والحكـم ؟
مهد النبوة نأبى ان تدنســه ، ان نام فيه بنو صهيون لم تنـم •

أو كما يقول ابراهيم طوقان في تهكم وسخرية :

قد شهدنا لعهدكم بالعـدالــه وختمنا لجندكم بالبســاله
وعرفنا بكم صديقا وفيـــا ، كيف ننسى انتدابه واحتـلاله !
وخجلنا من لطفكم يوم قلــتم وعد (بلفور) نافذ لا محالــة •
كل افضالكم على الرأس والعين ، وليست في حاجـة لدلالــة ،
ولئن ســاء حالنـا فـكفانا انكم عنـدنا بأحسن حالــه
غير ان الطريق طالـت علينـا وعليكم ، فـما لنا والا طالـــه ؟
أجلاء عـن البـلاد تريــدو ن فنجلو ؟ أم محقنا والازاله !

وهكذا نستطيع ان نسوق الامثلة الكثيرة للموضوع الواحد فـي قضية فلسطين ، يتناوله الادب الخاص ، كما يتناوله الادب العام ، القانوني أو السياسي • نجد ذلك في وصف المؤتمرات التى عقدت قبل النكبة ،

وفي وصف مشروعات التقسيم قبل النكبة وبعدها ، ونجد ذلك في وصف حرب فلسطين ووقوع النكبة • ونجده في الحديث عن اللاجئين وقضيتهم، وعن هجرة اليهود وتسللهم • ولن يتسع الزمن لاكثر من أمثلة عابرة لما نقول •

فمن الادب القانوني ، الخاص بخلف الوعد من الانكليز ، الوثيقة الرابعة عشرة ، من « الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين » التي نشرتها جامعة الدول العربية • وفي هذه الوثيقة رد على بيان رئيس القضاة البريطانى في مؤتمر فلسطين الذى عقد في لندن سنة ١٩٣٩ وقد جاء فيها :

« ••• ان مندوبي العرب ••• يدهشهم ويؤسفهم ان يروا رئيس القضاة يأخذ بوجهة النظر القائلة ان فلسطين كانت مخرجة من المنطقة التي تعهدت بريطانيا العظمى في مكاتبات مكماهون ان تعترف فيها باستقلال الحكومات العربية وتؤيده • وهم يعتقدون ـ بعد درس البيان والمذكرة المشار اليهما بعناية ـ ان رئيس القضاة لعله فاته المدلول الحقيقي لمكاتبات تبودلت كلها باللغة العربية ، وقد تداول أحد مندوبي العرب ـ رغبة في اصلاح هذه الاغلاط وازالة آثارها ـ مع الخبير الذى ندبته حكومة الملك ، وقدم اليه بيانا بالاغلاط التي وقعت في الترجمة ، وبما بين النص العربي الرسمي الانكليزى من التفاوت ••••

« قال رئيس القضاة في الفقرة السابعة من مذكرته • انه نظرا للصفة المقدسة لفلسطين فان من الواضح ان بريطانيا العظمى لم يكن لها حق ولا سلطة في سنة ١٦١٥ يخولانها ان تعد ، في حالة نجاح الحلفاء ، في ان ينتزعوا من الدولة العثمانية أرضا لها مثل هذه الاهمية للعالم المسيحي • وان يسلموها الى دولة اسلامية اخرى مستقلة ، من غير ان يحصلوا اولا على كل نوع من الضمانات لحماية الاماكن المقدسة ، من مسيحية ويهودية ، وكفالة حرية الوصول اليها على الاقل بقدر ما كان ذلك مكفولا في عهد الاتراك انفسهم • ويستنتج سيادته من ذلك ان مما

لا يتصدر ان يكون السير هنرى مكماهون قد قصد ان يعطي الشريف وعدا لا قيد فيه ولا شرط بان تكون فلسطين داخلة في منطقة الاستقلال العربي •••

« ويقرر مندوبو العرب بكل احترام ان هذا الاستنتاج قائم على خطأ مادى في تصور الموقف ، وذلك اولا لان سلامة الاماكن المقدسة ، وحرية الوصول اليها ، منصوص عليهما بصراحة في معاهدة برلين المعقودة سنة ١٨٧٨ وهي معاهدة دولية معترف بها في اوسع نطاق ، ومقيدة بها تركيا ، وهي تسرى من تلقاء نفسها على كل دولة ينتقل اليها ما كان للدولة العثمانية من سيادة في فلسطين • وثانيا لان نص المكاتبات نفسها يبين بجلاء ان المقرر ان تنتفع حكومات الدول العربية المستقلة بالمشورة البريطانية ، وبمساعدة الموظفين البريطانيين في اقامة نظام حكم صالح • وهذا وحده كان ضمانا كافيا ، ينتفي به كل خطر ، تقوم دولها • وثالثا لان السير هنرى مكماهون وضع تحفظا صالحا فيما يتعلق بالاماكن المقدسة ، وذلك في كتابه المؤرخ في ٢٤ اكتوبر ١٩١٥ وفيه يقول : (ان بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي ، وتعترف بوجوب منع التعدى عليها) •

وحين يعالج الشاعر عبدالرحيم محمود هذا الموقف يقول :

واتى الحليف وقام في اعتابنا ... متحيرا ، انا هدى المتحير ،
واستنصر العرب الكرام ، وانهم ... غوث الطريد ونصرة المستنصر ،
واذا عتاق العرب تورى في الدجى ... قدحا وتصهل تحت كل غضنفر ،
واذا السيوف كأنهن كواكب ... تهوى ، تلامع في العجاج الاكدر ،
رجحت موازين الحليف ، ومن تكن ... معه يرجح بالعظيم الاكثر ،
وبنت لنا اسيافنا صرحا فلم ... يحفظ جميل العرب ، يا للمنكر !
غدر الحليف ، واى وعد صانه ... يوما ، وأية ذمة لم يخفر ؟
لما قضى وطرا بفضل سيوفنا ... نسى اليد البيضاء ، لم يتذكر •

ويرد شاعر المهجر ، ايليا ابو ماضي ، على زعم قاضي قضاة بريطانيا في حماية الاماكن المقدسة المسيحية ، **في قصيدته التي يقول فيها :**

ديار السلام وارض الهنا … يعز على الكل أن تحزنا ،
فخطب فلسطين خطب العلا ، … وما كان رزء العلا هينا ،
سهرنا له فكأن السيوف … تحز بأكبادنا ها هنا ،
وكيف يزور الكرى أعينا … ترى حولها للردى أعينا ؟
وكيف تطيب الحياة لقوم … تسد عليهم دروب المنى ؟
بلادهم عرضة للضياع ، … وامنهم عرضة للفنا :
يريد اليهود أن يصلبوها ، … وتأبى فلسطين أن تذعنا .
أأرض الخيال وآياته … وذات الجلال ، وذات السنا ،
تصير لغوغائهم مسرحا … وتغدو لشذاذهم مسكنا ؟
فقل لليهود وأشياعهم : … لقد خدعتكم بروق المنى .
ألا ليت (بلفور) أعطاكمو … بلادا له ، لا بلادا لنا !
(فلندن) أرحب من قدسنا ، … وأنتم لمن شاء ان يسكنا ،
فان تطلبوها بسمر القنا … نردكمو بطوال القنا ،
ففي العربي صفات الانام ، … سوى ان يخاف وان يجبنا .
وان تحجلوا بينا بالخداع … فلن تخدعوا رجلا مؤمنا ،
وان تهجروها فذلك أولى … فان فلسطين ملك لنا ،
وكانت لاجدادنا قبلنا ، … وتبقى لاحفادنا بعدنا ،
وان لكم بسواها غنى ، … وليس لنا بسواها غنى .
فلا تحسبوها لكم وطنا ، … فلم تك يوما لكم موطنا ،
وليس الذي نبتغيه محالا ، … وليس الذي رمتمو ممكنا .
واما ابيتهم فأوصيكمو … بأن تحملوا منكم الاكفنا ،
فانا سنجعل من ارضها … لنا وطنا ، ولكم مدفنا .

ونأخذ مثلا اخر في الفرق بين الادب بمفهومه العام والادب بمفهومه

الخاص ـ هو مشكلة اللاجئين . فالدكتور سيد نوفل ، الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية يكتب (في تقديمه لكتاب « مشكلة اللاجئين العرب » للدكتور ادوارد سيدهم) :

« مشكلة اللاجئين العرب هي في الواقع مشكلة الشـــعب العربي الفلسطيني ، الذى اخرج من وطنه بغيا وعدوانا ، لتحتله جـــماعات من اليهود المواطنين في بلاد مختلفة بارجاء العالم ..

« فاللاجىء الفلسطيني العربي يسمى كذلك تجوزا ، اذ ليس لمثل هذا اللجوء نظير في تاريخ البشرية ولا في القاموس السياسي » .

« وكل ما عرف من ألوان اللجوء الاخرى ، نتيجة الاضطهاد عـلى أســاس الجنس او الدين أو السياسة ، لا يمت الى هذا اللــون الفريـــد من اللجوء . الذى يسمى به الشعب العربي الفلسطيني مجازا أو احالة .

« ولا يمكن لذلك ان تحل مشكلة هؤلاء اللاجئين العرب ، كما حلت مشكلة اللاجئين في اوربا واسيا وغيرهما ... فقضيتنا قضية شعب اخرج من وطنه بوسائل استعمارية عدوانية ، ولابد ان يعود الى الوطـــن وخاصة في هذا العصر الذى يسمى بحق عصر تصفية الاستعمار » .

« واذا كانت مشكلة اللاجئين هي مشكلة فلسطين ، لم يكن عجبا ان تبذل اسرائيل والصهيونية السياسية العالمية والاستعمار والاستغلال الاجنبي الطامع في المنطقة العربية لم يكن عجبا ان تبذل هذه القوى العدوانـــــية ـ متحالفة متآمرة ـ الجهود المتصلة في السنوات الخمس عشرة ، لتصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين ، سبيلا لتصفية قضية فلسطين ، والقضاء على حقوق الشعب العربي الفلسطيني في العودة الطبيعية المشروعة الى وطنـــه السليب » .

وحين يتناول الادب الخاص قضية اللاجئين يقول مثلا على لسان ابي سلمى (ديوان أغنيات بلادى) :

زحفت الـشم أرضى وهـــي باكيــة   والقلب باك وراحت تنتشى القبل ،
وعدت انشق من عطر التراث هوى   في طله التقت الاجداد والرسل .

أهلي على الدهر تدميني جراحهم، في جبهم يتساوى العذر والعذل ،
خيامهم في مهب الريح معولة ، ودورهم من وراء الدمع تبتهل ،
تقاذفتهم دروب العمر دامية وانكرتهم ربوع الاهل والملل ،
على المشارف اعراض ممزقة ، وفي كهوف الربى الانسان مبتذل .
في كل ارض شظاياهم مشردة وتحت كل سماء معشر ذلل
اطوف احمل اني سرت نكبتهم كأنني طيف سار والحمى طلل ،
يا فتية الوطن المسلوب ، هل أمل على جباهكم السمراء يكتمل ،
أنتم بنو الشعب ، لا الطغيان يرهبكم، ولا زعيم على الشيطان يتكل ،
تبنون امجاده ، والخلد رفرفها كأنما هي بالآباد تتصل :
ان الطريق الى العلياء مظلمة ، ولن نضل وفي أيديكم الشعل .

ويقول محمود حسن اسماعيل (ديوان نار واصفاد) :

تلفتي ها همو في الارض اخوتنا تعاورتهم خطوب الدهر والغير ،
كانوا باوطانهم كالناس ، وانتبهوا فما همو من وجود الناس ان ذكروا،
مشردين بلا تيه ، فلو طلبوا تجدد التيه في الافاق ما قدروا .
يلقى الشريد فجاج الارض واسعة، لكنهم بمدى انفاسهم حشروا ،
في خيمة من نسيج الوهم لفقها ضمير باغ بمجد العرب يأتمر
اوهى وأوهن حبلا من سياسته لو مسها الضوء لانقدت بها الستر ،
تعدو الرياح بها نشوى مقهقهة ، كأنها بشقوق النمل تنحدر ،
او انها حين تذروها سنابكها اضغاث شيء تلاشى ماله أثر ،
تهتز ان ذاقت الاحلام صفحتها بنسمة بظلال الخلد تأتزر ،
وتنشب الذعر في الاوتاد هاربة في صدر ساكنها ان زارها المطر .

وارجو الا يكون من الغرور ان اقتبس هنا لنفسي بعض ما قلت في وصل اللاجئين على اثر زيارة لهم :

كل حلم جدنا بـه للئيـم   نال ضعفا وذلـة واثاما ،
غلفت عنهم الضمائر حتى   حققوا بالخيانة الاحلاما •
واذا ما شربت كأس خداع   من عدو فقد عضضت اللجاما ،
واذا ما حنيت ظهرك ذلا   فاقبل السرج فوقه والحزاما •
شردوا اهلنا ، وقد ابدلوهم   من بيوت ومن قصور خياما ،
يتموهم طفلا وكهلا جميعا •   ان يتم الاوطان أنكى غراما •
يطمعون الهوان نصف عرايا   من ثياب لا تستر الاجساما ،
ان رأوا يزقة لتستر صدرا   لم يبالوا الا يروا اكماما ،
يلبسون النهار حتى اذا ما   أقبل الليل يلبسون الظلاما •

ونتنقل الان الى مثال اخر في الادب الفلسطيني لنرى كيف يعالج، المؤلف الفني ، وكيف يعالجه الاديب الفنان •

فموضوع الهجرة الى فلسطين قد استوعب عديدا من الكتب ومئات من المقالات كما استوعب مئات من القصائد • ففي كتاب الدكتور احمد معوض مثلا « لن نكون لاجئين » يكتب المؤلف •

« يعتقد الصهيونيون ان اسرائيل ولدت لتسوعب **كل** يهود العالم ، واكد ذلك القول صراحة كتاب « حقائق عن اسرائيل » (الذى اصدرته مصلحة الاستعلامات الاسرائيلية سنة **١٩٥٧**) اذ اعلن ان « سياسة الباب المفتوح ستبقى على الدوام السياسة القومية ، فعندما تتعرض جماعة يهودية للتهديد في مكان ما من العالم فثمت استعداد دائم لترحيلهم الى اسرائيل بغض النظر عن تكاليف ذلك) • أما بن غوريون فقد أعاد تأكيد ذلك في اول فبراير **١٩٥٩** اذ قال : « ان بقاء اسرائيل وسلمها لن يكفل الا بشيء واحد فحسب ، **الا وهو الهجرة الجماعية** » •

« وفي الواقع ان ثمة اسبابا تدفع الصهيونية الى هذه الهجرة الجماعية • وفي مقدمة هذه الاسباب الحصول على طاقة بشرية تصلح

للدفاع عن كيان اسرائيل من ناحية ، وللاستعداد للتوسع والعدوان من ناحية اخرى • ولذلك حصرت سلطات اسرائيل سن المهاجرين فيما بين (١٤) سنة و (٤٠) سنة ، واشترطت ان يكونوا من المدربين عسكريا ، ومن اصحاب المهن الفنية والتدريبات الصناعية • وهى بذلك ترمي الى ضرب عصفورين بحجر واحد • فهي توفر نفقات التدريب والتأهيل الداخلي ، وتستغني عن ايفاد البعثات للخارج • اذ ان في تجميع الصهيونيين المؤهلين من مختلف البلدان ما يزيد من المستوى العلمي والثقافي في البلاد » •

ويكتب في الموضوع نفسه الدكتور صالح الاشتر فى كتابه « شعر النكبة » فيقول :

« فما يكاد الجنرال اللنبي يدخل القدس حتى يستقبل في مركز قيادته بالرملة اللجنة الصهيونية القادمة لدراسة الوضع في فلسطين ، تنطلق الالة الصهيونية تجمع المال لتشترى الاراضي العربية من اصحابها بأى ثمن ، وتسجلها ملكا ابديا للامة اليهودية جمعاء ، ثم تقسمها قطعا وتؤجرها المهاجرين القادمين ، وتمنحهم القروض لبناء المساكن ، وتساعدهم على الاستيطان ، في ظل وارف من عطف حكومة الانتداب الانكليزية • وفي اشهر قليلة كانت الارض الجرداء تتحول الى مستعمرات زاهية وجنات عامرة بالمواطنين المهاجرين العاكفين على تعلم اللغة العبرية ، والخاضعين لعملية صهر قومى تجمع اشتاتهم وتنسق أمورهم وتوحدها •

« ونظم اليهود انفسهم في وكالة يهودية ترعاهم وتحمي مصالحهم ، تشترى الارض ، وتبني المستعمرات ، وتفوز بامتياز البحر الميت وثرواته ، وتبني لليهود ميناء خاصا في تل ابيب ، لتجارتهم واقتصادياتهم ••• واليهود يتابعون تحصين المستعمرات ، ويستعدون للمعركة المقبلة ، ويستقبلون كل يوم افواج المهاجرين من كل صوب ، فيزدادون قوة وتنظيما » •

ولاشك اننا نلاحظ الفرق بين النصين ، فثانيهما مع عرضه التاريخي ادخل في الاسلوب الادبي ، وان كان لا يدخل في مفهوم الادب بمعناه

الاخص ، ذلك المفهوم الذى نجده في النصوص الشعرية التى تعرض لموضوع الهجرة اليهودية ، فلا تهتم بالتواريخ ولا الاحصاء ولا اسماء الامكنة ، وانما هي تصوير للخطر ، وتجسيم للظلم والعدوان ٠

فهذا جورج صيدح يقول في لوعة واسى :

اضيف الهنا ، ان بيتي المباح — صغير يضيق بضيف الهنا ،
وزادى ـ اعيذك منه ـ جراح — اغمس فيه فتات الغنى ،
شهرت عليك لساني الصراع — فأعيا ، أأطول منه القنا ؟
سألتك بعد الغدو الرواح — عسى البين يصلح ما بيننا !
وما ضر لو زرت تل السفاح — وعششت بين وكور الخنا ؟
هنالك سربك يجنى الرياح — ولا يسال اللص عما جنى ٠
كرهنك ضيفا دجى الوشاح — دجى الحواشي دجى المنى ،
اذا وصفتك القوافي الفصاح — دعوت عليها بأن ترطنا

وهذا ابراهيم طوقان يقول في قصيدة جعل عنوانها « الرقم ١٠٠٠ » ولكنه طبعا يستعمل الرقم هنا بمفهومه البلاغي لا بمفهومه الرياضي ، على مثال استعمال القرآن الكريم للعد في قوله تعالى : « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدودن » ، وكقوله « استغفر لهم ، اولا تستغفر لهم ، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ٠ فالمراد هو الكثرة المطلقة ٠ يقول :

أرى عددا في الشؤم لاكثلاثة — وعشر ، ولكن فوقه في المصائب ،
هو الالف لم تعرف فلسطين ضربة — اشد وأنكى منه يوما لضارب ،
يهاجر ألف ، ثم ألف مهربا — ويدخل ألف سائحا غير آيب ،
وألف جواز ، ثم ألف وسيلة — لتسهيل ما يلقونه من مصاعب ،

وفي البحر آلاف كأن عبابه وأمواجه مشحونة بالمراكب .
بني وطني ، هل يقظه بعد رقدة وهل من شعاع بين تلك الغياهب

وعلى الجندي يصور هجرة اليهود بالداء النازل بالجسم السليم ، وبالجراد الذى يأتي على الاخضر والهشيم :

صهيون داء أساة الداء ترهبه لاتعدلن به سلا ولا جربا ،
وهو الجراد اذا انحنى على بلد رعى ازاهيره واستأصل العشبا :
ارجاله في فلسطين اذا بقيت - لا قدر الله - ساء الشرق منقلبا ،

واختتم مقارناتي بين اسلوب الادب الخاص والادب العام في قضية فلسطين بمثال له أكثر من مغزى :

فقد كتب الدكتور سيد نوفل في كتابه « السياسة العربية في مقاومة أهداف الصهيونية واسرائيل » ، (يونيه ١٩٦٣) فصلا عن دور المرأة العربية في قضية فلسطين قال فيه :

« ودخلت المرأة العربية ميدان الدفاع عن فلسطين . ومن اجل القضية العربية الاولى دعت رئيسة الاتحاد النسائي المصرى الى عقد اول مؤتمر نسائي عربي في التاريخ . وقد اشتركت فيه مندوبات عن سيدات مصر وسورية ولبنان والعراق وفلسطين والاردن ، واتخذت فيه مقررات تؤيد قضية فلسطين وكفاح الفلسطينين ومقاومة التقسيم ومعاونة الفلسطينين ماديا وادبيا » . وكان هذا المؤتمر في سنة ١٩٣٨ وقد وصفه الشاعر محمد الاسمر بقصيدة جاء فيها :

يا بنات الشعر غني واهتفي للنجيبات بنات النجب
زانهن الله بالفضل ، فما حلية من فضة او ذهب

وكســاهن مــن الآداب مــا دونــه كــل الثياب القشــب
قلت للقائــل « ودعهــن » : لا هــن في القلب فرحب رحــب
من حواه القلب لم ينأ وان حل في بغـداد او في حلــب
مصر ليست للعــدو الاجنبــي مصر ملك للحبيب الاقــرب

وبعد فقد بقى ان اشير سريعا الى بعض المجالات الاخرى في الأدب الفلسطيني وانا ادرك ان كلا منها جدير بعدد من المتحدثين ٠ فاذا اوجزت فانما اوجز خضوعا لقيود الزمن ٠

فهناك القصة والمسرحية ، وفيهما من الادب الفلسطيني وفرة وافرة٠ ولولا حذرى من ان اغفل بعض الكتاب لعددت العشرات منهم ، ولكنني لا استطيع ان اغفل اسم يوسف السباعي ٠ وعلي احمد باكثير وبرهـان الدين العبوشي ، وحنا بن راشد ، وعبدالحميد جودة السـحار ، وهلال ناجي ، وبديع حقي ٠ وقد فاز الدكتور بديع حقي ، منذ سنوات ، بجائـزة الدولة التشجيعية في القصة من المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ، وذلك عن مجموعة قصصه عن فلسطين ٠

ومما هو جدير بالتنويه ان هذا المجلس ، منذ عشر سنوات ، يقيم فى كل عام مسابقات ادبية عن فلسطين ، في المقال ، والبحث الموجز ، والقصة القصيرة ، والمسرحية ذات الفصل الواحد ، والشعر ٠ وتـرد اليه مئات النصوص ، ويفوز في كل فرع من هذه الفروع من المتسابقين ٠ كما ان نادى القصة ، في مسابقاته السنوية تتقدم اليه قصص عـن فلسطين ٠

واريد ان انوه كذلك بالبحوث العلمية التي تكتب عن أدب فلسطين بمفهوميهالخاص والعام ٠ فهناك عدد ليس بالقليل من انتاج الاساتذة وطلاب الدراسات العليا ٠ واذكر على حذر من النسيان وخوف من الاطالة بعضهم مثل الدكتور ناصر الدين الاسد ، والدكتور محـمد طلعت الغنيمي ، والدكتور صالح الاشتر ، والدكتور عبدالملك عودة ، والدكتور راجـي

الفاروقي ، والدكتور عبدالحميد متولي ، والاستاذ محمد عزة دروزة ، والاستاذ كامل السوافيرى •

وهناك الادب المسموح في الاذاعة الصوتية والمرئية ، وهو ادب يصل الى عشرات الملايين من الناس ، ولا يمكن ان تنافسه في ذلك مطبعة أو ناشر • وقد جمعت من الاذاعة المصرية بيانات تذهل ، في كميتها وتنوعها ، سواء في البرنامج العام ، أم في صوت العرب ، أم في برنامج مع الشعب ، أم البرنامج الخاص باذاعة فلسطين وفي كل من هذه البرامج ، الاحاديث التي يعدها المتحدثون المتخصصون ، والتعليقات والندوات ، والتمثيليات ، والاناشيد ، والاغاني • وكل نوع من هذه الفروع جدير بالدراسة والتنويه ، ولكن ابهر ما وقفت عليه من البرنامج المسمى « بلادنا لنا » وهو يتناول بالتعريف كل قرية أو مدينة بفلسطين ، ويبرز معالمها الطبيعية، ويتحدث عن نضالها ، كما ان الى جانبه برنامجا باسم « فداء فلسطين » يتناول اسماء الشهداء واعمال البطولة •

واخر ما اختتم به كلمتي هو الاشارة مرة أخرى الى ان الادب السياسي ـ غير محدود بالمقالات والتحقيقات الصحفية ـ بل اضمنه الادب السياسي الرسمي ، فهو عنصر هام في حياة قضيتنا الكبرى ، فالتصريحات والخطب والبيانات التي يدلي بها رؤساء الدول العربية وملوكهم ، ورؤساء الوزارات والوزراء ، والخطب والمناقشات وكل ما يتصل بها ـ كل ذلك رصيد ادبي ضخم ، ذو شحنة قوية فعالة في خدمة القضية الفلسطينية ، سواء في ذلك مجال النوعية العربية نفسها ، بابقاء الشعلة متقدة لتضيء لابناء العروبة ، وكذلك مجال الدعوة والاعلام لمن يجهلون او يتجاهلون حقائق الوضع العربي الفلسطيني ، بابقاء الجذوة ملتهبة لتحرق كل من يجترىء على حقوقنا او يساعد في هذه السبيل •

ان البيان الذى القاه في مجلس الامة ، في الاسبوع الماضي ، السيد علي صبرى رئيس الوزراء بالجمهورية العربية المتحدة ، عن الازمة مع المانيا الغربية ، هو من الادب السياسي المتصل بصميم قضية فلسطين ، وان

الخطب والتصريحات التى صدرت عن الرئيس عبدالسلام عارف ، بصدد فلسطين ، هى كذلك من الادب السياسي الذى يأخذ مكانه في التاريخ لادب هذه القضية .

وقد نشر في القاهرة مجلد يضم مقتبسات من الادب السياسي الفلسطيني . جمعت من أقوال الرئيس جمال عبدالناصر . ولا يليق ان انتقصها قدرها باقتباس شذرات قصيرة منها ، فهي مجموعة جديرة بالقراءة المتئدة ، والدرس الفاحص ، على حدتها . وحسبي في بيان قدر هذه المجموعة انها تدل على أن مؤلفها قد صدر فيها عن ايمان يكفي في الدلالة على مبلغ رسوخه وعمقه انه لم يخطب خطبة ، أو يصدر بيانا ، أو يعط حديثا لصحفي عربي او اجنبي ـ ايا كان موضوع الخطبة أو البيان أو الحديث ـ الا سلك فيه سبيله الى قضية فلسطين .

فسواء كان يخطب في مصر أم في سورية ، في القاهرة أم في دمشق ، في الاسكندرية أم في اللاذقية ، في بور سعيد أم في حلب ، في الاتحاد السوفييتي أم في الهند ، في تونس أم في الجزائر ، في القوات المسلحة أم الجمعيات التعاونية ، في العمال أم في الطلاب ، في مصنع المطاط أم في الكشافة ، في مجلس الامة ام في المجلس التشريعي لغزة ، في الاحتفال بعيد الثورة أم الفلاحين حين توزيع الاراضي على المعدين ، في اعلان الدستور أم مجلس اتحاد الدول العربية ، في الازهر أم في الكلية الحربية ، في مؤتمر المحامين أم في مؤتمر الصحفيين في عيد النصر أم في الاحتفال بالسد العالي ، في توزيع الجوائز العلمية أم في المهرجان الرياضي ، في الامم المتحدة أم يوم يعلن قبوله لترشيح الامة الاجماعي لتجديد رياسته للجمهورية ـ سواء في كل ذلك ، وقبل كل ذلك في كتابه الاول « فلسفة الثورة » ، وفي وثيقته التاريخية « الميثاق الوطني » ـ لا ينسى فلسطين الحبيبة ، فلسطين السليبة الابية ، فلسطين العربية ، التي قال عنها في كتابه لرئيس أمريكا السابق كندي :

« اسمحوا لي ان اضع امامكم هذه الملاحظة التالية ، لعلها تساعد

مترابطة على توضيح صورة سريعة للمشكلة :

« لقد اعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان ــ من لا يملك ومن لا يستحق ــ بالقوة والخديعة ، ان يسلبا صاحب الحق الشرعي حقه ، فيما يملكه وفيما يستحقه . تلك هي الصورة لوعد (بلفور) الذي قطعته بريطانيا على نفسها ، واعطت فيه من أرض لا تملكها ، وانما يملكها الشعب العربي ، عهدا باقامة وطن قومي يهودي في فلسطين . وعلى هذا المستوى الفردي ، فضلا عن المستوى الدولي ، فان الصورة على هذا النحو تشكل قضية واضحة ، تستطيع أي محكمة عادية ان تحكم بالادانة على المسئولين فيها » .

سيدي الرئيس ، سيداتي وسادتي ،

اشكركم على تفضلكم بالاستماع ، واعتذر عن الاطالة عليكم ، وعن الايجاز في الموضوع المترامي الاطراف .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور محمد مهدي علام

الجمهورية العربية المتحدة

دور الأدب في معركة فلسطين

بقلم

سميرة عزام

لفلسطين من بين موضوعات هذا المؤتمـــر موضوعان ، ونستطيع ان نقول تجوزا ان لها كل الموضوعات ، فانفعال الواقع القومي بنكبة فلسطين قد حرك كل هذه المخاضات والتحولات التي فرضت منطلقا جديدا للوجود العربي ، وفرضت بالتالي ان يكون الموضوع العام للمؤتمر وتفريعاته هي المحاور الفكرية للمجتمع العربي الحديث •

ولست اريد من هذا الموضوع الذى اخترته او اختير لي ان اتوسع لاصل الى تحديد الترابط العضوي بين هذه جميعا وبين موضوع فلسطين ، ولا ان اتوسل الى الحديث عن دور الادب مستقبلا بمقدمة تتناول ما تركته النكبة في أدبنا من ملامح ، فلهذه موضوع مستقل ، ولـكنني على أيـــة حال لا استطيع ان اخلص لموضوعي دون توطئة قصيرة •

دور الادب في معركة فلسطين واستعمال كلمة معركة هنا بدلا من كلمة قضية يحمل في تضاعيفه ايحاء قائما على حقيقة الشعور بان حتمية المعركة قدر من اقدار هذه الامة تمتحن فيه اصالتها وجدارتها بالحياة • وبقدر وعينا لهذه الحقيقة ينبغي ان يأتي انفعالنا بها • ومن هذا العمـــل الانفعالي تتفجر الوان التعبير عن ملامحها •

ان الفرق النوعي في النظرة والاحساس والفكر الذى يجب ان تفرضه طبيعة الانفعال بفلسطين كنكبة قائمة ، والانفعال بالقضية كمعركة حتمية ، يفرض علينا الوانا من الاستجابة لا تقتصر على اطراح التفجع والنـدب فحسب ، بل تقتضي حسا شموليا ونظرة استشرافية لا بد للفكر وللادب من ان يعانيهما ليصح اعتبارهما أداة من ادوات المعركة ، أداة تحمـــل في تضاعيفها التنويه بوزنها وقيمتها الذاتية •

لو رجعنا للمظاهر الـكبرى التى تناولها الادب منذ النـكبة حتى اليوم لرأينا ان الحصيلة كانت عموما هامشية تترنح في الظلال ، او تترجم فورات آنية تقول ما لديها ثم تنطفىء فكأني بصاحب الاثر لا يرمي الا الى التدليل مرة أو مرتين على انه ليس غائبا عن قضية من قضايا العصر الكبرى ، وليس حظ لون ادبي بأفضل من حظ لون آخر ، فما يثبت من مئات القصائـد لا ينهض شاهدا على فضل الشعر ، وما يصح اعتباره رواية بالمفهوم الجدي للـكلمة يضيع في ثنايا روايات وقعت في مفازات التسطح ، ولا ندري بماذا يمكن ان نعتذر عن القصة القصيرة ، أما البحوث فاننا لو اسقطنا من الحســاب تلك الابحاث التي توسل بها اصحابها لنيل درجة علمية ، أو التي قامـت أصلا غاية دعاوية ، لرأينا ان الفـكر كان شبه غائب عن هذه القضية .

نقول ذلك ونحن نعلم ان التعميم قد جار على بعض الاعمال الاصيلة وفوّت علينا فرصة التنويه بكتاب وشعراء عاشت القضية في وجدانهم ووسمت أكثر انتاجهم بميسمها . ولـكن النسبة تظل في النتيجة دون هذه القضية بابعادها السياسية والانسانية الخطيرة .

بوجه من نفجر الاتهام ؟ يبدو ان التعقل يستلزم الا تكون ادانة قبل ربط النتائج بالاسباب في شيء من روية التحيل وهدوء النظرة .

ان فترة ما بعد النـكبة بما طرحته من تبدلات جذرية في السياسات والـكيانات والمجتمعات قد مست فيما مسته وضع الادب عامة ، وفرضـت عليه ان يتفاعل مع ما حوله فيقوم بتجارب يستخلص منها قيما جديدة ، ويبحث لنفسه عن شخصية جديدة في المضامين والاشكال ، فما اصـــاب الناحية العامة لا بد وان يظهر ايضا فيما يتصل بقضية فلســـطين من آثار أدبية . وقد لا يكون من الحق ، ونحن نعـــترف بان الفترة كانت فترة تجربة وانصهار ، ان نطمع باكثر مما يمكن لطبيعة الفترة ان توفره ولـكن دون الشطط في الاتكاء على الظروف كعذر اتكاء يحول بيننا وبين عمليـة رصد لهذه الملامح التي برزت لنتمكن من سبر امكاناتها ، وتحديد القسط الذى يمكن ان ينهض به الادب في المعركة .

وقد يكون منطقيا هنا ان ابدأ بالاديب الفلسطيني بين ادباء العـــرب

فأتساءل الى أي مدى توافر على الانفعال بالنكبة ، وهي نكبة اولا ، والى اي مدى استطاع ان يكون أصيلا وشموليا في وسائل تعبيره ؟

يبدو لي هنا ان سؤالا معينا يفرض نفسه بقولنا وهل كانت هنالك في فلسطين قبل النكبة حياة أدبية بالمعنى الكبير لهذه الكلمة ؟ الواقع ان خروج البلاد من الحكم العثماني ، وهي فترة تتسم بالانحطاط الفكري في اجزاء الوطن العربي عامة ، لتبتلى بالانتداب البريطاني وما انطوى عليه من نوايا التوطين الاسرائيلي قد واجه البلاد بوضع يعتبر معه الفكر والادب ترفا لا ينال . ولقد كان الشعر بحكم طبيعة ارتكازه على اللحظة الانفعالية أكثر حظا بالبروز من غيره من الوان الادب ، ولقد كان في فلسطين شعر وشعراء قالوا في المناسبات القومية ، وتركوا لمعارك الاهلين مع السلطات ، ولمآثر ابطال الجهاد ، سجلا حافلا ، ولكن القصة والرواية بمفاهيمهما الحديثة لم تكونا لونا أدبيا متداولا ، ثم حلت النكبة لتشرد من الاهلين من شردت ولتفرض مرحلة ذهول تأرجح فيها الفلسطينيون بين اليأس والاحساس الكلي بالضياع ، وكان طبيعيا ان يشعر الادباء بعقم الكلمة في موقف اهدرت فيه كل القيم فسكت بعضهم يأسا وسكت البعض الآخر انشغالا بمطالب العيش في الاماكن التي نزحوا اليها ، وخضوعا لتحديات تتصل بشؤون حياتهم اليومية وحياة اسرهم ، أو لوجودهم في بيئات تحرم عليهم اصلا الكلام في قضيتهم لانها تعتبر ذلك كلاما في السياسة .

وفي فترة ما بعد النكبة كانت بعض المواهب الفلسطينية الناشئة قد استكملت بعضا من أسباب النضج ، وقد اتاح لها انفعالها بالحياة العربية الجديدة واتصالها بمرحلة التجارب ان تكون أقل يأسا واكثر انفتاحا . وان تستمد قيما لا تلغي أهمية تحريك المشاعر عن طريق تصوير النكبة شعرا ورواية وقصة تصويرا حمل شيئا من ملامح الاصالة توفر له من المعاناة الشخصية ، والتصاق هؤلاء الادباء التصاقا اوثق بطبيعة المأساة الا ان انفعالهم بالحياة في البيئات الجديدة قد زجهم في دوامة من القضايا صرفتهم عن التماس موضوعاتهم من المعاني المباشرة للنكبة ، كما ان الحس الشمولى

والاستبطان الذى يلم بشتات الابعاد ظل مفقودا ، وظلت النكبة وظلالها أكبر بكثير من كل ما قاله ابناؤها مجتمعين • فهل وفق غير الفلسطينيين ـ وقد كانت ظروفهم أفضل على أية حال ، ـ حين قصر اؤلئك عن الانصباب انصبابا زخما في مسارب القضية ؟

الواقع انهم ، نقول ذلك دون ان نلغي من الاعتبار فترة التجربة التي اشرنا اليها ، لم يكونوا احسن حظا ، كان ضعف التمثل للتجربة واضحا في أكثر ما كتبوه ، وكانت آنية الاستجابة لا توفر أكثر من نزوات أدبية تفتقر الى الرؤيا الصحيحة أو المعاناة الحق ، وكان سوء الفهم العام للنواحي السياسية أو الاجتماعية للقضية يفضح نفسه في ثنايا العمل الادبي لدى بعضهم •

وكنا نتساءل ونحن نرى الصهيونية العالمية تنشط على كل الصُعُد ، ولا تستثنى الادب بل لا تقصر في شراء الاقلام والمواهب ، الم يكن حجم النكبة كافيا بحيث يهز أدباءنا وفنانينا العرب هزا ويدفعهم الى الدوران في فلكها فلا يكتفوا بتناولها من بعيد أو بشكل جانبي لا يقرب الجذور ولا يتعمق الاشياء ؟

ومرة أخرى انبه الى ان هذا الحكم يحتمل بعض الاستثناءات ولكن هل نستطيع ان نعتبر قصيدة تقال أو تنشر ، أو رواية تعرج تعريجا هامشيا على قضية فلسطين ،او فصلا في كتاب اسهاما حقيقيا في القضية ؟

نحن لا نريد ان نغمط أصحاب هذه المنجزات ما انجزوه ، ولا صدق عاطفتهم فيما قالوه ، ولكن الابعاد التي نريدها لمعالجة هذه القضية اوسع بكثير مما استطاعت هذه المنجزات ان تبلغه •

ان التفاعل الحقيقي بين القضية وبين الاديب العربي ما يزال بعد سبعة عشر عاما من قيام النكبة ، وبعد توفر المنظور الذى يتيح شيئا من هدوء التأمل ويفرض نوعا من عمق الانفعال غير المتعلق باهداب الآنية ، ما يزال غير قائم • ولا ارى أسباب قيامه مهيأة الا عبر ظروف غير التي نرى ، ظروف يستطيع الاديب اذا كان مستحقا اسمه ان يسعى لتوافرها ليكون شاهدا حقا

من شهود القضية الكبرى ، وقد يحسن ان نجمل هذه الظروف في نقاط أهمها :

١ ـ تبصّر الاديب العربي عامة والفلسطيني خاصة بنواحي النكبة وابعادها والتفاعل معها بشكل اوثق •

٢ ـ اتاحة المجال له لمشاهدة اثار النكبة واننا لنتساءل كم واحد ممن عرضوا للمخيمات في اعمالهم قد عرف هذه المخيمات وراى كيف تأسن الحياة فيها وتتحول القضية بسياسة مرسومة في الخارج ، ومدسوسة في رغيف الاعاشة ، من قضية وطن الى قضية لقمة •

٣ ـ ارتفاع الاديب العربي فوق الاحداث القصيرة التي يتأثر بها من تصرفات فلسطينية فردية لا يمكن الا ان تظهر في كل مجتمع انساني يضم انماطا شتى من النفوس والاتجاهات ، تصرفات قد تنجح في ان تحجب عن الاديب الرؤيا الشاملة لطبيعة المشكلة الاساسية في حين يتوجب عليه ان يرتفع عن التأثر بها •

٤ ـ عدم قصر أحساس الاديب بالنكبة على مناسبات معينة بل تعدو القضية لديهقضية معايشة يومية ، والواقعانا لا نطلب شيئا يعجز الاديبالحق فان تجاوبه يجب ان يتم ابدا على نطاق الاحساس الشامل لا بمشكلة فلسطين فحسب ـ وان قدمت في نظرنا على غيرها من المشكلات ـ وانما بجميع قضايا التحرر في العالم •

٥ ـ اعادة الايمان الى النفوس بجدوى وقيمة الادب كعامل من عوامل قضية ما يبدو ان القوة هي الحل الامثل والوحيد لها ، في حين ان طرح اى عمل ادبي يجعل المشاعر متوفزة بشكل يسهل تعبئتها وتوجيهها في طريق الحل الذى تبدو القوة عامله الوحيد •

ان فقدان الايمان بقيمة الادب في المعركة يوازي في خطأه ظن الاديب بان كونه صاحب قلم يجعله يطمئن الى انه أدى دورا يساوق في شرفه دور مجند يموت في الساح • ان الرصاصات التي مات همنجواى وهو يحمل آثارها في الحرب الاهلية الاسبانية خير شاهد على بطلان هذا الشعورالخادع، ولماذا لا نتناول اسما وثيق الارتباط بالموضوع هو الشاعر الفلسطيني

عبدالرحيم محمود صاحب قصيدة (ساحمل ، روحي على راحتي) ، والذى حمل روحه فعلا ليقضي في معركة من سلسلة المعارك التي نشبت في ثورة ١٩٣٦ •

٦ ـ ان يكون للاديب العربي وضع المفكر بحيث يستشرف ويوجه ويحمل في تضاعيف أدبه ايحاء بما يجب ان تكون عليه المعارك السياسية فاذا قبلنا هذا الفرض وجدنا ان الاديب يحمل ارهاصات نبوءة ، ويعكس احساسات جماعية تستطيع السياسة ان تستهدي بها في رسم خطط الحاضر والمستقبل •

فاذا كانت هذه هي العوامل لا يمكن ان يقوم بدونها أديب في مستوى القضية وجدنا مسوغا لذلك التساآل المتكرر عن واقعنا في الادب القومي من هذا الافق الرحب •

فاذا كنا واقعين بحيث نعترف اننا دونه بكثير ، فان علينا في الوقت نفسه ان نقر ان بلوغه لا يتم دون التكامل بين عنصرين لا يقوم احدهما دون الآخر ، المادة الخام ، وتتمثل في الاديب ، والظروف وتتمثل في المجتمع وما يقوم فيه من نظم ومؤسسات رسمية واهلية •

لنفرض انه وجد الاديب الحق ، وان هذا الاديب قد استطاع ان يطرح عملا جديرا بالحياة ، فما هي ردود الفعل التي يلقاها في مجتمعاتنا ؟

اذا كان حسن الحظ وجد في أحسن الظروف ناشرا يطبع له الفي أو ثلاثة آلاف نسخة يتداول نصفها الادباء هدايا ويضيع نصفها الآخر في المستودعات فكيف يمكن هنا للعمل ان يخرج الى النطاق الشعبي ليلعب دوره كعامل من عوامل التعبئة اذا لم تتصل أسباب حياته بوسيلة نشر شعبية كالسينما أو التيليفزيون أو الراديو ، ولم يعرف طريقه الى الرأى العام العالمي عن طريق الترجمة والرقوق السينمائية ؟

لا يمكن بهذه البساطة ان نرى القضية من زاوية واحدة ، زاوية الاديب فحسب ، فالمؤسسات ـ بنسبة أكبر من تحمل روح المسؤولية ـ مطالبة بحمل العبء • فالجهد الفردى يظل فرديا اذا لم يجد له متنفسا من خلال ما تملكه المؤسسات من وسائط •

ان الحكومات ، ومعها جامعة الدول العربية ، وما ينهض وراء الحكومات العربية والجامعة من وسائل الاعلام والنشر والبث ، مدعوة الى الشعور بضرورة تسخير كل هذه الوسائل والامكانات لعملية تعبئة فكرية وروحية واسعة النطاق . عملية مدركة للاخطار التي تهدد الوجود العربي من اساسه ما لم تكن الجماهير العربية على مستوى الشعور بمسؤولية الدفاع عن هذا الوجود . عملية تحيط بالوسائل وتفيد منها وتستثمرها على احسن وجه ، وتترجمها على الصور التالية :

فرض القضية على مناهج المدارس والمعاهد والجامعات ، ووضع مقررات مدرسية للمطالعات تضم مختارات من الادب القومي الفلسطيني .

ـ رصد جوائز سنوية لتشجيع الدراسات وكتابة المسرحيات والروايات والقصص ودواوين الشعر وكل ما يتصل بالادب القومي .

ـ استكتاب اقلام تكتب بلغات اجنبية في موضوعات تتناول القضية الفلسطينية وتشرح نواحيها . وترجمة آثارنا الى اللغات الاخرى ، والعمل على نشر هذه الدراسات بحيث تؤدي الغاية منها .

ـ انتاج سينمائي تدور موضوعاته حول النواحي الانسانية لقضية فلسطين له من القيمة الفنية ما يسمح له بان يعبر الحدود ، واهداؤه للحكومات والشعوب الصديقة ، وتذليل أية عراقيل اقتصادية أو سياسية قد تنهض في وجهه .

ـ انشاء مراكز للبحوث العلمية في موضوع القضية ، ومساندة المراكز القليلة القائمة حاليا وتوسيعها .

ـ مساندة الصحف والمجلات والنشرات الدورية التي تحتضن قضايانا القومية بحيث تقوى على تطوير نفسها بصورة تستطيع معها استقطاب كتاب من مستويات فكرية رصينة .

ـ احتضان الادباء والمفكرين الاجانب المتعاطفين مع القضية الفلسطينية لتعويضهم عن الضغط والاضطهاد الذى يتعرضون له في المناخات التي تنشط فيها الصهيونية العالمية .

ـ استغلال عملية التبادل الثقافي مع الدول في تقديم الادب القومي

باطاراته المختلفة على غيره من الآثار •

ـ افساح المجال بصورة أكثر جدية في الاذاعات العربية المختلفة لما يسمى برنامج بحيث يتسع لتجسيد اعمال أدبية ذات قيمة تفلح في خلق التعاطف اللازم بين المستمع والقضية ، وكذلك استغلال التيليفزيون وتسخيره لعملية التعبئة المطلوبة •

هذه هي المقترحات التي تخطر في البال على ضوء ما نملك من وسائط ووسائل ، والافادة منها بصورة صحيحة وفعالة ترتبط دون شك بمدى ما تشعر الحكومات العربية انها جادة في الاعداد لمعركة •

فاذا ما رحب الافق أمام الاديب العربي وتحسنت الظروف بحيث تغدو موائية لخلق شيء ذي قيمة • ولم تحد العقبات السياسية والمادية من انطلاقه وجد انه مدفوع الى تكريس فنه لخدمة العمل القومي • ونحن في نهاية الامر لا نستطيع الا ان نعترف بانه انسان ذو مطالب ، وان تحقيق مطالبه يوفر له مناخا حياتيا على التثقف والانتاج ، فلا يذل قلمه ادلالا في النوافل ، ولا تدفعه حاجته المادية الى التماس الجزاء من جهات اجنبية تغدقه عليه على حساب كم فمه عن معالجة قضايا القومية •

سميرة عزام

دور الادب في معركة فلسطين

بقلم

عبد الله بن خميس

في انتفاضات الامم ، ومعاركها ، وبناء أمجادها •• للادب دور التكوين ، والقيادة ، والخلود •• وبقدر ما يكون الادب ناضجا ، وشجاعا ـ ومستوعبا •• بقدر ما تكون الامة ـ بمختلف اطوارها ـ في مستوى مسؤولياتها فهما وحصافة •• وقوة •• فيه تتفاعل افكار الامة ، وتتجسم مشاعرها ، وينداح أفقها ، ويلحب طريقها •• في دور التكوين •• وبه تحفظ توازنها ، وتصل حاضرها بماضيها ، وترسم خطط مستقبلها •• في دور القيادة •• وبه تنشر مآثرها ، ومفاخرها ، وتسجل صفحاتها المشرقة ، وايامها الغر •• في دور الخلود •• ولسنا في شك من ان أمثال فولتير ، وملتون وتوماس بن ، ورسو •• واضرابهم من رواد الفكر ، واعلام الغرب •• قد هيئوا لاممهم سبل القيادة والسيادة ، وانارو لها المسالك وشقوا لها مصاعب الطرق ، وعرفهم التاريخ بناة ، ودعاة ، وروادا •• قبل ان يعرف من أممهم قادة الحروب ، واقطاب السياسة وفقهاء القانون ، ونوابغ الاختراع ••

وان أمثال الكواكبي ، ومحمد عبده ، وابن عبدالوهاب ، والافغاني ، واليازجي ، والبستاني ، والبارودي •• وأضرابهم من نوابغ شرقنا العربي •• هم سر انتفاضة الشرق ، ومصدر يقظته ، وبدء مده ••

واذن فالادب جزء من كيان الامة ، ورافد من روافد حياتها ، وطاقة فاعلة تهبها الوجود والصمود •• وللادب العربي في قضايا العرب ، ومعاركها •• ما لم يكن للآداب الاخرى ، لا من حيث قوة تأثيره ، واستيلاؤه على عاطفة العربي ، ووجدانه فحسب •• بل ومن حيث دينونة العربي له ، وقوة استعداده لاحكامه ، وسرعة تأثره به •• نشأ هذا مع العربي منذ العرب البائدة ، وحينما وقفت عفيرة بنت عباد من جديس تنعى

على قومها استسلامهم للظلم ، وهتك الحرمات ، وتستعديهم على طسم فتقول :

أيجعــل ما يؤتى الى فتياتكــم   وأنتم رجال فيكم عدد النمــل
وتصبح تمشي في الدمـاء عفيرة   جهارا وزفت في النساء الى بعل
ولو أننا كنا رجالا وكنتـــم   نساء لكنا لا نقر لذا الفعــل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم   ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وان أنتم لم تغضبوا بعد هــذه   فكونوا نساء لا يعبن من الكحل

فكانت سببا لحرب طاحنة أبيد فيها طسم ، وغسل فيها عار جديس ..
ولم يزل الادب العربي يواكب معارك العرب ، ويذكي فيهم روح التضحية ، والفداء ، والاقدام .. ويحملهم على اجتناب العار ، والذب عن الديار .. تعقد له اسواقهم وتحفل به انديتهم ، ويحتفلون بشاعر ينبغ بشعره ، وخطيب ينبه ذكره ..

ولو استنطقنا الاسفار عن دور الادب ، في معارك العرب ، لنطقت بثروة زاخرة وكثرة كاثرة .. وجاء الاسلام ليجد مكانة الادب في أوساط بزوغ شمسه سامية ، وبضاعته نافقة ، وآثاره مستحكمة .. فكال لهم منه ولم يطفف ، وبسط لهم فيه ولم يبخل .. وجاءهم في القرآن بما عرفوه ، وما لم يعرفوه ، من سمو الفصاحة ،واشراق البيان ، واعجاز اللسن .. لانه اراد ان يخاطب العرب من أدق مواطن وجدانهم ، ومن حيث كان احتفالهم وعنايتهم ومصدار افتخارهم وهو الادب والفصاحة .. وجاء الى ميدان الحروب ، واستنهاض الهمم للمعارك ، وتعزية النفوس في النكبات والقروح .. فأبدع ، وامتع ، وصدع بقوارع ومقارع .. هي في الفصاحة غاية ، وفي تحريك الهمم فوق منتهى ما يصل اليه بيان ، وفي الحلاوة والطلاوة .. ما يرنح الذواقة ، ويخلب لب البليغ ..

وأفسح الاسلام المجال للشعر ، وأمده بفيض من روافد بيانه ، ومزيد من معانيه ، ومبانيه .. ليجد فيه لمعاركه سلاحا أقوى ، وزندا أشد .. فقال نبي الاسلام لشاعره حسان ، يحرضه على ثلب المشركين : اهجهم

يا حسان فان هجاءك اياهم اشد عليهم من ضرب السيف ورمي النبل .. فانطلقت قذائف الشعر من حسان ، وابن رواحة ، وكعب وغيرهم من شعراء النبي ، تسلق المشركين ، وتقض مضاجعهم ، وتلهب احساس المؤمنين ، وتغرس فيهم روح الجهاد والتضحية والفداء ..

وواكبت مواكب الادب قضايا الاسلام ، ومعاركه ، وفتوحاته .. وأسهمت في حروب الفتن في صدر الاسلام تذكى العقائد المتناحرة ، وتنميها .. ووجد الادب في حروب الرايات المتطاحنة ، من أمويين ، وزبيريين ، وهاشميين ، وخوارج .. مرتعا خصيبا راجت فيه سوقه ، وطغى ماؤه .. كما كان له في أتون هذه المناحرات دور المؤجج الحرد ..

ومضى الادب يساير التطورات ويتخذ منه السادة ، والقادة سلاحا يخشى ، ويرجى ، ومهمازا للاقدام والصبر في الملمات ..

قال معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه : لقد هممت بالهزيمة يوم صفين لولا أبيات لابن الاطنابة :

أبت لي همتي وابى بلائي	واخذى الحمد بالثمن الربيح
واقحامي على المكروه نفسي	وضربي هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت	مكانك تحمدى او تستريحي

وقفل الرشيد من حرب الروم منتصرا ظافرا ، قد أعطاه (نقفور) عهودا ومواثيق على السمع والطاعة .. وقبيل دخوله عاصمة ملكه ، ادرك حاشيته ان (نقفور) نقض عهده ، ولم يجرؤ على مكاشفته بالخبر ، فقدموا الشعر بين أيديهم ، ووقف الحجاج التميمي ينشد :

نقض الذي اعطيته نقفور	وعليه دائرة البوار تدور

قطعة شعرية رائعة اشتملت على الخبر ليكر الرشيد فيؤدب نقفور ، ويمرغ كبرياءه في الرغام .. ولم يزل الادب يتقدم المعارك ، ويؤم الابطال، وتنطلق به الالسنة ارتجازا عند اللقاء ، ويردده نساء العرب يغرين ويحملن به الرجال على الاقدام :

نحـــن بنـــات طـــارق نمشـــي على النمـــارق
ان تقبلـــوا نعـــانق او تدبـــروا نفـــارق
فـــراق غير وامـــــق

وما من معركة الا والشعر يسايرها ، يتقدمها بالتحريض والاغراء ، ويأتي بعدها للتهاني ، أو للتعزية والسلوان •• ومن ذا ينكر مواقف ابى تمام مع المعتصم في فتح عمورية وسواها •• والمتنبى وأبى فراس مع سيف الدولة •• والبهاء زهير مع صلاح‌الدين •• وكذلك يفعل الادب في معارا العرب ، وايامهم ونكباتهم ، وانتصاراتهم ••

هذه حال الادب العربي في اوساط العرب ، وبين من تربهم وشائج القربى ، وأواصر اللغة ، وروابط الوطن ، وصلاة العقيدة •• أو مع من هو قرن للعرب اصالة ومجدا وكفاءة وسمو غرض •• يلهب الاحاسيس ويؤجج الثورات ، ويستعدى قرنا على قرن ، وموتورا على واتر ••

وما شهد الادب في تاريخ العرب ــ وربما في تاريخ غيرهم ــ أبشع ولا افظع مما ابتليت به الامة العربية في نكبة فلسطين •• كانت تتنفس الصعداء بعد قرون عجاف قضتها تحت ظل الاستعمار وويلاته ونكاياته •• وتتجمع بعد فرقة ، وتلتئم بعد شتات ، وتدب فيها روح الحياة واليقظة •• وتحاول ان تفصم القيود •• وتتخطى السدود •• وكانت لا تزال في عقابيل، أدواء ، ونقاهة أمراض تقعد بها عن بلوغ امانيها ، وتعوقها عن سيرها في طريقها السوي •• فالوعي في سوادها لم يستكمل ، والوحدة في صفوفها لم تنضج ، والجدة في امكانياتها لم تتوفر •• والاكثر من اجزائها لـم يتحـرر ••

وكان الاستعمار ــ وهو مصيبة الامة العربية وداؤها الوبيل ــ يرقب حركاتها بحذر ، ويسبر يقظتها بتخوف •• ويخشى من انطلاق المارد ، وانتفاضة الجبار •• في ظلال وحدة لغة حية ، وعقيدة خالدة ، وتاريخ حافل بالامجاد •• وآمال عريضة ، وآلام مضنية ، وعلى رقعة وطن يمتد من المحيط الى الخليج ، يجثم على ملتقى بحار ، وتتصافح به القارات ،

ويفيض بالخيرات والامكانيات •• تحتله أمة عرفت بماضيها المجيد ، وذكائها النادر ، وعقيدتها الموحدة ، وجوهرها الصافي الاصيل ••

وما أخال أمة هذا شأنها ، تتوفر فيها هذه الصفات وتملك هذه المقدرات •• تستيقظ وتستغل طاقاتها ، وتأخذ مركزها الطبيعي بين الامم •• ثم تترك للاستعمار فيها أثرا ، او لمصالحه منفذا ، او لركائزه وجودا ••

ومن هنا قلق الاستعمار ، وأراد ان يعوق سير الركب ، ويضع العراقيل ، وينشر الفساد والافساد •• ويزرع جرثومة السرطان في جسم الامة العربية •• فجاء باسرائيل ، ووضعها في قلب الامة العربية ، وحاك حولها من المبررات ، والحيل •• ما أراد به ان تسمو وتنمو •• ودعمها بالمال والسلاح ، واسندها في المحافل الدولية •• وصادق من يصادقها ، وعادى من يعاديها •• ولماذا اليهود بالذات ؟!

لانه يعلم العداء المستحكم ، والبغضاء المتأصلة ، والحقد الدفين الذي يحمله اليهود للعرب والمسلمين •• أخذا عن القرآن : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنو اليهود » •

وعن التاريخ ، وعن الواقع ••

فاتحدت المصالح الاستعمارية اللئيمة ، والصهيونية الغادرة •• فتضافرت قوى الشر ، وتعانقت رغبات الباطل ، وانطلق السرطان يعبث في الجسم ، ويشتد في الاذى •• فكانت النكبة ، وكان تشريد مليون ونصف من العرب يهيمون على وجوههم ، وكان القتل والفظائع والفضائح ، وكان احتلال اجزاء عزيزة غالية من الوطن العربي ، وكان خضد شوكة الامة العربية ، وهزيمة جيوشها المتعددة ، من مشردي وشذاذ العالم •• وكان الاسى والالم الممض في قلب الامة ، وكانت صفحة سوداء في تاريخ العرب لم يسبق لتاريخهم ان لطخ بمثلها •• وعلى يد من ؟!

ليته على يد أقران للعرب ، أو أكفاء لهم ، لتهون المصيبة ويخف العار •• ولكن ما أشد ألم العربي حينما يهينه مهين ، ويعبث بتاريخه زنيم ، انه يقول في مثل هذا الموقف :

لوذات سوار لطمتني !!

أو :

ولو أني بليت بهاشـــــمي | خئولته بنو عبد المــــــدان
لهان عليّ ما ألقى ولكـــــن | تعالوا فانظروا بمن ابتـــلاني

ومن ذا أحط وألأم وأحقر من اليهود ؟!

لقد ضربت عليهم الذلة ، والمسكنة ، واحتقرهم العالم •• وعدوهم أوبئة يجب التخلص منها •• ولقد تساءل بعض المؤرخين : لماذا سبى بختنصر يهود فلسطين الى بابل ، ولم يسب غيرهم ؟!

ولماذا قتل الالمان يهود اوربا وأحرقوهم ، ولم يفعلوا ذلك بغيرهم ؟

فأجاب ، بأن القضية لا تحتاج الى جدل أكثر من ان كل من يخالط اليهود يراهم صنفا خبيثا من المخلوقات غير جدير بمعايشة بني الانسان ، ومن ثم فلم يوجد لهم علاج الا السجن والقتل •

فالصفة الاولى لهم الغدر ونقض المواثيق ، فما احتفظوا بعهودهم ولو مرة واحدة •• وفي هذا يقول القرآن :

ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ••

وصدق الله لقد بلغ مجموع حوادث نقضهم للهدنة ـ المشئومه مع العرب ـ الفا ومائة مرة في المدة الواقعة بين سنتي ٤٩ ـ ٥٥ •

هذا مما كان •• وهل هذا فحسب ؟!

لا : ان ما كان من هذا الواغل المهين ، الذي يسود الحـــقد قلبه ، وتتجسم الثارات والذحول السود في نفسه •• لا يعني نكبة كانت فبانت ، ولا عدوا شفى غيظ قلبه وانتهى •• ولـكنها تعتبر بداية لنهاية هى طـي صفحة العرب من عالم الوجود ، وابادة خضرائهم ، وجعلهم أثرا بعد عين •• فالمخطط الصهيوني لم يعد سرا من الاسرار ، فعناصره تتكون مما يلي :

١ ـ احتلال ما بين النيل الى الفرات وجنوبا الى يثرب •

٢ ـ تدمير الامة العربية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا •

٣ ـ خدمة المصالح الاستعمارية وتثبيت اقدام الاستعمار في البـلاد العربية متخذا اسرائيل قاعدة عسكرية له ..

على هذه الفظائع والفضائح .. فتح الادب العـربي عينه ، وعاش أحداثها ،واكتوى بنارها ، وصلى بأوارها .. ومهما كان موقفه تجاه هذه القضية ، ومما جند نفسه في سبيلها .. لم تزل تطالبه بالمزيد ، وتصرخ ثاراتها ، وتندب قروحها ، وتدمى جروحها ..

والمؤسف ان الادب العربي ـ بالنسبة لقضية فلسطين ـ لم تـكن له شخصية مميزة قبل النـكبة .. وحينما كان الصراع سياسيا وحربيا بين العرب الفلسطينيين ، وبين اليهود والاستعمار الانكليزي داخل حـدود فلسطين .. لقد رأينا شعراء فلسطين يقفون وحدهم في تلك المعركة القومية الحاسمة ويصارعون قوى الاستعمار ويحاولون ان ينبهوا في الامة العربية روح اليقظة لعدو الجميع .. ولـكنا لم نجد استجابه فعلية يمكن ان نقول عنها انها ساهمت فيما قبـل النكبة .. اللهم الا بعض أدباء العرب الذين كانت لها لمحات لا يمكن ان نعتبرها موقفا لادب قومي أمام قضية العرب جميعا .. وتستهدف استئصالهم من الوجود .. في حين ان الادب يجب ان يسبق الحوادث ، ويتحسس المستقبل ، وتكون له بصيرة تخرق الحجب ، وتمزق الظلام .. ليهيء الافـكار ، وينبه من الغفلة ، ويوقظ من السنة ، ويعد الامة لما أريد بها ، ومنها .. لهذا وقعت القضية والرأى العام العربي غير مطلع لحقائقها ، ودقائقها ، وغير مدرك من هم اليهود وما مخططاتهم تجاه الامة العربية جمعاء ، ومن هو من خلف اليهود ويعمل لهم ويدفعهم ، وبالتالى لم يكن الفـكر العربي معدا اعدادا مركزا للعـمل لقضايا العرب جميعا كأمة واحدة ، وكيان واحد ، يتأثر بكل ما يمسه في أي جزء من اجزائه ...

وأسمحوا لي أن أقول : انه لو كان الرأي العام العربى معبئا تعبئة كاملة ـ بالنسبة للقضية ـ لما وقع ما وقع من مهازل وانحرافات في حـرب فلسطين في الجانب الغربي ، وكان لهـا أسوأ الاثـر ـ الا على القضيـة

فحسب ـ ولـكن على التاريخ العربي ، ومعنوية الامة العربية ••

وأي قوة تعبىء الرأى العام في معارك الحياة سوى الادب ؟!

اما يهود العالم فكانوا من اول وهلة يعدون قضية اسرائيل قضيتهم جميعا •• فكانت وقفتهم مع صهاينة فلسطين أكثر تضحية من وقفة العرب مع ابناء فلسطين •• وما ذلك الا لتعبئتهم قبل المعركة بسنين ••

اما بعد المعركة فقد اسهم الادب العربي بنصيب وافر ، وتفتق عـن ثروة أدبية لها مدلولها ومفعولها في الاوساط العربية ، بما لم يسبق لقضية من قضايا العرب قديما وحديثا ان قوبلت بمثل هذه •• على مغامز وهنات ، سوف نعرض لها بعد ••

ففي مجال النثر والتأليف •• تناولها حشد من الـكتاب والباحثين ، والمعلقين ، والمحققين •• فتناولوا القضية من جميع اطرافهـــا ، ودرسوا مقدماتها ، ونتائجها ، واسبابها ومسبباتها ، وافاضوا في ذلك ••• ولـم يقتصر هذا الجهد على الادباء العرب بل ألف من ألف في القضية من مراقبي السياسة ، ومتابعي تياراتها في العالم •• فقام بعض الادباء العرب بترجمـة بعضها ونشره ••

ومن أبرز وأمثل ما ألف في هذه القضية وجمع واستوعب ، وتعمـق دراستها •• الدكتور وليد القمحاوي في مؤلفه « النكبة •• والبناء » فهذا المؤلف قال عنه بعض من وصفه :

« عاش الدكتور القمحاوي النـكبة ، وذيول النكبة ، بجسمه وعقله واعصابه ، فافرغ خلاصة هذه التجربة المريرة في كتاب فريد يتجلى فيه أثر العقل كما يتجلى عمل الاعصاب •• ففيه درس ، وفيه تحليل ، وفيه نقمة ، وفيه سخط •• وفيه بحث عن الجـــذور التى ترقى الى العصور العربية الاولى •• » •

وبالجملة ففي مجـــال التأليف برزت ثـورة الـكتاب وبرز كتاب الثورة على مستوى هو ما هو قوة واستيعابا ••

وأسهم الشعر في القضية بما بز به جانب النثر ، وبما كان أكبـر

تأثيرا ، وابعد مدى •• وتفنن في تناول اطراف القضية ، واستيعاب جوانبها •• وتعددت مناهج الشعراء حيال المعركة •• فتناولوا ذكريات الجمال في مغاني فلسطين واخضرار الربى ، ومعاهد الصبا ، ونسائم السحر ، وفواغم الزهر ، والرمال الذهبية ، والرياض السندسية •• وشرحوا المأساة ، وشدة وقعها على العرب ، وما أعقبته من ويلات ، وعقابيل ، وندم وألم يترك قلب العربي يرشح أسى ، وعينه تبكي دما •••

وحثوا على الثأر والقاء اسرائيل في البحر ، وكيف ان العربي لا ينام على ضيم ، ولا يبقى على ترة ، ولا يترك لذاحل ذحلا ، ولا لاحمق حماقة ••

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ووصفوا حالة اللاجئين في اسمالهم البالية ، واكواخهم المتهدمة ، وقلهم وذلهم ، وظمأ نفوسهم الى اوطانهم ، والبكاء الثاكل ، والبؤس الماثل ••

وألحوا على ما فعلته الايدى الاثمة ، والنفوس الوحشية ، من رفع الاطفال على رؤوس الحراب ، وبقر بطون الحوامل ، وذبح الشيخ ، واقتحام عفاف المرأة العربية ، ومأساة بناة العرب في اسرائيل •• بما يعصر المهج ، ويفسح ساخن الدمع ••

ووقفوا امام دور العرب في حرب فلسطين ، وتخاذلهم ولعب أيدى المستعمر في القضية ، وتحكم الاغراض والاهواء •• وكيف ضاعت فلسطين من أيديهم :

عجبا لقومي والعدو بدارهم كيف استطابوا اللهو والألعابا
وتخاذلت اسيافهم عن سحقه في حين كان النصر منهم قابا

وان كانوا لم يتعمقوا هذا الجانب ، ولم يوفره حقه بما سوف نعرض له بعد •• وذهبوا كل مذهب في تناول جوانب المأساة •• وانا لذاكرون هنا أمثلة مقتضبة ، ومجة من لجة •• وما أراني لو انتقرت من كل روض زهرة ، ومن كل اسد زأره •• الا واقفا موقف الاملال ••

ولكنني استميحكم العذر لاختطف هذه الامثلة على رؤوس النمام من شعر الشعراء السعوديين فقط .. ففي مجال التذكير بالثأر الاسود يقول الشاعر فؤاد الخطيب :

هو الصوت دوى من فلسطين عاليا ... وأوغل يغشى الشرق والغرب باكيا
فهل سمعت منه العروبة من صدى ... وهل نشدت للعار بالسيف ما حيا
وان جبن الاحياء عن اخذ ثأرها ... هززت من الموتى الجدود الاواليا
ومرغت وجهي في الثرى الثم الثرى ... وصحت فحركت العظام البواليا
سل الصرخات الفاجعات فانها ... لقد زلزلت حتى الجبال الرواسيا
وجفت ثدى المرضعات من الاسى ... وامست ثدى المرضعات المآقيا
هي الجولة الاولى وللعرب كرة ... وغير بعيد كل ما كان آتيا
وقد عرفت عنا فلسطين أننا ... وان نحن فارقنا استطعنا التلاقيا

وللشاعر محمد على السنوسي :

هزو الجزيرة من أركانها حردا ... وأشعلوا الشرق من اقطاره غضبا
ان الحياة جهاد والجدير بها ... من غالب العاصفات الهوج والنوبا
واليأس أقتل داء.....في أمم ... تعاورتها الليالي فانثنت نصبا
فان من احكم الاقوال تجربة ... اعدت الراحة الكبرى لمن نعبا
وان ابلغ ما تمنى به فئة ... وقوفها ضد طغيان العدى شعبا

وللنداء بالثأر للاستاذ محمد المسيطير :

قلوب أهلي على الاوطان محدقة ... وعن فلسطين عين القوم لم تنم
بالثأر بالصيحة الكبرى تضج قوى ... بالنار امطرهم من وابل حمم
انا الذي اصنع التاريخ مهتديا ... بساطع الحق اجلو حندس الغمم
يا دولة قوم الباغون سطوتها ... وساقها الغدر من عاد ومن ارم
قد أوجب المجد ان نحيا على كرم ... وأوجب الله ان نبقى على شمم

وللشاعر سعد البواردى :

هل دمي يفديك ان سال دمي ... أو فمي يجديك ان قال فمي
نكبة تلقين يا أرضي فلا ... عشت للايام ان لم تسلمي

قسما بالله والعمر فدى حين لا تفديك روح المسلم
أقدمي للثأر فالشعب هنا كله في الثأر جند ، أقدمي
نحن لن ننساك هذا جمعنا زاخر كالموج فيك يرتمي

وللشاعر ابراهيم فطاني :

يا سلالات خالد والمثنى وابى محجن وسعد المهاب
قد تنادت بكم فلسطين هيا من سواكم أولى برد الجواب
دير ياسين روعت من فعال قد أتاها حثالة الاوشاب
ضمخوا الارض بالدماء وراحوا ينهشون الاعراض نهش الذئاب
يا بني يعرب ، ولستم بنيه ان رضيتم بعد اللقى بالاياب
اشعلوها على العدو فاما ميتة العمر او بلوغ الطلاب

وعن ظلم الاستعمار ، وخداعه واحابيله ، ونقمته على العالم العربي يقول الشاعر عبدالله السناني :

نفوس ولكنها وحدة وعقد ولكنه منتظم
ونحن هنا في جبال الشام ونحن هناك بسفح الهرم
ومن كان فوق ضفاف المحيط يصافح منا الربى والحرم
يباعدنا موطن قسموه ويجمع منا الهوى والالم

وفي هذا يقول الشاعر خالد الفرج :

يا شرق مالك هادئا مستسلما لعواطف أودى بها الاخلاف
أو ما ترى الغرب العتي بظلمه أنحى عليك فضاق منك خناق
تشكو اليه ظلمه فيش من هزيء ودمعك سائل رقراق
صم ولكن ان تكلم مدفع سمعوا وبان العدل والاشفاق

وفي تصوير المأساة ، وتجسيد الالم ، واحلام العودة ، يقول الشاعر محمد الشبل :

ماذا أقول وبين احضان الرمال أبث حزني
والى السكون سكون هذا الثغر اشدو بالتمني
وعلى خيال الموطن الغالي ومرتعه الاغن
تتنابى صور الكفاح وفي دمي الشكوى تغني

* * *

اليوم لا الغد يا بلادي سوف أرجع سيدا
كالنسمة البيضاء ينثرها على الزهر الندا
في موكب النصر المظفر فاتحا متمردا
اشدو الى الافق الحبيب وكل ما حولي صدى

* * *

انا لن ترى عيناى هذا العيد ان بقى الهوان
فوق البريمى أو فلسطين الحبيبة أو عمان
أو قطع المستعمر الباغي به حبل الامان
أو لاح في الآفاق شر من أراجيف الزمان
يشقى بها الانسان وهو يريد فيضا من حنان

* * *

فاذا ترنم بين احضان الورى طير السلام
وأفاق هذا العالم المحموم من ليل الخصام
وأطل ذاك الصبح وانتحرت شياطين الظلام
وتحطم الصنم البغيض غدا على صدر الرغام
فالعيد في أذني انغام وفي قلبي غرام

وفي أكواخ اللاجئين ، وفي بؤسهم ، وشقائهم ، يقول الشاعر صالح العثيمين :

بنفسي ابناءك التائهين حيارى جفاهم لذيذ الكرى
يهيمون كالوهم عبر الاسى كطيف الخيال اذا ما سرى
ودمدمة الثأر في عرقهم تكاد تهز أعالي الذرى
وعصف الفداء بارواحهم يكاد يضرم بطن الثرى

وعن ذكريات فلسطين ، واىامها الغر ، وما بدلت به رحابها من مقارنة المنكر ومعاطاة الآثام ، يقول الشاعر احمد فرج عقيلان ، واهو وان كان فلسطيني المولد فهو سعودى الاصل والهوى والنزعة :

وطني حبك ذمة لن تخفرا لا لن يعيش عليك شذاذ الورى
قالوا نسيت فقلت واثكل العلا اني اذا الاذل من وطىء الثرى
أنسى وحقلي نصب عيني ماثلا واللص يقطف سادرا متبخترا

ومساجدي عادت مجالس للطلى — فيها الندامى يقرفون المنكـرا
لا كنت من اشبال أسـد محمد — ان لم أثر دون العرين وأثـأرا
قم يابن يعرب نقتحم قمم العلا — فالصقر ليس يعيش الا في الذرا
عار على الابطال كهف مشـرد — فطبيعة الذروات تأبى الاجحـرا

واذا مرت بنا لمحات عابرة ، عن دور الادب في معركة فلسطين •• لا يفوتنا ان نستخلص بعض الجوانب الهامة التي يجب ان تقال عن أدب قومي معركة حياة أو موت بالنسبة لامة العرب :ـ

١ ـ ان انتفاضة الادب العربي ـ بالنسبة لهذه القضية ـ جـاءت متأخرة ـ كما قدمنا ـ بينما كان يجب ان يكون الادب الرائـد الذى لا يكذب أهله ، والقائـد الذى يرسم الخطط ، ويراقب العدو ، ومواطـن خدعه ، ومباغتاته قبل وقوع المعركة •••

ولعل للظروف القاسية التي كانت تمر بها الامة العربية آنذاك ، وليد الاستعمار الغاشمة التى تسيطر على معظم الوطن العربي وقتها ، وللتخلف الفكرى ، والوعى الجماعى ، ما يقوم سببا لما وقع ••

٢ ـ رغم هذه الانتفاضة الادبية بعد النـكبة ، وما حشـدته من جهود ، وحققته من انتصار •• الا اننا لا نبرئهـا من طابع السرعة ، وعامل الخطف •• اذا لم نقل الفجاجة •• حيث لم تتعمق المأسـاة ، وتستقص ذيولها وجذورها وتتفطن لاساليب واحابيل الصهيونية العالمية ، والاستعمار ، وما يحيكه من دسائس ، ويدبره من مكائد •• فقد أشيع ـ مثلا ـ عن الشعب الفلسطيني ان له يدا في وقوع النـكبة ، وانه اندفع ـ في بدايـة الامر ـ وراء مطامع اليهود ، واغراءاتهم في بيع ممتلكاتهم ، والاندفاع وراء شهواته •• وشاعت هذه المـكيدة وذاعت ، وامتلأت بها بعض الرؤس ، وأقرتها بعض الاوساط ••

وما هي الا مكيدة مدبرة ، ونكاية مدسوسة •• اريد منها تخـدير الجانب العربي ، وبث بذور البغضاء والفتـنة في صفوفه ، والمباعدة بين الفلسطيني وبين الاسهام بنصيب أوفر في تحرير بلاده ، وحجب الشـعب الفلسطيني عن خوض معركته ، وركون بعض النفوس الضعيفة الى هـذه

الدسيسة كحجة واهية •• بأن ما تم بما كسبته يد صاحب الحق الاول •• وما ذلك الا ضرب من ضروب التخدير ، ونوع من أنواع الخديعة واسلوب من أساليب الحرب الباردة •• التي يدبرها اليهود ••

فما رأيت الادب وقف هنا ، وقال كلمته ، وافهم الرأى العام من اين اتت هذه المكيدة ، وكيف دبرت ، وماذا يجب ان تقابل به •• وكيف ان الشعب الفلسطيني قاتل وناضل وقدم ألوف الشهداء ، وخاض معارك اليهودية العالمية والاستعمار عشرات السنين ، قبل ان يمسح العالم العربي عن عينه آثار السنة ، وينفض غبار جهل القضية •• حتى لقد شهد القادة الانكليز لرجال العصابات الفلسطينيين بصدق الاقدام ، وعظمة التضحية ، بعد ان رأوها بانفسهم على جبال فلسطين في عشر ثورات عاصفة ••

تجاهل ذلك الادب العربي ما عدا مؤلفا سعوديا فضح هذه الدسيسة بالحقائق والارقام •• هو الاستاذ فهد المارك في مؤلف أسماه :

« قالها الصهاينة •• وصدقها مغفلو العرب »

ونشأت – مثلا – في اوساط العالم العربي – بعد تحرره – خصومات ، ومنازعات ، تطورت الى عداء وتنافر في وقت هو احوج ما يكون الى الوئام ، وأظمأ ما يكون الى الانسجام •• لكي يتخلص من حبائل السوء ، وعقابيل الاعداء •• ولكنها مدت في أجل تأخر الامة العربية ، وافسحت المجال لتحكم عدوها ، وأبرزت له مقاتلها••وما هي الا دسيسة أخرى أرادت منها اليهودية العالمية ، ومن ورائها الاستعمار •• تفتيت الجهود ، وتوزيع الكيان ، وضرب بعضنا ببعض في الوقت الذى يبنى فيه العدو ، ويضاعف من استعداده •• وما كان موقف الادب ، من هذه الريب •• موقف الرائد الذى يرفع عقيرته بالتحذير ، ويقف من هذه الدسائس موقف الناصح الامين ، ويستعدى الرأى العام العربى ضد هذه المواقف المؤلمة •• بل خرس وجمجم اذا لم نقل انه أخذ منه كل جانب بجانب ، وراحت مذاهبه شيعا ، وحملته غزين •• وما هكذا يكون أدب قومى يدافع عن قضايا أمة ويعيش لتعيش ••

٣ – يمر الشعر العربي بدور ركود وانكماش ، قبل ان يبلغ اشده ،

ويستوى على سوقه ، بمسايرة النهضة الحديثة •• فالصفوة المختارة من أعلام الادب ورواده ، لم نعد نراها تتقدم الصفوف ، وتأخذ بمقود الزعامة الفكرية ، في توجيه ناشئة الشعراء نحـو الطريق السوي للادب الحـي الناضج والشعر القوى المؤثر •• والصحافة التي عهـدناها تعنى بشؤون الشعر وكانت لها الصدارة في عالم الوعى الادبي •• لم تعد تحتفى بالشعر كما يليق بهذا الفن الباعث ، ولم نعد نرى الا لمحات ، ونفحات تنشر بين الفينة والاخرى ••

ان الشعر ـ وهو محور الادب ـ يقضى الان اجازة طـال زمنها ، ولم تعد تلك العصماوات التى تنطلق من لدن حـافظ ابراهيم وشـوقى ، والرصافي ، والبارودى •• وغيرهم من اعلام الشعر •• تأخذ مكانتها في الاوساط العربية •• فلقـد كانت تلك القصائـد تسير مسير الشمس ، ويتناقلها الملايين من القراء العـرب ، وتكون مجال التعليق والتحقيق والمداولة •• ومن ثم التأثير والتفاعل ••

وعلى الجملة فسوق الادب يسودها ركود ، ونبعه ينتابه تقلص •• وسواء اكان مرد هذا الى القارىء العربي ، أم الى الادباء انفسهم •• أو اليهما معا ، بمؤثرات طارئة أو اعتبارات زمنية •• فهي ـ ولا شك ـ نكسة ضحيتها المجتمع العربي ، ومستقبل الامة العربية •• واذا لم تحظ قضية فلسطين بما كان متوقعا ان تحـظى به كقضية أمة ـ ولا كقضـايا الامم الاخرى ـ فمرد هذا الى الظرف الذى يمر به الادب العربي الان ••

وبعد فان الامة العربية الان في دور تحفز وتعبئة واستعداد للجولة الثانية •• وبصدد غسل عار لحق بتاريخنا لم يسبق له مثيل • وامام عـدو أمتهن مقدساتنا وشردنا من أرضنا وهتك اعراضنا ، واستباح حمانا ، ولطخ سمعتنا بين امم الارض ، وله مخططات واحلام واسعة ، يلاحق تحقيقهـا يوما فيوما •• وما مشروع الاعوام العشرة الذى وضعته دولة اسرائيل ، الا خطوات اولى من خطواته •• هذا المشروع هو كما رسموه في برامجهم التطويرية ـ منذ سنتين ـ وخلاصته ما يلي :

غمر فلسطين بنحو ستة ملايين يهودى أو أكثر من شتى انحـاء العالم ، واسالة مياه الاردن الى منطقة النقب الواسعة لريها ، وتحسينهـا

وجعلها صالحة لاستيعاب المهاجرين الجدد ، وشق قناة بحرية من خليج العقبة الى ساحل البحر الابيض المتوسط لتضاهي وتنافس قناة السويس ، وانشاء جيش يهودى يزيد على مليون جندى لغـــزو الاقطار العربية ، والسيطرة على مدينة القدس وجعلها العاصمة الدينية والمدنية للدولـــة اليهودية ، وتصفية الاقلية العربية الموجودة في القسم المحتل من الاراضي الفلسطينية ..

هذا جزء من مخططات اليهود الذين يعملون ليل نهار ، نســـاء ورجالا واطفالا ، ويضـــحون بكل ما يملكون ، ويتفانون في سبيل تنفيذ مخططاتهم الجهنمية .. بدافع من وعى ، وحافز من شعور ، ورائـد من يقظة .. يشبها حقد لدود ، وفـكر مركز ، وطاقات مكتنزة ، وفهم لئيم للمعركة ...

وموقف كهذا يجب ان يقف فيه الادب العربي في الطليعة ، وان يجند نفسه وينذرها لهذه القضية دون سواها في هذا الظرف .. يجب ان نسمع الامة العربية طلقات الادب ، وانفجاراته ، وقذائفه في غمار المعركة المعلية وقبلها .. يجب ان يجمع الادب العربي نفسه ، وينظم صفوفه ، ويركز اهدافه ، وينفض مؤتمره هذا عن خطة محكمة تتقدم خطط الجولة الثانية ، وتهيء الفكر العربي لها ، وانه لفاعل ان شاء الله ..

وختاما فيسرني ان انقل الى حضراتكم ان حكومتنا السعودية ، تعلق على هذا المؤتمر آمالا عريضة ، وهى على اتم استعداد للاسهام بكل جهدها فيما يأخذ بيد أدبنا العربي الى آفاق السمو والحياة ، لانها تعتبر الادب وسيلة الاسلام في ابلاغ حجة الله على خلقه .. وتعتبره ايضا من أقوى الوسائل للبلوغ بالامة العربية المستوى اللائق بها ..

ثم انى احمل اليكم من مسارح الامجاد الاسلامية العظيمة بالجزيرة العربية ، ومن مرابع البلاغة والشعر تحية أدبية يفوح شذاها بعرار نجد ونفحات الحجاز ..

«والله أسأل ان يجعل اعمالنا وأقوالنا الى النصر والتأكيد والتمكين» .

عبدالله بن خميس
الوفد السعودي

الأدب وفلسطين

بقلم

الدكتور جودة الركابي

أيها السادة

حديثي عن الادب وفلسطين حديث يفجر في القلب منابع الحزن والاسى ، ذلك ان مأساة فلسطين أعظم فاجعة قومية ذاق العرب مرارتها • وقد عاشها كل منا بعميق جوارحه ، ودفقات فؤاده ، وهزت أهوالها ضمائر الشعراء والكتاب والمفكرين في كل قطر عربي ، فقالوا فيها الشعر الغزير والنثر الطويل • وقد ترك هذا الشعر وهذا النثر أثره العميق في النفوس ، واوضح فداحة النكبة وعمقها ، وعكس صورا من المأساة لا تنتهي•

وجدير بنا ، ونحن نتحدث عن هذا الادب ، ان نتبين ابعاده ومختلف آثاره ليكون لنا هاديا في جولتنا الثانية ، جولة النصر التي عزم جيش العروبة الموحد على خوضها ليغسل العار ويطرد ذؤبان الصهيونية ومن وراءهم من المستعمرين ، ويعيد الارض الى أهلها والدار الى ذويها •

ويضطرني ضيق الوقت وسعة الموضوع الى ان أقصر كلامي على الشعر وحده وعلى شعراء أبناءفلسطين بخاصة ، متحدثا عن آثار النكبة فيه ، وعن تصويره لها ، ومرافقته لاحداثها ، ثم اختتم كلامي موضحا دور هذا الشعر في معركة فلسطين ، وما ماج فيه من عواطف وافكار ، وامتاز به من خصائص فنيه واسلوبية •

أيها السادة

عندما نشبت الحرب العالمية الاولى كان العرب يعانون من فساد الحكم العثماني وطغيانه واستبداده ما يعانون ، لذلك ظنوا انهم بتأييدهم الحلفاء يبغون ما يطلبون من حرية واستقلال • فقامت ثورتهم سنة ١٩١٦ تبغي الخلاص من الحكم العثماني وتحقيق استقلال البلاد العربية • ولكن

بريطانيا التي وعدت الشريف حسين بانها ستساعد العرب في ثورتهم التحررية كانت في هذه الاثناء تبرم من الاتفاقيات وتمنح من الوعود ما ينقض تعهدها للعرب ويكشف عن خداعها وخيانتها .

فقد قامت بريطانيا في أثناء الحرب باصدار وعد « بلور » المشؤوم في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، وهو يتعهد لليهود باقامة وطن قومي لهم في فلسطين . ثم لم تكد تحتل سائر فلسطين في نهاية الحرب عام ١٩١٨ حتى قسمت بلاد الشام الى قسمين كما هو معلوم : قسم شمالى وضع تحت السلطة الفرنسية ، وقسم جنوبي وضع تحت السلطة البريطانية، وذلك تنفيذا لمعاهدة « سايكس ـ بيكو » الشهيرة التي أبرمت في ٢٦ أيار سنة ١٩١٦ .

ثم قسمت فرانسا القسم الشمالي (سورية الشمالية) الى قسمين سورية ولبنان ، وقسمت بريطانيا القسم الجنوبي (سورية الجنوبية) الى قسمين هما فلسطين وشرق الاردن . وهكذا تقطعت اوصال بلاد الشام وتجزأت هذه الوحدة الطبيعية الواحدة الى اربعة دويلات مستقلة .

وقد رمت الدولتان المستعمرتان من التجزئة الى خلق مجتمعات متغايرة متخالفة نتيجة لاصطناع انظمة متباينة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في كل قسم ، وبذلك يتفكك عرى التلاحم بين هذه الاقسام على مر الزمن وتضعف مقاومتها للاستعمار ، كما رمت من ايجاد دولة فلسطين بحدودها المصطنعة العجيبة الى تسهيل تحقيق وعد بلفور حين تدعو حاجة الاستعمار الى ذلك .

الا ان هذه التجزئة ما استطاعت ان تفصم عرى الترابط القائمة بين أجزاء الامة الواحدة . ولئن تمت مؤامرة تحقيق وعد بلفور بعد ثلاثين عاما فان وحدة الامة العربية كفيلة بسحق هذه المؤامرة واعادة الحق السليب الى اهله ما دامت وحدة الارض والتاريخ والثقافة والنضال تجمع الامة العربية في جميع بقاعها .

وهكذا اتضحت معالم المؤامرة الاستعمارية التي حاكتها بريطانيا والدول المستعمرة الاخرى ، وثار الناس في كل مكان ، ولا سيما في

سورية وفلسطين ، وكثرت الاضطرابات والاصطدامات وقامت الثورات • وكانت ثورة فلسطين عام **١٩٣٦** أعظم هذه الثورات وقد أبلى فيها عرب فلسطين بلاء حسنا ، ولم تهدأ الا في عام **١٩٣٩** عند نشوب الحرب العالمية الثانية •

لقد بدأت خيوط النكبة تبرز لكل عين منذ ان احتل الجيش الانكليزى فلسطين في نهاية الحرب العالمية الاولى • عندئذ أخذ اليهود ينظمون صفوفهم ويضاعفون نشاطهم المسعور بتشجيع من الدولة المنتدبة وحمايتها ، فقاموا يشترون الارض ويبنون المستعمرات ، وأخذت أفواجهم تتدفق على الارض الشهيدة • غير أن العرب لم يكونوا الى ذلك اليوم على درجة من التنظيم كافية ، وكان الاختلاف بين زعمائهم عاملا هاما في اضعاف المقاومة ، بينما كان اليهود يتابعون تحصين مستعمراتهم ويستعدون للمعركة المقبلة •

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، واستطاع اليهود انشاء المصانع الضخمة وتدريب فتياتهم ، وعملوا على بث الدعاية لانفسهم مستفيدين من اضطهاد النازية لهم ، حتى اذا ما انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار الحلفاء أيضا عملت الولايات المتحدة وبريطانيا على عرض قضية فلسطين على منظمة الامم المتحدة لتسهم الدولتان في انجاز ما تطمعان فيه من قيام دولة اسرائيل لتكون حربة للاستعمار في قلب الوطن العربي المتطلع الى الحرية والوحدة•

عندئذ أدرك العرب انهم مقبلون على المأساة ، فكان قرار التقسيم في **٢٩** تشرين الثاني عام **١٩٤٧** ، ثم كان الارهاب الوحشي الذي شنته ذؤبان الصهيونية المسعورة ، وسال الدم العربي زكيا على أرض فلسطين الشهيدة ، ودب الذعر في القرى والمدن الفلسطينية ، وتدفقت قوافل اللاجئين على البلاد العربية المجاورة • ولما جاء اليوم الموعود لانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وانسحاب الجيش الانكليزي في الخامس عشر من أيار سنة **١٩٤٨** كان مبيتا لاسرائيل أن تنشيء دولتها في أرض فلسطين بعون الاستعمار ورضاه ، أما التمثيلية الحربية التي

قامت بها الجيوش العربية السبعة فى الارض الشهيدة فقد عكست ما كانت عليه الحكومات العربية آنذاك من تفكك سياسي وعسكرى • وحلت النكبة وكان لها أعظم الاثر في حياة العرب ، اذ كشفت عن حقيقة المستعمرين والصهيونيين الذين كانوا يأتمرون بالعرب ليخرجوهم من ديارهم ، ويقيموا فيها دولة تصون مصالحهم ، وتفصل بين البلاد العربية فتضرب وحدتهم ، وتشغلهم بما تثير من فتن فتؤخر تقدمهم وتطيل حياة الاستعمار التى قامت على نهب خيرات العرب وثرواتهم •

تلك هي الخطوط العامة لاحداث النكبة ، فما دور الشعر فيها ، وكيف صورها ؟

لقد عاش الشعر العربي المعاصر أحداث النكبة وصور أهوالها بجميع جزئياتها ، فبينما نرى هذا الشعر في الدور الاول ـ دور ما قبل النكبة حتى قرارالتقسيم ـ يحذر وينذر ويدعو الى التعبئة والقوة ، نراه في الدور الثاني ـ دور النكبة وما بعدها الممتد من قرار التقسيم حتى الان ـ يصف لنا مآسي النكبة وآلامها ، ويسخط على مسببيها ، ويحمل على الاستعمار والمستعمرين ، ويعنف اولئك الزعماء الذين لم يعرفوا كيف يعدون الشعب للمعركة وينقذون الوطن من الضياع •

وجميع هذا الشعر ملحمة دامية تتضخم كل يوم ولا تعرف نهاية لها ما دام هذا الجرح الدامي ينزف في قلب الامة العربية •

فلنتبين هذا الشعر في كل دور من دوريه •

شعر النكبة في الدور الاول :

كان الشعراء فى هذا الدور يحذرون القوم ، ويدعونه الى القوة والمقاومة وترك التخاذل ولم الشعث واعداد العدة • فالغد مظلم بعد ان بدت أطياف الكارثة تلوح في الافق سوداء نكراء • ومن هؤلاء الشعراء الذين أخذوا يحذرون وينبهون شاعر فلسطين الكبير ابراهيم طوقان ، فقد كان من أقوى الاصوات وأعمقها احساسا وشعورا ، أخذ يهز

الضمائر ، ويشحذ الهمم ، وينفخ روح المقاومة والجهـــاد في نفوس مواطنيه • وقد نظم في سنة ١٩٢٨ قصيدة نلمح في أبياتها دعوة الى الاقدام والبذل بعد ان رأى قومه لاهين غافلين وقد تسرب الوهن والتشاؤم الـى نفوسهم ، فيقول فيها :

كفكف دموعـــك ليس ينـ فعك البكاء ولا العويـــل
وانهض ولا تشك الزمـا ن ، فما شكا الا الكســـول
واسلك بهمتــــك السبيـ ـل ولا تقل : كيف السبيل ؟
ما ضل ذو أمـــل سعـى يوما وحكمته الدليـــل
كـلا ، ولا خـــاب امرؤ يوما ومقصـده نبيـــل

أفنيت يا مســـكين عمـ ـرك بالتأوه والحـزن
وقعدت مكتوف اليديـ ـن تقول : حاربني الزمن
ما لم تقم بالعـــبء أنـ ـت ، فمن يقوم بـه اذن ؟

وطـن يباع ويشـتـرى وتصيح : « فليحيى الوطن » !
لـو كنت تبغـي خـيره لبذلت من دمك الثـــمن
ولقمت تضمـد جرحـه لو كنت من أهل الفطـــن

وتتوالى قصائـد ابراهيم الوطنية منذ ان تخرج من الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٢٩ حتى أصبح بحق شاعر فلسطين القومي ، وشاعر النكبة في دورها الاول • فقد ندد بوعد بلفور ، وحذر من هجرة اليهود، ومجد الارض ودعا الى التمسك بها ، وصب نقمته العارمة على اولئـــك الذين كانوا يبيعون أرضهم ، وقد غرهم المال ، ولعبت في عقولهم عصبـة السماسرة ، وهم لا يدرون او يدرون أنهم يبيعون وطنهم وبلادهم الى العدو ، فيقول :

باعـوا البلاد الى أعدائهم طمعـا بالمـال ، لكنمـا أوطانهم باعـوا
قد يعذرون لو ان الجوع أرغمهـم والله ما عطشوا يوما ولا جاعـوا
وبلغة العار عند الجوع تلفظهـا نفس لها عن قبول العـار رداع
يا بائع الارض لم تحفل بعاقبـة ولا تعلمت أن الخصم خـداع
لقد جنيت على الاحفاد والهفـي وهم عبيد ، وخدام ، وأتبـاع !
وغرك الذهب اللماع تحـرزه ان السراب ـ كما تدريه ـ لماع
فكر بموتك في أرض نشأت بها واترك لقبرك أرضا طولها بـاع

ونراه لا يسكت عن تهاون الزعماء وقادة البلاد ، فاذا به يقرعهم ويهزأ من كلامهم وخطبهم الرنانة ، **فيقول** :

يا رجـال البـلاد يا قادة الامـ ـة مـاذا دهـاكم ودهاهـا
صكت الالسن المسامع حتـى لقيت من ضجيجكم ما كفانـا
عرف الناس والمنابـر والاقـ ـلام أفضالكم فهاتـوا سواها
كلكم بارع بليغ ـ بحمـد الـ ـلـه ـ طب بحالنـا ودواهـا
غير أن المريض يرقب منكـم هذه الجرعة التي لا يراهـا
كان أولى بكم لو ان مع القـو ل فعـالا محمـودة عقباهـا

وتصبح هذه السخرية سهاما واخزة عندما ترسم رياءهم وتقـرر حالهم **فيقول** :

أنتم المخلصـون للوطنيـة أنتم الحاملون عبء القضيـة
أنتم العاملون من غـير قـول بارك الله في الزنـود القوية
و « بيان » منكم يعادل جيشا بمعدات زحفـه الحربية
و « اجتماع » منكم يرد علينا غابر المجد من فتوح أميـة
في يدينا بقية من بـلاد فاستريحوا كي لا تطير البقية

ومن المعاني التي طرقها طوقان ، لبث روح التضحية في النفوس ، تمجيد الفداء وتقديس الشهادة . وقصيدتاه « الفدائي » و « الشهيد » تبلغان ذروة الشعر . ففيهما نرى الصورة تمتزج باللحن البطولي لتهز ضمير الانسان هزا ، وتجعله يستهين بالنفس ليكون ذلك الفدائي وذلك الشـــهيد .

يقول في قصيدته « الفدائي » :

لا تسـل عن سـلامته   روحه فوق راحتـه
بدلتـه همومـه   كفنا من وسـادته
يرقب السـاعة التي   بعدها هول سـاعته
بين جنبيه خافـق   يتلظـى بغايتـه
من رأى فحمة الدجى   أضرمت من شرارته
حملتـه جهنـم   طرفا من رسـالته

هو بالبـاب واقـف   والردى منه خائـف
فاهدئي يا عواصـف   خجلا من جراءتـه

صامت لو تكلمـا   لفظ النار والدمـا
قـل لمن عـاب صمتـه :   خلق الحزم أبكمـا !
وأخو الحزم لم يـزل   يده تسبق الفمـا
لا تلوموه ، قـد رأى   منهج الحق مظلمـا
وبلادا أحبهـا   ركنها قد تهدمـا
وخصوما ببغيهـم   ضجت الارض والسما

هو بالباب واقـف   والردى منه خائـف
فاهدئي يا عواصـف   خجلا من جراءتـه

ولا نعجب بعد هذا من ان نرى ذلك الفدائي يغير ويغـــير على الاعداء ، فاذا الثورة العارمة تتلظى في جوانب فلسطين ، واذا شعر طوقان اعداد لتلك الثورة التي شبت في عام ١٩٣٦ والتى سقط فيها من شهداء الوطن نجوم زهر كان من بينها « شهيد » طوقان الذى قال فيه :

عبس الخطب فابتســـم وطغى الهول فاقتحـــم
رابط الجأش والنهـــى ثابت القلب والقـــدم
نفسه طـــوع همـــة وجمت دونها الهمـــم
وهي من عنصر الفـــدا ء ومن جوهـــر الكـــرم
ومن الحق جـــذوة لفحها حـــرر الامـــم
سار في نهـــج العلـــى يطرق الخلد منـــزلا
لا يبالي ، مكبـــــلا ناله أم مجنـــدلا

فهو رهن بما عزم

ربما غالـــه الـــردى وهو بالسجن مرتهـــن
لم يشيع بدمعـــة من حبيب ولا ســـكن
ربما أدرج التـــرا ب سليبا من الكفـــن
لا تقل أين جســـمه واسمه في فم الزمـــن
انه كوكب الهـــدى لاح في غيهب المحـــن
أرسل النور في العيـــو ن فما تعـــرف الوســـن
أي وجـــه تهلـــلا يرد الموت مقبـــلا
صعد الروح مرســـلا لحنه ينشـــد المـــلا :

أنا للـــه والوطن

كانت مأساة فلسطين ، منذ دورها الاول ، تقلق بال العرب في جميع اقطارهم ، فكان شعراؤهم يشاركون شعراء فلسطين في استنهاض الهمـم وتنبيه النائمين والغافلين . وكثيرا ما رأيناهم يعودون الى أمجاد العـرب

الماضية يذكرون القوم بها لتذكى في النفوس حمية النضال والجهاد • غير أن شعراء فلسطين قد نهضوا بالقسط الاوفى في تصوير الكارثة وما رافقها من آلام وآمال •

ومن بين الشعراء العرب الذين هزت مشاعرهم آلام النكبة الشاعر العربي بشارة الخوری « الاخطل الصغير » ، فقد نظم قصيدة ابان الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ كانت لحنا ينبض بالعزة ، ويزهو بالفداء ، ويمجد الابطال الذين ساحت دماؤهم على بطاح فلسطين دفاعا عن الكرامة والحق • فلنسمعه في هذه الابيات معتزا بالمروءات العربية ، مؤكدات عمق الاواصر التي تربط بين أبناء الامة العربية الواحدة ، حانيا برفق على الشهداء ، يلثم جراحهم ، فتسمو الصورة ، ويعلو اللحن ، وتمتزج رجفة الاباء بحنين النجوى فيقول :

سائل العلياء عنا والزمانا ... هل خفرنا ذمة مذ عرفانا
المروءات التي عاشت بنا ... لم تزل تجري سعيرا في دمانا
يا جهادا صفق المجد له ... لبس الغار عليه الارجوانا
شرف باهت فلسطين به ... وبناء للمعالي لا يدانى
ان جرحا سال من جبهتها ... لثمته بخشوع شفتانا
وأنينا باحت النجوى به ... عربيا ••• رشفته مقلتانا
يا فلسطين التي كدنا لما ... كابدته من أسى ننسى أسانا
نحن يا أخت على العهد الذي ... قد رضعناه من المهد كلانا
يثرب والقدس منذ احتلما ... كعبتانا ، وهوى العرب هوانا
شرف للموت أن نطعمه ... أنفسا جبارة تأبى الهوانا
قم الى الابطال نلمس جرحهم ... لمسة تسبح بالطيب يدانا
قم نجع يوما من العمر لهم ... هبه صوم الفصح ، هبه رمضانا
انما الحق الذى ماتوا له ... حقنا ، نمشي اليه أين كانا

وهناك شعراء آخرون من غير ابناء فلسطين شاركوا في غناء النكبة ولسنا نستطيع الان الاتيان على ذكرهم جميعا ، وانما نقتصر على بعضهم ومن بينهم شاعر سورية الكبير عمر أبو ريشة ، فقد هاله أن يرى ارض فلسطين العربية يعيث بها شذاذ الآفاق شرا وفسادا ويرمون أهلها بأنواع الظلم والعدوان ، فثارت ثائرته ، وكان من جملة ما قال قبل ان تقع الكارثة الكبرى هذه الابيات التي نلمح فيها ألم الشاعر لما يلاقيه أبناء جلدته من أنواع النكال والمهانة على أيدى الغاصبين الذين أخذوا يتدفقون على الارض المقدسة وأنيابهم تقطر دما وطمعا ، فيقول :

قف على تربة المسيح وشاهد ... مصرع المجد فوق ظهر الرمال
عاث فيها المشردون رضيعو ... لبن الذل في مهود الضلال
كل يوم يرمون جمرة بغي ... في هشيم من نقمة ونكال
والرجال الأباة رغم اباها ... تخفض الهام ، ياغرام الرجال !
نكد الدهر ان ينال جبان ... من جسور مشدد الاغلال
واذا الناب والمخالب طاحت ... لطم الذئب جبهة الرئبال

وفي القطر المصرى يشدو الشعر الحانه الثائرة على لسان شعرائه من أمثال علي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وصلاح الدين عبدالصبور وغيرهم • وهذا علي محمود طه يهدر صوته في احدى قصائده داعيا الى حمل السلاح وخوض المعركة فيقول في نبرة مؤمنة :

أخي جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق الفدى
أنتركهم يغصبون العروبـ ... ـة مجد الابوة والسؤددا
وليسوا بغير صليل السيوف ... يجيبون صوتا لنا أو صدى
فجرد حسامك من غمده ... فليس له بعد أن يغمدا

وفي أرض العراق البطل لم يهدأ صوت الشعر عن الدعوة الى الكفاح لانقاذ فلسطين • وكان صوت الشاعر محمد مهدى الجواهرى

من بين تلك الاصوات التي أرسلت الصيحة المنذرة ، فلنسمعه وهو يخاطب بني قومه ، ويحـــذرهم من الغفلة ، ويهيب بهم ان يستمسكوا بالقوة ، فالصهيونية لا تعرف لاطماعها حدودا :

فاضت جروح فلسـطين مذكـــرة ... جرحا بأندلس للآن ما التأمـــا
يا أمة غرها الاقبال ناســـية ... أن الزمان طوى من قبلها أممـــا
كانت كحالمة حتى اذا انتبهـــت ... عضت نواجذهـــا من حرقة ندمـا
سيلحقون فلســطينا بأندلـــس ... ويعطفون عليها البيت والحـــرما
ويسلبونك بغـــدادا وجلقـــة ... ويتركونك لا لحما ولا وضما
يا أمة لخصوم ضدها احتكمـــت ... كيف ارتضيت خصيما ظالما حكمـا
بالمدفع استشهدي ان كنت ناطقـــة ... أو رمتأن تسمعيمنيشتكيالصمما
سلي الحوادث والتاريخ هل عرفـا ... حقا ورأيا بغـير القوة احترمـــا
لا تطلبي من يد الجبار مرحمـــة ... ضعي على هامة جبارة قدمـــا
ثار الشباب ، ومن مثل الشباب اذا ... ريع الحمى وشواظ الغيرة احتدمـا
يأبى دم عربي في عروقهـــم ... أن يصبح العربي الحر مهتضمـا

وكذلك كان شعراء العرب في المهاجر الامريكية تؤرقهم النـــكبة وتقض مضاجعهم ، وقد تصاعدت أصواتهم بتحية جهاد فلسطين والنقمـــة على الغاصبين في شعر يفيض باللوعة والوطنية • وفي طليعة هؤلاء الشعراء نذكر ايليا أبا ماضي ، والشاعر القروي ، والياس فرحـات ، ونسيب عريضة وجورج صيدح وغيرهم •

وللشاعر ايليا أبي ماضي قصيدة رائعة قالهـــا في الدور الاول من النكبة وهي تزخر بالتهكم على وعد بلفور ، وتضحك من كرم الانكليز الذين يجودون لليهود بارض ليست أرضهم ، في أسلوب جدلي يفيض بالقوة والايمان بحق العرب في أرضهم فيقول :

ديار السلام وأرض الهنـــا ... يشق على الكل أن تحـــزنا
فخطب فلسطين خطب العلا ... وما كان رزء العلا هينـــا

يريد اليهود بأن يصلبوهـ — وتأبى فلسطين أن تذعنـا
وتأبى المروءة في أهلهـا — وتأبى السيوف وتأبى القنـا
أأرض الخيـال وآياتـه — وذات الجلال وذات السنـا
تصير لغوغائهـم مسرحا — وتغدو لشذاذهـم مسكنا !
فقل لليهود وأشياعهـم — لقد خدعتكم بروق المنـى
ألا ليت « بلفور » أعطاكـم — بـلادا له لا بـلادا لنـا
(فلندن) أرحب من قدسنا — وأنتم أحـب الى (لندنـا)
فليست فلسطين أرضا مشاعـا — فتعطى لمن شاء أن يسـكنا
فان تطلبوها بسمر القنـا — نردكم بطوال القنـا
ففي العربي صفات الانـام — سوى أن يخاف وأن يجبنـا
وان تهجـروها فذلك أولى — فان فلسـطين ملـك لنـا
وكانت لاجدادنـا قبلنـا — وتبقى لاحفادنا بعـدنا

وهـكذا كانت هذه الاصوات العربية المؤمنة التي ارتفعت في الدور الاول من النكبة تعبر عما يجيش في نفوسها من ثورة عارمة ، وتدعـو الى المقاومة وتعبئة القوى والجهود • على أن هذا الشعر لم يكن شاملا لابعاد القضية بأكملها وتفاعلاتها الداخلية والخارجـية بل كان في أكثره موغلا في العاطفية والانفعالية وهو بهـذا كان يصور الوضع الاجتماعي والفكرى الذى كانت تنوء تحته فلسطين وسائـر البلاد العربية ، وهـو وضع أراد له الاستعمار ان يكون مريضا ، ضبابيا ، قلق الملامح •

ومع ذلك فقد بقي الشعر ، في هذا الدور ، الاثر الادبي الوحيد الذى واكب القضية •أما الفنونالادبية الاخرىمن قصة ورواية ومسرحية فلا نكاد نحس لها أثـرا سوى أدب المقالة الذى كان الفنون الادبية الاخرى من قصة ورواية ومسرحية فلا نكاد نحس لها أثرا سوى أدب المقالة الذى كان يفيض ببعض الانفعالات الذهنية الى جانب الدفقات العاطفية •

شعر النكبة في الدور الثاني :

وفي فترة ما بعد النكبة انطلق الشعر غزيرا واتخذ لونا جديدا ، فرأيناه أكثر تعلقا بالاحداث وتصويرا لها ، وقد استطاع ان يعرض علينا مشاهد النكبة في لحن مؤثر عميق ، نافذا الى النفس العربية ، معبرا عما اعتورها من حزن ويأس ، وقلق ونقمة وتشـــاؤم • وعندما أخذت الانفجارات العربية تطيح برؤوس الخيانة والغدر عادت الثقة الى النفوس وعاد الشعر يومض بالامل والتصميم على **الاخذ بالثأر والعودة الى** أرض الآباء والاجداد •

فما المشاهد التي صورها هذا الشعر **وما آثار النكبة فيه ؟**

يوم الخامس عشر من أيار سنة ١٩٤٨ :

أول هذه المشاهد هو يوم الخامس عشر من أيار سنة **١٩٤٨** ، موعد انسحاب القوات الانكليزية ،ودخول الجيوش العربية فلسطين لتحريرها• انه اليوم البغيض الذى لن تمحى ذكراه من نفوس العرب والفلسطينين منهم بوجه خاص • لقد كان أبناء فلسطين يقاتلون عدوا غادرا منظمـا قتال اليائس المستبسل وينتظرون هذا اليوم كــما ينتظر الغريق قارب النجاة ، فلما أقبل لم يحمل اليهم **الا الخيبة ، وترك في نفوسهم** ذكرى مؤلمة تتجدد مع الزمن • فلنسمع الى شاعرهم عيسى الناعورى يلعن هذا اليوم الاسود الذي كان صورة للجبن والذل فيقول :

يا لعنـــة الزمـــن البغيـ ـض وأسوأ الايــام ذكرى
تمضي الســـنون وأنت لا تنفك تصحبهـــن كـرا
كرحي تدور على القلـــو ب تزيدهـــن أذى وشــرا
هـــذى ضحـــاياك الكثـا ر تميتها الايام قهـــرا
تقضي الحياة على الطـــوى وتلوك مسبغـــة وصبـــرا

سكبت لها الدنيا الدمـــا ٠ بكأسها لتعيش سكرى
ملجومة ، والـــذل يو سع صدرها طعنا ونحـرا
يا صـورة الجبن الاذ ل وأبغض الايام طـرا
لا كنت من يـوم بـه صار انتخـاء العرب غدرا
وكرامة الشعـب العريـ ـق هدرتها ، ومضيت ، هدرا

المهـزلة العربية :

ومنذ ذلك اليوم الاسود البغيض بدأت « المهزلة العربية » كما يسميها بحق الشاعر الفلسطيني محمود الحوت في مجموعة أشعاره التي تحمل هذا الاسم ٠ وكلنا يعلم كيف جرت تلك الحرب الفلسطينية وما رافقها من تدخل المستعمرين ومن خيانات الزعماء ، وكيف تمت بعقد الهدنة وتراجع الجيوش السبعة ، وقد سجل الشعراء تلك الحوادث المؤلمة تسجيلا يبعث النقمة في النفوس ٠ وكم من ألم وسخر في هذه الابيات التى يطلقها محمود الحوت فيقول :

سبع من الدول الكبـرى تناصرهـا شهرا ، فكان الذى قد كان من عجب
ليت العروبة في ابـان وثبتهـا لم تشهر السيف بتارا ولم تثب
ليت العروبة ما زالت تهددهـم من خلف عسكرها المستأسد اللجب
اذن لكان لها في قلبهم هلـع وكان بعض الذى نبغيـه من ارب

وسخط العرب كلهم بلسان شعرائهم وكتابهم للخيانات التي ارتكبت ، ولقلة الاستعداد ، وعدم ادراك ابعاد المعركة ، وقذفوا الاتهام في وجه أصحابه ، وكان الشاعر عبدالكريم الكرمي (أبو سلمى) أعنف من قال شعرا في هذا المجال ، وسرت قصائده على كل لسان ٠

أما الشاعر عمر أبو ريشة فقد كانت صرخته عقب الكارثة أنيمة محزنة ، وقد دمغ الجناة وأدانهم عندما أنشد قائلا في عام ١٩٤٨ :

أمتي ! كم غصـــة داميـة خنقت نجوى علاك في فمـــي
أي جرح في ابائـي راعـف فاته الآسى ، فلم يلتئـــم
ألاسرائيل تعـــلو رايـــة في حمى المهـد وظل الحـرم
كيف أغضيت على الذل ولـم تنفضي عنك غبـار التهـم
أو ما كنت اذا البغي اعتـدى موجة من لهب أو مـن دم
فيم أقدمت وأحجمت ، ولـم يشتف الثأر ولـم تنتقمـي
اسمعي نوح الحزانى واطربـي وانظري دمع اليتامى وابسمي
واتركي الجرحى تداوي جرحها وامنعي عنها كريم البلسـم
ودعي القـادة في أهوائهـا تتفانى في خسيس المغنـم
رب « وامعتصماه » انطلقـت ملء أفواه البنـات اليتـم
لامست أسماعهم لكنـهـا لم تلامـس نخوة المعتصـم !

ولم يغفـل الشعراء عن دور الاستعمار والمستعمرين ومسؤوليته في النكبة ، فحملوا عليه حملة عنيفة ، وأظهروا خداعه وتلونه ودوره القذر في مساندة دولة العصابات ودعمها ، وفي هذا يقول الشاعر هارون هاشم رشيد :

لولا خداع الانكليز وغدرهـم ما عاث في أرض الاسود كـلاب
والغرب ! يا للغرب ان قدومـه نحو البلاد مصيبة وخـــراب
هو أخطبوط فاجـر مسـتعمر في كـل ناحيـة له أذنـاب

وهكذا صور لنا الشعر في هذه الفترة **المهزلة الحربية تصويرا** هـز النفوس وأضرم نار الحقد والنقمة ، فثارت الاجيال الصاعدة على الاوضاع الفاسدة التي قادت الى النكبة ، وأخذوا **يرون في الاتجاه الى الشعب** طريق الخلاص • وقد رأينا هذا الشعور ينمو لدى أكثر المفكرين وبين أفراد الجماهير ، وقام الادباء والشعراء يبعثون الامـل في النفـوس ، طـالبين العودة الى الشعب الذى هو وحده يقود **الى النصر • فلنسمع الى** ابي
وقد سطر هذه المعاني في قصيدته « **الشعب** » :

يا أيها الشعب المفــــدى قل لي بربك كيف تهــدا
يتدفق العــذب الزلا ل فيرتوون وأنت تصدى
تكسوهم حلل الربيــ ــع وينكرون عليك بــردا
أنت الذي تهب الخلــو د فيحملون اليــك لحدا
وتحطم النــير الرهيــ ــب فيجعلون النير عقــدا
أهلا بأحــرار البــلا د نزفهم شيبــا ومردا
أنتم ، اذا احمــر الحديــ ــد ، حماتها سهلا ونجدا
تتألقون كواكب البطــ ــحاء لا تحصــون عدا
تبنون تاريخ الجهــا د وترفعون علــيه بنــدا
من مثلكم عنــد اللقــا أعلى يدا وأعز جنــدا
أهلا بأحرار البــلا د يحاربون من استــبدا
حمر الصحائف سـطرو ها باللظى بنــدا فبندا

صور من الحياة الباكية :

تدفقت أمواج اللاجئين على البلاد العربية المجاورة على أثر تراجع الجيوش العربية وقيام الصهاينة بارهاب وحشي ومجازر جماعية • وهام العربي على وجهه يلوب في الدروب ، عاريا جائعا ، لا وطن له ولا بيت ولا أرض ، تاركا خلفه ماله ورزقه • وقد حاول اخوانه العرب ، حيث حل بينهم ، أن يأسوا جراحه ، ولكن أنى لهذه الجـراح ان تندمل ، فأوى الى الخيمة السوداء ، يمضغ أحزانه ، وتتراءى أمام عينيه أطيــاف أرضه ، وبات يحيا حياة الحرمان والتشريد ، يعتصر الالم قلبه ، والحقد صدره ، وهو ينتظر الفجر في غياهب الظلام بقلب واجف وعين دامعة • وقد صور الشعراء هذه الحياة الجديدة الباكية في صورها المختلفة وكلهـا يدمي القلب ويبكي العين •

ومن هذه الصور ضياع اللاجيء وتشرده وضربه في الآفاق ، وهذا هو محمود الحوت الشاعر اللاجيء ، يقدم لنا هذه الصورة ويقول :

وراح يضرب في الارض العراء ضحى ويقطع اليم مخمور المنى وجفا
فلا يرى في اتساع الكون من عبر الا الضنى واختناق الروح والتلفا
والجوع ينهش من اكباده قطعا وينثني من دماء القلب مرتشفا
تقاذفته بلاد الله يزرعها مشردا ضل ، لا نهجا ولا هدفا

وهناك صورة أخرى عن شقاء اللاجئين يقدمها لنا شاعر فلسطين (أبو سلمى) مبللة بالدمع ، مغموسة بالحزن والالم ، موضحا فيها أسباب النكبة ونتائجها فيقول :

يا اخي ! أنت معي في كل درب فاحمل الجرح وسر جنبا لجنب
قد مشيناها خطى دامية أنبتت فوق الثرى أنضر عشب
نحن ان لم نحترق كيف السنى يملأ الدنيا ويهدي كل ركب
سر معي في طرق العمر وقل أين من يحمي الحمى أو من يلبي
فهنا الايتام في أدمعهم وهنا تهوي العذارى مثل شهب
وشيوخ حملوا أعوامهم مثقلات بشظايا كل خطب
هم ضحايا الظلم هل تعرفهم انهم أهلي ، على الدهر ، وصحبي
يا رفاق الدهر هل شردكم في الورى غدر عدو أم محب
زعماء دنسوا تاريخكم وملوك شردوكم دون ذنب
وجيوش غفر الله لها سلمت أوطانكم من غير حرب
دول تحسبها شرقية واذا أمعنت فالحاكم غربي
يوم هزت للوغى راياتها حكمت فيه على تشريد شعب
يا فلسطين وكيف الملتقى هل أرى بعد النوى أقدس ترب
أيها الباكي وهل يجدي البكا بعدما أصبحت في كل مهب
كفكف الدمع وسر في أفق حافل بالامل الضاحك رحب
نشر الانجم في موكبه موكب الحرية الحمراء يصبي
يا أخي ! ما ضاع منا وطن خالد نحمله في كل قلب

فالشاعر في هذه الابيات حان على اللاجئين تربطه بهم رابطة الاخوة ، وهو يجعل الجرح صورة للنكبة ، وما الدم الذى يسيل من خطا اللاجئين الا صورة لما كابدوه من عناءوهم يلوبون في الدروب • ويمثل لنكبتهم وأثرها في حياة قومهم بالنار توقد لتهدي الناس سواء السبيل ، ثم يعبر عن ألمه لضياع فلسطين ، ويتساءل عمن يحمي وطنه او يلبي نداءه ، وفي هذا التساؤل يأس أليم •

ثم تأتي صور اللاجئين وشقاؤهم ، فاذا الايتام في بكاء دائم ، والصبايا يهوين كالشهب والشيوخ يمشون مثقلين بالخطوب وكأنهم يجرون أعوامهم جرا • ثم يجمع تلك الصور في اطار صورة واحدة فهم كلهم ضحايا الظلم ، وهم أهله وصحبه أبد الدهر • وهنا نرى ان الشاعر مرتبط بقضية شعبه ، فجرحهم جرحه ، ووطنهم وطنه ، وهم أهله ، والنكبة ناجمة عن الظلم •

ثم يلقي الشاعر تبعة النكبة على الفئات العربية الحاكمة آنذاك ، فهم الذين شردوا اهله كل مشرد ، وأساؤوا الى تاريخ العرب ، ودفعوا الجيوش الى فلسطين دون استعداد وسلموها الى اليهود من غيرب حرب • ويا لها من خدعة تلك الحرب التي كانت غايتها ترك فلسطين لقمة سائغة لليهود •

ثم يلتفت الشاعر الى فلسطين فيناديها نداء فيه كل الحب وكل الحنان ، ويعظم أرضهم ويقدسه ، وينصح رفيقه بالكف عن البكاء لانه لا يجدى ، ويطلب اليه أن يرفع بصره الى الافق الضاحك بالامل • ثم يرفع الشاعر شعار الكفاح ، ويسير في موكب الحرية •

فالشاعر أبو سلمى في هذه الابيات يفيض صدقا وحبا ، وينبض قلبه بأنبل المشاعر نحو وطنه وأهله المشردين ، ثم هو يفهم معنى النكبة فهما عميقا ، ويصور آثارها في النفس تصويرا صادقا • كل هذا في غناء شعرى ، ولحن موسيقي عذب ، تتعانق فيه أصداء الاسى وتلمع فيه أضواء الامل •

وهذا هو الشاعر هارون هاشم رشيد يرسلها صيحة قوية في وجه الزمن ليقول لكل عربي : انه لاجيء ، وقد استبيح وطنه ، ولكنه لن ينسى موعد الثأر :

أنا لاجيء ، وطني استبيح وداسه غدر العدى
أنا نازح ، داري هناك وكرمتي والمنتدى
وطني هناك ولن أظل بغيره متشردا
لي موعد في موطني ، هيهات أنسى الموعدا

وقد كانت مرارة الغربة من المعاني التي ألحت على أذهان الشعراء ، وهذا خليل زقطان يتحدث عنها حديث من أفقدته الغربة الشعور بذاته فيقول :

أنا قد صحوت على الجرا ح تسيل مع بعضي لبعضي
أنا قد صحوت واذ أنا ملقى بأرض غير أرض
أنا من أنا ؟ لا شيء والاعداء رابضة بغابي
أنا ليس يجديني البكا ء أو التحدث عن مصابي
دون الرجوع الى الحمى نزع القيود من الرقاب
ما هذه الأغلال ؟ ما معنى نزوحي واغترابي

والى جانب الغربة كان الحنين الى الوطن اللحن الذى غناه أكثر شعراء النكبة ، فلنسمع الى (ابي سلمى) في هذه الابيات من قصيدته « داري » التي يحن فيها الى ملاعبه وذكرياته الحلوة التي خلفها وراءه ، فيقول :

داري التي أغفت على ربوة حالمة بالمجد والغار
تفتح الزهر على خدها فعطرت أيام آذار

الشمس لا تضحك الا لهـــا تهدي اليها وشي أســتار
والتينة الخضراء في ظلهـا تاريخ أشـــواقي وآثاري
والعين خلف الدار في المنحنـى تروي حكاياتي وأخبـارى

وفي قصيدة (العندليب المهاجر) للشاعر يوسف الخطيب صـورة لحنين الشاعر الى موطنه تنبض بالصدق والحياة وتخفق بانسام الرقـة والحنان ، فلنصغ الى هذا اللحن العذب الذى نسـمع فيه خفقات قلب الشاعر وموسيقى شعره :

بي لهفة يـا صـاحبي مشبوبة النـار
هل بعض أخبار تحدثهـا ، وأسرار
للظـامئين على متاه الوحشة العـارى
... كيف الحقول تركتها في عرس آذار
ومتى لويت جناحـك الزاهي عـن الدار
عجـبا ! تراك أتيتنا من غير تذكـار !
لـو قشـة مما يرف ببيدر البـلد
خبأتهـا بـين الجنـاح وخفقـة الـكبد
لو رملتـان من المثلث أو ربا صفـد
لو عشبة بيد ، ومزفـة سوسن بيـد
أين الهـدايا مذ برحت مرابـع الرغـد
أم جئت مثلي بالحـنين وسـورة الـكمد

أما الخيمة السوداء فقد اصبحت الرمز الـكريه للنكبة ، لا حنان فيها ولا حب ، بل يأس وهم ، وفراغ وهوان ، وهذا كله بعض ما يلاقيه اللاجىء في خيمته النكراء التي أجاد الشاعر كمال ناصر في وصفها عندما قال :

مذعورة ، على رحاب المكان	مصلوبة ، منسية في الزمان
حيرى على أوهامها في المدى	لا حب في سمائها ، لا حنان
مشدودة في الارض معصوبة	كأنما شدت بأيدى الهوان
النار في أرجائها أخمدت	وفي زواياها تلاشى الدخان
يعوي بها فراغها طاويا	في مقلتيه الكبر والعنفوان
والهم من يأس بها مطرق	يحصي عليها في العذاب الثوان

لقد كانت هذه الحياة القاسية تزيد في أحزان المشردين وآلامهم ، ورأيت النقمة تعتلج في صدورهم والقلق يشمل وجودهم • وفي أشعار يوسف الخطيب الشيء الكثير من هذه النقمة • انه يمثل جيل النكبة الثائر الذى لم تهده الكارثة وانما بعثت فيه روح المقاومة والنضال ليقضي على كل زائف ويعيد الارض السليبة الى أهلها •

وفي الابيات الاتية تتمثل غضبة الشاعر الذى سما فوق حدود نفسه وعكس التصميم الذى أخذ يغلي في دماء جيلنا الثائر الذى أقسم على ان يسير في طريق الثورة لينتقم لعاره ويثأر لكرامته :

أنا مشعل ، انا مارج جبار	لا الريح تخمدني ولا الإعصار
سأمد في الآفاق ألسنة اللظى	حمرا لها في الخافقين أوار
ولاحرقن الليل حتى تنجلي	أسدافه فتوقدي يا نار
للميتين دموعهم وجراحهم	ولجذوتي ساح الوغى والثار
انا للحياة ولن اظل مشردا	أقسمت لا أرضى ولا أختار
ومشيئتي قدر على أقدامه	تتمسح الايام والاقدار
لو شئت جمعت النجوم مشاعلا	ودفقت منها الموت حين أثار
وذروت في القطبين أرياح الردى	فالارض من بعدي لظى ودمار
أنا مجرم ، أنا حاقد ، أنا سيء	حتى تعاد الى ذويها الدار

أزاء هذا التصميم أخذت سحب التشاؤم تتقشع ، وبدا فجر الا... يشرق في النفوس على اثر الانفجارات الشعبية التي حققتها بعض الاقطار العربية فكان ذلك من جملة العوامل التي أحيت الآمال واعادت الثقة الى النفوس وبدت آثار ذلك على شعر النكبة •

خاتمـــة :

تلك هي الملامح الهامة للشعر في معركة فلسطين ، وقد أكدت على ان محنة فلسطين ليست كارثـة محلية ضيقة بل هي نكبة قومية جامعة أيقظت مآسيها النفوس وحزت ضمير الامة العربية في جميع أقطارها • وقـــد رأينا كيف تفجر هذا الشعر على كل لسان يصف مآسيها وأهوالها • وحسبنا في هذا الصدد ما ذكرناه •

على ان هذا الشعر قد اتصف بصفات خاصة ، فهو اولا شعر عاطفي يهز النفوس بنغمته الحزينة ،ورنته الصادقة ، وهو ثانيا شعر ملتزم ينادى بالخلاص ولكن لم يستطع تحديد الطريق اليه ، ولم يرتفع الى المشكلة بجميع ابعادها ليعالجها معالجة علمية تحلل الاسباب وترسم الحلول • ولعل الشعر من هذه الناحية عاجز عن هذه المهمة فقام النثر بجزء كبير منها كما نلاحظ ذلك في المقالات المختلفة والمؤلفات العديدة والـكتب الفكرية التي نشرها مفكرو العرب وكتابهم فحللوا فيها عوامل المأساة ورســـموا طريق الخلاص • وبقى الشعر يؤدى دوره في شحذ العواطف عن طريق الوصف المؤثر والـكلمة البليغة •

ونستطيع ان نرى في هذا الشعر اتجاهين بارزين فهو ، في الدور الاول من النكبة ، شعر يرمي الى تنبيه الغافلين وتمجيد البطولة والتحذير من الاعداء والشك في الزعامات الزائفة ، أما في الدور الثاني من النـكبة

فهو شعر مطبوع بالحزن القاتم ينوح نوح الكريم المطعون في كبريائه حينا ، ويهدر هدير الثائر حينا اخر • ثم هو شعر وصفي رسم المأساة وصور الحياة التي اعقبت الهزيمة تصويرا واقعيا مؤثرا ، وهدر بالنقمة على الفئات العربية الحاكمة آنذاك التي لم تعرف كيف تعد الشعب للمعركة وتدفع عنه عار النكبة •

وقد ماجت في هذا الشعر عواطف اليأس والقلق وثارت صيحات السخط ، ولكن النكبة استطاعت ان تصهر النفس العربية وتبعد عنها يأسها فأعادت اليها الثقة والايمان وأظهرتها على ان الشعب العربي لم يهزم وانما هزمت حكوماته المتخاذلة آنذاك • وجاءت الانتصارات العربية في مختلف أقطار العروبة لتزيد هذه الثقة في النفوس • وقد صور الشعر هذه اليقظة النفسية واصبح نشيد التصميم على العودة كما غدا نشيد الثأر الذى يتردد على الافواه •

أما من الناحية الفنية فيمتاز هذا الشعر بسهولته وتواثب أنغامه دون تعقيد أو التواء لانه وليد العاطفة الدافقة • وقد اعتمد على الصورة في اظهار تأثيره كما اعتقد على الحكاية والقصة ، ومن ذلك ما نلاحظه في أوصاف حياة المشردين وآلامهم • وكان يفضل البحور الخفيفة والقوافي اللينة ، وظهرت فيه بعض التيارات الشعرية المعاصرة كالرمزية والواقعية والتزم بعض الشعراء فيه أسلوب الشعر الحر •

ايها السادة

ان المعركة التي خسرها العرب ليست نهائية ، ومن قرأ تاريخ فلسطين أدرك انها مرت بمثل هذه المحنة ثم نجت منها • وفي قيام الدولة اللاتينية وزوالها شاهد على ذلك •

ولكن لا يكفي أن يغرينا التاريخ بالامل بل يجب ان نعد للنصر عدته ، ولن يكون هناك نصر ما دام العرب دويلات مجزأة تتناحر ، فلنسر في طريق الوحدة ، ولنقم دولة العرب الموحدة ، ولنعبىء الجهود ، ولنواجه مشكلاتنا القومية والاقتصادية والاجتماعية ، وليكن العلم هاديا والادب حاديا ، فقد آن لنا أن نمحو العار وندخل باب التاريخ من جديد .

جودة الركابي
الوفد السوري

مأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر

بقلم
الدكتور جميل سعيد

مقدمة البحث

هذا بحث سريع موجز « لمأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر » عرضت له بعد ان اطلعت على بحوث قليلة كتبت فيه • وقد اشرت اليها في اماكنها من بحثي هذا •• ودفعني الى الكتابة فيه ان البحوث الادبية القليلة التي سبق ان قرأتها فيه ، قد كتبت باسلوب عاطفي تخاطب به القلوب قبل العقول • وماذا تنتظر من احاديث كتبت عن العسف والظلم ، والتشريد والحبس ، والشنق والقتل ، والنفي والطرد من الوطن • ثم العيش – بعد هذا كله – في خيام بالية يتصدق على اللاجئين بها ظالموهم ببلغة العيش ، ويعيشون غير بعيد من بيوتهم وحقولهم واراضيهم • وتظل عيونهم معلقة بوطنهم الذي شردوا منه ، وظل ينعم بخيراته ظالموهم واعداؤهم !؟

وزاد في فداحة هذه المآسي في نفسي ان كان لي من اهل فلسطين اصدقاء استمعت اليهم يقصون قصصهم بألفاظهم ودموعهم ؛ يحدثون كيف اعجلوا وتركوا قدورهم على النار ، وخرجوا جياعا مسرعين ، لا يحملون من بيوتهم زاد المسافر الراحل •

وزاد في عذابهم انهم توهموا ، ساعة اخرجوا ، « انهم عائدون » • ثم توالت الايام والاسابيع والاشهر والسنين ، ونشأ جيل اخر منهم يحدثه

آباؤه اللاجئون أهل الخيام بأنهم كانوا وكان ...

ودفعني هذا وهذا الى الحديث عن « مأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر » • ورحت ابحث عن هذا الشعر وعن دواوين الشعراء ، وعجبت الا اجد شيئا منها في اسواق الوراقين في بغداد • واتجهت الى المكتبات العامة والخاصة فلم اجد فيها الا القليل • وبعثت اطلبه من مكتبات الاردن والقاهرة ، فلم احصل على بغيتي منه •

لقد زادني هذا اهتماما وتشبثا في البحث • ورجوت ان يكون مما ينبه اليه مؤتمرنا هذا ان تنشأ في كل بلد عربي « مكتبة » يجمع فيها كل ما كتب عن فلسطين ، ويكون التزود من هذه الكتب ـ ولا سيما ما يخاطب القلوب منها ـ زادا يبعث اليقظة والحماس في نفوسنا ، لنصرة اهل فلسطين وعونهم في استرداد وطنهم المغصوب وحقهم السليب •

اما بحثي هذا فقد رأيت ان يبحث في حلقات ، تكون اولاها في أثر مأساة فلسطين في شعر اهل فلسطين انفسهم ، وتكون الثانية في اثر المأساة في شعر الشعراء العرب عامة ، وتكون الثالثة في أثرها في ادب الادباء من المسلمين من غير العرب ، من الفرس والترك والهنود وغيرهم ـ اولئك الذين هزتهم فداحة المأساة فكتبوا فيها نظما ونثرا •

ثم تكون الرابعة في بحث اثرها في غير المسلمين وغير العرب ؛ اولئك الذين رأوا في « مأساة فلسطين » مأساة انسانية ، لا تقتصر على وطن او جنس او دين وقد هزتهم المأساة فكتبوا فيها •

وقد قصرت حديثي الان على مأساة فلسطين واثرها في شعر الفلسطينيين خاصة ، وعسى ان يكون بحثي هذا مقدمة لغيره من بحوث يكتبها غيري او اكتبها انا في القريب ان شاء الله •

واعتذر للحاضرين من الزملاء الذين لا يرون فيه جديدا ، وحسبي وحسبهم منه هذه الروح التي كتبته بها •

جميل سعيد

الاعظمية ـ في ١٣ـ٢ـ١٩٦٥

فلسطين

موقعها . فتحها . اهميتها عند العرب

قال ياقوت في معجمه[١] : « فِلَسْطين بالكسر ثم الفتح وسكون السين ، وصاد مهملة ، وآخرها نون في آخر كور الشام من ناحية مصر ، قصبتها البيت المقدس ، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة، وغزة وارسوف، وقيسارية ونابلس واريحا ، وعمان ويافا وبيت جبرين » .

هكذا كانت فلسطين أيام تحدث عنها ياقوت . وواضح انها غيرها الآن ، وقال : « واكثرها جبال والسهل فيها قليل » . وفلسطين منفذ جزيرة العرب الذي تطل منه على البحر الابيض المتوسط . وبها تتصل آسيا العربية بافريقية العربية . وهي تتوسط بلاد العرب وتقع منها موقع القلب فهي عين بلاد العرب وقلبها . ثم هي ـ بعد هذا ـ مركز تجاري هام يصل اوربا بآسيا .

وتحدث ابن الأثير[٢] عن الفتوحات العربية الاسلامية سنة خمس عشرة للهجرة ، فقال : « في هذه السنة فتحت بيت المقدس ، وقيل سنة ست عشرة في ربيع الاول » .

وفلسطين هذه قبل ان يفتحها العرب كانت لها مكانة وقدسية في نفوسهم ، لقد كانت قِبلة المسلمين الاولى واليها توجهوا قبل المسجد الحرام[٣] ، وفي الطبري في تفسير قوله تعالى : « قد نرى تقلّب وجهك في

---

(١) معجم البلدان ص ٩١٤ طبعة لايبزج سنة ١٩١٤ .
(٢) الكامل ج٢ ص ٣٤٧ .
(٣) تفسير الطبري ج ٣ ص ١٧٢ .

السماء فلنولينّك قبلةً ترضاها ، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام » قال الطبري : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي نحو بيت المقدس وكان الناس يصلّون قِبَلَ بيت المقدس ، واستقبله النبيّ ستة عشر شهرا .

وفي تفسير روح المعاني للألوسي[1] في الحديث عن الآية الكريمة نفسها « .. أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن البراء قال : صلينا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس » . والى المسجد الاقصى الذي اشارت اليه الآية الكريمة : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » كان اسراء الرسول ومعراجه . ولقدسيته في نفوسهم فسروا لفظة : « **الأقصى** » بقولهم : « **ليس وراءه موضع عبادة ، فهو ابعد مواضعها** » وقيل في « الاقصى » بعده عن الاقدار والخبائث[2] . ومما فسروا به قوله تعالى ، قولهم : « وبركته مما خصّ به من كونه متعبد الأنبياء عليهم السلام وقِبلة لهم »[3] وقالوا في « باركنا حوله » جعلنا البركة فيما حوله بان جعلناه مقر الانبياء ومهبط الملائكة .. وبذلك صار مقدسا عن الشرك ، لانه صار متعبّداً للأنبياء ودار مقام لهم »[4] .

وروى البخارى ومسلم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ عن ابي هريرة : « لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » .

وفي روح المعاني[5] .. (اخرج أحمد وابو داود وابن ماجه عن ميمونة مولاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ انها قالت : يا نبيَّ الله افتنا في بيت المقدس ، قال : أرض المحشر والمنشر ، اِئتوه وصلّوا فيه فان صلاة فيه بألف صلاة) .

---

(١) روح المعاني ـ للالوسي ج ٢ ص ٧ .
(٢) المصدر نفسه ج ١٥ ص ١١ .
(٣) المصدر نفسه ج ١٥ ص ١١ .
(٤) مجمع البيان ـ للطبرسي ج ١٥ ص ١١ .
(٥) روح المعاني ج ١٥ ص ٩ .

هذه هي النظرة الدينية ، او النظرة المقدسة الى المسجد الأقصى وبيت المقدس ، وفلسطين . اما النظرة الدنيوية اليها فقد اقترنت بالنظرة الدينية ، فهي عندهم جنة الأرض وان الله سبحانه انعم عليها بما ميّزها على غيرها من الكثير من البلدان ، حتى ذهب المفسرون في تفسير قوله تعالى « باركنا حوله » في الآية الكريمة السابقة الى قولهم : اي جعلنا البركة فيما حوله من الأشجار والثمار والنبات ، والأمن والخصب ، حتى لا يحتاجوا الى ان يجلب اليهم من موضع آخر[١] . وكأن الزمخشري رحمه الله ـ لخَّص في كشافه أقوال المفسرين في الآية الكريمة « باركنا حوله » فقال[٢] : « يريد بركات الدين والدنيا ؛ لانه متعبّد الأنبياء ... ومهبط الوحي . وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة » .

وقال في موطن آخر من الكشاف[٣] « وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين » وارض فلسطين هذه كانت متغنّى الشعراء . وقد اشتهرت مدنها بالخمر[٤]، وادارها الشعراء ، ـ ولا سيما شعراء الخمر ـ في اشعارهم.

---

(١) مجمع البيان ـ للطبرسي ج ١٥ ص ١١ .

(٢) الكشاف ج ٢ ص ٦٤٨ .

(٣) الكشاف ج ١/٦٢٠ .

(٤) انظر مدن فلسطين في معجم البلدان ـ لياقوت .

حالتها السياسية والاجتماعية

قبيل استعمارها وثورتها ونكبتها

وظلت فلسطين بلداً عربياً ، اسلاميا ، حتـــى اذا آل الحـكم الى العثمانيين ، في اوائل القرن السادس عشر واسسوا ملكهم ، وحكموا البلاد العربية ، كانت فلسطين واحدة منها •• وظلوا كذلك حتى أوائل القـرن العشرين حين نشبت الحرب العالمية الاولى •

وسارع العرب ـ وكانوا قد ذاقوا العسف والظلم من العثمانيين ـ الى الثورة عليهم ، والانضمام الى اعدائهم ، الانكليز والفرنسيين • واعلنـوا الثورة التي بدأت في الحجاز سنة ١٩١٦ وما لبثوا أن أتجهت كتائبهـم الى الشام فاحتلت من مدنها معان ودرعا وفي أول أكتوبر سنة ١٩١٨ دخلت دمشق ، وتوغلت في سوريا وانضمت اليها حمص وحما وحلب • كـان الجيش العربي يزحف من الشام وكان الجيش الانجليزي يزحف من مصر متجهاً الى فلسطين يحتل مدنها • وفي ديسمبر سنة ١٩١٧ دخل اللنبي مدينة « القدس » ثم واصل زحفه محاذياً ساحل البحر الأبيض المتوسط • وفي انتصاراته هناك انتهى حكم العثمانيين من بلاد الشام وغيرها من بلاد العرب •

وتوّهم العرب أن فجراً جديداً سيطلع عليهم ، فتكون لهم بلادهم يحكمونها ويديرون أمورها ، ولكن سحب الخيبة حامت في سمائهم ساعة دخول هذا العلج الى بيت المقدس واعلانه أن الحروب الصليبية قد انتهت الآن • وليت الانكليز اعتبروا الفتح امتدادا للحروب الصليبية ، وحكموا

هذا البلد كما حكموا غيره من مستعمراتهم العربية وغير العربية • لقد بدأت محنة فلسطين ساعة دخولهم فيها ، وبدأت مأساتها ومأساة العرب فيها ، بشكل لا نعرفه في التاريخ لأمة من الأمم ولا لبلد من البلدان •

وما دام الأمر يتعلق بالانكليز ، فالأولى أن نلخص الأحداث تلخيصاً سريعا على نحو ما لخصه كتاب الانكليز ومؤرخوهم ، فهو ادعى الى انصافهم – ان كانوا على شيء من الانصاف • يقول البروفسور آرنولد توينبي ، أشهر مؤرخي القرن العشرين ومدير المعهد الملكي للأبحاث الدولية في بريطانية ، واستاذ الدراسات الدولية في جامعة لندن ، يقول : « ان الدولة الغربية التي تتحمل حصة الأسد في المسؤولية عن الخيبة في فترة ما بين الحربين ، لانقاذ الموقف في فلسطين هي بريطانية ، التي كانت اولاً الدولة المحتلة ، ثم كانت الدولة المنتدبة • وقد ادارت شؤون الانتداب من سنة ١٩١٧ – ١٩٤٧ • وفي خلال هذه السنين الثلاثين الحرجة ، كان موقف الحكومة البريطانية الشامل لجميع الاحزاب والذي طبقته جميع الحكومات المتابعة هو التعامي المقصود الجدير بالادانة •

فمنذ البداية حتى النهاية لم يكن في تفكير البريطانيين أية خطة عملية لاقرار الامور سلميا في وضع فلسطين غير المستقر ، القابل للانفجار ، والذي أوجدته بريطانيا بتروٍ وتعمّد •

وان الحكومة البريطانية لم تحاول اقرار الامور في نصابها حتى بالنسبة لعدد السكان من ناحية عنصرهم كيهود وعرب الى أن سمح للاقلية اليهودية بأن تصبح كبيرة في عددها ؛ أصبحت الى ما يقرب من ثلث مجموع السكان[١] •

وقال : « ان الكثير من المسؤوليات الناتجة عن اعمال الصهيونيين ، والفلسطينيين العرب في سنة ١٩٤٨ يقع على عاتق بريطانية العظمى • وقد

---

(١) مقال توينبي ص ٤ نشرته الامانة العامة لجامعة الدول العربية •

سبق لي أن قلت هذا وبينته • ان بريطانية باعتبارها الدولة المنتدبة قد استعملت قوتها لتجعل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، على مدى لا يمكن أن يقبله السكان العرب في البلاد بأختيارهم أمراً ممكناً ، ولانها رفضت باستمرار مواجهة الحقائق في انها كانت تتبع سياستين متناقضتين في آن واحد ، وانها برفضها الاختيار بينهما كانت تدفع فلسطين نحو الكارثة بخلقها موقفا أصبح معه عيش العرب واليهود جنبا الى جنب في فلسطين امرا يزداد صعوبة وحراجة[1] •

وقد يتوهم متوهم ان الاستاذ توينبي ، قد حابى العرب في كلامه هذا ، فننقل اليه قوله أيضاً ، يقول « ومع أني في كلتا الحربين العالميتين خدمت موظفا موقتا في وزارة الخارجية ، لم اعمل قط في مجال موال للعرب ، وكنت على الدوام معارضاً ، بصورة شخصية ، للسياسة البريطانية بشأن فلسطين »[2] •

ولنجلو الحالة التي أجملها الأستاذ المؤرخ بشيء من التفصيل فبين به كيف سارت هذه الأحداث نورد ما أوردته الكاتبة الانكليزية الشهيرة ايثل مانن Ethel Mannin وجعلته مقدمة لقصتها الطويلة « الطريق الى بئر السبع » •

قالت : الى اليوم التاسع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٧ كان هناك بلد يسمى فلسطين ، وهو الوطن العتيق للفلسطينيين القدامى • وهو بلد عربي الصبغة بصورة واضحة •

وحين صدر اعلان « بلفور » في شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ مؤذنا بأن الحكومة البريطانية تؤيد قيام وطن قومي لليهود في فلسطين كانت أغلبية السكان هناك من العرب • كانوا بنسبة تزيد على ٩٠٪ على التسعين بالمائة من مجموع السكان • وكان في فلسطين في ذلك الوقت نحوا من خمسين

---

(١) المقال نفسه ص ٥ •
(٢) المقال نفسه ص ٤ •

الف من اليهود • اما المسلمون والمسيحيون فكان عددهم وقتذاك نحو سبعمائة وسبعين الفا •

كان السير هربر صموئيل اليهودي الصهيوني البارز قد دعا سنة ١٩١٥ بمذكرة بعنوان (مستقبل فلسطين) الى هجرة ثلاثة أو اربعة ملايين من اليهود الى فلسطين تحت الحماية البريطانية ، ومن هنا وضحت مطامع الصهيونيين ، وظهر ان ما يرومونه لم يكن موطناً يلوذ به ضحايا الاضطهاد من اليهود في مختلف البلدان ، وانما كان هدفهم اقامة دولة يهودية تامة الأركان •

وصدر اعلان « بلفور » بعد ذلك بثلاث سنوات تقريبا ، فرأوا ان عدد اليهود في فلسطين اقل بكثير مما قدروا وحسبوا • وكان الحل البديهي في نظر اليهود هو زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين الى حد يصبح معه اليهود اغلبية في السكان هناك •

وفي سنة ١٩١٩ اصدر الزعيم الصهيوني الدكتور « وايزمان » تصريحه المشهور الذي قال فيه : « ان فلسطين ينبغي ان تغدو وان تعتبر يهودية مثلما تعتبر انجلترا انكليزية » وفي سنة ١٩٣٠ تجسم اعلان بلفور في صورة الانتداب الانكليزي على فلسطين •

كان العرب يوم قاتلوا في صفوف الحلفاء ضد الاتراك في الحرب العالمية الاولى ، قد اعتقدوا انهم انما يحاربون في سبيل استقلالهم ، على انهم ما لبثوا ان وجدوا انفسهم يعوّضون عن استقلالهم بان ينكبوا بالانتداب الانكليزي والفرنسي • وراحت الهجرة اليهودية تتدفق الى فلسطين ، وجهد العرب جهدهم في التحكم بها ، ولكن الهجرة غير المشروعة ظلت تتزايد عن طريق مكتب يزوّر الجوازات في « برلين » •

وازدادت مقاومة العرب لهذا ، وهاجوا واضطربت البلاد وفرضت عليهم الأحكام العرفية ، وواصلوا كفاحهم الوطني في سبيل استقلالهم ••

ونشبت الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن الوطن القومي لليهود قد تحقق ، ولكن تعدادهم قفز من خمسين الف الى ستمائة الف • وكانت حكومة الانتداب قد منحت اليهود سيطرة متزايدة على مقدرات البلد الاقتصادية • لقد جعلت الصناعات الصهيونية تتمتع بحماية الحكومه على حين راحت تدمر القرى العربية لتفسح الطريق الى المستعمرات الصهيونية • وصار لليهود مستشفياتهم ومدارسهم ومنظماتهم السياسية ، وهكذا صاروا يتمتعون بحماية تحيزية من حماتهم البريطانيين •

وكما كانت الحرب العالمية الاولى سبباً في اعاقة المطامع الصهيونية ، كانت الحرب العالمية الثانية سببا في اعاقة آمال العرب الوطنية • وقد ثبت ان اضطهاد النازيين لليهود في المانيا كان سندا قويا للصهيونية •••

وتألفت لجنة انكليزية امريكية ـ كان ثلاثة من اعضائها الستة من غلاة الصهيونية زارت فلسطين سنة ١٩٤٦ واوصت في تقريرها بادخال مائة الف يهودي اليها فورا • واستعجل الرئيس ترومان بتنفيذ وصيتها وترك الباب مفتوحا لزيادة الهجرة اليها في المستقبل •

وفي سنتي ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ انعقد مؤتمر فلسطين في لندن ولم يصل ممثلوه الى اتفاق ؛ ذلك لان ممثلي العرب طالبوا ان تقوم في فلسطين دولة عربية ديمقراطية مستقلة ، ومن هنا احيلت (قضية فلسطين) الى « الامم المتحدة » • وخصصت دورة غير عادية للفصل فيها • وتحت الضغط الصهيوني الذي تؤيده الولايات المتحدة اوصت اللجنة الخاصة التي الفتها الامم المتحدة لشؤون فلسطين بتقسيم ذلك البلد •

وفي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قامت الجمعية العمومية بمنظمة الامم المتحدة المنعقدة في واشنطن باقرار تقسيم فلسطين يؤيد التقسيم ثلاثة وثلاثون صوتاً ، ويعارضه ثلاث عشرة صوتا ، وامتنع عن التصويت عشر دول ، كانت بريطانية واحدة منها • وفي مذكرة ترومان حديث عن الضغط الصهيوني ، وعن الاساليب التي استخدمت للحصول على هذه الاكثرية

الساحقة ، يقول : « لقد تعرّضت الولايات المتحدة لضغط لم يكن له مثيل من قبل ، وما سبق للبيت الابيض ان تعرض لمقدار من الضغط والدعاية على نحو ما تعرض له في هذه المناسبة . ولقد ازعجني وضايقني الحاح بضعة من زعماء الصهيونية المتطرفين مدفوعين بعوامل سياسية ، مستخدمين التهديدات السياسية ، حتى وصل الامر ببعضهم الى ان الحّ علينا بان نضغط على الدول الكبرى لتقف الى جانبهم عند انعقاد الجمعية العامة » .

وصرح « روبرت لوفيت » نائب وزير الخارجية بانه لم يتعرض في حياته ابداً لمثل ذلك الضغط الذي تعرض اليه في اثناء المراحل النهائية للتصويت .

واعطت خطة التقسيم التي اقرتها منظمة الامم المتحدة ٦٠٪ من فلسطين ـ وبها اخصب المناطق ـ لثلث السكان وهم اليهود . اما المليون من الفلسطينيين وهم كل سكانها تقريبا ، فقد انتزعوا من اراضيهم وجردوا من املاكهم خلال الحرب التي نشبت بين العرب واليهود على أثر ذلك القرار .

وضُمّ ما تبقى من ارض فلسطين العربية على الضفة الغربية لنهر الاردن الى شرق الاردن ، الى المملكة الاردنية الهاشمية . اما الشريط الضيق المتاخم لساحل البحر الابيض والبالغ طوله خمسة وعشرين ميلا وعرضه خمسة أميال وهو كل ما تبقى من ولاية غزة ، فقد قامت مصر بادارته . وقد منح الرئيس ناصر في سنة ١٩٦٢ تلك المنطقة دستورا للحكم . وهذه المنطقة لا تزيد على ان تكون معسكرا فسيحا للاجئين .

ومن بين المليون من الفلسطينيين الذين فروا من بلادهم نتيجة للارهاب الاسرائيلي ـ الذي من امثلته مذبحة دير ياسين في سنة ١٩٤٨ ـ والذين طردوا من ديارهم ـ وهذا ما ينكره الصهيونيون رغم الادلة القاطعة ـ من هذا المليون يعيش اكثر من نصف مليون من اللاجئين في اسوأ حال . يعيشون في تلك المعسكرات التي تمدها الامم المتحدة بالمعونة منذ أواخر سنة ١٩٤٩ الى الآن . اما الباقون فقد استوعبتهم بلاد كريمة

اخرى . وظل هؤلاء وهؤلاء يطالبون باستعادة وطنهم واعادة اسكانهم . وما من احد منهم سواء اكان ممن في المعسكرات ام في خارجها قد حصل على فلس واحد تعويضاً له عن بيته او ماله أو أرضه التي اغتصبها اليهود .

ان الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة تكرر كل عام تأييدها وتاكيدها لحقوق عرب فلسطين اللاجئين في العودة الى بلادهم ، وتؤكد تأييدها للتعويض الكامل لمن لم يرغب في العودة الى حيث يكون مواطناً من الدرجة الثانية في دولة يهودية . ان الجمعية العامة تؤكد قرارها هذا كل عام ، ولكن قرارها هذا لم يوضع قط موضع التنفيذ . ان مسز جولدا ماير وزيرة الخارجية الاسرائيلية قد اعلنت ما هو على النقيض من هذا ، قالت : « انّ سياستنا لم تتغير . فنحن لن نقبل لاجئاً واحدا ابداً » .

حالتها الثقافية

وسكان فلسطين عرب قبل ان يفتحها العرب المسلمون • كانوا عربا اندفعوا اليها بموجات متتابعة من جزيرة العـرب • واسسوا فيها ممالـك ودولا ، ومن هؤلاء الانباط ، ومنهم الغساسنة الذين كانوا مقصد الشعراء العرب في جاهليتهم • ولا نرانا بحاجة الى الحديث عنهم او التفصيل فـي أخبارهم لشهرتهم بين قراء العربية •

ولم ينقطع مدد القبائل العربية النازحة اليها المتجولة في ارضها بعـد الفتح الاسلامي ، ولا تزال الى اليوم بها القبائـل العربية التي تحيا حياة البدو متجولة وهي تحتفظ بانسابها وصلاتهـا بالقبائل العربية الاخرى ، بالحجاز ونجد ومصر • ومع ان أهل فلسطين عرب يتحدثون باللغة العربية، فان الدراسة فيها أيام العثمانيين كانت باللغة التركية شأنها في هذا شـأن الـكثير من البلاد العربية الاخرى •

وباحتلال الانكليز لها عام ١٩١٨ انشئت بها مدارس عربية ، ويهودية • أما المدارس اليهودية فقد تركت لليهود يتصرفون بادارتها ، واما العربية فقد اشرفت على ادارتها حكومة الانتداب ، وجعلت لغة التدريس بهـا العربية • وقد كان بها في سنة ١٩٢٠ ، ٢٢٤ مدرسة • ولم يقنع العـرب من سكان فلسطين بالقدر الذي كانت تنشؤه حكومة الانتداب هذه بل راحوا ينشئون المدارس الاهلية فكان لهم عام ١٩٤٥ قبيل نكبتهم أكثر من ثلاثمائة مدرسة أهلية • وكان عدد الاطفال الذين يعرفون القراءة في المدن يتراوح بين ٤٠ ـ ٤٥٪ من مجموع السكان ، وهي أعلى نسبة في البلاد العـربية ، باستثناء لبنان •

كانت أغلب المدارس الحكومية ابتدائية ، وقد سد العرب النقـص في التعليم العالي بان اتجهوا الى لبنان ومصر يدرسون بهما الدراسة العالية •

وشجّعهم على هذا ان رأوا اليهود يتعلّمون بالجامعة العبرية التي انشئت منذ عام ١٩٢٥ .

ويظهر ان العرب الفلسطينيين كانوا يجدون انفسهم في تسابق ثقافي مستمر مع اليهود الذين تدفق سيلهم وباءً على فلسطين من البلاد الغربية المتحضرة فراحوا لا يكتفون بما تنشؤه لهم حكومة الانتداب وهي الحكومة الموالية - في كل مراحلها - لليهود . وجاء في كتاب « التربية في الشرق الاوسط الذي أخرجه مجلس التعليم الاميركي سنة ١٩٤٦ ، للدكتور مايوز والدكتور عقراوي »[١] .

« وليست ادارة المعارف وحدها هي التي تتولى الانفاق على التعليم العام في المدارس العربية ، فنظرا لقلة الاموال المخصصة للمباني المدرسية في القرى ولرفع مرتبات المستجدين من المدرسين اضطر سكان القرى في حالة احتياجهم الى مدارس جديدة ان يجمعوا الاموال لتشييد مبانيها ولشراء معداتها ، ولرفع مرتبات المستخدمين من معلميها . وقد بلغت الاموال التي جمعتها سلطات القرى من ابريل سنة ١٩٤١ - سنة ١٩٤٥ (٣٢٠/١٢٠١) جنيها فلسطينيا ... ولا تدفع الحكومة شيئا لشراء الاثاث لمدارس القرى . ولكنها تساهم في شراء بعض الكتب الدراسية » .

(١) ص ٢٨٠ .

فلسطين والشعر العربي

ومع أننا بينا ان فلسطين كانت عربية قبل ان يدخلها العرب المسلمون ، وان العربية لغتها ، وان اهلها كانوا من أحسن البلاد العربية ثقافة وتعليما في عصرنا هذا .

مع هذا فنحن لا نجد في فلسطين شعراء لهم شهرتهم ومكانتهم في الادب العربي القديم .

لقد عرض السيد كامل السوافيري لهذا[1] وبين انه يريد ان ينفض خطأ شائعا وقع فيه بعض الكتاب الذين تناولوا الحياة الادبية في فلسطين واصدروا حكمهم المتضمن أن البلاد لم تنتج في عصور الادب الماضية أدباء ... وحاول ان يعدد الشعراء والكتاب ، فذكر كشاجم الرملي ، نسبة الى مدينة الرملة البيضاء الواقعة بالقرب من مدينة يافا وبين ان الشاعر قسم أيامه بين مصر والرملة وحلب ، وكان شاعرا لابي الهيجاء ولابنه سيف الدولة . وذكر الغزى ابا اسحق المتوفى سنة ٥٢٤هـ بمدينة ، بلخ ، بخراسان . وعلل قلة الشعر بان فلسطين لم تكن وحدة سياسية مستقله في عصر من العصور ،وانها لم تكن مركزا لخليفة أو سلطان مدة طويلة من الزمن حتى يحفظا المواهب الادبية في شعبها . وان البلاد لم تشتهر بالرخاء الاقتصادي ، بله الترف الذي نعمت به العراق والشام ومصر والاندلس .

ونحن لا نرى في هذه الاسباب ما نقتنع به ، بل عندنا أن السبب الاخير ؛ وهو عدم توفر الرخاء الاقتصادى ، بله الترف ، كان ادعى لاثارة العواطف واهاجتها وانطاق الالسنة بالشعر . وان الضيق والحزن يكونان

---

(١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٥١ .

أكثر أهاجة للنفوس من الترف والسرور • ولست أود ان افصل في هذا الآن ، على اني أود ان اشير الى ناحية سبق ان اشار اليها الغربيون •

مر بنا قول ياقوت[1] عن فلسطين : « ان أكثرها جبال والسهل فيها قليل » ، وربما كان هذا من أسباب قلة الشعراء فيها ، ان الغربيين قاموا ببحوث دلت على الاثر البالغ الذى تلعبه البيئة الجغرافية في شاعرية سكانها • لقد عزا هاينرش فون تراتشكه في كتابه السياسة[2] خلو سويسرا وخلوا الاراضي الالبية المرتفعة من التطور الفني والشعري ، الى منظر الطبيعة العنيف هناك ، وقال « ان جلالها المهيب هو الذي يشل العقول » وقد عزز رأيه هذا بأن رأى ان أهل التلال والجبال التي يقل ارتفاعها عن الالب كأهالي سوابيا وتورونجيا ، حيث تكون الطبيعة هناك الطف وأهدأ ، وحيث تكون منبهة منشطة في غير ما عنف ، كما في سويسرا • هذه الطبيعة ـ على حد رأيه ـ قد خلقت كثيرا من الشعراء والفنانين • وفي كتاب سمپل[3] تعقيبا على رأيه هذا : « وهذه حقائق لا تقبل الجدل ولا الاخذ ولا الرد فيها » ووجد مثل هذا في فرنسا أيضا • فالطبيعة الفنية تنقص أهل أرض سافوي العالية • وتنقص مقاطعة الالب وتنقص الجهات الشرقية من البرانس كما تنقص شبه جزيرة بريطانيا، على حين تكون الطبيعة الفنية مواتية ، ويكون الفن مزدهرا في أهل انهار الاراضي الواطئة في فرنسا • وقد وجد ان الكتاب الانشائيين وكتاب الرسائل الفرنسين عامة ـ هم من أهل أرض الانهار او من أهل السهول، وقل أن يكونوا من سكان الاراضي العالية أو الجبال • واذا نحن نظرنا الى العراق بلدنا على نحو ما نظر الغربيون الى بعض اقطارهم ، رأينا الشعر

---

(١) انظر ص (٣) من هذا البحث •

(٢) انظر كتاب :
Semple : the influence of the Geografic Environment page 32

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة •

يردهر في الاراضي السهلية الخصبة التي غمرتهـا مياه ، الانهار ، فالعراق في جنوبه أكثر سهولة ومياها منه في شماله ، وهو كذلك في فنه وشعره • ان الجنوب أكثر فنا وشعرا من الشمال ، وان بغـــداد وما حولهـا الآن يتغنى أهلها في حفلاتهم ومراقصهم العامة باشعار أهل الجنوب • لقد أهمل النقاد العرب هذا ، وربما صرفهم عنه انهم رأوا ان الشعر له صلة بالوراثة ، وان الأب الشاعر قد يولد ولدا شاعرا ، ويظهر ان نظرهم الى زهير بن ابي سلمى ، وحسان بن ثابت ، ورؤبة ، وابن المعذل ، وابن ابي حفصة وابي الشيص وابنه ، هو الذي جرّهم الى هذا الرأي • يروى صاحب العمدة[1] ان الفرزدق مر يوما بمضرّس الفقعسي ، وهو غلام حديث السن ، ينشد الناس شعره ، فحسده على ما سمعه منه ، وقال له ــ بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح : « أدخلت أمك البصرة ؟ » وفهم عنه مضرس ما أراد ، فقال: «كلا ولكن ابي» ورجع الى الانشاد • فخجل الفرزدق • ويقولون ان أبا السمط مروان الاصغر بن ابي الجنوب بن مروان بن ابي حفصة عرّض بعليّ بن الجهم بقريب من هذا حين قال :ــ

لعمرك مالجهم بن بدر بشاعـر ... وهذا عليٌ بعده ينظم الشـعرا
ولكن ابي قد كان جارا لاهلـه ... فلما تعاطى الشعر أوهمني امرا

هذا عامل البيئة الطبيعية او الجغـــرافية ، وعندنا ان عامل البيئة الاجتماعية قـد يـكون أهـم من هذا • ان الامم قـد تعبر الحقب والدهور ولا شعر لهـا ، حتى اذا هاجتها الحرب وهزتهـا النكبات والمصائب نطقت بالشعر ، وهذا ما سنتحدث عنه • وان نظـرة الى ما انتجـه الشـعراء ممـا يتعلق بقضية فلسطين أو نكبة فلسطين لترينا انه يعادل ــ كثرة وجودة ــ ما قاله العرب في عصور •

---

(١) العمدة جـ ١ ص ٥٤ •

الحرب والشعر

يرى بعض الباحثين ان الحرب ينبوع الشعر ، ومبعثه في الامم عامة ، وان الامة قد تعيش الدهور ، ولا شعر لها حتى اذا اشتبكت في خصام وحروب داخلية ، او خارجية ، جاشت عواطفها وانفجرت بالشعر • وقد قادهم الى رأيهم هذا ان وجدوا أن الامم التي وصلتنا اشعارها انما تغنّت بالشعر على أثر حروبها •• وفي قصة الأدب في العالم[1] « ان أول أغنية كانت في تأريخ الأدب اغنية حربية تغنى بها الظافرون » وعللوا هذا الرأي أو وضّحوه بان قالوا: «كان الرقص أو ماظهر من الفنون؛ فاذا ما ارخى الليل سدوله على انسان العصر الاول رقص الراقصون حول نار يشعلونها ليمرحوا ويفرحوا بعد ما اصابوه من ظفر ونصر على اعدائهم في ساعات النهار • وانهم في رقصهم هذا يصيحون ويصرخون من نشوة الطرب ، فلا تلبث تلك الصيحات والصرخات ان تتماسك اجزاؤها ، وتنسجم نغماتها بحيث تناسب توقيع الرقص • وهكذا كانت اول اغنية بدأت في تأريخ الأدب ؛ اغنية حربية تغنى بها الظافرون » •

هكذا توهم الكاتب او هكذا تخيّل ـ تخيل الغالبين يمرحون حول النار فيرقصون ويصرخون مرحا وفرحا ومن صيحات الفرح تكونت اول اغنية • ترى ماذا يكون خيال الكاتب لو اتجه الى المغلوبين ؟ ان الرقص ينبعث من المغلوب أيضا « والطير يرقص مذبوحاً من الالم » والامم في أطوار بداوتها تضطرب راقصة على قبور الموتى ـ وهل الندب الا ضرب من الايقاع او ضرب من الرقص يقوم به الحزين تنفيساً عن احزانه وتعبيرا عنها ، كما يعبر الراقص في ايقاعه عن افراحه ؟ • والعرب لم يفرقوا بين الرقص

(١) تاليف احمد امين و زكي نجيب محمود ج١/٢٠ •

يقيمه الحزين والرقص يقيمه الفرح . ولقد عبروا عن الحالين بلفظ واحد . وفي القاموس المحيط : « الطرب خفة تلحقك تسرك أو تحزنك ، وتخصيصه بالفرح وهم » ومن هنا صرنا نراهم يستعملون اللفظ للتعبير عن الحزن أكثر من استعمالهم يعبرون به عن الفرح ـ يقول جرير[1] :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا وقطّعوا من حبال الوصل اقرانا
قد كنت في أثر الأظعان ذا طربٍ مروّعاً من حذار البين محزانا

واذا ذهبنا الى العواطف نستقصي حالة اضطرابها رأينا الحزن يهيجها أكثر مما يهيجها الفرح . ولله أبو العلاء حين يقول[2] :

ان حزنا في ساعة الموت اضعاف سرورٍ في ساعة الميلاد

واذا اترانا نستطيع ان نقول : ان اول أغنية كانت هي تلك الاغنية التي تغنى بها المغلوب الحزين قبل ان يتغنى بها الغالب الظافر المنتصر وان اغاني الحزين ربما فاقت اغاني الظافر كثرة وجودة ؟

نعم انا أرى هذا ، ولكن الأمم ـ ولكن الانسان يحب ان ينسى ما يحزنه ، ويحب ان يتذكر ما يفرحه ويؤنسه ، ومن هنا احتفظ لنا بأغاني الظفر حتى توهمناها اولى الاغاني ـ ومن هنا وصلت الينا أغاني الحرب عند الامم تحكى لتصور البطولة والغلبة ، ولا تحكى لتصور الهريمة والخيبة . فالكلدانيون في العراق لهم اغاني ظفر ، ينشؤها الشاعر الذي يصحب الملك المحارب ، ليشيد ببطولته وبانتصاراته . والهنود لهم « المهابهارتا » ملحمتهم الكبرى وقد بنوها على الفروسية والحرب ـ وكتابهم « الڤيدا » ، الكتاب المقدس عند الهندوس ، قد قام على الحديث بين المحاربين ، قالوا : ان السهول الفسيحة القريبة من بحر قزوين كانت في

(١) ديوان جرير طبعة الصاوى ص ٥٩٣ .

(٢) شروح سقط الزند السفر الثاني ص ٩٧٨ ـ مطبعة دار الكتب المصرية .

الماضي السحيق موطنا لطائفة من قبائل الرعاة وهاجر بعضها ... ، وراحوا يضربون في الارض حتى اطلوا على الشمال الغربي من الهند ، حيث السهول الخصبة الفسيحة ، وهناك تلقاهم « الداسيون » سكنة تلك السهول ؛ تلقوهم بعنف المستميت يذود عن حياضه وكانت الحرب . هذه الحرب بين الآربين الغزاة وبين اهالي البلاد كانت مصدرا لطائفة كبيرة من الاساطير والاغاني والترانيم والدعوات[1] .

وقالوا عن اليونان ان الشعر الغنائي قد نضج عندهم في نحو القرن السابع قبل الميلاد على اثر النزاع بين الاسبارطيين والمسينين وبين يونان آسيا الصغرى وجيرانهم ، وقد ذاقوا لذة النصر ومرارة الخيبة فجاشت صدور شعرائهم وانطلقت السنتها بالشعر .

والعرب كان شأنها في هذا شأن هذه الأمم ، حتى ان ابن سلاّم ذهب الى ان الشعر صنو الحرب[2] ، وانه لا يكثر في قوم لا تكثر حروبهم ولعل الذي اوحى اليه برأيه هذا انه نظر في الشعر الجاهلي فرآه قد قيل في الحرب وما يتعلق بها من خيل وسلاح وقتال ، واشادة بانتصار وتعيير بهزيمة ، وهجاء بجبن وخور ، وما الى هذا ما يقوله الغالب ، او من رثاء وبكاء على قتيل واعتذار لهزيمة ونكوص ، وتوعّد وتحفز لاعادة الكرّة وادراك للثأر وما الى هذا مما يقوله المغلوب .

وبعد ، فالحروب والنكبات ، كانت - وما تزال - مبعث الشعر عند الأمم عامة وهي كذلك عند العرب . ولقد دارت أشعارهم الجاهلية على الحروب يهيجونها بينهم ، وما ان انعم الله عليهم بالاسلام واتحدت كلمتهم ، حتى صرنا نقرأ اشعار الحرب تدور على حروبهم مع الفرس والروم ، ثم رأيناها تدور على نكبتهم في الأندلس . وها نحن في عصرنا الحديث هذا

---

(١) قصة الادب في العالم ج١/٤٠ .
(٢) انظر ص ١٠٢ .

نجد للشعراء العرب طائفة من الشعر تدور حول الحرب في فلسطين ثم نراها في « مأساة فلسطين » ، او « نكبة فلسطين » •

والفارق الكبير بين هذا الشعر والشعر القديم ، ان الشعر القديم كان في عامته تسجيلا لانتصارات الظافر ، ومرحه ونشوته ، وأن هذا الشعر الحديث قد صُبغ بسحابة قاتمة من الحزن ، بعثتها خيبة العرب ونكبتهم في فلسطين •

ايتها السيدات وأيها السادة • ان الامم ـ كما اسلفنا الآن ـ تحتفظ بأشعار الظفر والنصر ، ولا تحتفظ بأشعار الخيبة والهزيمة ، بل هي تحب ان تنسى اشعار الخيبة والهزيمة ، وتطمسها وتمحوها من ذاكرتها ، ولولا احساسنا الآن ان اشعار الخيبة هذه قد تحولت الى اشعار محفّزة ترك اهلها النواح ودبت فيهم روح المغلوب قد افاق من ضربته واستعاد قوته واحس أن الاوان قد آن ليعيد الكرة على خصمه ويثأر لنفسه ويستعيد حقوقه • لولا انني ارى هذا ، وأرى ان الحديث عن اشعار الخيبة والهزيمة يكون عاملا في يقظة العواطف وفي اثارة الهمم ، وفي حماسه النفوس لولا هذا لآثرنا ان نطوي الحديث عن هذا الشعر طياً وان ننساه ••• ونحن من أجل هذا نود اثارة الحديث عن هذه الحروب ، نود اثارة الحديث عنها بأبشع صورها ومظاهرها • نود ان نعيد الشعر لنصوّر المعركة ونبعثها بالنفوس ، نبعثها بابشع صورها ، ونثيرها وكأنها ما زالت قائمة وكأن المواطنين ما زالوا في وقدتها وفي اتونها وفي سعيرها •

مأساة فلسطين وأثرها في شعرها

١ ـ موقف حكومة الانتداب :

لقد كتبت الكتب الكثيرة عن فلسطين ، وان نظرة الى بعض عناوين هذه الكتب لتلقي ضوءً على قضية فلسطين وتطوّرها ، وتوحي بالروح التي أملتها على كاتبيها . ولا بأس ان أشير ـ قبل حديثي عن الشعر ـ الى بعض عناوين هذه الكتب .

بلادنا فلسطين[١] . الخطر اليهودي[٢] . الخطر الصهيوني[٣] . اضطهاد العرب في اسرائيل[٤] . سجل الارهاب الصهيوني[٥] . حكم الاسلام في قضية فلسطين[٦] . دفاع عن فلسطين[٧] . ثورة فلسطين[٨] . فلسطين الثائرة بين العرب واليهود[٩] . الثورة العربية الكبرى في فلسطين[١٠] . جهاد فلسطين العربية[١١] . فلسطين في المعركة[١٢] .

---

(١) تاليف مصطفى مراد الدباغ . القاهرة سنة ١٩٤٧ .
(٢) تاليف محمد خليفة التونسي . القاهرة ، سنة ١٩٥١ .
(٣) تاليف ابن العراق . القاهرة ، سنة ١٩٤٩ .
(٤) اعداد الامانة العامة لجامعة الدول العربية . القاهرة سنة ١٩٥٥
(٥) اعداد مصلحة الاستعلامات . القاهرة . سنة ١٩٦٣ .
(٦) اعداد الهيئة العربية العليا لفلسطين . القاهرة ، سنة ١٩٥٦ .
(٧) تاليف مندوبين عن دار الابحاث العلمية ورابطة فتيات الجامعة والمعاهد . القاهرة .
(٨) تاليف عبدالكريم العطار . القاهرة .
(٩) تاليف عبدالسلام حسني . القاهرة ، ١٩٣٩ .
(١٠) تاليف صبحي ياسين . القاهرة ، سنة ١٩٥٩ .
(١١) تاليف عمر ابو النصر وآخرين . يافا ، سنة ١٩٣٦ .
(١٢) تاليف فؤاد نصحي . القاهرة ، سنة ١٩٥٨ .

سيناء أرض المعارك[١٣] • فلسطين الدامية[١٤] • فلسطين الشهيدة[١٥] • شهيد فلسطين[١٦] • وطن الشهيد[١٧] • ارض الشهداء[١٨] • مأساة فلسطين[١٩] • كارثة فلسطين العظمى[٢٠] • النكبة ، نكبة بيت المقدس[٢١] • معنى النكبة[٢٢] • من أثر النكبة[٢٣] • بعد النكبة[٢٤] • ارملة من فلسطين[٢٥] • اللاجئون الفلسطينيون[٢٦] • اللاجئون الفلسطينيون ضحايا الاستعمار الصهيوني[٢٧] • طريق فلسطين[٢٨] • طريق العودة الى فلسطين[٢٩] • عائدون يا فلسطين[٣٠] • صوت الشعر في قضية فلسطين[٣١] • مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر[٣٢] • الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين[٣٣] •

ان عناوين هذه الكتب وحدها توحي للقارىء بسير القضية الفلسطينية ، وبتطورها ، وعندى انها ـ وحدها تبعث الحماس في الشاعر العربي وتهزه وتدفعه الى الاسهام في قضية فلسطين • وقد ساهم العرب ـ

(١٣) تاليف عبدالرحمن زكي القاهرة سنة ١٩٥٧ •
(١٤) اعداد جريدة الجزيرة • دمشق ، سنة ١٩٣٧ •
(١٥) تاليف عبدالكريم العطار • القاهرة •
(١٦) تاليف فوزي عبدالحميد • القاهرة •
(١٧) تاليف برهان الدين العبوشي • القدس ، سنة ١٩٤٧ •
(١٨) ابراهيم العريض •
(١٩) تاليف محمد عزة دروزة • دمشق ، سنة ١٩٥٨ •
(٢٠) تاليف فخري البارودي • دمشق ، سنة ١٩٥٠ •
(٢١) تاليف عارف العارف • بيروت ، سنة ١٩٥٦ •
(٢٢) تاليف قسطنطين زريق • بيروت ، سنة ١٩٤٨ •
(٢٣) تاليف محمد نمر الخطيب • دمشق ، سنة ١٩٥١ •
(٢٤) تاليف قدري حافظ طوقان • بيروت ، سنة ١٩٥٠ •
(٢٥) تاليف عبدالحميد جودة السحار • القاهرة ، سنة ١٩٥٩ •
(٢٦) اعداد يعقوب الخوري • القاهرة ، سنة ١٩٥٦ •
(٢٧) اعداد الهيئة العربية العليا لفلسطين • القاهرة ، سنة ١٩٥٥ •
(٢٨) تاليف علي ابو حيدر • بيروت •
(٢٩) تاليف صبحي ياسين • القاهرة ، سنة ١٩٦٠ •
(٣٠) تاليف فؤاد محمد شوقي • القاهرة ، سنة ١٩٦٠ •
(٣١) تاليف محمد صادق عرنوس • القاهرة ، سنة ١٩٦٥ •
(٣٢) تاليف صالح الاشتر • دمشق ، سنة ١٩٦١ •
(٣٣) تاليف كامل السوافيري •

والفلسطينيون منهم خاصة ـ في هذه الاحداث ، ولا عجب « لا تحرق النار الا من يطؤها» • ويبدو لي ان كل عنوان من عناوين هذه الكتب قد اتخذ منه الشعراء موضوعا لقصائدهم وقالوا فيه ، وبودي لو تتبعت هذه الموضوعات واحدا واحدا وعرضت لما قاله الشعراء فيها ، ولكني لا أرى هذا مما يمكن بمثل حديثي هذا • واذا فلا بد لي من ان اكتفي بالاشارة الى أهم الاحداث التي هزّت الشعراء وأنطقتهم بالشعر الحار وسأتتبع الناحية التاريخية أو الزمنية في هذا •

موقف حكومة الانتداب :

في سنة ١٩٢٠ انهت بريطانيا أدارتها العسكرية ، وأقامت مقامها ادارة انكليزية مدنية • وعينت السير هربر صموئيل أول مندوب سام لفلسطين • وصموئيل هذا تقول عنه « ايثل مانين » الكاتبة الانكليزية : « انه صهيوني بارز دعا منذ سنة ١٩١٥ بمذكرة بعنوان « مستقبل فلسطين » الى هجرة ثلاثة أو اربعة ملايين من اليهود الى فلسطين تحت الحماية البريطانية » وفي ديوان الرصافي[١] ـ والرصافي شاعر العراق ـ قصيدة بعنوان « الى هربر صموئيل » يثني فيها على هذا اليهوديّ الاثيم • وفي مقدمة القصيدة ان الرصافي حضر محاضرةً دعاه اليها راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس القى فيها يهودا محاضرة ذكر فيها مدنية العرب ، وان صموئيل هذا وعد الحاضرين وعودا سياسية سرّ بها الحاضرون فاهتز الرصافي لمواعيده ، وسجل هذا بقصيدة رائية جاء فيها :

خطاب يهودا قد دعانا الى الفكر	وذكّرنا ما نحن منه على ذُكْر
ولماتنا هيَّ من يهودا خطابه	وقد سرّنا من حيث ندري ولاندري
تصدى له هربر صموئيل ناطقاً	بسحر مقال جلّ عن وصمة السحر
وقال وقد أصغى له القوم اننا	سنرأب ما أثأته منكم يد الدهر

---

(١) ديوان الرصافي ص ٤٣٢ الطبعة الرابعة •

ثم قال الرصافي :

حنانيك يا هربر صموئيل كم لنـا ... على الدهر من حق مُضاع ومن وتر
فمن سامنا قسراً على الضيم يلقـ ... مصاعيب لا تعطى المقـادة بالقسر
فان شئت يا هربر صموئيل فأختبر ... خلائق منا لا تميل الى الغـدر

وقـال :

وعدت فأمسى القـوم بين مشكّك ... ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فكذب ـ وانت الحر ـ من ساء ظنه ... فقد قيل : إن الوعد دين على الحر

وقامت قيامة الشعراء الشبان في فلسطين وتصدوا للرصافي يهجونه على صفحات الجرائد[1] فأضطر لمغادرة البلاد . ومما يشار اليه في هذا قصيدة الشاعر وديع البستاني التي جاء بهـا على غرار قصيدة الرصافي بحرا وقافية يقول وديع[2] :

خطاب يهودا ام عجاب من السحر ... وقول الرصافي ام كُذاب من الشعر
وحقك ما أدري ، وادري ، ويالها ... مراوحـة بين الرصـافة والجسر
وما من عيون للمهى تجلب الهوى ... بأرض بها عين الزمـان على الحر
ببغـداد يا معـرف بالارض بالسما ... بربك بالاسـلام بالشفع والوتر
قريضك من درّ الـكلام فرائـد ... وأنت ببحر الشعر أعلم بالـدر
ولكن هذا البحر بحر سياسـة ... اذا مدّ فيه الحق آذن بالجـزر
عهـدناك عباسا بوجـه أعـزة ... فكيف لقيت الـذل بالعـز والبشر

(١) انظر كتاب الشعر الحديث في فلسطين والاردن لصديقنا الدكتور ناصرالدين الاسد ص ٩٨ .
(٢) المصدر السابق في الصفحة نفسها .

ولا نحب أن نجاوز هذا من غير أن نشير الى أن الرصافي كان معروفا بوطنيته اولاً وبكرهه للانكليز ثانيا ، ولـكنه ـ على ما يبدوا لنا ، قد خُدع باقوال يهودا وصموئيل وثنائهما على العرب واغرائهم بالوعـود فأهتـزت اريحيته ـ وهو الشاعر ـ فصدّق ما قيل • ونحن نجله أن يكون اسـمه أول الخونة ، وان ساءنا ان يكون أول المخدوعين من الشعراء •

٢ ـ بيع الارض :

ومنذ أن صرح هربر صموئيل بمذكرته « مستقبل فلسطين » ورأى فيها أن يهاجر ملايين من اليهود الى فلسطين ، وأخذت حـكومة الانتداب تمهد الهجرة لهؤلاء القادمين بالطرق المشروعة وغير المشروعة كان على اليهود المقيمين في فلسطين تهيئة الاماكن والاراضي للقـادمين ، فأبتدأوا يغرون أصحاب الاراضي ببيعها • وابتدأ البيع •••

كان الفلاّح الذى يفلح أرضه ولا تدر عليه في العام الا بضع جنيهات يغريه أن يرى أرضه هذه يدفـع فيها اليهود ـ وهم أهل المال ـ الالوف فيسارع الى بيعها •

هذه الحالة التي لم يسبق للعـرب ان ابتلوا بمثلها هـزت نفوس الشعراء وانطقتهم بالشعر •

يرى الشاعر ابراهيم طوقان ـ وهو أول شعراء فلسطين في هـذا العصر ـ النهاية القاسية التي سيؤول اليها وطنه فلسطين فيقول[١] :

أمامـك ايهـا العـربي يوم	تشيب لهـوله سـود النواصي
وأنت كما عهدتك •• لا بالي	بغـير مظاهـر العبث الرخاص
مصـيرك بات يلمسـه الأدانى	وسـار حديثـه بين الأقاصي
فلا رحب القصور غدا بـاق	لساكنها ، ولا ضيـق الخصاص

---

(١) ديوان ابراهيم طوقان ص ٢٨ •

ويستمع الى قول بعض اللبنانيين يحسدون أهل فلسطين على بيع أرضهم ، بل على بيع وطنهم فلا يملك الا ان يقول[١] :

يقولون في بيروت : أنتم بنعمة — تبيعونهم تربا ، فيعطونكم برا
شقيقتنا مهلا ؟ متى كان نعمة — هلاك ألوف الناس في واحد أثرى
وباذل هذا المال يعلم أنه — يسلّم باليمنى الى يده اليسرى
على أنها أوطاننا .. ما كنوزهم — وأموالهم ؟ حتى تساوى بها قدرا
ولو كان قومي أهل بأس ونخوة — اذن أصبحت للطامعين بها قبرا
ولكنهم قد آثروا السهل مركبا — تسيره الاهواء واجتنبوا الوعرا

ثم انظر لحسرته هذه التي يحس بها أن وطنه يباع ، والى تعنيفه البائع الذي يذكره بان يبقي باعا من أرضه لمدفنه فيها ، يقول[١] :

باعوا البلاد الى اعدائهم طمعا
بالمال لكنما أوطانهم باعوا ...
قد يعذرون لو أن الجوع أرغمهم
والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
وبلغة العار عند الجوع تلفظها
نفس لها عن قبول العار رادع
تلك البلاد اذا قلت : اسمها « وطن »
لا يفهمون ، ودون الفهم اطماع

* * *

اعداؤنا ، منذ أن كانوا ، (صيارفة)
ونحن ، منذ هبطنا الارض ، (زراع)
لم تعكسوا آية الخلاّق ، بل رجعت
الى اليهود بكم قربي وأطباع

(١) انظر الديوان نفسه ص ٨٦ .
(٢) ديوان ابراهيم طوقان ص ٥١ وما بعدها .

٣ ـ حادث البراق :

وتوالت الاحداث • ففي سنة ١٩٢٨ في آخرها وقعت أول ثورة عمت البلاد • كان سبب الثورة (حادث البراق) والبراق عند المسلمين هو جدار المبكى عند اليهود • ان حكومة الانتداب رأت أن تبقى الاماكن المقدسة في فلسطين على نحو ما كانت عليه أيام العثمانيين • ولكن اليهود أرادوا الاستيلاء على جدار المبكى ، وقاموا بمظاهرات في تل أبيب ، قام على أثرها العرب بهياج ومظاهرات • وأبتدأت الثورة بالقدس وسرت منها الى مدن فلسطين الاخرى ، الى الخليل والى صفد والى يافا وحيفا وعكا ••• وعمت القرى والمستعمرات اليهودية • واضطرت الحكومة ـ حكومة الانتداب ـ الى استقدام قوات من الخارج لكبح الثورة • وقدرت الاصابات بمئات من القتلى والجرحى من اليهود ومن العرب • وأصدرت المحاكم في فلسطين احكاما بالسجن على ثمانمائة عربي ، وأصدرت أحكاما بالاعدام على عشرين •

ونفذ حكم الاعدام في ثلاثة منهم في سجن عكه صبح الثلاثاء في يونيو سنة ١٩٣٠ •

هذا الحادث هز افئدة الناس • فنظم فيه الشاعر ابراهيم طوقان قصيدته « الثلاثاء الحمراء »[١] وقدم للقصيدة مقدمة مثيرة هيأ بها ذهن القارىء لاستقبال هول الحادث ، على نحو ما يفعل أهل الموسيقى التصويرية في تهيئة النفوس ، لاستقبال الحادث المثير المرعب ،وعلى نحو ما يفعل كتاب المسرحيات يهيئون لجو الجريمة بعبوس الطبيعة واثارة العواصف والرعود • واشار الى محاكم التفتيش اشارة خفيفة ، ولكنها تقدح في ذهن القارىء العربي صوراً مملوءة بالظلم والقسوة وعدم الانصاف • واشار الى الرقيق اسوده وابيضه واشار الى المحشر وصور المندوب السامي في فلسطين يُرتَجى عفوه على نحو ما يُرتجى خالق الناس ، ولكن عفوه ـ عفو المندوب السامي ـ بعيد •

---

(١) ديوان ابراهيم طوقان ص ٣٨ •

هذه الصور عرضها ابراهيم عرض الشاعر الموفق الذى يفصّل بعضها حيناً ، ويكتفي بالاشارة ـ ورب اشارة أبلغ من عبارة ـ حيناً آخر • ولو اقتصر في الحادث هذا على هذه المقدمة وحدَها لقلنا انه وفى • وزاد يقول :

لما تعرّض نجمك المنحوس | وترنّحت بعرى الحبال رؤوس
ناح الاذان وأعول الناقوس | فالليل أكدر ، والنهار عبوس
طفقت تثور عواصف | وعواطف
والموت حينا طائف | أو خاطف

والمِعولُ الأبديّ يُمعن في الثرى | ليردَّهم في قلبها المتحجر

* * *

يومٌ أطلّ على العصور الخالية | ودعا : « أمر على الورى أمثاليه ؟»
فأجابه يومٌ : « أجل أنا راويهْ | لمحاكم التفتيش ، تلكَ الباغية
ولقد شهدتُ عجائبا | وغرائبا
لكن فيك مصائبا | ونوائبا
لم الق اشباها لها في جورها | فأسألْ سوايَ وكم بها من منكر »

* * *

واذا بيومٍ راسفٍ بقيوده | فأجاب ، والتأريخُ بعضُ شهوده
« أنظر الى بيض الرقيق وسوده | من شاء كانوا ملكه بنقوده
بَشَرٌ يُباعُ ويُشترى | فتحرّرا
ومشى الزمان القهقري | فيما أرى •••
فسمعتُ مَن منعَ الرقيقَ وبيعَه | نادى على الأحرار يا مَن يشترى؟»

* * *

واذا بيوم حالِك الجلباب •• مترنّح من نَشوة الأوصاب
فأجاب : « كلا ، دون ما بك مابي أنا في رُبى (عاليه) ضاع شبابي
وشهدت للسفّاح ما ابكى دما
ويلٌ له ما أظلما لكنما •••
لم الق مثلَكَ طالعاً في روعة فأذهبْ لعلّك أنت يومُ المحشر »

* * *

(اليومُ) تنكره الليالي الغابرة وتظلُّ ترمقه بعين حائرة
عجباً لاحكام القضاءِ الجائرة فأخفتُها امثالُ ظُلم سائرة
وطن يسير الى الفناء بلا رجاء
والداء ليس له دواء الا الاباء ••
ان الاباءَ مناعةٌ ، إن تشتملْ — — نفس عليه تمت ولمّا تُقهرِ

* * *

الكل يرجو أن يبكّر عفْوه ندعو له الاّ يكدّرَ صفوُه ••
ان كان هذا عطفُه وحنوُهُ •• عاشت جلالتُه وعاش سموُّه ••
حمل البريدُ مفصّلاَ ما أُجملا
هلاّ اكتفيتَ توسُّلاَ وتسوُّلا
والموت في أخذِ الكلام وردّه فخذِ الحياة عن الطريق الأقصر

* * *

ضاق البريدُ وما تغيّرَ حالُ والذلُّ بين سطورنا أشكال
خُسراننا الأرواح ، والاموالُ وكرامةٌ ـ ياحسرَتا ـ أسمالُ
أو تبصرون وتسألونْ ماذا يكونْ ! ؟
ان الخداعَ له فنونْ مثلَ الجنونْ
هيهات ! فالنفسُ الذليلةُ لو غدتْ مخلوقةً من أعين لم تُبصرِ

* * *

أنّى لشاكٍ صوتُه ان يُسمَعا ... أنّى لباكٍ دمعُه ان يَنفعا
صخرٌ أحسَّ رجاءنا فتصدَّعا ... وأتى الرجاءُ قلوبَهم فتقطّعا ..

لاتعجبوا ، فمن الصحورْ ... نبعٌ يفورْ
ولهم قلوبٌ كالقبورْ ... بلا شعورْ
لا تلتمسْ يوماً رجاءً عندَ مَنْ ... جرَّبتَه فوجدته لم يشعرِ

وعرض للساعات الثلاث التي اعتلى فيها الابطال الثلاثة حبل المشنقة ، فتحدّث عن كلٍّ منهم في ساعته[1] .

والقصيدة في جملتها تحمل روح القوة ، وتمجد البذل والفداء وتحث المواطنين على الاقتداء بالذين سلكوا الدرب ، درب تحطيم القيود ، درب الشرف والخلود .

ويظهر ان حادث الشهداء هذا كان حادثا لا ينسى ؛ فقد ظلَّ يأخذ من أنفس الفلسطينين مأخذه كلما جاء العام بأيامه . وفي مقدمة[2] ديوان ابراهيم انه نظم قصيدته (الشهيد) في الذكرى الرابعة لهؤلاء الشهداء ، فخلدهم مرة أخرى ، واعاد الى نفوس اخوانه صور البذل . وقصيدة « الشهيد » هذه اولى القصائد التي يبدأ بها ديوان ابراهيم قال :

عبس الخطب فابتسم ... وطغى الهولُ فاقتحم
رابط الجأش والنُهى ... ثابت القلب والقدم
لم يبالِ الأذى ولم ... يثنه طارىءُ الألم
نفسه طوعُ همّةٍ ... وَجَمَتْ دونها الهممْ
تلتقي في مزاجها ... بالأعاصير والحمم

(١) انظر القصيدة في الديوان ص ٤٢ وما بعدها .
(٢) الصفحة ٢٦ من المقدمة .

تجمع الهائج الخَضَم إلى الراسخ الأشم
وهي من عنصر الفدا ء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة لفحُها حرّ الأمم

سار في منهج العلى يطرقُ الخلد منزلا
لا يبالي ، مكبلا ناله ام مجدلا
فهو رهنٌ بما عزم

★ ★ ★

ربما غاله الردى وهو بالسجن مرتهنْ
لم يشيّع بدمعةٍ من حبيبٍ ولا سكَن
ربما ادرج الترا ب سليباً من الكفن
لست تدري بطاحُها غيّبتْه ام القُنن
لا تقلْ أين جسمه واسمه في فم الزمن
انه كوكب الهدى لاح في غيهب المحن
أرسل النور في العيو ن فما **تعرف الوسن**
ورمي النار في القلو ب فما تعرف الضغن

اي وجهٍ تهللا يرد الموت مقبلا
صعّد الروح مُرسلا لحنه يُنشد الملا
انا لله والوطن

وعينت الحكومة ـ حكومة الانتداب يهوديا بريطاني الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين فأمعن اليهودي الانكليزي في النكاية والكيد للعرب • وثقلت على العرب وطأته فكمن له أحد الشبان المتحمسين بمدخل

الحكومة واطلق عليه النار فجرحه. وقد أثار الحادث، شاعرية ابراهيم فنظم قصيدته الفريدة (الفدائي) مجّد فيها الفداء وصوّر فيها الفدائي الجريء بأبهى ما تكون الصور وجعل بحرها ، هذا القصير النغمات ، يوحي بنفس الفدائي تتقدّم بخطى ثابتة وئيدة .

وجعل من وقفته يرتقب بها خصمه وظالمه لحنا يتكرر في القصيدة . وختم القصيدة به ليجعله اخر الصور التي تبقى في ذهن سامعه أو قارئه . والقصيدة نشرت في جريدة « البرق » البيروتية في حزيران ١٩٣٠ وعلّق عليها الاستاذ بشاره الخوري « الاخطل الصغير » بقوله : (اتعرف شيئاً عن الشاعريّة المتوثبة التي تجيش بها النفوس الظمأى الى حرّياتها ؟ أتعرف شيئاً عن البلاغة تطلقها الشفة الملتهبة دما ونارا ؟ تعرّفْ عليها اذن[1] :

لا تسل عن سلامته	روحه فوق راحته
بدّلته همومُه	كفناً من وسادته
يرقب الساعة التي	بعدَها هولُ ساعته
شاغلٌ فكر مَن يرا	ه باطراق هامته
بين جنبيه خافقٌ	يتلظّى بغايته
من رأى فحمْة الدجى	أضرمتْ من شرارته
حمّلته جهنمٌ	طَرَفاً من رسالته
هو بالباب واقف	والردى منه خائف
فاهدأي يا عواصفُ	خجلاً من جرأته

صامتُ لو تكلّما	لفظَ النار والدّما
قل لمن عاب صمته	خُلق الحزم ابكما

(١) الديوان ص ٦٥ .

واخو الحزم لم تنزل يده تسبق الفما
لا تلوموه ، قد رأى منهجَ الحقّ مظلما
وبلادا احبّها ركنُها قد تهدّما
وخصوما ببغيهم ضجّت الأرض والسّما
مرّ حينٌ ، فكاد يقتله اليأس انما ...

هو بالباب واقف والردى منه خائف
فاهدأى يا عواصف خجلاً من جرأته

ثورة فلسطين الكبرى :

وعاشت فلسطين أعوامها الثلاثين ، وهي الفترة التي ابتدأت عام ١٩١٧ في احتلال الانكليز وختمت بعام ١٩٤٧ وهو العام المشئوم الذي اغتصبت به فلسطين بحكومة اسرائيل ، حكومة اليهود • عاشت فلسطين اعوامها الثلاثين هذه بقلاقل وثورات متصلة شملت الحياة والناس • وكانت هذه القلاقل تبدو بصور فردية متفرقة وتكبر فتشمل القرية والمدينة وتدوم اياما واسابيع أو اشهر وتنفجر بصورة جماعية تشمل البلاد قراها ومدنها ، كالذي حدث في ثورة ١٩٣٦ الثورة الفلسطينية الكبرى التي امتدت نحوا من ثلاثة اعوام وقد بلغ عدد الشهداء فيها ثلاثة الاف وعدد الذين اعدموا شنقا مائة وخمسين ، وزاد عدد الذين سجنوا على الخمسين الف ، وزاد عدد الذين سجنوا سجناً مؤبدا على الالفين • وبلغ عدد الذين استقدمتهم حكومة الانتداب من الجنود من الخارج خمسين الف جندي لاخماد الثورة •

لقد عمت الثورة الناس وشارك فيها الفلاح والتاجر • واشترك المثقفون من الكتاب والشعراء والصحفيين بالجهاد وقالوا فيه الشعر ، واستشهد الكثير منهم في المعارك •

هذا الشاعر عبدالرحيم محمود صديق ابراهيم طوقان ، يتخرج في « كلية النجاح » ، ويعين شرطياً في حكومة الانتداب ، ويطلب اليه ان يطارد احد المجاهدين الثوار ، فتأبى عليه وطنيته هذا فيستقيل من عمله • وتنشب ثورة ١٩٣٦ هذه الثورة الفلسطينية الكبرى فيلتحق بصفوف المجاهدين ويلحّ عليه بالمطاردة فيهرب الى العراق • ويدعوه داعي الجهاد لمقاومة الدولة اليهودية في بلده فيلتحق بجيش التحرير ويخوض المعارك ويستشهد في « معركة الشجرة » بمنطقة الناصرة • هذا الشاعر يحض على الثورة ويقول من قصيدة له عنوانها (دعوة الى الجهاد) :

دعا الوطن الذبيح الى الجهاد ... فخفّ لفرط فرحته فؤادي
وقلت لمن يخاف من المنايا ... أتفرق من مجابهة العوادي ؟

انقعد والحمى يرجوك عونــا | وتجبن عن مصاولة الأعــادي

بني وطني دنا يــوم الضحايا | اغرّ على ربا ارض المعــاد
اثيروا للنّضال الحــقّ نارا | تصبُّ على العدا في كـل وادي
فليس احط من شعب قعيـــد | عن الجُلّى وموطنــه ينادي

ونجد القصائد الكثيرة في الحض على الثورة حتى لا ندري أيهـ نختار ، والى ايها نشير • يقول الشاعر برهان الدين العبوشي :

لهفي على الليث المهد د غابــه | قد كان اجدر ان يموت بغابه
فلنمش للموت الزوءام كمامشي | جيش النبي بشـيبه وشــبابه
فالمجد لا يُبنى بغير جماجــم | والمجد تحميه سيوف غضابــه

ويكثر الشعر الذي يشير الى (جبل النار) وهو لقب لجبل نابلس ، المؤلف من سلسلة جبال دارت فيها المعارك الكثيرة بين المجاهدين والقوات البريطانية سنة ١٩٣٦ • والى هذا الجبل يشير الشاعر ابو سلمى بقصيدة عنوانها (جبل النار) يخاطبه فيها ، ويحيي الثوار فيه :

جبل النار يا اعز الجبـــال | انت لا زلت معقد الآمــال
يفصح الصخر عن شـمائل ابنا | ئك فوق اللظى وعند النـزال
ايها الثائرون في جــبل النا | ر سلاما يا زينة الأبطـــال
ايها الثائرون قولوا فان الكـون | يصغــي الى لهيــب المقــال
جبل النار زأرةً تجعل الدهـر | يحيّــى محــطّم الأغــلال

ويقول الشعراء في الحرب ، وفي القتلى • وللشاعر عبدالرحيم محمود

قصيدة بعنوان (الشهيد) يقول وكأنه ـ يرحمه الله ـ يتحدث عن نفسه :

ساحمل روحي على راحتي — وألقي بها في مهاوى الردى
فاما حياة تسر الصديق — واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان — ورود المنايا ونيل المنى
وما العيش ؟ لاعشت إن لم اكن — مخوف الجناب حرام الحمى

لعمرك اني أرى مصرعي — ولكن أغذ اليه الخطى
ارى مقتلي دون حقي السليب — ودون بلادي هو المبتغى

لعمرك هذا ممات الرجال — ومن رام موتا شريفاً فذا
فكيف اصطباري لكيد العدو — وكيف احتمالي لسوم الأذى
أخوفا ! وعندي تهون الحيا — ة وذلاً ! واني لرب الإبا
بقلبي سأرمي وجوه العدا — ة فقلبي حديد وناري لظى
واحمي حياضي بحد الحسام — فيعلم قومي بأني الفتى

والشعر كما قلت في هذا الباب كثير كثير ، وربما كان في اسماء دواوين الشعراء وما نظموه من مسرحيات شعرية ما يغني عن الاستشهاد به . فللشاعر عبدالكريم الكرمي ابى سلمى مسرحية شعرية عنوانها **(الثورة)** والشاعر برهان الدين العبوشي يسمى ديوانه **(جبل النار)** وله مسرحية شعرية عنوانها (وطن الشهيد) وللشاعر هارون هاشم الرشيد (ارض الثورات) و (غزة في خط النار) .

حديث اللاجئين :

والحديث عن اللاجئين هو الصبغة التي اصطبغ الشعر الفلسطيني عامة • وصور هذا الحديث ما زالت تكثر وتتكرر وتتردد وهي معين لا ينضب من صور البؤس التي لاتعرف الحدود ، ولا شهد شعب في القديم ولا في الحديث مثيلا لها • لقد هزت هذه الصور شخصيات انسانية بعيدة عن العرب في الجنس واللغة والدين ، وانطقتهم حين رأوها بما يبعث الهم ويسيل الدمع • اذكر على سبيل المثال الصحفي السويدي Per-olow Anderson بير اولو اندرسن الذى زار اللاجئين في معسكراتهم قبيل حرب السويس ، وحدث انه كان من الموالين لليهود في بلده ، وممن اعانوا على تهريب اليهود خوف العدوان النازي ، هذا الكاتب سجل حياة اللاجئين بصور التقطها بالة تصويره ، وقدم لها مقدمة باكية نادى فيها الضمير الانساني وطلب العون والنجدةلهم[1] •

هذه هي حالة غريب كان مواليا لليهود بعيدا عن اللاجئين لغة وجنسا ودينا ، فما بالك بالعربي يرى اللاجئين بين سمعه بصره وتربطه بهم الروابط • ثم ما بالك بالشاعر يعيش مع اللاجئين ويكون هو نفسه لاجئا معهم ، وواحدا منهم !؟

ان الصور الشعرية التي نقرأها في الحديث عن اللاجئين هي نسيج وحدها ، ولا نكاد نعرف لها مثيلا في اشعار امة قديمة ولا حديثة بين الامم ـ يقول الناعوري[2] •

خيامنا تملأ رحب الفضا
وقوتنا لقمة احسان

---

(١) كتابه طبعة
they are Human Too Chicago, Illinois 1957
وانظرنا حديثنا عنه بمجلة الاقلام العدد الثاني •

(٢) الشعر الحديث في فلسطين والاردن ـ الدكتور ناصرالدين الاسد ص ٢٨٨ •

اذلـة نحــن ، وأوطاننـا
يمرح فيها خصمنا الجــاني

* * *

ستة اعوام تقضـت على
مأساتنا الكـبرى وتشـريدنا
لا اللدّ « والرملة » قد عادتـا
لتسمعا وقــع اغاريـدنا

وخليل زقطان شاعر لاجيء يحيا مع اللاجئين حياتهم ، فيغفر بآلامهم واحزانهم ، ويكفيك منه انه يسمى ديوانه « صوت الجياع » ويقول فيـه : « وليس الكتاب سوى صورة لما اشعر به ويشعر به سواي ممن اساكنهم واعايشهم ، وممن كانوا الضحية على المسرح الـدامـي الذي مثل عليـه الاستعمار دوره » استمع اليه يصحـو في خيمته ، خيمة اللاجـيء ، وينظر حوله ، فيهدهد احزانه بشعر اقرب الى البكاء منه الى الكلام ، يقول من قصيدة عنوانها (قسماً بجوع اللاجئين) بديوانه « صوت الجياع »(١).

أنا في ظـلال الواقــع المشـــحون بالارزاء أحيـا
انـا رغـم الآمـي الجسـام غـدوت أطـوى اليأس طيّا
واقــود آمــالي على اشلاءِ حُلم كــان غيّـا

* * *

انا قـد صحوت على الجراح تسيل من بعضي لبعضي
انا قد صحوت واذ انـا ملقىً بـارضٍ غـير ارضي

---

(١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري ص ٤٧٤ .

أنا قد صحوت على العـروبة تزدري جهـرا وتغضي
انا قد نظرت المستجير واذ به ـ يا قـوم ! ـ عرضي

وهارون هاشم الرشيد يسمي ديوانه الاول « مع الغرباء » ومن الغرباء هؤلاء غير اللاجئين !؟ وهو يتخيَّر ساعات المطر في الشتاء ، فيمـعن في تصويرهم بما يستثير به القلوب المتحجرة ويعـرض في احـدى قصـائده حالة الطفلة اللاجئة تسأل اباها الهرم بما تحسه ويحسه كل لاجيء •

اتـت ليلـى لوالـدها | وقد اهـوى به الهـرم
وقالت ، وهي من لهـف | بها الآلام تحتـدم :
لمـاذا نحن يا ابتـي | لماذا •• نحن اغـراب ؟
اليس لنا بهـذا الكـو | ن اصحاب" واحبـاب ؟
اليـس لنـا اخـلاء | اليـس لنا احبّـاء ؟
لماذا •• نحـن يا أبتي | لماذا •• نحـن اغـراب ؟

يمـر العـام اثر العـا | م يا أبتي •• بلا جدوى
فلا امل ، ولا بشـرى | ولا نجوى • ولا سـلوى
سـوى الآلام والشَجَن | سوى الأحـزان والمحـن
سوى صوت من الأقـدا | ر يهتف دائما : وطنـي
لماذا •• نحـن يا أبتي | لماذا •• نحن اغـراب ؟

لماذا •• نحـن في سُقْم | وفي بؤس وفي فقـر
نظل نتيـه جـوّا بين من قطـر الى قطـر ؟
اما كانـت لنـا ارض" بها الآمـال تخضَر ؟

وفيها ترقص البشـــرى   ويشدو فوقهـا الطـــير
اما كان لنـــا وطـــن   يسبّح باسمه الزمـــن ؟
لمـاذا •• نحـــن يا أبتي   لماذا •• نحن اغـراب !؟

ويعرض الشاعر معين بسيسو لحال اللاجئين في مثل الوقت الـذي تخيره هارون هاشم الرشيد لتصويرهم فيسمي قصيدته : « السيول » ويملؤها بالصور المرعبة المثيرة يملؤها بصور اللاجئين حيّة وميتة ، وبهـا تصـور القسوة بأغلظ صورها وابشعها • ان السيل يكتسح خيمة اللاجيء التي بليت فتنحدر معه ، ولا يظل منها غير الحبل والوتد ، اما اللاجيء فيموت وهو يشد على رغيفه بيده • انه الجوع وانه الموت :[(١)]

لم يترك السيل غير الحبل والوتد   من ذلك الشعب او من ذلك البلد
وغير بعض العرايا السّاجـبين على   تلك الوحول بقاياهـم من الولَـد
وغير ما شاهدتْ عيناك من جُثثٍ   منفوخةٍ لم تزل مجهــولة العَدد
هنا حُطامٌ ، هنا موت ، هنا غَرَق   هنا بقــايا رغيفٍ عالقٍ بيـد
هنا العيون التي تصطـــكُّ ميتةً   هنا الشفاهُ التي تدعو لثأر غـــد

تلك البقية من شعبي ومن بلـــدى   ما بين باك ومجنـون ومرتعـــد
تلك البقية من شعبي فذاك ابـــي   وتلك امي •••وما في الخيش من احد
ان جئت تسأل عن اطفالها صرخت   وقهقه السيل : « لم تحبل ولم تلد! »
يا من نصبت لهم سود الخيام على   صفر الرمال لقد غاصت الى الأبـد

---

(١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ •

الخيمة !؟

كان للخيمة في نفوسنا صورة جميلة حبيبة الى كل نفس ، انها ملجأ البدوي وبيته الذي يأوى اليه ومن منا لا يحفظ ابيات زوج الخليفة معاوية بن ابي سفيان تتشوق بها الى خيمتها التي تفضلها على قصور الخلافة في الشام ، وتقول :

لبيت تخفق الأرواح فيه
احبَّ اليَّ من قصر منيف

ومن منا لا يهزه قول جرير الى خيام احبته[١] :

متى كان الخيام بذى طلوح   سقيت الغيث ايتها الخيام
تغالى فوق اجرعك الخزامى   بنورٍ واستهل بك الغمام

هذه الصورة ، صورة الخيمة القديمة الحبيبة الى نفوس العرب بما دار عنها في شعرهم القديم احالها اللاجئون الشعراء الى صورة مخيفة ، بشعة ، كريهة ، وتحدثوا عنها باشعارهم فصوروها بابشع الصور . يقول الشاعر رجا سمرين من قصيدة عنوانها (خيام اللاجئين)[٢] .

يا خياماً في القفر مثل القبور   وصمة انت في جبين الدهور
يا نشاز الأنغام ، يا سُبّة التأريخ والناس في جميع العصور
انت مأوىً للبؤس شيّدك الظلم على رسم حقنا المهدور
انت سفر الآلام سطّره البغى بأيدٍ مخضوبةٍ بالشرور .

(١) ديوان جرير طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة ص ٥١٢ .
(٢) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري ص ٤٧٤ .

كم حوى نسجك الارثُ عزيزا   يسفح الدمع في دجى الديجور
راثيا عيشه الكريم وعهــــدا   قد قضاه منعّماً في القصـــور
يوم أن كان في الديار كريمـاً   يُترع الكأس من مُدام السرور

ويقول الشاعر كمال ناصر بقصيدة عوانها (خيمة) في (جـراح تغني) وهو عنوان ديوان الشاعر[1] :

حيرى على اوهامها في المــدى
لا حب في سمائهــا لا حنـــان

مشـدودة في الأرض معصـــوبة
كأنما شُدت بايــدي الهـوان

اكفانها مُشــرعة للـــردى
تطوى جراحات الردى في امــان

يا خيمةً اعــرفها في الأســى
فات عليها في الرجـــوع الأوان

النار في ارجائهـــا أُخمـــدت
وفي زواياها تلاشى الدخـــان

---

(١) جراح تغني ـ كمال ناصر ص ١١٩ ـ ١٢٠ طبعة بيروت سنة ١٩٦٠ .

والهم من يأس بهـــا مطـــرق
يحصي عليها في العـــذاب الثوان

يجترُّ من تأريخهـــا راويـــاً
ما كان من مجدٍ لديها •• وكان

يا خيمتي السوداء ظـــلي هـــنا
ذكرى على أشلاء حكمٍ جبان !!

الحنين الى الوطن :

واذا نحن جاوزنا الحديث عن اللاجئين الى الحديث عن الوطـن ، والحديث في هذا قد يكون بعض الحديث من ذاك . ان اللاجىء لا يكاد ينظر في خيمته وفيما هو فيه من فاقة وبؤس وتعاسة الا وتسرع الى خاطره صورة بلدته او قريته ، ويتذكر معها داره وحارته ورفاقه. والحنين الى الوطن رأيناه يكثر في أشعار المهاجرين من لبنان الى الدنيا الجديدة . ان أحدهم يعيش في نعيم هناك وقد خلف الشقاء والفقر في وطنه ، وهو يحسب مواطنا هناك له حقوق المواطنين . ثم هو ـ بعد هـــذا ـ حر في زيارة بلده والرجوع اليه متى شاء ، ومع هذا فلهم في اشعارهم حنين يبعـــث الشجن ويهيج النفوس . واذا كانت هذه حال المهاجرين فما بالك باللاجئين يعيشون في الخيام ، يعيشون في البؤس وقد خلفوا النعيم في بلدهم !؟ وقد يبصر بعضهم قريته ومزرعته غير بعيدة عنه ، وينظر اليها ينعم بها عدوه فيتحسر ويتذكر كل شجرة زرعها وكل غرسة غرسها وسقاها هناك .

ان الحنين الى الوطن يطغى على اشعارهم ونرى الصور يخيل الينا أنها لا تهيج الحنين ولا تذكر بالوطن ، فاذا بها تنكأ جرح الشاعر الغريب . يرى شاعرهم الطائر يطير فيتوهمه قادما من بلده فلسطين او عائدا اليها . ويرى البرتقالة فتذكره بأشجار مزرعته وبلدته[١] . وشعرهم في هـــذا يمس شغاف القلوب .

ومن ذا الذي لا يشجيه ان يسمع الاستاذ الشاعر محمود الحوت . لقد طوف بالدنيا وصورة « يافا » تتعلق بقلبه ونفسه ، وتدور معه حيـث دار ، فيحن اليها حنين اليائس الحزين ، يقول[٢] .

يافا ، لقد جفَّ دمعي فانتحبتُ دماً   متى أراك ؟ وهل في العمر من امد ؟

---

(١) جراح تغني ص ٤٨ .

(٢) الشعر الحديث في فلسطين والاردن ـ الدكتور ناصرالـــدين الاسد ص ٢٤٩ .

امسي واصبح ، والذكرى مجددة — محمولة في طـــوايا النفس للأبد
كيف الشقيقات ؟ واشوقي لها مُدُناً — كأنها قطـــع مـــن جنّة الخُلد
ما حالها اليوم يا يافا ؟ وهل نعمت — من بعد ان سُلّمتْ امساً يداً بيدا
وكيف من قد تبقّى في مرابعهـــا — وقد تركناه فيهـا تـــرك ملتحـد
ما بال قلبي اذا ما سرتُ من بلد — وجدتُه هازئـــا بالعيشة الرغــد

ثم انظره في هذا اليأس القاتل الذي يختم به ابياته :

تعبتُ ، لـكنّني ما زلتُ في تعبي — اشكو الى الله لا اشكو الى أحد !

ويُثار الحنين الى الوطن بقبرة يراها الشاعر يوسف الخطيب ـ وهو شاعر لاجيء بدمشق ـ فيتوهمها تتخطى الحدود الى بلده ، وتستطيع ذلك ولا يستطيعه هو[١] .

ويرى العندليب مقبلا من الجنوب فيتوهمه مهاجرا مثله من بلـــده فلسطين ، فيقول[٢] :

أتراك مثلي يا رفيق تمر في الزمـــــن
عبر المهالك والليالي السود والمحـــن
لكأن في عينيك بعض اللمح من وطني
واكا المح في وجومـك لـون مأساتي
جرحي ، وملحمتي وتشريدي وآهـاتي

بي لهفة يا صاحبي مشـــبوبة النـــار
هل بعض اخبار تحـــدثها واســـرار

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩١ .
(٢) مأساة فلسطين واثـرها في الشعر المعاصـر للدكتـور صالح الاشتر ص ٣٥ .

للظامئين على متـاه الوحشــة العارى
كيف الحقول تركتهـا في عـرس آذار
ومتى لويت جناحك الزاهي عن الـدار
عجبا ! تراك اتيتنا من غـير تذكـار

لوقشة مما يـرف بيـدر البلـد
خبأتها بين الجناح وخفقـه الكبـد
لو رملتان من المثلـث اوربا صـفد
لو عشبة بيد ومزقه سوسـن بيـد
اين الهدايا مذ برحت مرابـع الرغـد
ام جئت مثلي بالحنين وسورة الكمـد

ماذا رحيلك ايهـا المتشـرد الباكي
عن ارض غابات الخيال وفوحها الزاكي
ام ان مرج الزهر اصبح قفر اشـواك
وتلونت انهارهـا بنجيـع سـفاك
داري ! وفي عينيَّ والشفتين نجواك
لاكنتُ نسل عروبتي ان كنت انساك !

او تستمع اليه في حنين الشاعر برهان الدين العبوشي الى بيسان وقد حجبتها مستعمرات اليهود عن ناظره يقول :

بيسان ! قد سدّت سبيلك دوننـا	مستعمرات الخبث والبهتـان
حجبوك عن عين المحب وطوّقوا	ارجـاءك الغنـاء بالأكفـان
يا حسرتا للحيّ ينظـر قبـره	ويتيه حافـر قبـره بأمـان

ومن الصور القريبة من الحنين الى الوطن ، صور الشعراء يودعون اوطانهم ـ وهم يدفعون عنها ـ بحسراتهم • يقول الشاعر اللاجىء خالد نصرة وهو يدفع للخروج من بلده[1] :

فارقته ويدي تغفو على كبدي ... في لوعة ، واليد الأخرى تحيِّيه
ومهجتي بين اضلاعي مرفرفة ... كالطير قد شكّه بالسهم راميه
وسرتُ ••لست اظنُّ اللهَ يغفرلي ... ـ وان شقيت به ـ مما يعانيه
ممّا أراه ، ومما لست ابصره ... في كلّ باع وشبر من أراضيه
من كل « لاجئة » لاذت بخيمتها ... تناشد القلب ان يخلو لماضيه
وتذرف الدمع والشكوى تكفكفه ... وتنشر الأمس في بطء وتطويه
من كل طفل تراءى من ابيه له ... وجه يكاد غبار الشكّ يخفيه

ويقول هارون هاشم الرشيد في وداع « غزة » بعد العدوان الاسرائيلي عليها :

اوداعا ••؟ فيم يا غزة بالله الوداعُ
وانا منك •• تراب وشعور و التماع
وحنين للغد المرموق •• شوق والتياع
انا ، ان ودعت مغناك تلقاني الضياع

ها هنا في كل شبر ذكريات ورغاب
وامان عاطرات •• واغاريد عذاب
ها هنا كان صبانا وهنا كان الشباب

---

(١) الشعر الحديث ص ٢٠٢ •

وهنا كم اسلس الهمس حديثا مستطـاب
فلماذا يايد الفرقة ! ما هذا العـذاب !؟

ووداعا كان يا غزة من غـــير كـــلام
عبر الصمت به عن كل حسن وســـلام
دونما ترتعش الكلمة في هجس الظلام
ومع الفـجر تسللت كطيـــف مستهام
تاركا خلفي ايامي وعمري والغــــرام
تاركا كل امانـــيَّ واطيـــاف الهيـــام
تاركا « غزة » خلفي •• تحت استار القتام

اغاني العودة :

واخر الصور التي نراها في هذا الشعر الذي نتحدث عنه ، صور مشرقة مملوءة بالحنين ولكنها مملوءة بالقوة ايضا • اننا نجد روح الكآبة الميتة وروح اليأس القاتل تختفي منها وتطل منها صور الامل المشرقة في استرداد الحق المغصوب والوطن السليب • ونلمحها في اسماء الشعراء ودواوينهم وفي عناوين قصائدهم ، وفي محتويات القصائد ، وفي الروح التي تكتب بها • فالشاعر هارون هاشم الرشيد يسمى ديوانه « عودة الغرباء » والشاعر يوسف الخطيب يسمي ديوانه « عائدون » والشاعر علي هاشم الرشيد يسمي ديوانه (اغاني العودة) والشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي تسمي ديوانها (العودة من النبع الحالم) •

هذه الروح دبت في الشعراء بعد النهضة الاخيرة والانقلاب الاخير الذي بدأ في مصر ، ثم سرت روحه وشرارته ، تطوف في مغرب العالم العربي وفي مشرقه • وصرنا نرى في قصائد الشعراء صور الحنين الى الكفاح • وابيات الشاعر هارون هاشم الرشيد تصلح ان تكون عنوانا لهذه الروح :

من الكهف والخيمة البالية — سأجمع للثأر أشلائيه
ساجمع أهلي واصحابه — واصرخ من عمق اعماقيه
وارسلها صيحة داوية — وادعو الى الجولة الثانية

ونرى الشاعر عبدالكريم الكرمي ، ابا سلمى يجعل عنوانا لقصيدته لفظة : (سنعود) وبها يحن حنين المشتاق يتأهب لاسترداد حقه ويقول :

فلسطين الحبيبة : كيف اغفو — وفي عينيَّ اطياف العذاب
اطهّر باسمك الدنيا ولو لم — يبرح بي الهوى لكتمت ما بي
تمرُّ قوافل الأيام تروي — مؤامرة الأعادي والصِّحاب
خيانات الملوك وذلَّ عرشٍ — اقيم على الخيانة والخراب

سعدنا في البلاد وحين سادوا ... غدت مرعى الثعالب والذئاب

فلسطين الحبيبة كيف أحيا ... بعيدا عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات ... وفي الآفاق آثار الخضاب
تناديني الشواطي باكيات ... وفي سمع الزمان صدى انتحاب
تناديني الجداول شاردات ... تسير غريبة دون اغتراب
تناديني مدائنك اليتامى ... تناديني قُراك مع القباب
ويسألني الرفاق : ألا لقاء ؟ ... وهل من عودة بعد الغياب ؟
اجل ، سنقبل الترب المندّى ... وفوق شفاهنا حُمر الرغاب

غدا سنعود والأجيال تصغي ... الى وقع الخطى عند الإياب

نعود مع العواصف داويات ... مع البرق المقدّس والشهاب
مع الرايات دامية الحواشي ... على وهج الأسنّة والحراب
ونحن الثائرين بكل ارض ... سنصهر باللظى نير الرقاب
تذيب القلبَ رنّةُ كلِّ قيدٍ ... ويجرح في الجوانح كلُّ ناب
اجل ستعود آلاف الضحايا ... ضحايا الظلم تفتح كلَّ باب

ونلمح هذه الروح الثائرة ايضا في قصيدة الشاعر يوسف الخطيب يصور فيها اللاجىء يعود من خيمته ، خيمة اللاجئين وقد خف على صوت النفير الداعي الى المعركة ، يحمل بيده حفنتي تراب من وطنه تكونان ذكرى معه ، ويستقبل الموت راضيا باسما ، يقول :

يقولون : كان فتى لاجئاً ... الى خيمة في الربى مُشْرعه
تُطلُّ بعيداً وراء الحدود على الجنة الخصبة المرعه
وكانت له ذكريات هناك ... مجنّحة ، حلوة ، ممتعة
وملهى صباً شاعريّ الدروب ... وكوخ يطلّ على مزرعة

يعيش على حلم امس الذي تولى ، ويقسم ان يرجعه

يقولون ، كان يرجّى الممات الى يوم ثار .. الى موقعه
وكان نداء وكان نفير واسلم الله ما أودعه
يقولون : لما هوى مثخناً وشدَّ على جُرحه أضلعه
تلفتَ ملء الربى والوهاد يحدّق في وطن ضيّعه
واغرز كفيه في حفنتي تراب تكونان ذكرى معه

ومأساة فلسطين هذه هي التي أقتصرنا بها على الحديث في شعر اهل فلسطين خاصة قد جاوزتهم الى البلدان العربية والاسلامية جميعا واسهم فيها الشعراء من كل بلد ، وربما كان اهل المهجر امثال ابي ماضي والياس فرحات وصيدح وغيرهم ، من اكثر الشعراء احساسا بهذا . ولعل ابتعادهم عن وطنهم وحنينهم اليه هو الذي جعلهم ينظرون الى الموطن نظرة اعمق مما ينظرها المواطنون يقيمون في بلدهم ولا يحسون بطعم الغربة ولوعتها . ان الصحة لا يحسها الصحيح ولكنه العليل هو الذي يتوق اليها ويعرف طعمها .

وجاوزت مأساة فلسطين اثرها الى غير العرب وغير المسلمين وقد بينت ان الكاتب السويدي بير اولو اندرسن Per-Olow Anderson نشر كتابا مصورا عنهم . ونظرة في الكتاب تثير في نفس الناظر ما تعجز عن اثارته احر القصائد . وكتبت الكاتبة الانكليزية ايثل مانن Ethel Mannin قصة طويلة عنهم بعنوان « الطريق الى بئر سبع » وصوّرت بها فداحة المأساة وهولها ...

وهكذا ترى ان مأساة فلسطين هذه لم تعد مأساة قومية او عنصرية او دينية ، ولكنها مأساة انسانية لم تبتل البشرية بمثلها من قبل . وعسانا نعاود الحديث عن أثرها في غير العرب من الادباء في فترة اخرى قريبة ان شاء الله .

الدكتور جميل سعيد
الوفد العراقي

اثر النكبة في الشعر الفلسطيني

بقلم

هلال ناجي

تعبير ادب النكبة واسع المدلول . فهو يشمل فيما يشمل كل ما كتب عن النكبة من قصص ومسرحيات وشعر ومقالات وأدب سيره ودراسات ادبية ونقد تقويمي لبعض ما تقدم . وكل فرع من فروع ادب النكبة هذه يصح ان يكون موضوعا لدراسة موسوعية وبحسب هذه المقالة ان تقف عند واحد من هذه الفروع واعني به شعر النكبة .

الدراسات الاكاديمية التي تناولت شعر النكبة لم تجاوز فيما أعلم الثلاث . كان اسبقها في الظهور كتاب الدكتور صالح الاشتر - في شعر النكبة - ١٨ صفحة - مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ نصفه دراسة ونصفه الاخر منتخبات من ديوان النكبة وهو في واقعه بحث تخطيطي في اصداء نكبة فلسطين في الشعر العربي المعاصر فلم يقتصر الباحث فيما اختاره وما درسه على شعر - ابناء فلسطين - ثم تبعه محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن - القاها الدكتور ناصر الدين الاسد على طلبه قسم الدراسات الادبية واللغوية في الدراسات العربية العالية سنة ١٩٦٠ وطبعت سنة ١٩٦١ . - ٣٢٩ ص - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة - .

والمؤلف مصيب في قوله انها رسمت الخطوط العامة وبعض الخطوط التفصيلية لصور الحياة الشعرية في هذين البلدين . ثم تواضع الاستاذ المحاضر فقال « اما هذه الفصول فبحسبها ان تجمع المادة - او اكثرها - وان تدل عليها . وتعرف بها . هذه المحاضرات اذن عرضت للحياة الشعرية في فلسطين والاردن فلم يقتصر البحث فيها على شعر النكبة . ولكنها من زاوية النكبة وقفت عند حدود ما قاله ابناء فلسطين والاردن فيها ، دون غيرهم

من شعراء الوطن العربي الكبير • وتلك دراسة صديقنا الاستاذ كامل السوافيري وهي رسالة جامعية نال بها الماجستير من دار العلوم في القاهرة سنة ١٩٦٢ وقد نشرها بعنوان ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة ١٩١٧ ـ سنة ١٩٥٥ ـ ٦٥٠ صفحة ـ منشورات مكتبة النهضة بالقاهرة ـ • ومن عنوانها يتضح ان الباحث لم يقتصر على ما كتبه ابناء فلسطين من شعر وانما مدّ جناحي بحثه على امتداد الوطن العربي الكبير • ولكن من زاوية الفترة الزمنية وقف عند بواكير عام ١٩٥٥ •

مما تقدم يتضح ان شعر النكبة الذي نشر في الفترة بين ٩٦١-٩٦٤ لم يدرس دراسة جامعة ويمكن ان تتعشب هذه الدراسة في جذمين كبيرين الاول ـ ماقاله ابناء فلسطين • والثاني ـ ما قاله اخوانهم من شعراء الوطن العربي الكبير •

سنحاول في هذه الكلمات التعريف بما تحت يدنا من دواوين الفلسطينين الصادرة بعد عام ١٩٦٠ على ان يقتصر البحث على ما ضمته هذه الدواوين من شعر النكبة •

هـــارون هاشم رشيد
في ديوانــه ـ أرض الثورات ـ

يقول عنه صالح الاشتر انــه « شاعر الامل في العودة ، وفي شعره زاد وجداني حماسي يلهب جيل النكبة ، ويمنحه القوة والعزيمة والتفاؤل والاستعداد للجولة الثانية » • وفي هذا يلتقي الاشتر بناصرالدين الاســـد اذ يقول الاخير عن شعر شاعرنا انه « شعر الحياة والامل والقوة والدعوة الى الثأر والعودة » •

وان من يعرف الشاعر عن كثب معرفتنا الشخصية به يدرك ان الامل الذي لا ينطفىء في العودة هو قطب الرحى في شعره وحياته معا •

افتتح هارون ديوانه الرابع ـ ارض الثورات ـ بالابيات التالية : ـ

بدمي أكتب للاجيال أجيال العروبه
قصة الارض التى اعشقها أرضي السليبه
بدمي أكتب عنها •• عن لياليها الرهيبه
قصة لاهبة الاسطر شعواء غضوبه
قصة الارض التي تزهو باحداث عجيبه
قصة الثورات في أرض فلسطين الحبيبه

ثم اتبعها بقصيدة موشاة حمل الديوان اسمها •

ثم جاءت بعد ذلك الاناشيد الستة ، وتسع قصائد اخرى •

صحيح ان شعر هارون يتميز بالبساطة والعفوية لكنه في اناشـــيده هذه يجره السرد التاريخي الى هوة النثرية والتقريرية • لقـــد خـــلت هذه الاناشيد من المعاناة الحقة وحفلت بالسرد التاريخي وبذلك خرجت عـــن دائرة الشعر الجميل الذى عودنا اياه •

الشعراء المشردون شديدو التطلع والتحرق الى اي شيء يأتيهم من الارض السليبة • والطائر الذى يجوز فضاء الوطن السليب طالما هـــز شاعرياتهم •

وشاعرنا هارون يمر بهذه التجربة ففي امسية من امسيات الصيف اندفع الى نافذته في غزة طائر قادم من الشمال من فلسطين السليبة •• كان الطائر جريحا وتساقطت قطرات من دمه على حديد الشباك • وتفجر النبع الحي من قلب الشاعر : ـ

حـط عـلى نافـذتي طـير جريح اخضـر
دمـاه مـن جناحـه علـى الحـديد تقطر
مـن الشـمال حيث اطياف الاماني تخطـر
وحيث احشـاء الصخور بالحـنين تزهـر
حيث الربى •• تحكى الروايات ويشـدو عنتـر
حيث المـواويـل التـي يضوع منهـا العنبـر
مـن الشـمال •• مـن ذرى تاقت اليهـا الانسـر
قـد عشش البغى بهـا وافـرخ المستعمر
والليل فـوق صدرهـا ليل كئيب اغبـر
من الشمال •• حـط هـذا الطـائر المعفـر
الريـح مـن ورائـه والعاصفـات تـزأر
والمـوت • والليـل الرهيب والأذى •• والعسـكر
مشـرد •• مثلي •• ومثـل والـدي •• محـير
يا طـائرا •• يزقـو عـلى نافذتـي •• ويزفـر
ويضـرب الحديد مـن آلامـه وينقـر
الليل مهمـا امتـد لا بـد الغـداة يقهـر
وانت •• انت من جـديد في الفضاء •• تصفـر
وتمـلأ الدنيا غنـاء طـائري •• وتسـحر
وتلتقـي بالعش حـيث لاباغ •• ولا مسـتهتر
وحيث تزقـو الزغـب في احضانه وتكبـر
الفجر من جناحك الدامي غـدا سيظهـر
وفوق كل ارضنـا نور الصباح ينشـر

قلنا ان هارونا هو شاعر الامل في العودة • ولذلك نراه في كل شعره عميق الايمان بالعودة الى الارض السليبة : ـ

عيناه تبحثان في الفضاء
في التيه في مجاهل الشقاء
عن امسه الغارق في الدماء
عن ذكريات ومضها اباء
وهو يدب بادي العناء
يخطو وما في دربه ضياء
لانه مشرد بلا وطن

لكنه رغم الضياع يؤكد عزمه على العودة فينهي قصيدته بقوله :ـ

ولف في العباءة القديمه
احزانه الكثيرة الاليمه
مصمما مؤكدا تصميمه
ان يلتقي بارضه العظيمه
وان يدوس الدولة المزعومه
بالثأر والايمان والعزيمه

واجمل شعر الشاعر في رأيي هو شعره الموضوعي البعيد عن الخواطر المجردة ففيه يتخذ من الحدث الخاص سبيلا للخوض في الحدث العام كما في قصيدته ـ مكتبتي ـ التي اجاب بها من سأله كتابا بعد عودته الى غزة اثر اندحار العدوان الثلاثي الآثم : ـ

آنستي عفوا •• آنستي ان شحت يوما مكتبتي
قد عدت •• فلم آس فيها الا اكداس الاتربة
قد حطمت كل خزائنها بيد •• آثمة مجرمة
فتناثر ما فيها بددا من كتب الشعر القيمة
حتى مخطوطاتي احترقت حتى •• اوراق •• مفكرتي

ورسائلنا •• راحت بددا ضاعت في قلب العاصفــة
كنا نتسامر •• في صمت وتذوب ••• وراء العاصفة
والوحــي هنا كم سامرني فالغرفة كانت ملهمتــي
الغرفة ما تركوا منهــا •• غير الجدران المائلــة
آنستي •• عفــوا آنستــي ان كنت جنحت •• بأخيلتي
ومضيت اردد اعــذاري اعذاري •• غير مناسبة
مكتبتي سوف •• اجددها بعيون الشعر الرائعــة
والكرسي الاخضــر سيعود يعــود لحضــن الداليــة
وتعود ليالينا القمــراء نشيدا حلوا في شفتــي
واعود •• ارتل اشــعاري بالحب •• واشجي شاعرتي
آنستي عفــوا آنستــي ستعود سخاء مكتبتــي

تحية لشاعر الامل الذي لا ينطفيء •

كلثوم مالك عرابي
في ديوانهـــا ـ مشردة ـ

في بيروت صيف هذا العام • اهدتني ديوانها حين قدمها الى الصديق الاديب يوسف الحوراني في مكتبه • وجرى بيننا حديث لا اذكر اطال ام قصر وانما اذكر جيدا اننا افترقنا وهي عازمة على السفر الى اسبانيا ، وانا في نية تمضية الصيف على ضفاف البسفور •

يقول ناشر ديوانها انه « مجموعة قصـــائد تشهد بتأصل النزعـــة الرومانطيقية عند الشاعرة وتموج فيها الصور والاحاسيس معبرة عن الالم المغلف بالغربة والضياع » •

وفي رأينا ان اجمل شعر الديوان هو شعرها العاطفي الذاتي • ان القارىء يجد نفسه أمام شاعرة رومانسية مبدعه حين يقرأ قولها :ـ

الزهرة البيضاء بوحها شذى
والبحر امواج تبوح ، ترتمى ، تثور •••
والريح بوحها نشيج تارة وتارةعويل !
وانت ما بوحك يا غريب •• ؟

او حين يسمع همستها : ـ

عينا رفيقي زورق يغيب بي
في رحلة خمرية المذاق
اغرق في دنياهما واتعب
ولذة العنـــاء
ترعش بي احس بي
اغماءة • اغماءة • غيوم ••
مطر ، مطر
واســـتفيق

او حين ينصت الى قولها :

تحملني يداك تلفني تطير بي
احس انني اسامر النجوم
عصفورة آتية ، امتطي النسيم
وهمسك الربيع
وبسمة انظمها
اودعها قصائدي المبعثرة .

لكن ما يهمنا هنا هو صدى النكبة في شعرها . فما هي صورة المأساة في شعرها ؟ لقد ضم ديوانها عدة قصائد من شعر النكبة هي سأم . لا يأس. اعوام . عودة . انا . نزاع . نواح . الخيمة .

خمس قصائد منها خليلية تلتزم اوزان الخليل وهي : لا يأس . عودة نزاع . انا . الخيمة وثلاث حرة هي : سأم . اعوام . نواح

الخطابية والنثرية هما آفة قصائدها الخليلية . حين تقرأ قولها (ص ٢١) :ـ

هم قيدوك بحكمهم احكام ظلم عاتيه
اذ طمأنوك بوعدهم وتراجعوا في ثانيه
انت المعذب في الورى فانفض قيودا باليه
واخلع رداء حاكه لك مستبد طاغيه

وحين تقرأ قولها (ص ٣٨) :ـ

وطني . نذرتك بلسما يشفي الجراح الداميه
وطني عهدتك منهلا يسقي الغروس الناميه
وطني شبابك ثائر تحدوه ذكرى قاسيه
ذكرى التشرد والأسى ذكرى الشجون الغافيه

* * *

ماذنب طفلي ها هنا يشكو المذلة والطوى
ما ذنب أمي ذنبها مرضت ولم تلق الدوا ...

وحين تقرأ قولها (ص ٥١) : ـ

انا من انا يا اخي ها هنا ؟
انا ابنة جوع وعرى حقير ؟
انا ابنة هذي الخيام التي
تراها تئن بصمت القبـــور ؟
انا ابنة يوم رهيب أتـــى
ليلقي الخراب بربع نضـــير ؟
ويبعث رعبا ويلقـــي الاسى
ويلقي الدماء ، دماء تفـــور

اقول : حين تقرأ قصائدها هذه تحس بانها تطفح بالخطابية والنثرية. وان نصيب الشعر فيها ضئيل للغاية . اما فلسطينياتها الحرة ، فعيبها الرئيسي انها تجارب مجهضة لم يتح لها الاختمار ابدا .

لنأخذ مثلا قصيدتها المعنونة ـ اعوام ـ

وتملأ الكؤوس في الدقائق المنهـــارة الرنين
رنينهـــا المجرح الانين ...
يغيب في مغاور السنين .
نحن في خيامنا نجاور الشقاء .
ونمقت الايام في انتقامها المشين
ونحتسي الخمرة نرشف اللذائذ القريبة المنال !
والغانيات تغزل الجمال !
برقصها المثير .
عباءة تميس كالدلال .
تلفها قصائد احتفال .
والعام تلو العام في حصيرتي ينام
كالافعوان عندما يعض في الظلام

شريدة انا في خيمتي .. حكايتي لم تدخل القصور .
حكاية يلوكها الغنى والفقـــير
معطية مثخنة الجـــراح

عيب هذه القصيدة الرئيسي اضطراب الصورة الشعرية فاجزاؤهـ متنافرة من الداخل وثمة تناقض خطير بين بعض صورها وبين الشعور العام المفروض تغلغله في التجربة .

دعنا نضع النقاط على الحروف ، ان الشاعرة تحاول ان تصور جو الشقاء في خيام النازحين . ذاك هـــو الشـــعور العام المفروض سيادته في التجربة . لكننا نجدها تقحم صورا تناقض هذا الشعور العام في قولها :ــ

ونحتسي الخمرة نرشف اللذائذ القريبة المنال
والغانيات تغزل الجمـال
برقصها المثير .....

ان هذا التناقض والاضطراب آفة من آفات شعر كلثوم

* * *

وبعد فان المجال لا يتسع لحديث اطول ولكنني اريد ان اهمس في اذن الشاعرة « ان قطعها المعنونة » فـلالى . مندلبوم . طـــين . أبـي . تجذيف . طفولة . نشيد . هي قطع نثرية . نثرية لانعدام الموســـيقى الداخلية والخارجية فيها هي نثر مزركش منمق . لكنها لن تدخل حرم الشعر العربي ابدا .

ان انعدام النغم الداخلي والخارجي في التجربة الشعرية كمـــا في قصائدها النثرية هذه أزالت عنها صفة الشعر .

تحية لكلثوم عرابي الشاعرة الرومانسية .

علي هاشم رشيد
في ديوانه اغاني العودة

في تموز من عام ١٩٦٠ وفي القاهرة بالذات قدم الي الشاعر الصديق علي هاشم رشيد ديوانه – اغاني العودة – موشحا اياه بالعبارة التالية : « مع أمل اللقاء على الارض المقدسة في ظل الوحدة العربية الشاملة ، » ولقد كانت هذه العبارة مفتاح كل قصائد الديوان •

فالامل بالعودة والامل في الوحدة هما قطبا الرحى في ديوان اغاني العودة • والديوان في واقعه مجموعة اهازيج حماسية تتلظى بالثأر وتنتزى بالحقد على الصهاينة وحلفائهم أو تطفح بالحنين الى ارض الوطن وبالامل الراسخ في العودة اليه ، والشاعر في غمرة حماسه الدافق قليل الالتفات الى صنعته فهو لا يتخير الفاظه ولا يتأنى في احكام نسجه وتجويد صياغته وانتقاء صوره فيقع بالتالي في هوة النثرية •

سهر اللصوص – من طغمة المستعمرين – من كل افاك اثيم همه المال الوفير – وتحته الكرسي الوثير ومشانق المستعمرين شدت بأيدي الخائنين – – العابثين الماجنين – هم يسهرون ويمكرون – ويجمعون ويطرحون – ويضربون ويقسمون – كيف التخلص من جموع اللاجئين•

ان النثرية تهبط بمستوى عدد قصائده • ويرى استاذنا السحرتي ان (عليا) في ديوانه « قد تحدث حديثا مطلقا بمعنى ان فكراته فيها كانت مجردة ولم يأت باحداث خاصة مفصلة » • وهذا صحيح مع استثناءآت قليلة تبدو في مثل قصائده « الامل الكبير • مجدى وماجد • رسالة من الكويت• الشريد • ونحوها • »

ان القصائد الناجحة في الديوان هي التي استطاع الشاعر الحفاظ فيها على الوحدة العضوية للقصيدة عن طريق استخدام الاسلوب القصصي في الغالب • وقد يكون موضوع اقصوصته الشعرية اسطوريا كما في قصيدته (الارض) التي حاول الشاعر فيها ان يبرز قيمة الحفاظ على الارض وقيمة

العمل باسلوب اسطوري •

حكوا بان سيدا مفضلا ... دعا بنيه ناصحا وقالا
لكم بني في التراب عندي ... كنز سيغنيكم لولد الولد
لكنني نسيت اذ دفنته ... في اي موضع ترى وضعته
في حقلكم هذا دفنت الكنزا ... وقد نسيت ما وضعت رمزا
فليأت كل منكم بفأس ... ليبلغ الكنز بجهد النفس
فاستبقو جميعهم للحقل ... وجعلو عاليه كالسفلي
فما رأو كنزا ولا حسوا به ... ورجعوا من بحثهم في وله
واذ رأى والدهم ما قد جرى ... احضر قمحا في التراب بذرا
ونزل ليسقى الزرعا ... ومنبتا حشائشا في المرعى
وحصدوا ما زرعوا بالأمس ... قمحا ودرساً فيه أيّ درس
وجاءهم ابوهم النصوح ... مبتسما بسره يبوح
وقال يا بني ان الجاني ... بنفسه ليس سوى الكسلان
وكنزكم لو كان مالا لذهب ... لكنها ارض ستأتي بالذهب

وقد يكون موضوع اقصوصته الشعرية حدثا واقعيا كما في قصائده المعنونة : الامل الكبير • رسالة من الكويت • الشريد • ومجدى وماجد •

يقول شاعرنا في قصيدة الامل الكبير •

في فجر اصباح جميل ـ عند الشروق ـ ومع ابتسامات الصباح ـ وعلى رفيف النسمة المعطار في سفح الجبل ـ هبت شجون ـ في الكوخ كوخ النازحين ـ من شط يافا ـ من رياض البرتقال ـ حيث الجمال ـ وتململت في الكوخ ام وابنتان ـ وفتى يصافحه الشباب ـ يدعى نزار ـ وشهادة الميلاد تنطق انه من غير دار ـ فالدار في يافا ويسكنها الخصوم ـ ولذا غدا سكناه في الكوخ الحقير ـ وبلا حصير ـ وأتى نزار المدرسة ـ وبخيمة سوداء من عبث الزمان ـ اصغى نزار ـ اصغى لاستاذ يقول ـ « ـ ويشير نحو خريطة فوق الجدار ـ هذا الوطن الحبيب ـ وتلك يافا قبلة الاحرار في الوطن الحبيب ـ وبها رياض البرتقال ـ وبها نعيم الذكريات ـ وبها الحياة ـ وتسائل الطلاب يا استاذ ـ حتام السكوت ـ ونرى

العـــدو بارضنا يجنـــي الثمـــار ـ ونعيش نحـــن مشردين ـ بالله هل هذي حياة أم ممات ـ وتبسم الاستاذ من هذا السؤال ـ وثم وقال ـ انتم اذا شئتم فانتم عائدون واذا عزمتم فالمرام غدا يكون ـ وارى تساؤلكم يبشر بالحياة •

ان الميزة الرئيسة في شعر (علي) هي الانسانية • فشاعرنا يثيره ما يرى من برم ام اليتيم النازح بطفلها فيخاطبها بهمس وحنان ورقة :ـ

ضميه للصدر ضمـــي   فأنت رمز حيـاتـه
وهدهديه برفـــق   لا تضجري من شـكاته
غنيه لحنا حنونـــا   يشـع في جنباتـه
لا تتركيه حزينـا   يـذوب في آهاتـــه
فأنت كـل رجائـــه

قضى أبـوه شهيدا   في ساحة للجهــاد
لبي نداء شـريفـا   نادى اليـه المنادى
وذلك الطفل منـــه   بقيـة مـن فـؤاد
ضميـه واحنـي عليـه   غنيه لحـن الرقـاد

فذاك بـدر ســمائه

هذا مــلاك كريـم   يشـع صدقا وطهـرا
لا تتركيـه يقاســي   من بعد يسرك عسرا
بل أرقديه برفـــق   وانشدي اللحن سحرا
عســـاه يغفو هنيئا   ثم امكثي الليل سـهرى

كـي تسرعي لندائـه

لا تسكبي الدمع حزنا   امامـــه لا تنوحـــى
لا تسـلبيه هنـــاء   لا تضجـرى بالجروح
فذاك يبني سمـــاء   مـن المنى كالصـروح
لا تهـدميهـا بـدمع   او بالحديث الصريـح

لا تعبثي في بنائـــه

وتتجلى نزعته الانسانية في وصفه ليتيم في العيد وهي من جياد قصائده نقتطف منها قوله :

ان يكن للشـــقاء نسل شـــقي فهو طفل الشقاء وهو جنينـــه
اين منه ابوه يهـــديه ثوبـــا قـــد رآه وجـــاذبته عيـــونه
هام في حـــالك الظـــلام شريداً ولطيف الرغيف هـــاج حنينه
ثـــورة في حشـــاه قـــد آلمتـــه وصدى الجوع في الدماغ طنينـــه
ومضى يقطع الشوارع مضنـــى بالي الثوب راجيـــا من يعينـــه
ورأى مطعمـــا يشـــع ضيـــاء فيه من فاخـــر الطعام ثمينـــه
فـــرنا نحـــوه وحـــرك فـــاه دامع العين حـــيرته ظنـــونه
وأطـــال الوقـــوف بالبـــاب حتى هب من بـــين جمعه من يهينـــه
فمضى هـــاربا يشق جموعـــا ليس فيهـــا غير الشقاء قرينـــه
ادمت الارض راحتي قدميـــه وهـــداه الى الظـــلام يقينـــه
فطوى جســـمه على الارض حتى من رآه يكـــاد لا يستبينـــه
وغفـــا حالما وجـــاء صبـــاح تتمشى على الانـــام شـــؤونه
واذا في الطريق جثمان طفـــل ساكن اضرم الفؤاد سكونـــه
قد مضى للسماء يبحث فيهـــا عن اب راحم حنـــون يصونـــه

وتبدو نزعته الانسانية حتى في عرضه لمأساة وطنه الصغير وقومـــه المشردين . هو في عرضه لهذه المأساة يخاطب اخاه الانسان .. أيا كان وانى كان ..

انا يا أخي الانسان مثلك كان لي وطـــن حبيب
قد كنت فيه اعيش في رغـــد وفي عيش رحيب

وقـــوله :

اتراك تعرف يا اخي الانسان ما معنى الضيـــاع
اتراك تشعر ما اقاسي من شـــقاء والتيـــاع
انا واثق من نبل حسك ان دعى للخـــير داع

وبمثل هذا النداء الطافح بالانسانية تتفرد فلسطينيات (علي) .

وقبل ان ننهي مطافنا في ديوان (اغاني العودة) لابد لنا من الوقوف عند ياقوتة من يواقيته وهي قصيدته (نداء لاجئة) التي تكشف عن تطور في اسلوب الشاعر ونضوج في قدرته التصويرية • فهي في رأينا ذروة في الديوان :

تفتحت في قلبها الشجون ـ وهومت في نفسها الظنون ـ في ليلة مقرورة كئيبة كآبة الضياء ـ في الشمع حول ميت ••• فقير •• ـ تفتحت شجونها القريبة ـ وداعبت ظنونها البعيدة ـ وامتزجت في قلبها الصور وهومت فكر •• ـ من واقع تعيشه أليم وذكريات كلها نعيم ـ وامتزج الذكر مع الشقاء مثل امتزاج الليل بالضياء ـ لكنما كآبة الظلال في المساء ـ قد اطلقت في نفسها الشجون ـ في قلبها الحنون ـ فأبصرت بانها تعيش لكنه العدم ـ فكوخها جدرانه صفيح ـ قد شفها البلا ـ فأصبحت وكلها ثقوب وخلفها يزمجر الاعصار وتهطل الامطار ـ والكوخ لا تشع فيه نار ـ والأم ضمت ابنة وحيدة ـ يتيمة •• لاجئة •• شريدة ـ كأمها •• كشعبها •• طريدة ـ وها هو المساء ـ والليل يمحو آية الضياء ـ لكنما في نفسها رجاء ـ في روحها نداء ـ يا ايها الصباح ـ ارجع الينا آية الضياء •

تحية للشاعر الصديق

يوسـف الخطـيب
في ديوانه ـ واحـة الجحيم ـ

يمثل كل ديوان من دواوين الخطيب مرحلة من مراحل التطور في شعره فهو في ديوانه الاول (العيون الظماء للنور) يندد بالشعر الحديث وموسيقاه فيه صاخبة وشعر الديوان في اغلبه شعر محفلي جماهيري • في ديوانه الثاني ـ عائدون ـ نراه يغلف صوره الشعرية بغموض مرهـق للقارىء بل وتتعذر معه الرؤيا وكشف جوانب الصورة ومن ناحية اخرى نراه يخرج على موازين الخليل ويمارس كتابة التجارب الحرة • لكنه في ديوانه الثالث ـ واحة الجحيم ـ يجاوز ما تقدم بمراحل فهو يصرح : (بان القصيدة الحرة ليست الشكل النهائي امامنا للتجديد في الشعر العربي ان لم تكن الشكل الاقل شأنا في هذا المجال •

في « دمشق والزمن الرديء » حاولت ان أحرر الوحدة النغمية من حاجزين : اولا من اسار القافية التقليدي وثانيا من نشاز البتر في القصيدة الحرة • وفي المقاطع الموصولة من هذه القصيدة توخيت الدفق النغمي على اطلاقه حتى ليبلغ المقطع الواحد خمسين تفعيلة او يزيد بدلا من التفعيلات الست التقليدية المحبوكة الصدر والعجز وبدلا من اسطر القصيدة الحرة الممزقة الاطراف وقد اعتمدت التقفية الداخلية ضمن المقطع الواحد لتخليصه من عيب الرتابة •••) •

ان قدرة يوسف الخطيب لا تقف عند هذا الحد بل ترتفع الى مستوى خلق اوزان جديدة كما في البحر الذي سماه « الكرمل » حبا ووفاء لوطن الاحلام • قال يوسف : « الرجز » ووحدته مستفعلن • و « الرمل » ووحدته فاعلاتن « والهزج » ووحدته مفاعيلن • ثلاثة ابحر في عروض الخليل يمكن للشـاعر الحـديث ان يصهـره في عمـل واحـد •• ان تكـرارنا لاية واحدة من هـذه التفعيـلات الثـلاث بكـافة جوازاتهـا هـو في الوقـت نفسـه تكـرار للتفعيـلتين الاخـرين بكـافة جوازاتهـما ايضا مع نقصان مرة واحدة في العدد •• فلو نحن كررنا « مستفعلن »

مثلا حمس مرات فمعنى ذلك بالضرورة اننا كررنا « فاعلاتن » اربع مرات و « مفاعيلن » اربع مرات •• ومعنى ذلك ايضا ان قصيدة موصولة التفعيلات نجريها على « الرجز » لابد ان تكون جارية في الوقت نفسه على كل من « الرمل » و « الهزج » •• الا اننا في المقطع الشعري الواحد نختار اول تفعيلة من البحر الذي نريد وآخر تفعيلة من البحر الذي نريد بينما يظل المقطع من داخله جياشا بتساوق نغمي من ثلاثة اوزان •• كما هو في « العرس السماوي » •• ربما لنقص في اطلاعي انني لم اعثر على شبيه لهذا اللون في تراثنا •• فالى ان يصححني النقاد فان هذا اللون من الشعر اسميه « الكرمل » •• حبا ووفاء لوطن الاحلام ••

الدكتور الاشتر يرى (ان الخطيب اشعر من غنى النكبة بعقيدة قومية عربية اشتراكية) انه يريد ان يقول ان الخطيب اشعر من غنى النكبة من العقائديين ويبدو هذا الكلام على جانب كبير من الصحة اذا ما قرأنا رائعة يوسف (دمشق والزمن الرديء) • عشرون شاعرا مصريا ومثلهم وزيادة من شعراء الشام الكبير كانوا يتبارون في مهرجانهم الشعري في دمشق حين اطل فجر الانفصال الكالح • كلهم شاهدوا باعينهم جريمة الانفصال فما الذي خلفته في اثارهم •• لاشيء • اما الخطيب فقد كتب اروع قصائده (دمشق والزمن الرديء) التي عاناها في اعماقه عاما كاملا بكل ابعادها • وهذا هو الفرق بين شاعر عقائدي كيوسف الخطيب وبين دعي للعروبة كالشاعر صلاح عبدالصبور الذي شاهد جريمة الانفصال بنفسه فلم توح اليه شيئا • لان تجربة الوحدة ما عاشت يوما في اعماقه • ان من يعرف واقعة الاربعين شاعرا عربيا الذين حضروا جريمة الانفصال وكيف ادركهم العي لن يتساءل بعدها عن الشعر العربي وهل هو في مستوى النكبة ام لا ؟؟ ان الشعر العربي لم يكن ابدا في مستوى أية معركة من معاركنا على امتداد وطننا الكبير •

يضم ديوان « واحة الجحيم » ١٧ قصيدة وبضعة رباعيات • والديوان في مجموعه نموذج فذ لشعر الالتزام البعيد عن الخطابية والتقريرية

والوعظية • هو في محاولاته الحرة مبتكر اضاف جديدا الى الاشكال السابقة كما اوضحنا وقد تميزت قصائده الحرة بالوحدة العضوية وبالانفعال الصادق وبالتعبير الرائع بالصور •

وهو في شعره الخليلي المتناثر بين طيات الديوان شاعر انسان او مصور خلاق او مفكر عظيم • هو انسان في مثل قوله :

خل الرجاء مشرع الباب — وعد اللقاء غدا بأحبابي
شوق الطيور الى جداولها — شوقي لهم وحريق اعصابي
والدرب من يافا بلا رسل — سمرت فيه عمر اهدابي
ومنيتي تدنو فيرجئها — ذاك الرجاء ولمحه الخابي

وهو خالق صور في مثل قوله من قصيدته (من بحر يافا النسيم) :

وزائر لي من يافا بباقيتي — أضمه برموش العين القاه
يفيء نافذتي يدري السبيل الى — قلبي •• أوسده قلبي وأرضاه
أسائل الله فيه ما يجنحني — بيارتا برتقال •• ام جناحاه
حتى يمسد اهدابي فاعرفه — انا الرفيقان من يافا واياه
يا زائري ووجيب القلب خطوته — ورفة الروح والذكرى هداياه
هل الدوالي على اكتاف منزلنا — هوى العصافير ام لا فيء تغشاه
وفاض بالضحكات النبع ام رجعت — جرارهن بلا ماء صباياه
وكيف اهل لنا في الدار أعينهم — مشدودة خلف وعد الصبح ترعاه ••
هل بعدنا بعد لا تزهو السفوح اما — ناي يبوح اما خلف الربى آه
نسيم يافا أمل رأسي الى سنة — احياك في حلم بستان وأحياه
وخلني لو شراعا فيك ضائعة — ايامه ومروج الوهم دنياه
علي اضمك في عيني ما طلعت — ليمونة في ثرى واخضل مغناه
ووافني كل يوم •• ما الزمان لنا — ولي سواك غدا طيف سألقاه

اذا اتيت مغيب الشمس نافذتـي وراىك الصمت لا دمـع ولا آه
فضع على درجات الباب من وطني هديتي •• لو يرد الحب قتلاه
ينوب عني لديك الطير ظلتـه ستائرى وجيـوب السقف مأواه
شباكي الراصد الغربي لفتـه شوق اليك وتلويح ذراعـاه

وهو صادق الرؤيا في مثل قوله :

دربنا أضيق من فلع خلال الصخر والزلزال •• درب الاقـويـاء
دربنا نهـر افاع فائر اللجـة بالرغوة •• درب الشـهداء
دربنا تجربة الشيطان فوق الجبـل المنسـي •• درب الانبيـاء

شعر الخطيب الحر ثمرة معاناة حقيقية مرة وهـو يتماز بانسانيته العميقة وبالصدق الاصيل في التعبير كما يتماز بقدرته الخلاقة على التعبير عن كل ذلك بالصور • ان قصيدته (لو ميتا القاك) تمثل في رأينا نموذجا رائعا من شعره الحر تتوافر فيه الخصائص المتقدمة استمع اليه يقول :

أسأل عنك في الطيور يا حبيبـي
في هجرة العـطر على صبا الجنـوب
في أمد انتظـارنا وفي وجيبـي
أسأل •• يا معـذبي •• ويا حبيبـي
لو ميتا يا وطني القاك •• لو أمشـي
لك الدنيا على رمشـين •• لـو
آتيـك في خاطرة •• لـو هاجسـا
أعبر في بال الربـى •• لـو
حفنة من الثـرى هائمـة علـى
جنون الريح عمـرها وتنتهـي
الى ثراك •• لا أناشد الوجـود
غير ذاك •••
أن أشيع فيك ••
أن أراك •••••

لو ميتا يا حلم الاحلام •• لو دمــا
يفيض في تويج وردة ••
لو برعما يطلع في الجليل ••
لو عبير برتقالة يشرد في
السفوح •• لو مويجة تمخضها
البحـــار في تعاقب الظلام
والنهار •• ثم تنتهي اليك ••
تنتهـي ••
تمد ساعدا فوق ارتمـــاء
الذهب الرملي والمحار ••
لا أناشد الوجود غير ذاك ••
أن اشيع فيك ••
أن أراك •• أن أراك ••
أرخيك يا أعنة الحنين فاسبقي
الرياح والجنون والروى
اليه •• افديه هجيرة على الرمال
أو كث السفوح فيئـــا
وعانقي الفجر به على شواطىء
الندى وليله المضوء
ينزل أفياء الضلوع سيدى
متكئا على الرموش ما نأى

يقول (روزنتال) : (الطرافة في القصيدة ليست وحدها التي تحدد مدى اصالة الشاعر وانما تحددها كذلك قدرتهـا على الافادة من التراث الشعري) ويوسف في واحة الجحيم عظيم الافادة من تراثنا الشعري بشكل

نادر المثيل في شعرنا الحديث استمع اليه يقول :ـ

لو كنت من مازن لم يستبح وطني   بنو اللقيطة لكني من الشام
لو كنت من مازن هيهات لا جدث   يصغي فدع رمية التاريخ للرامي

واستمع اليه يقول :

اتذكرت جامع الرمل في يافا   وصيتا وفيئه البرتقال
في جبين المحراب من خيبر وشم   حكته النعال أثر النعال
أتذكرت...فاضطجع فيئة الذكرى   تفصد شعرا وذل سؤال
وابك مثل النساء ملكا مضاعا   لم تحافظ عليه مثل الرجال

ثم استمع الى قوله :

هذا جناه ابي علي وما   ارضعت الا ثمالة الالم

لتلمس لمس اليد مدى افادته من تراثنا الشعري العظيم :

المشكلة التي يعانيها قارىء (واحة الجحيم) هذه الضبابية التي تلف بعض صوره وقصائده فيصبح من المتعذر كشف جوانبها واستكناه صورها وينتهي القارىء الى تيه من الطلاسم يتعذر فهمها ومن امثلة ذلك قوله من قصيدة (العرس السماوي) :

وها كأسي الى دالية كالوهج
يسقاها صحاب الله
من منكم رأى جلبابه الماشي
فليسرج معي احضنة التوق
الى حانه
شدوهمو في الريح تأويد مزامير
الى العرس السماوي
وكالرؤيا
سهيل الخيل في برية الافلاك
ضاء العرش
كان الله باب الخلد في موعد

ومن امثلته أيضا قصيدته (المدينة السافلة) ، وقطعته (والشعب) من

قصيدته (ثلاث قصائد للرفاق) نموذج آخر لهذا الاغراق في ضبابية الصور الذي يستحيل معه اهتداء القارىء لجوانب الصورة .

ويوسف كانسان عقائدي عظيم الايمان بالغد دائب البحث عن الفجر المرتقب » .

نحن يا يافا ارتقاب الصبح لا اجفاننا
« تسهو ولا نلمح شيئا ... »
كيف تأتيك ومن اين ؟ .. دعي نجواك
تهبط في دجى الغربة وحيا
ثم حانت لفتة أعلى فكان الله
في الظلمة مشكاة البشارة
دربنا .. من كوة الوطواط يمتد
على التاريخ .. من باب المغارة ..

وبعد « من الظلم الحديث عن ديوان متفرد كواحة الجحيم في مثل هذه العجالة فمجال الكتابة عنه مديد .

وكلمة اخيرة ربما ذهبت عن البال اشياء كثار لكن ابياتا ليوسف ستظل تدوى في اعماقي وفي اعماق كل قاريء عربي يقف عند هذا الديوان » .

وانا الذي وطني ارتحال الشمس ملء الارض
لكني بلا وطن
منذا يصدقني
منذا يصدقني

ايها الاخوة المشردون تحت كل نجمة : فلتوقدا الشموع .. ها قد نبغ فيكم الشاعر العظيم .. وغدا ..

« ترى
من يفلح التاريخ
من يعطي التشارين الاجنة
من يفي نيسان بالوعد الكبير » .

خـــاتمـة :

التزاما بالقاعدة التي ذكرناها في صدرالبحث من اقتصاره على التعريف بشعر النكبة في دواوين الفلسطينيين الصادرة بعد عام ١٩٦٠ •

فاننا لم نقف عند ديوان ـ اعطناحبا ـ للشاعرة الملهمة المبدعة فدوى طوقان • وعذرنا خلو الديوان المذكور من اصداء النكبة • انما لابد مـــن الوقوف عند رائعة نشرتها فدوى بعنوان ـ فلسطينية اردنية في انكلترا ـ هي من رائع شعر النكبة لولا غلالة اليأس التي تلفها من فرع الى قـدم • استمع اليها تقول مخاطبة احد الانكليز :

(١)

ـ : طقس كئيب

وسماؤنا ابدا ضبابية

من اين ؟ اسبانية ؟

ـ : كلا

انا من •• من الاردن

ـ : عفوا من الاردن ؟ لا افهم

ـ : انا من روابي القدس

وطن السنى والشمس

ـ : يا • يا • عرفت • اذن يهودية

يا طعنة اهوت على كبدي

صماء وحشية

(٢)

تسأل عن سحابه

مرت على جبيني

وظلت عيني بالكآبه

وانت يا جار الرضى من فتح الجراح

ذكرتني

اني من الارض التي تمزقت

اني من القوم الذين

من الجذور اقتلعوا • من الجذور

واصبحوا على مدراج الرياح

مبعثرين ها هنا وها هنا • لا ينتمون

الى وطن

حقيقة فيها نغالط النفوس ندعي

انا كباقي الآخرين

قوم لنا وطن

* * *

لا لوم • كيف تعلم

هنا الضباب والدخان في بلادكم

يلفف الاشياء • يطمس الضياء

فلا ترى العيون غير ما

يراد للعيون ان ترى

وللسبب ذاته لم نقف عند ديوان ـ اللهب الكافر ـ لصديقنا الشاعر المجلجل محمود سليم الحوت لان الديوان في مجموعه باقة من شـــعر الوجدان والاسرة • فليس فيه من اصداء النكبة الا ظلالا باهتة تتجلى في مثل قوله : ـ

اين بالامس شـــاطىء لازوردي   وســـفح ومائـــج سندسي
وزواه كأنها قطع الخلد تناهـــى   بهـــا الجمـــال الســوى
وقرى تضحك العشيـــات فيها   مثلما يضحك الشروق النـــدى
والجنان المقدســـات ودنيـــا   من امان • وموطن يعربـــي
وعروس يقبل البحـــر منهـــا   قدميها وسحرها الأزلـــي
وشقيقاتها العذارى جيـــارى   اجدير بهـــا الهوان حـــرى ؟
نم فليس الحياة يا صاح • خبـــزا   قد يموت الاسان والفم حي

* * *

لا تسلني عن المرؤات جهـــرا   كان فينـــا من المرؤات شـــى
فاحتملنا الاذى افانـــين حتـــى   ظن ان الاذى هنـــي مـــرى
فاذا الكـــون كله بســـمات   ســـاخرات لهـــا بأذنـــي دوى

* * *

وتتجلى ايضا في مثل قوله : ـ

وهب شعب على صيحات صخرته   يستل من عذبات الله ممتشـــقا
وراح يضرمها حربا مقدســـة   شرقية بضمير الغرب لن تثقـــا
كم حدثونا عن العدل المقيت وكـــم   كانت لهم حلبات الظلم مســـتبقا

لن نستقر ولن تهدا مراجلنـــا والحق في عالم الاطماع قد خنقـا
ســيعلمون وفي التاريخ موعظـــة كيف استمدوا من التقسيم متفقـا

* * *

ان الحوت شاعر عرف بديباجته الرفيعة الناصعة وبعاطفته الجياشة .
وانا لديوانه ـ صراخ الارض لمنتظرون .

هــلال ناجي
الوفد العراقي

الأدب والتراث

كتاب العربية الاكبر

بقلم

الدكتورة عائشة عبد الرحمن

بنت الشاطئ

(١)

حين قرأت في جدول أعمال المؤتمر ، موضوعات لجنة الأدب والتراث ، رجوت مخلصة أن نخرج من هذه الدورة الهامة لمؤتمرنا الكبير ، بما يحسم الخلاف العقيم حول التراث والمجتمع الجديد ، وينهى الجدل الشاذ في تراثنا بين الرجعية والتقدم .

وتحديد مفهوم التراث ، مما يعين بلا ريب ، على حسم القضية التي طال اختلافنا فيها وجدلنا حولها . ان التراث بأبسط عبارة ، هو ما يتلقاه الكائن ، المادى أو المعنوى ، من ماضيه ، أو هو تتابع الشخصية وتسلسلها على مر الأجيال . وقانون الوراثة قانون علمي مفروغ منه ، ومن العجيب أننا لا نختلف على أثر الميراث في الفرد ، فلماذا يشتبه علينا أثر الوراثة في حياة الجماعة ؟

ان مجتمعنا الجديد ، فيه امتداد للقديم ، وهو نابع منه أصلا ، حامل في كيانه العام ميراثه منه . ذلك أمر مفروغ منه علميا بقانون الوراثة ، وهو أيضا ما يجب أن يتقرر قوميا ، بما يقضي به وجودنا الحاضر ، من ضرورة دراسة ميراث الماضي فينا ، لنجد فيه ملامح أصالتنا ، ونعي أسرار ذاتنا ، ونستبين معالم خطانا على درب الوجود منذ كنا ..

ولا نعرف أمة متحضرة في عالم اليوم ، جحدت تراثها أو عدته عبئا عليها يثقل سيرها ويعوق تقدمها ، بل الذى نعرفه أنه حتى الامم المحدثة في الحضارة ، تحاول ما وسعها الجهد أن تصطنع لها تاريخنا مضى ، وتجند الصفوة من علمائها ليبحثوا لها عما يمكن أن تعتده تراثا لها يخصب وجودها ويغذى طموح أبنائها بما يمنحهم من طابع أصالة وسمة عراقة ، في الوقت

الذي نختلف فيه على جدوى الاهتمام بتراثنا ، ونحن أعرق الامم وجودا ، وورثة الحضارات الانسانية الاولى التي قادت البشرية على درب التمدن من قديم الحقب والادهار ...

(٢)

ولا أريد أن أساق الى دفاع عن قضية هذا التراث .. كلا ، فذلك ما يجرح كرامتنا العلمية والقومية ، ومن ثم أنتقل مسرعة الى تلك القضية الاخرى التى ما نزال نختلف عليها ، وهي : تراثنا بين الرجعية والتقدمية ، وأعتقد أنها كذلك ، مما يجب أن نفرغ منه ونحسم الجدل العقيم فيه .

ذلك لأنه اذا كان لا يجوز أن نجحد قانون الوراثة فينا ، فليس يجوز أيضا أن نجحد قانون الحياة وسنة التطور . ومع ايماني الراسخ ، بأن الوقوف في وجه التطور تأباه طبيعة الاشياء ، وأن كل محاولة لتجميد حركة الكائن الحي لابد أن تنسخها آية الكون ، فالذي لاشك فيه أيضا أن مثل تلك المحاولة على عقمها تعوق خطانا وتبدد طاقات ليس من حق أى جيل أن يضيعها على الأمة عبثا .

وكما يضل ضلالا بعيدا ، من يتصورون امكان الاستغناء عن فهم تراث الماضي فينا ، يضل أيضا من يتصورون امكان الاستغناء بهذا التراث عن جديد لنا يضيفه عصرنا . فبقدر احتكام الوراثة فينا ، تحتكم سنة التطور التي يخضع لها كل كائن حى .

ان جديدنا لا يمكن أن يقوم على هباء ، كما لا يمكن أن تستعار له جذور أجنبية عن أرضه غريبة على مناخه . ومثل من يتوهم أن تطورنا يمكن أن يبدأ منطلقه بمعزل عن ميراث ماضيه ، وأن يخطو في فراغ تائه ليس فيه اشارة الى معالم خطواتنا السابقة على طريق الحياة ، كمثل من يتوهم أن البشرية اليوم تتطور من نقطة الصفر ، ضاربة في فراغ لا أثر فيه من تجارب ماضيها الطويل ، أو أنها تحاول اليوم أن تتطور الى عصر

الذرة ، بمعزل عن مراحل انتقالها السابقة ، من عصر البخار الى عصر الكهرباء •

كذلك لا تستطيع الرجعية الكافرة بالتطور ، أن تجمد حركة الحياة أو تلغي سير الزمن ، ومنذ نحو ألف عام قال شاعرنا أبو العلاء :

أمس الذي مر ، على قربـــه
يعجز أهل الأرض عن رده !

ان التطور يفقد كل معناه اذا أهدر عنصر الزمان الذى يفرض علينا حقيقته ، كما أنه يفقد كل معناه ، اذا أهدر عنصر البيئة ونوازع الوراثة • ومن ثم يجب أن تعد قضية التراث بين القديم والجديد مفروغا منها ، لاننا نعيش يومنا بالامس الذي يعيش فينا ، وتاريخ الامة ، بل تاريخ الحضارة الانسانية بوجه عام ، ليس الا مراحل تنتفع كل منها بتجارب ما قبلها ، وتضيف اليه ما هو ميراث لما بعدها •••

(٣)

ولعلي لا أكون أطلت التمهيد لما أود أن أتحدث فيه عن « كتاب العربية الأكبر » وأقدر تماما أنكم ، وفن الكلمة مناط اهتمامكم وتخصصكم ، تعلمون أن لغة الأمة لا يمكن أن تنفصل عن أصيل تراثها ونقى منابعها • وغير متصور بحال ما ، أن يكون تطور لغوي ، بمعزل عن لسان العربية من أعرق قديمها ، لأن الانسلاخ من أصيل اللغة ، مسخ لمقومات وجودنا وجوهر شخصيتنا ولسان قوميتنا •

ولقد كانت اللغة ، محور الصراع التاريخي للأمة العربية في نضالها عن وجودها القومي ، ففي القرن الثاني الهجرى ، قامت هنا في هذه الأرض الطيبة ، حركة جمع تراث العربية الأصيل ، وحمل العراق عبئها الأكبر في مواجهة الغزو الشعوبي الضاري • وبعد مأساة الغزو التتري ، قامت حركة تأليف الموسعات في مصر والشام ، لانقاذ ما يمكن انقاذه من تراث

العربية والاسلام ، بعد أن دمر الاعصار ما دمر من كنوز الكتب وذخائر المخطوطات • وبعد انحسار الموجات الصليبية قامت حركة الاستشراق في الغرب ، فمهدت للاستعمار بما عكفت عليه من دراسة لغتنا واستقراء تراثنا ، كي تفهم عقليتنا ومزاجنا وتدرك أسرار ذاتنا • وجاء الاستعمار فسهر في ليلنا الطويل على محاولة مسخ شخصيتنا القومية بعزلنا عن ماضينا وبترنا من جذورنا ، وسرق ألسنة شعوب منا ، فلما آن لها أن تتحرر بعد معارك باسلة ، واجهت قضية اللغة القومية ، فاذا هي أخطر وأعقد مشكلات ما بعد الاستقلال •••

ولغة الأمة ميراث لها ، واذا جاز أن يشتبه على بعضنا مدى إحكام الوراثة في أي جانب من جوانب حياتنا الجديدة ، فان اللغة مما لا يجوز الاشتباه في وثيق صلتها بموروثها القديم ، بل انها لا تحقق وجودها الأصيل الا بقدر ما ترتبط بتراثها العريق •

ولكل لغة روائع من آدابها تعدها النماذج العالية لذوقها النقي ، والمثل الرفيعة لفنها القولى • وحين نلتمس في العربية مثلها الأعلى فإننا لا نجد في تراثها الأدبي كله ، نصا عوجز به كما عوجز بالقرآن ، مهما يكن الرأي في الاعجاز •

حتى الذين قالوا فيه بالصرفة أجمعوا على أنه طراز فريد في بلاغته ، ونمط فذ في بيانه ، وعكفوا على دراسة أسرار نظمه •

فالقرآن الى جانب كونه كتاب الاسلام ، هو كتاب العربية الأكبر ومجتلى أصالتها ونقائها •

فمن حيث الأصالة ، نلتفت هنا الى أن تراث العربية من عصر نقائها قبل أن تخرج من بيئتها الأصيلة أو تشوبها شائبة من عجمة ، ظل يروى شفاها وينتقل الى ألسنة الرواة جيلا بعد جيل ، ولم يبدأ تدوينه الا في وقت متأخر ، وقد بعد العهد بقديمه وضاع أكثره ، فلم يبق منه الا القدر الذي وعته ذاكرة الزمن لقرون عدة ، وهذا القدر تعرض لعوامل التغيير والتحريف ، ولحقت ببعضه تهمة الوضع والانتحال بفعل دواع سياسية ومذهبية واجتماعية ، وهي تهمة ألح المستشرقون في

تضخيمها حتى ألقوا ظل الشك على تراث العصر الجاهلي كله ، بل على كل ما روى شفاها من العصر الاسلامي الأول ، وذاعت فينا التهمة فلم يتخلص منها ميدان الدرس الأدبي عندنا الا بعد جهود مضنية حصرت الشك في نطاقه المحدود ، وان لم تمنع أن يكون من هذا التراث الذي نطمئن اليه ، ما زُيِّف بمهارة تفوت خبرة علماء العربية[1] •

أما القرآن فقد تم تدوينه كله باشراف الرسول صلى الله عليه وسلم وتحت رقابته ، والاحتياط له بمثل منع الرسول أصحابه من كتابة الحديث ، فسلم القرآن من كل ما تعرضت له النصوص الأخرى من شوائب الرواية الشفهية التي لا تسلم ، مع كل الأمانة والحرص والتحرج ، من تغيير لفظ بآخر في معناه ، وهو ما يعرف في « مصطلح الحديث » بالرواية بالمعنى •

لدينا اذن من عصر أصالة العربية نص موثق ، تم تدوينه منذ أربعة عشر قرنا ، فإذا قدرنا مع ذلك أن هذا القرآن هو النص المعجز الذي بهر العرب فأعياهم أن يأتوا بسورة من مثله ، والعربية في عز مجدها وذروة نقائها ، أدركنا ما لهذا النص من خطر جليل ، من حيث هو النموذج الأصل والأعلى للعربية ، وأدركنا معه أن الاتصال بهذا القرآن ، ضرورة لا مفر منها لكل من يمارس فن القول في العربية ، وكل عربي يريد أن يكسب ذوقها المصفى ، مسلما كان أو غير مسلم •

والأدب فن أداته الكلمة ، فلست أدرى كيف يتاح لأديب منا أى حظ من الاقتدار ، وهو يجهل أسرار اللغة التي يأخذ منها أداة فنه ، ويعبر بها عن وجدانه • بل لست أفهم كيف يمكن أن يحقق وجوده الأدبي ، متصلا بالوجدان العام لأمته معبرا عنه ومؤثرا فيه ، بعيدا عن الدراية بأسلوب الكتاب الأكبر ، ودون أن يحسب كل حساب لما في التكوين الذوقي للجماعة ، من تأثر بالكتاب الذى ينفرد بالسيطرة على وجدانها على تتابع العصور والأجيال ؟

---

(١) عالجت هذه القضية بمزيد بيان في كتابي عن « الخنساء » ط دار المعارف بالقاهرة •

وأخرى لافتة الى ما لهذا القرآن من دور قيادى متفرد ، في وحـدة الأمة العربية من قلب الشرق الأسيوى الى اقصى المغرب الافريقي • وبه كنا نلتقى فكرا وروحا ووجدانا ، عبر الحواجز الفاصلة والأسوار العازلة التي أقامها الاستعمار بيننا ليمزق شملنا • وقضية الوحدة بالنسبة لنا اليوم قضية مصير • وليس لنا غير القرآن مناط الوحدة الذوقية والفكرية والوجدانية ، اذ أنه مهما تتعدد لهجاتنا المحلية وتختلف بيئاتنا الاقليمية وتتغير فنوننا الشعبية المحدودة الأثر بالنطاق المحلي الضيق ، يبقى القرآن في نقاء أصالته وعمق نفوذه وبالغ تأثيره وتفرد مكانته ، الكتاب المشترك الاكبر الذي تلتقى عنده كل الاقطار التي اتخذت العربية لسانا لها ، على اختلاف بيئاتها واديانهـا ولهجاتها ، وتفاوت تأثرها بالعوامل الاقليمية ، كما يلتقى المسلمون عنده ، في شتى أوطانهم وعلى اختلاف ألسنتهم ، عقيدة ودينا ••

وانفراد كتاب العربية الأكبر ، بهذا الأثر الفريد في كسب ذوقها ، وذلك الدور القيادي الجليل في تأصيل وحـدة شعوبها وتقـرير مصيرها ، وضمان تفاهمها المشترك والتقائها الفكرى وتجاوبها الوجداني ، انفراد القرآن بكل هذا ــ مما لا نعرفه لأي كتاب آخر ــ هو الذي يجلو الأهمية القصوى لجد المحاولة في وصل أبنائنا به على اختلاف مستوياتهم الدراسية ، واعطائه المكانة الأولى في المرحلة الجامعية لمن يتخصصون في دراسة العربية وأدبها ، باحثين أو معلمين •••

على أن هذا لن يجدى شيئا ذا بال ، اذا لم تقم دراسة القرآن ، فهما وتذوقا ، على منهج لغوي أدبي دقيق حر ، كان لابد لحياتنا أن تستحدثه ، بعد أن تأصلت فينا قواعد الدرس المنهجي ، وبلغت ما بلغت من دقة التناول وعمق النظر وصحة الاستقراء •

وتعلمون كما أعلم ، أن الظروف الدينية والسياسية والتاريخية التي تعرض لها فهم العرب للقرآن الـكريم ، وتعرض لها تأويله ، من حيث كونه الكتاب الديني لشعوب شتى توزعها فرق ومذاهب ونوازع ووراثات مختلفة ، هذه الظروف قد حالت دون تذوقه نصا ممثلا لأنقى وأصل ما في

العربية من آيات البيان ، وذلك لما داخل هذا التذوق من شوائب شتى جارت عليه ٠

وكل من له اتصال بالدراسات القرآنية ، يعلم ما حُشيت به كتب التفسير من مقحمات اسرائيلية ، حاول بها اليهود ممن دخلوا في الاسلام طوعا أو كرها ، تطعيم فهم المسلمين لكتاب دينهم بعناصر اسرائيلية ٠ والى جانب هذه المقحمات المدسوسة ، شائبات أخرى تتصل بصميم عملنا الأدبي ، وأعني بها تلك التي جاءت أثرا لتباين أذواق المفسرين وأنماط عقلياتهم وبيئاتهم ومدى قربهم أو بعدهم عن روح العربية ، في ذلك العالم الواسع العريض الذي امتد من الهند والصين في أقصى المشرق ، الى مراكش والأندلس في أقصى المغرب ، وتقاسمته عصبيات مذهبية وسياسية وشعوبية ٠ فاقتضى هذا بطبيعة الحال ، أن توارد على كتاب الاسلام الديني أمم وطوائف شتى ، تفهمه وتتذوقه متأثرة بظروف زمانها ومكانها ، ويفسره المفسرون منهم ـ وكثرتهم أعاجم ـ تفسيرا يوجه النص توجيها يعوزه في أكثر الأحايين ، ذوق العربية النقي وحسها الأصيل ، وقد ينحرف به عن وجهته ضلال التعصب أو خطأ المنهج أو قصور التناول ٠

وتقوم المحاولة في المنهج الحديث لتفسير القرآن نصا بيانيا[1] ، على أن نخلص لفهم النص فهما مستشفا لروح العربية ، مستأنسا في كل لفظ ، بل كل حركة ونبرة ، بمعجم الاستعمال القرآني كله ، وتتبع الدلالة حيثما ورد اللفظ فيه ، واستقراء السياق الخاص والعام ، لكل ظاهرة أسلوبية ٠ ملتزمين في ذلك المنهج أدق التزام ، بكلمة قالها السلف الصالح « القرآن يفسر بعضه بعضا » ثم لم يبلغوا منها مبلغا كافيا ٠

وقد أجدى تطبيق هذا التفسير المنهجي ، في استجلاء دلالات دقيقة لألفاظ القرآن الكريم ، ولمح العجيب الباهر من أسراره في التعبير وخصائصه الأسلوبية ، تحرر بها فهمنا له وذوقنا اياه ، من كل العناصر الدخيلة

---

(١) ارجع الى المنهج مفصلا في كتاب (مناهج تجديد) للاستاذ أمين الخولي ط دار المعرفة ٠ القاهرة ٠

والشوائب المقحمة على أصالته البيانية .

وأستطيع أن أقرر هنا ، أننا بعد أن أخذنا بهذا المنهج المحرر ، اهتدينا الى ما يجلو لنا اعجازه البياني ، في اللفظ لا يقوم مقامه سواه ، وفي الحرف لا يؤدى معناه حرف آخر ، وفي الحركة أو النبرة ، تأخذ مكانها في النظم المعجـز .

وهو ما نضعه بين أيدي أدباء العربية ليدركوا سر الكلمة التي هي أداة فنهم .

ونضعه كذلك بين قادة الفكر العربي ليلتمسوا فيه الحلول المجدية الحاسمة ، لما يشغل وجودنا الحاضر من قضايا قومية كبرى ، تتصل الاتصال الوثيق بلغتنا وأدبنا[1] .

من تلك القضايا مثلا . قضية الوحدة القومية التي تحتاج أول مـا تحتاج الى ضمان التقائنا فكريا وتجاوبنا وجدانيا . وقد أشرت آنفا الى محاولة الاستعمار سرقة اللسان القومي لشعوب منا ، عـزلا لها ومسخـا لشخصيتها وذريعة غزو فكرى ومعنوى لها ، وحين أعياه أن يسرق لسان شعب منا ، عمد الى تمزيق وحدتنا اللغوية بصراع شاذ بين فصحانا المشتركة ولهجاتنا المحلية ، مما لا نعرف له مثيلا في لغات الدنيا وما منها لغة ليست بذات لهجات محلية متعددة .

وتأخذنا دوامة الصراع المفتعل ، اذا لم نلذ بكتـابنا الموحد لأبنـاء العربية ، خاصتهم وعامتهم ، فهو الذى يصون وحدتنا اللسانية والذوقية والفكرية ، ومنه نأخذ معجمنا الأصيل المشترك ، وأسلوبنا النقي في التعبير على نطاق الوطن العربي الكبير .

وحاول الاستعمار فيما حاول ، تدمير حيوية لغتنا ، لتظل كما أراد لها لغة متون قديمة وأوراد صفراء وبقايا أثرية من مخلفات موتانا ، فراجت فينا أقاويل شائعة ودعاوى ذائعة ، تلح على عقولنا ووجداننا بأن العربية

---

(١) راجع ما قدمت من هـذا في كتابى (التفسير البياني للقرآن الكريم) ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢ .

لا تصلح أن تكون لغة علم ، لعجزها عن تحديد دلالات الالفاظ وضبط مفاهيمها ، حيث تكثر المترادفات فيها كثرة فاحشة ، لا تضبط بها دلالة محددة ، على ما يقضي بذلك العلم • كما أنها لا تصلح أن تكون لغة فن أدبي معاصر ، لقصور بيانها عن التوغل في أعماق الوجود الانساني ولمح أسرار الكون والحياة • وانما قصارى جهدها البياني أن يعني بالشكل ويحتفل بالصورة • وأن يقف عند الظواهر البادية ويلمح السطوح القريبة والاعماق الدانية الضحلة •

ومنا من يسمع هذا ومثله ، فيداخله ريب في طاقة لغتنا على مجاراة روح العصر ومعالجة قضاياه العلمية والفكرية ، والاستشراف لما يحلق فيه من آفاق فنية[1] • وعذره في هذا ، سقم النصوص التي اختارها لنا نقاد الأدب ومؤرخوه على اختلاف الأعصر ؛ وقصور في معاجمنا اللغوية المشهورة تحشد عديد لألفاظ للمعنى الواحد ؛ وأصوات عالية لكثير من لغويي العرب تجلجل بالمباهاة بامتياز العربية الفصحى بتضخم رصيدها من المترادفات[2] •

ومع أن عددا من أئمة اللغويين القدامي والمحدثين أنكروا القول بوجود الترادف في العربية[3] ، وحملوا عليه حملة قاسية وكتبوا مؤلفات وبحوثا في بيان اختلاف الدلالات باختلاف الالفاظ المقول بترادفها • لا يزال القول بالترادف في العربية شائعا فينا رائجا بيننا ، حتى لنقرأ في مفتتح مجلة الرسالة ، يوم ١١ من فبراير الحالى ، مقالا للدكتور علي عبدالواحد وافى ، وهو متخصص في علم اللغة ، يباهى فيه بأن لغتنا الفصحى « منقطعة النظير فيما اجتمع لها من مترادفات في الاسماء والصفات والافعال ،

---

(١) انظر الدكتور علي الوردي في (اسطورة الادب الرفيع) ط بغداد ١٩٥٧ •

(٢) منهم : ابن خالويه ، والفيروزابادى الذي صنف كتابا عنوانه (الروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف) والامام الرازي والامام السبكي ـ انظر السيوطي في (المزهر) •

(٣) منهم : أبو على الفارسى ، والمبرد ، وابو منصور الثعالبى في (فقه اللغة) وابن فارس في (الصاحبي في فقه اللغة) وابو هلال العسكري في (الفروق اللغوية) •

مالم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم » واستشهد لذلك بما جمعه « ابن منظور » من أسماء للأسد عددها ٥٠٠ اسم ، وللثعبان مائة اسم • وما جمعه « الفيروزابادى » من مئات الاسماء للشيء الواحد •

وعلم اللغة الحديث يرى في مثل هذا الترادف ، ظاهرة فقدان حس لغوى ، وعجز عن ضبط الدلالات والمفاهيم • كما أن الفن الأدبي ينكر لغة يمكن أن يستبدل لفظ فيها بعشرات أو مئات أو ألوف ••

وكان أكبر الخطأ ، تنحية القرآن الكريم عن ميدان الدرس الادبي ومشكلات وجودنا اللغوي • وهذا القرآن ، يحسم قضية الترادف[1] ، حيث يشهد التتبع الدقيق لالفاظه في سياقها ، بأنه يستعمل اللفظ بدلالة محددة منضبطة ، لا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام آخر ، في المعنى الذى تحشد له المعاجم وكتب التفسير عددا قل أو كثر أو تضخم من الالفاظ المقول بترادفها • فالقرآن مثلا ، استعمل مادتي (حلف وأقسم) وهما بمعنى واحد في كتب التفسير ومعاجم اللغة ، لكن استقراء مواضع استعمالهما في القرآن كله ، يمنع هذا الترادف ، حيث تأتي مادة (حلف) دائما في مقام الحنث باليمين •

ليس هذا فحسب ، بل ان القرآن يفرق بين الصيغ المختلفة للمادة الواحدة ، فيستعمل « شتى » مثلا في التنوع والاختلاف ، أما (أشتات) فالواضح فيها معنى التفرق المقابل للتجمع • ويستعمل (النعمة والنعيم) ـ وهما سواء في المعاجم وكتب التفسير ـ مع تفرقة واضحة بينهما ، فيخص النعمة ، مفردا وجمعا ، بنعم الدنيا ، يضطرد ذلك في كل مواضع استعمالها في القرآن ، ويخص (النعيم) بنعيم الآخرة ، يضطرد ذلك أيضا في كل مواضع استعمالها •

فليس لقائل اذن أن يقضي على (العربية) بفقدان الحس اللغوي للالفاظ والعجز عن ضبط الدلالات ، وهذا كتابها الأكبر الموثق ، يبهرنا

---

(١) قدمت بحثا خاصا في هذا الموضوع ، الى مؤتمر المستشرقين بالهند : نيودلهي ، يناير ١٩٦٤ •

بدقة دلالة ألفاظه بحيث تأخذ الكلمة مكانها في التعبير ، غير ملتبسة بأخرى أو أخريات ...

ومن حيث الاداء الفني المقول بقصور العربية عن أدق أسراره وأعمق ايحائه ، كان الخطأ الاكبر الاستدلال لذلك بنصوص من الأدب العربي ، ليس فيها جميعا ما في هذا القرآن من آيات بيانية باهرة ، قل في البلاغيين والمفسرين من التفت اليها الا من حيث الصنعة البلاغية التي يتجمد بها النص ويفقد سر ايحائه .

ولو مضيت أعرض نماذج من الصور البيانية القرآنية ، لكان علي أن أتلو كل ما فيه من صور ، فما ممن تشبيه أو استعادة أو كناية أو وصف أدبي ، لا ينفذ الى العمق الوجداني الموغل ، ولا يستشف خفى الايحاء لاسرار النفس والكون وراء السطوح القريبة والمظاهر البادية واللقطات المرتجلة ، والاتصال بالبيان القرآني . فهما وتأثرا ، هو الذي يمكن أن يحقق لنا ذوقا عاما نلتقي عنده نحن كتاب العربية وقراءها ، على تفاوت أذواقنا الخاصة ، فردية واقليمية ، وبخاصة اذا قدرنا ما لا يجوز أن نغفل عنه ، من أن أى كتاب عربي ، قديم أو حديث ، يجد مجاله عند فريق من خاصتنا أو عامتنا ، أما القرآن فهو كتاب الملايين من خاصة وعامة ، ومن ثم وجب أن نلتمس فيه مناط وحدتنا **الذوقية** .

واذا كنت لا أستطيع أن أستقرىء هنا الصور البيانية في القرآن ، فاني ألفت الى ظواهر أسلوبية هدى التفسير المنهجي الى اضطرادها فيه ، بحيث يمكن عدها من الخصائص البيانية للنص القرآني .

من ذلك مثلا : ظاهرة الجرس العجيب لايقاع جمله ونغم فواصله : لفتت البلاغيين القدامى فقالوا فيها برعاية الفاصلة ، كأنما يجوز في أي نص بليغ ، أن يتعلق بزخرف شكلي وحلية لفظية . وأكثر الشواهد البلاغية على هذا الفن البديعي ، تقبل هذا ، وتجرح فنية البيان العربي ، وتظهره أدب لفظ وشكل ، وصنعة زخرف من القول . لكن استقراء الظاهرة في القرآن الكريم ، أثبت أنه ما من لفظ لم يجيء لاعتبار معنوي اقتضاه ، بحيث لو حاولنا استبدال لفظ آخر به ، فسد المعنى وفقدت

الكلمة سر ايحائها . وأضرب مثلا :

« والضحى ، والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى » قال فيها البلاغيون برعاية الفاصلة ، وفاتهم أن سجو الليل هو المقابل الوحيد لإشراق الضحى ، وأن حذف كاف الخطاب في « قلى » اقتضته حساسية معنوية مرهفة ، هي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى : ما قلاك ، على ما في القلى من دلالة الطرد والابعاد وشدة البغض ، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، وأكثر ما يكون بين الاحباب ومع رجاء اللقاء .

مثلا آخر :

« ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر » قالوا فيها برعاية الفاصلة ، وفاتهم أن لفظ المقابر ، هو وحده الملائم معنويا للتكاثر . فبقدر ما بين المقبرة والقبر من تفاوت ، يتجلى البيان القرآني في ايثاره صيغة (المقابر) على القبور ، حين يتحدث عن غاية ما يتكاثر به المتكاثرون ، وحين يلفت الى مآله في مجتمع المقابر ومحتشد الرمم ومنازل الموتى على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ودرجاتهم وأزمنتهم ، وهذه الدلالة من السعة والشمول ، لايمكن أن يقوم بها لفظ القبور ، بما هي جمع قبر لفرد أو أفراد .

ولهذا ومثله صلته بما يشغلنا من قضية اللفظ والمعنى .

واذ لا يتسع المجال الآن لعرض ما هدى اليه التفسير المنهجي للقرآن من حلول حاسمة لقضايا وجودنا القومي ومشكلات حياتنا الفنية واللغوية ، مما تتسع له البحوث والمؤلفات ، ما نشرناه منها وما هو بسبيل النشر .

أختم الكلمة راجية أن يكون هذا الحديث الموجز قد لفت الى أهمية التوصية بالعناية بالقرآن ، قمة أدب العربية ومناط وحدتها الذوقية ، فيوصل به أبناء العرب على اختلاف مستويات التعليم ، ويأخذ المكانة الاولى في الدراسة الجامعية للعربية وأدبها ، من حيث هو كتاب العربية الاكبر ومعجزتها البيانية العليا .

بغداد
١٧-٢-١٩٦٥

الدكتورة عائشة عبدالرحمن
وفد المتحدة

حقيقة التراث السياسي العربي الاسلامي

الجانب الدبلوماسي

بقلم

الدكتور فاضل زكي محمد

تمهيـــــــد :

لم يقتصر ما اصاب العرب في العصور الحديثة على التسلط الاجنبي السياسي والاقتصادى وما اعقبهما من تجزئة وتدهور في الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحسب ، وانما أمتد ذلك ايضـــا الى التعريض بتراثهم وباصالته وحتى بدورهم الـكبير في خدمة الحضـارة الانسانية . ولقد بلغ هذا التعريض بالتراث العربي الاسلامي الى الحد الذى أخذ فيه بعض الـكتاب من أمثال كالرمون ليقول : « ان المدنية العربية ليست سوى كلمة خداعة ... » ومن أمثال كوفين ليبين : « ان الشريعة الاسلامية ... قد حفظت في تضاعيفها شرورا اجتماعية تئن منها الانسانية » .

فهل هذا حقيقة ؟ وهل يكفي بالنسبة لنا نحن العرب ان نجيب ان أمثال هؤلاء الـكتاب اما ان يكونوا متعصبين أو أن يكونوا جهلاء بحقيقة التراث العربي الاسلامي .

الواقع ان مثل هذه التعميمات واجاباتها لا تكفي لامة تريد ان تنهض نهضة حقيقية شاملة . انها تستدعي فينا جميعا وعلى مختلف اختصاصاتنا ، ان نبحث وندقق ونسبر غور تراثنا فينا جميعا وعلى مختلف اختصاصاتنا ، لـكي نقف على حقيقته وكنوزه ، ولـكي نبني نهضتنا الحديثة بوحـــي وبقبس منه .

ان البحث والتقصي في التروث لا يعني الاقتصار على ناحيته المادية دون ناحيته الفـكرية . ذلك لان البحث في مقومات تراثنا الحضارى يستدعي فينا ان نبحث في كل جوانبه الروحة والفـكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية .

ونحن اذ نلقي بعض الضوء على تراثنا السياسي في جانبه الدبلوماسي نأمل من المعنيين في هذا الحقل بصورة خاصة والمعنيين بشؤون حضارتهم وتراثهم بصورة عامة ان يؤدوا ما عليهم من جهد وكل ذلك لكي نصل اهدافنا كاملة ولكي تكون خططنا في النهضة قائمة على أسس حقيقية ونابعة من واقعنا وتراثنا وحضارتنا •

المفهوم العربي الاسلامي للدبلوماسية :

في الوقت الذي كان الفكر السياسي يسير سيرا متعثرا في اوربا أبان القرون الوسطى كان هذا الفكر في الشرق العربي يتحدد في معالمه ويتبلور في مفاهيمه •

والواقع فان الدبلوماسية التي وصلت في اساليبها وفنونها واغراضها المتنوعة اوجها في العصور العباسية ، كان العرب قد مارسوها قبل تلك العصور ومنذ عصر الجاهلية بالذات •

ذلك ان طبيعة العرب في حب الاسفار ، وما احاط بهم من ظروف اجتماعية واقتصادية وجغرافية كان قد دفعهم الى ممارسة التجارة والى الاجتماعات في الاسواق والاندية لشهود المواسم الثقافية والدينية • فكان على أثر ذلك قامت العلاقات والارتباطات بين بعضهم البعض اولا ، ثم امتدت هذه العلاقات والارتباطات تدريجيا مع الاقوام والشعوب الاخرى ، مبتدئة بتلك المجاورة لهم • ولعل من بين أسباب تكوين العلاقات مع الغير ، وقوع بلادهم في مركز استراتيجي وعلى الطرق الرئيسية بالذات الامر الذي دفعهم الى الاتصال بالغير والى اقامة العلاقات الدبلوماسية •

ومع ان أغلب المصادر في مآثر العرب الدبلوماسية قد اصابها التلف أو الضياع أو البعثرة الا ان ما هو متوفر على الرغم من قلته وتبعثره هنا وهناك ، يشير الى عناية العرب الاقدمين بتأليف السفارات الى الاقاليم المجاورة والى اهتمامهم باختيار من هم اهل للرسالة والسفارة • وكانوا يلتمسون في رسلهم وسفرائهم المعرفة والخلق وسرعة البديهة والذكاء

والصبر • ومما يؤيد هذا الاهتمام ما رواه لنا الواقدي في توصية لاحد الرسل تقول : « احفظ شيئا ، انتهز الفرصة ، فانها خلسة ، وبت عند رأس الامر لاذنبه • وإياك وشفيعا مهينا فانه اضعف وسيلة ، وإياك والعجز فانه اوطأ مركب • وعليك بالصبر فانه سبب الظفر • ولا تخض الغمر حتى تعرف القدر ••• »[١] • ومن الامثلة على السفارات في عصر الجاهلية سفارة عبدالمطلب بن هاشم الى ابرهة للمفاوضة على رد ما أخذ من ابل كان قد استولى عليها جيش الحبشة[٢] •

واذا كانت الدبلوماسية العربية القديمة قد اقتصرت في الاغلب على مفاهيم تجارية وودية في عصر الجاهلية ، فانها مرت بتطورات جذرية بظهور التعاليم الاسلامية • فكان اول ما عمله الاسلام ان وحد العرب في دولة عربية اسلامية • وقد سبب هذا التحول في حياة العرب السياسية الى ان تنتظم الدبلوماسية في قواعد والى ان تدخل ميدان العلاقات الدولية السياسية وبذلك اصبحت وسيلة فعالة من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية للدولة العربية الاسلامية التي وطد دعائمها واركانها الرسول المؤسس محمد (ص) •

فالذي يسبر غور الدبلوماسية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين يجد ان الدبلوماسية آنذاك قد خرجت عن الحدود التي رُسمت لها في عصر الجاهلية • وفي الحقيقة فان المفهوم التجاري للدبلوماسية الذي حدد نطاق الدبلوماسية في العصر الجاهلي قد تطور بعد ذلك الى مفهوم سياسي واجتماعي • ذلك ان الدبلوماسية في عهد النبي والخلفاء الراشدين اصبحت وسيلة فعالة لنشر تعاليم الاسلام ، وأداة لتنظيم الاجتماعات والمؤتمرات وعقد المعاهدات[٣] • والمهم في الامر ان المعاهدات كانت لا تقتصر على نشر تعاليم الدين الاسلامي والتمكين له والدفاع عنه وحسب ، وانما كانت تعقد

---

(١) انظر « رسل الملوك ومن يصلح للرسالة او السفارة » لابن الغراء • تحقيق الدكتور صلاح‌الدين المنجد ، ص (٢٨) •

(٢) انظر « على هامش السيرة » للدكتور طه حسين ، جزء ١ ، ص (١٤٢) •

(٣) للرجوع الى التفاصيل انظر مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الرشيدة للدكتور محمد حميدالله الحيدرآبادي ــ القاهرة (١٩٤١) •

لاغراض الهدنة وفداء الاسرى وتبادل المعرفة وتحقيق المصالح المشتركة أيضا •

ولقد اسدت الدبلوماسية للدولة الاموية خدمة كبيرة في تثبيت اركان الدولة وتعاليمها الاسلامية • ففي النطاق الاسلامي ، ظلت الدبلوماسية تستخدم من قبل الامويين كوسيلة للدخول في دين الله أو دفع الجزية • وفي ما خلا ذلك ، فقد كانت الدبلوماسية وسيلة لتنفيذ سياسة الدولة الخارجية فكانت هي السبيل الى دفع الحرب وعقد المحالفة • وكانت هي السبيل لتثبيت شروط الهدنة مع الامم التي تدخل معها الحرب •

وبدخول العصر العباسي مرت الدبلوماسية الاسلامية بتطورات جديدة • ولعل أهم ما يجب ان يذكر في صدد هذه التطورات هو أن الدبلوماسية في هذا العصر بلغت درجة طيبة من التقدم بحيث اصبحت تخضع لقواعد دقيقة وتنتظم في اصول واضحة[٤] • ولاشك ان علو شأن الدولة وازدياد ارتباطاتها والتقدم الذى حصل في عهدها كان له دخل كبير في هذا التطور وهذا ما جعلها ان تسدى فوائد جمة وتحقق اغراضا متعددة • وكان من بين السبل التي استخدمت فيها الدبلوماسية في العصر العباسي الدور الملحوظ الذى لعبته في توثيق العلاقات الثقافية والتجارية • فكانت الوفود والسفارات المنظمة تخرج من بغداد[٥] وهي تضم أهل الفكر والصناعة والتجارة والفن حاملة العطايا المقدمة من لدن الخليفة • وكانت تُنهي مهمتها بعقد معاهدة بين الدولة العباسية وبين الدولة الموفد اليها تلك الوفود والسفارات •

كما عملت الدبلوماسية في هذا العصر على جمع كلمة المسلمين

---

(٤) كان السفراء ، مثلا ، يزودون بكتب واوراق اعتماد تشبه كثيرا وثائق الاعتماد التي يقدمها السفراء والممثلون الاخرون الى الملوك والرؤساء في عصرنا • انظر في هذا الصدد « رسل الملوك ومن يصلح للرسالة او السفارة » مصدر سبق ذكره ، ص (١٣١) •

(٥) اصبحت بغداد في اوج عصر العباسيين المركز الذي تخرج منه وتاتي اليه الوفود والسفارات من البلدان المختلفة • ومن بين تلك البلدان بلاد الروم والصين والبلغار وبلاد الصقالبة وغيرها •

أيام المحن وتوثيق الصلة بينهم للوقوف صفا واحدا أمام العدو[٦] • وقد برز مثل هذا الدور أيام بدا الانحلال يدب بين ظهراني الدولة[٧] •

وثمة دور بارز آخر للدبلوماسية في هذا العصر هو استخدامها كوسيلة لتحقيق التوازن الدولي • ولقد استدعى تحقيق مثل هذا التوازن قيام سفارات مستمرة بين بغداد وبيزنطة وسفارات مماثلة بين قرطبة والقسطنطينية • ذلك ان دولة الفرنجة المناوئة لبيزنطة كان قد اضطرها الامر الى تأمين وتوثيق الصلات مع الدولة العباسية • ولكن الدولة العباسية آنذاك كانت هي الاخرى تبحث في الوسائل التي تحد من قوة دولة الامويين في الاندلس التي اخفقت في القضاء عليها مما دعاها الى ان تفكر من ناحيتها في التحالف مع دولة الفرنجة المتاخمة للاندلس لكي تضعف من شوكتها وتحد من توسعها • وتحقيقا لهذه الموازنة في السياسة الدولية وجدنا السفارات بين بغداد والفرنجة تعقد اواصر الصداقة في سبيل مصالحها المشتركة والتي تُوّجت بالاخير الى تبادل السفارات بين هرون الرشيد وشارلمان[٨] لعقد تحالف يؤمن جانب دولة الفرنجة وسيطرتها على الاماكن المقدسة دون البيزنطيين وجانب العباسيين ازاء الامويين في الاندلس •

---

(٦) لعبت السفارات الدبلوماسية دورا كبيرا في جمع الشمل وخاصة في رص الصفوف امام هجمات الصليبيين • ومن هذه السفارات السفارة التي بعث بها الناصر صلاح الدين مبعوثا الى اخيه ملك اليمن ، وكذلك السفارة التي بعثت الى يعقوب بن يوسف ملك تونس تأمينا للتعاون والمساعدة المتبادلة في المهام المختلفة • انظر في هذا الصدد صبح الاعشى للقلقشندى جزء (٧) ص (٣٤١) •

(٧) يؤكد القلقشندي ان الدبلوماسية في أواخر ايام الدولة العباسية كانت تلعب دورا رئيسيا في توثيق العلاقات بين الخليفة في بغداد وامراء الولايات المختلفة ، المصدر السابق الجزء (٦) ص (٥٢٦) •

(٨) ارسل الامبراطور شارلمان سفارة الى الخليفة هرون الرشيد سنة ٧٩٧م ورد عليه هرون الرشيد بسفارة مماثلة عام ٨٠١م ثم عاد شارلمان فارسل سفارة ثانية عام ٨٠٢م وقابله هرون الرشيد ايضا بسفارة اسلامية ثانية عام ٨٠٧م وقد كانت السفارة الاولى وما قابلها لاجل تقوية اواصر الصداقة ، اما الثانية فكانت لغرض عقد تحالف يؤمن مصلحة الطرفين ضد مناوئيهما دولة بيزنطة ودولة الامويين في الاندلس •

لقد برهنت الدبلوماسية في ان تلعب دورا كبيرا حتى أواخر أيام الدولة العباسية • ومما يلاحظ ايضا وبجانب ما تقدم ان الدبلوماسية في العصر العباسي كانت قد خضعت لطابع منظم لا يختلف كثيرا عما أصبح سائدا في العصر الحديث •

مقوّمات الدبلوماسية العربية الاسلامية وخصائصها :

من المهم جدا عند دراسة مقومات الدبلوماسية العربية الاسلامية وخصائصها ان تقف اولا وقبل كل شيء على حقيقة هى : ان الدولة العربية الاسلامية قامت على فلسفة ورسالة حضارية • وهذه ناحية مهمة تختلف فيها الدولة العربية الاسلامية عن غيرها من الدول وخاصة تلك التي عاصرتها • ذلك ان فلسفة المجتمع في المفهوم الحضاري العربي الاسلامي تقوم على خير وسعادة الانسان ، وان الدولة ان هى الا اداة لتحقيق هذا الخير وهذه السعادة • وهذه الفلسفة ذاتها هي التي حددت مسؤولية الدولة في الداخل واسلوب علاقاتها في الخارج • واذن فان فلسفة العلاقات الدبلوماسية التي سارت عليها الدولة العربية الاسلامية طيلة عهودها ــ ما عدا الفترة الزمنية المعينة في أواخر عهد الدولة العباسية وما بعدها حين ابتعدت الدولة عن رسالتها نتية لضعفها وانقسامها ــ ما هي الا ركن اساسي من أركان الفلسفة العربية الاسلامية العامة •

على هذا النحو يمكن لنا ان نتفهم مقومات الدبلوماسية العربية الاسلامية وخصائصها ، دونما الوقوع في الخطأ والارتباك الذى وقع فيه بعض الكتاب وعلى الاخص المستشرقين منهم في زمننا المعاصر •

فالرسالة الحضارية العربية الاسلامية الانسانية لما لها من الفاعلية والغنى الفكري هي التي فتحت أمام الدولة العربية الاسلامية باب الاتصال مع غيرها من الدول ، وهي التي حمّلتها رسالة نشر المبادىء الانسانية • وهذه المبادىء الاسانية بعينها هي التي فتحت أمام الدولة طريق الايمان بفكرة الاخذ والعطاء مع الشعوب الاخرى وهي بعينها التي جعلت سياسة الدولة ، بناء على خلوها من التعصب والانعزال ، ان تكون سياسة مرنة في اقامة

العلاقات مع غيرها • وهذه ناحية مهمة تمثل لنا خاصية اساسية لم يقف على كنهها بعض الكتاب في الشؤون الدبلوماسية وعلى الاخص المستشرقين الذين لم يروا في الدبلوماسية العربية الاسلامية غير الحرب وغير دار الحرب ، مما دعاهم ان يقيموا حاجزا منيعا بين دار الحرب ودار الاسلام وهو ما ينافي حقيقة أهداف الدبلوماسية العربية الاسلامية اصلا • ذلك ان قيام فلسفة الدولة على نشر القيم الحضارية والانسانية ، كان قد فرض عليها سبيل التعاون مع الدولة التي تعمل على نشر هذه القيم حتى ولو كانت تلك الدول غير اسلامية • ومثل هذا السبيل ، بعبارة اخرى ، يجعل من الدبلوماسية العربية الاسلامية ان تكون اساسا قائمة على فلسفة العلاقات السلمية • والدليل على ذلك ما يؤيده لنا التاريخ من عقد المعاهدات والاتفاقيات والوفاء بها مع العالم غير الاسلامي • اما الحرب ، فهي في المفهوم العربي الاسلامي تكون شرعية في أحوال معينة : مثل حالة دفع الظلم وحالة القضاء على الفتنة وحالة الدفاع عن النفس واخيرا وليس اخرا حالة حماية القيم الانسانية والحضارية التي تضمها التعاليم الاسلامية من أي متصد لها •

ومما تقدم نفهم ان الدبلوماسية العربية بعد ان مرت بفترة من النمو والتطور اصبح لها نظام تهتدى به في اقامة العلاقات مع الغير • وهذه هي ناحية مهمة لا يمكن اغفالها • والذى يقرأ تاريخ هذه العلاقات بامعان يجد ان الاجتهاد والممارسة الطويلة قد خلقت نظاما متقدما في أصول الدبلوماسية وقواعدها • من ذلك ، الاصول في اختيار السفراء ، والاصول في ارسال البعثات الدبلوماسية ، والاصول في التشريفات والاستقبالات ، والاصول في الامان والحصانات والاعفاء للدبلوماسيين من الرسوم والكمارك• ولا يبالغ المرء اذا قال ان الكثير من هذه الاصول قد اقتبست منها اوربا ، ولما تزل هذه من الاصول المتبعة في وقتنا الحاضر •

ففي اختيار السفراء مثلا كان هناك شروط لمن يصلح للسفارة • ومن بين هذه الشروط أو الصفات المطلوب توفرها في السفير ما كان يتصل بالثقافة

وسعة الاطلاع ورجاحة العقل وحسن التصرف[٩] والفطنة ، ومنها ما كان يتعلق بحسن الهندام والقيافة • فقد كان لابد للسفير الذى يروم النجاح في عمله كممثل لبلاده ان يكون عالما بتراثه وشريعته عارفا بتاريخ بلاده وفلسفة أمته • وكان يفضل في السفير ان يكون ممن يتوفر فيه « تمام القد وعبالة الجسم ، حتى لا يكون قميئا ولا ضئيلا ••• »[١٠] ، « يملأ العيون المتشوفة اليه فلا تقتحمه ، ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره[١١] » • ومن هنا نفهم ان مقياس اختيار السفراء كان يقوم على اهليتهم وكفايتهم لتولي المهام الدبلوماسية • ومن هنا نفهم ايضا انه لم يكن هناك فرق أو تمييز في الاختيار بسبب الاعتقاد أو الدين • وبهذه الصورة شغل منصب السفارة شخصيات لامعة من موظفيها ومفكريها وادبائها وعقلائها ممن اشتهروا بسعة الاطلاع والمركز الاجتماعي المرموق •

ومما يجدر ذكره ايضا ان البعثات الدبلوماسية العربية الاسلامية كان يتحدد عددها تبعا لاهميتها ومنزلة رئيسها[١٢] • وكان استقبال الممثل

---

(٩) يذكر لنا ابن الغراء على لسان رسول المعتصم (ابان المثول امام احد ملوك الروم) قوله : « ان للخلفاء خدما يتصرفون في انحاء الخدم لكل طائفة مذهب يجتبون له ويحتملون عليه ولا يكلفون سواه ، ولا يراد منهم غيره • فمنهم من يعد للفتوح فهو يلبس السلاح ويقود الجيوش ومنهم من يعد للقضاء فهو يلبس المبردات والدنيّات • ومنهم مثلي من يصلح ان توفده الخلفاء للملوك ويتحمل رسائلهم الى مثلك من اهل الجلالة والقدر والسناء والذكر • فلولا ثقتهم بي وعلمهم بمناصحتي وصدقي فيما اورد وأودى صادرا وواردا ، لما رأوني اهلا للتوجيه فيما توجهه فيه اليك وقليل لمثلي هذا الرزق مع هذا التحمل ومع هذا المحل من الخلافة وهي من الجلالة على ما هي • » انظر ابن الغراء « مصدر سبق ذكره ، صص (٣٢ ـ ٣٣) •

(١٠) انظر ابن الغراء ، ص (٢٠) •

(١١) من اقوال الخليفة عمر بن الخطاب ، اقتبست من قبل ابن الغراء ، المصدر السابق ص (٢٠) •

(١٢) تذكر على سبيل المثال ان بعثة (سفارة) قتيبة بن مسلم الى بلاط امبراطور الصين سنة ٩٦هـ كانت قد بلغت (١٣) شخصا • وان عدد اعضاء السفارة كان قد ارتفع فيما بعد حتى زاد في العهد العباسي على الـ (١٥٠) عضوا • انظر في هذا الصدد ابن الجوزي ، المنتظم ، الجزء (٨) ص (٦٤) •

الدبلوماسي وحاشيته يخضع لاعراف وقواعد تليق بمكانة دولته . ومن ذلك مثلا ارسال وفد استقبال الى الحدود لاصطحاب السفير ومرافقته الى العاصمة . ثم يعقب ذلك ايواء السفير وحاشيته في قصر للاستراحة لفترة معينة ايضا ، وقبل ان يحظى بمقابلة الخليفة . اما سفراء الدولة العربية الاسلامية فكانوا يزودون عادة بخطابات اعتماد ينشئها موظفون متخصصون في ديوان خاص كان يطلق عليه ديوان الرسائل . اما المخاطبات فكانت تخضع لاصول ايضا . من ذلك مثلا ابتداء الرسالة بتقليد « من ... والى ... » مع ذكر الالقاب . اما الخطابات المتبادلة بين رؤساء المسلمين فكانت تتوجها عبارة « بسم الله الرحمن الرحيم » ويعقب ذلك عادة عبارة « أما بعد ... » وتختم الرسالة عادة بعبارة للشكر والثناء اللائق بالمقام . ومن الطريف ان المخاطبات الدبلوماسية كانت تكتب على ورق من نوع معين وبحبر خاص .

وما يجب ان لا يخفى بجانب كل ما تقدم ان اوراق الاعتماد كانت تقدم في حفل للاستقبال ، ويقرأ السفير اعتماده من قبل الخليفة ، والمهمة التي ارسل من اجلها والرغبة في التعاون أمام رئيس الدولة المرسل اليها باللغة العربية ، ويعمل المترجمون على ترجمتها الى لغة البلد المرسل اليه(١٣) . ثم يعقب ذلك الرد على خطاب الاعتماد . وبانتهاء حفل الاستقبال يأتي دور المفاوضات التي كان يعقبها عادة عقد الاتفاقات والمعاهدات .

وتحتل مسألة حرمة السفراء وحصاناتهم مكانة عالية عند ضيافتهم للديار العربية الاسلامية . من ذلك مثلا التأكيد على سلامة السفير وامنه وحريته وأمواله . فيذكر لنا ابو يوسف في كتابه « الخراج » ان السفراء ، حفاظا على مقامهم وامنهم ، كانوا يصدقون فيما يصرحون . فهو يقول « ان الولاة اذا ما لقوا رسولا يسألونه عن اسمه ، فان قال انا رسول الملك بعثني الى ملك العرب ، وهذا كتاب معي ، وما معي من الدواب والمتاع والرفيق

---

(١٣) يذكر البعض من الكتاب العرب والمسلمين من امثال القلقشندي في كتابه « صبح الاعشى » ان السفراء كانوا يحملون احيانا ترجمة لاوراق الاعتماد بلغة البلد المستقبل .

وهدية له ، فانه يصدق ولا سبيل عليه ولا يتعرض له ولالما معه من المتاع والسلاح والرقيق والمال[١٤] • ومن يطلّع على كتب سير الخلفاء والولاة يجد كيف ان منح الحصانة الدبلوماسية للسفراء بسبب طبيعة اعمالهم واداء واجباتهم على الوجه المطلوب كانت قد أقرت من قبل الجميع • فيؤكد لنا الشيباني في كتاب « السير الكبير » ان السفير لا يمكن ان يعمل من دون احترام وضمان وحصانة له • وذلك لان عمله لا يمكن له ان يقوم به من دون مثل هذه الحصانة[١٥] فهو يقول ويشاركه في ذلك جمهور آخر من الفقهاء المسلمين بان الحصانة لا تنتهك حتى ولو ارتكب السفير جريمة•••[١٦] •

واذا كانت الحرمة الشخصية والاعفاء من القضاء الجنائي كانتا قد اقرتا من قبل الدولة العربية الاسلامية فانها كذلك قد اعفت الدبلوماسيين من الرسوم الكمركية • والواقع ان الحرية المعطاة الى الدبلوماسيين في ادخال واخراج الامتعة من دون رسم كانت واسعة بحيث شجعت البعض من سفراء الدول الاجنبية ، كبيزنطة مثلا ، ممارسة التجارة[١٧] • ويذكر لنا بعض الثقاة ان السفراء كان يسمح لهم باخراج كل ما يشاؤون ما عدا ما يتعارض مع أمن الدولة كاخراج الاسلحة مثلا •

آثار الدبلوماسية العربية الاسلامية

ذركنا فيما تقدم مفهوم وخصائص واهداف الدبلوماسية العربية الاسلامية • والسؤال الذى يمكن ان يثار هنا هو ما هي آثار الدبلوماسية العربية الاسلامية ؟ واي جواب على مثل هذا السؤال يجب ان لا يغفل عن

---

(١٤) انظر كتاب « الخراج » لابي يوسف ص (١٨٨ ـ ١٨٩) •

(١٥) انظر الامام محمد بن الحسن الشيباني في كتابه « شرح السرخسي على السير الكبير » جزء (٤) ص‌ص (٦٦ ـ ٦٧) كذلك ابو يوسف في كتابه « الخراج » مصدر سبق ذكره ص (٢٢٣) •

(١٦) انظر ابو يوسف المصدر السابق ، ص (٢٢٤ ـ ٢٢٥) : حيث يحدد لنا نوع الجريمة كجريمة الزنا والسرقة وما يشبههما •

(١٧) كانت بيزنطة تسمح لسفرائها بالقيام بالتجارة •

ذكر ما عرفه ومارسه العرب والمسلمون من اصول ونظم وقواعد والتي يتفق أغلبها مع ما هو معمول من قبل أغلب دول العالم اليوم وخاصة الدول الغربية[١٨] .

ويأتي في مقدمة الاصول التي اتبعها العرب والمسلمون صفة التمثيل التي كانت تمنح الى الرسل والسفراء . والواقع ان السفراء خاصة كانوا يمثلون رئيس الدولة في الاحتفالات والتعازي وكانوا ينطقون ويفاوضون عنه ويبرمون العقود والاتفاقيات والمعاهدات . ومن هنا نجد ان صفة التمثيل كان قد ادركها ومارسها العرب في العصور المتوسطة من قبل ان تمارسها الدول في العصور الحديثة . الا ان الفارق بينهم وبين ما هو مطبق اليوم ان التمثيل ظل عندهم تمثيلا موقتا . ومن هذا النوع من التمثيل ظهر في العصور الحديثة التمثيل الدائم الذى فرضته الحاجة الناجمة من تطور ظروف واحوال الدول .

ان سفراء الدولة العربية الاسلامية « يشبهون اليوم السفراء فوق العادة الذين يوفدون بمهمة رسمية ينتهي عملهم التمثيلي بانتهائها »[١٩] .

وليس ما تقدم فحسب فان الدبلوماسية العربية الاسلامية لم تقتصر اثارها على نشر فكرة التمثيل وتطبيقها وانما تعدتها الى ممارسات اخرى ومن بينها تأليف جهاز دبلوماسي يرتبط في مخابراته واتصاله بديوان الرسائل الذى كان يصدر عنه التوجيهات والكتب الى الدول الاجنبية وكان يدير شؤونه اشخاص عرفوا بكفائتهم وقوة اسلوبهم وسحر بيانهم . وهذا بالذات ما يدعونا الى ان نعلم ان اللغة الدبلوماسية الخاصة كان يؤكد عليها في التعامل مع الدول . اضف الى ذلك ان هذا الجهاز الدبلوماسي كان يتكون من السفراء الذين يمتازون بعلمهم وفضلهم ومكانتهم المرموقة في المجتمع .

أما الموظفون الدبلوماسيون المرافقون في السفارات فكانوا هم الاخرون يختارون من ابرز موظفي الدولة وكانت تدفع لهم الرواتب والنفقات

---

(١٨) انظر صلاح الدين المنجد ، فصول في الدبلوماسية ، ص (١١٠) .
(١٩) المصدر السابق ص (١١٠) .

وكانوا يرتدون الملابس الخاصة التي تليق بالظهور أمام رؤساء الدول وكبار المسؤولين[٢٠] .

وثمة ناحية مهمة اخرى تستحق الاشارة هنا وهي الاصول الخاصة بالبروتوكولات وصيغ المعاهدات والاتفاقات والتي تركت اساليبها ومضامينها قواعدا لا يزال يطبق اغلبها في يومنا الحاضر . ويأتي في مقدمة هذه الاثار بما له علاقة في هذا الصدد ، وثائق الاعتماد التي كان يزود بها رئيس البعثة والتي كانت تحرر باسم رئيس الدولة . والجدير بالذكر ان الدولة العربية الاسلامية قد عملت على اعطاء الدبلوماسيين مكانة عالية وكانوا يستقبلون وفق احتفال رسمي مهيب . كذلك فان ما يستحق الاشارة ما كان يمنح الدبلوماسيين من جوازات (اوراق الطريق)[٢١] معينة يذكر فيها اسم الدبلوماسي ولقبه وعمله ومهمته ويرجى فيها تسهيل مهمته وانتقاله واستقباله .

أما بشأن المعاهدات فقد جرت العادة ان يخول المبعوث التوقيع على الاتفاقية أو المعاهدة بالاحرف الاولى ، ريثما تحصل المذاكرة والمصادقة النهائية عليها من قبل الحكومة ورئيس الدولة . ولا يخفي ان مثل هذه الطريقة لا تزال متبعة في وقتنا الحاضر .

وما يجب ان يذكر عن اثار الدبلوماسية العربية الاسلامية ايضا دورها في تثبيت قواعد الحصانات الدبلوماسية . والواقع ان ما يسمى حديثا بالحصانة كان يطلق عليه العرب « بالامان » . والمقصود بذلك ان الدولة تعمل كل ما يوسعها للمحافظة على شخص السفير وزوجه واولاده واعوانه واتباعه[٢٢] .والمهم ان نعلم ان الاهتمام بالامان يعود تاريخه الى عهد

---

(٢٠) انظر ابن الغراء : رسل الملوك ـ الباب الثامن عشر .

(٢١) طبق امر منح الجوازات الدبلوماسية الخاصة منذ القرن السادس الهجري .

(٢٢) بالرغم من اخذ العرب بهذا المبدأ واضطرار دول الفرنجة بالاخذ بمبدأ المثل ، الا انه مع هذا فان رسل العرب وسفرائهم كانوا يتعرضون للاذى من حين لاخر . انظر في هذا الصدد « شذرات الذهب » صص (٣ ـ ١٣) .

مؤسس الدولة العربية الاسلامية محمد (ص) وانه بعد الممارسة الطويلة أصبح عرفا وقاعدة يجب الاخذ بها من قبل المسؤولين في الدولة[٢٣] •

والاهم من كل ما تقدم احترام الدولة العربية الاسلامية لحرية عبادة الرسل والسفراء الاجانب • وهذه ميزة عالية من ميزات الدبلوماسية العربية الاسلامية التي يحق فيها للعرب والمسلمين ان يفخروا بمبادئهم التي تقوم على التسامح واحترام الاديان[٢٤] •

تلك هي مآثر الحضارة العربية الاسلامية في الدبلوماسية • ومنها نفهم كيف ان لهذه الحضارة دور كبير في تثبيت قواعد واصول الدبلوماسية المعروفة لدينا اليوم •

« انتهى »

الدكتور فاضل زكي محمد
الوفد العراقي

(٢٣) انظر كتاب الخراج ، مصدر سبق ذكره ، ص (٢٢٣) •
(٢٤) انظر المنجد ، مصدر سبق ذكره ص (١٤٣) •

مصادر البحث

الكتب العربية

١ ـ طه حسين : على هامش السيرة . الجزء الاول .
٢ ـ الحسين ابن الغراء : رسل الملوك ومن يصلح للرسالة او السفارة ، تحقيق صلاح الدين المنجد ١٩٤٧ .
٣ ـ محمد حميدالله الحيدرآبادي : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الرشيدة .
٤ ـ القلقشندي : صبح الاعشى .
٥ ـ صلاح الدين المنجد : فصول في الدبلوماسية الجزء الثاني .
٦ ـ ابن الجوزي : المنتظم . الجزء الثامن .
٧ ـ يعقوب ابو يوسف : الخراج . القاهرة ١٣٥٢هـ .
٨ ـ الماوردي : أدب الوزير .
٩ ـ عبدالله عنان : السفارات السلطانية والخلافية .
١٠ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد مدينة السلام ، القاهرة ١٣٤٩هـ .
١١ـ نظام الملك : سياسة نامة .
١٢ـ محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية .
١٣ـ الماوردي : الاحكام السلطانية .
١٤ـ الارمنازي : الشرع الدولي في الاسلام .

الكتب الاجنبية

(1) A. Vasiliev : Byzance et les Arabes.
(2) Lavissc et Rambaud : Histoire Générale.
(3) M. Hamidullah : Muslim Conduct of the State.
(4) M. Khadduri : War & Peace in the Law of Islam.
(5) Feridun : Musha'at as Salatin [Studies on Islamic Diplomacy].

الابحاث :

(1) Hans Kruze : The Islamic Doctrine of International Treaties, The Islamic Qurterly, Oct. 1954.
(2) A. Bokhari : Parliaments, Priests and Prophets, Foreign Affairs, Apr. 1957.
(3) Herve Larvenir : Diplomatic Médiévale, Le Monde Diplomalique, Juillet, 1956.

الدكتور فاضل زكي محمد

تراثنا بين التقدمية والرجعية

بقلم

الشيخ نديم الجسر

ايها الحفل الكريم :

عندما تلقيت ، من معالي الوزير رئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء العرب ، دعوته الكريمة ، وفيها بيان الموضوعات ، كنت امسح القلم من محاضرة اعددتها لنادي اتحاد الطلبة ، وعرضت فيها لذكر تارجح شبابنا بين التقدمية والرجعية ، فوجدت تفكيري مهيئا لاختيار موضوع (تراثنا بين التقدمية والرجعية) .

ان اسم المؤتمر ، واسم الموضوع الأم الذي تفرعت عنه الموضوعات المقترحة ، يكادان يوحيان لنا ان المقصود بالدرس هو التراث الادبي وحده . ولكننا حين نتكلم عن موقف التراث بين التقدمية والرجعية نجد انفسنا مسوقين الى توسيع البحث لسببين : الاول ـ لأن كلمة التقدمية والرجعية ، عندما تذكر ، تنصب ، اكثر ما تنصب ، على الدين والاخلاق ، وانما تعني ، بزعم الشاكين ، رجعية الدين ووقوفه في وجه التقدم العلمي والفلسفي والاجتماعي : والسبب الثاني ان صناعة الأدب ومهمة الاديب تتصلان ، في الواقع ، بكل مجالات التفكير الديني والعلمي والفلسفي والاجتماعي ..

ان مجالات التفكير تتجاور في الذهن ، وتتصل ، وتتعاون ويتمم بعضها بعضا : فالنتاج العلمي يغذى التفكير الديني والفلسفي ، والفلسفة ، بدورها ، تغذى التفكير الديني ، وتتغذى منه ، والتفكير في المشاكل الاجتماعية ، يستمد هديه من الدين والعلم والفلسفة والتاريخ . ولكن علاقة الأدب بكل هذه المجالات اشمل ، واوثق ، وأوجب .

الادب والتوجيـه :

لقد قالوا في تعريف الأدب ، الشيء الكثير ، ولكني اختار ان اقول في تعريفه (انه فن التلاعب بالعواطف) •

فعلم المنطق مجاله العقـل ، والعـلوم الرياضية والطبيعية والفلسـفة مجالها ، كلها ، العقل • اما فن الأدب فمجاله العواطف والضمائر •••

فلو كان في الوجود انسان واحد وحيد لما كان أدب • كان يمكن ان يكون على الارض ، علم زراعـة وصنـاعة وهندسة وعلم فلك وطب وكيمياء ، لانها ، كلها ، تساعد على العيش ، فيحتاج الانسان الوحيد ان يمارسها ، ولو بصورة بدائية • وكان يمكن ان يكون منطق وفلسفة ، لان العقل فطرة والمنطق نظامه ، والبحث عن المجهول غريزة ، ومن هنا جاءت الفلسفة • ولكن ما كان يمكن لذلك الانسان الوحيد ان يصنع ادبا ، وان يكون أديبا ، بمعنى الاديب الصحيح ، وهـو الذي يتلذذ ويزدهى باظهار البراعة والقدرة على التلاعب بعواطف الناس •

فالأدب شكوى ، وحب وغرام وغزل ، وحنان وحنين وعتاب ، ومديح وهجاء ورثاء ، وحماس وفخر وعصبيـات ، ووصف وقصص وتمثيل ، وعظات وحكم وعبر ، ومزاح ودعابة ومسلاة •

والاديب في كل هذا ، انما يخاطب العواطف والضمائر • فمن عساه يخاطب اذا كان وحيدا ، ليس له اهل ولا ولد ولا حبيب ولا رفيق ولا قراء ولا سامعون ولا نظارة ••• ؟ فالادب ، اذا ، لا يتكون ، ولا يلزم ، ولا ينفع ، ولا يصبح حاجة وضرورة ، الا في مجتمع ، ولا يزدهر الا مع الحضارة ، التي يكثر فيها عدد المتذوقين لسحر الادب •

وكما ان المجتمع يعمل على تطوير كل نوع من الانتاج الفـكرى لمصلحته وخيره ، فان عليه ايضا ان يطور الادب ، في مفهومه وغايته وغرضه ، حتى يجعله في خدمة الناس لخيرهم وخير المجتمع •

ومن هنا انتهى الى غرضي من هذه التوطئة لأقول : ان الادب ، بمعناه السامي هو (فن توجيه المجتمع نحو الحق والخير والجمال) •

ومن هنا وصف القرآن الشعراء حين ذمهم ، بقوله (والشعراء يتبعهم الغاوون • الم تر انهم في كل واد يهيمون • وانهم يقولون ما لا يفعلون • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات •••) •

ولولا هذا الايضاح لعلة الذم ، لكان ذم القرآن للشعر مثار العجب • لان القرآن انما يعتمد ، أول ما يعتمد ، على فن القول البليغ في هداية العقول ، وتوجيه القلوب الى الايمان والعمل الصالح ، اي يعتمد على سحر البيان الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في معرض ذكر الشعر (ان من البيان لسحرا) •

فالقرآن عندما ذم الشعراء لم يذمهم لأنهم ادباء بلغاء ، ولكن ذمهم من حيث أنهم يهيمون في كل واد • وفي الحياة كثير من اودية الضلال فيها الكذب ، والنفاق ، والهجو ، والغزل الداعر • ثم ذمهم من حيث انهم ، اذا هاموا في واد من أودية الحق والخير ، بحكمة بالغة ، او موعظة حسنة ، او كلمة طيبة ، يقولون ما لا يفعلون • ومن اجل هذا التناقض ، بين حسن القول وسوء العمل ، لا يصلحون ان يكونوا هداة للناس ، لان وعظهم لا يكون له تأثير على القلوب •

كل هذا يوضح لنا ان رب القرآن ، الذى خلق الانسان ، علمه البيان ، يريد ان يحول فن التلاعب بالعواطف ، عن الفوضى ، ليجعله (فن التوجيه الى الحق والخير والجمال) • اي يريد للأدب معناه الأسمى ، ويريد للأديب مقامه الأسمى وهو ان يكون في مستوى الخير الذي يوجه اليه الناس •

هذا هو الادب في حقيقته السامية ، ومن هنا كانت علاقته بكل مجالات التفكير الديني والاخلاقي و الاجتماعي •

وقبل ان اتكلم عن تراثنا الديني والاخلاقي والاجتماعي ، وموقفه بين الرجعية والتقدمية ، لابد ، من اجل تيسير البحث ، ان أبين المراد بالتقدمية والرجعية ، وأبين ركائز التفكير في تراثنا الديني والاخلاقي والاجتماعي ، وأحدد مفهوم الحرية في الاسلام •

ان مفهوم التقدمية والرجعية له معنيان •

الاول ـ في الواقع النظري ، ويعني قرب التراث الفكري ، بذاته ، من المثل العليا ، او بعده ، بذاته ، عنها •

والثاني ـ في الواقع العملي ، ويعني قرب الأمة او بعدها ، في اعمالها واتاجها ، عن الاخذ بالمثل العليا • فقد يكون تراث الامة الفكري ، بذاته ، اقرب شيء الى مثل الحق والخير ، ثم تتخلى عنه ، وتصبح ، في اعمالها واتاجها ، ابعد شيء من هذه المثل •

وكم من تقدمية هي عين الرجعية ••• وكم من رجعية هي عين التقدمية ••

٢ ـ اما ركائز التفكير في تراثنا الديني والاخلاقي والاجتماعي فهي اربع : العقل ، والحرية ، والحق ، والخير •

٣ ـ ان مفهوم فلسفة الحرية في الاسلام هو « ان الناس ، كل الناس ، قد ولدوا احرارا ، وحريتهم مطلقة في كل تفكير وعمل ، وتبقى مطلقة ، حتى تصطدم بالحق او بالخير » •

تراثنا الديني :

ان تراثنا الديني ، في اصله وحقيقته ، هو المثل الاعلى لكل معاني الحق والخير • ولكننا في عصر الانحطاط ، تأخرنا عن تطبيق هذا التراث ، وعن فهمه على حقيقته ، فأتهم علماؤنا بل اتهم ديننا بالرجعية والجمود •

ان مقياس التقدمية والرجعية في اي دين او مذهب ، انما يعتمد على مقدار قربه او بعده عن المثل العليا • والاديان السماوية ، في اصلها واساسها ، متفقة على تقديس هذه المثل •

ولكن تراثنا الديني يمتاز بشيء واحد ، وهو انه جعل للعقل السلطان الاعلى في فهم النصوص المنزلة ، وفي استنباط الأحكام لكل ما يجد في الحياة من وقائع واحداث •

فتراثنا الديني من هذه الناحية ، يساير التقدمية الانسانية في كل

اشواطها ، والى اقصى غاياتها ، ما دامت هذه التقدمية ترتكز على العقل ، وتتجه نحو الحق والخير ؛ فاذا جعلت التقدمية لنفسها ركيزة غير العقل ، او كانت منحرفة في سيرها عن الحق والخير ، فان تراثنا الديني لا يسايرها مطلقا •

ولقد كان في هذا البلد الكريم ، بغداد ، اول فهم عميق لسر التقدمية في دين الاسلام ، وفيه نشأت مدرسة (الرأي والقياس) لحل كل المشاكل الاجتماعية المستجدة ، على اسس العقل والحق والخير • ولكننا في عصر الخمول تأخرنا علميا ، فكان لابد من سد باب الاجتهاد ، ونسينا سر التقدمية الذي وضعه لنا الدين لحل مشكلات الحياة المستجدة التي لم ينزل بها نص ، وأصبنا بالجمود ، واتهم ديننا بالرجعية •

تراثنا الاخلاقي :

كذلك نقول عن تراثنا الاخلاقي ، النابع من تراثنا الديني ، انه المثل الاعلى للكمال ، في كل معاني الحق والخير والجمال ••• وكيف لا يكون تراثنا الاخلاقي في هذه المرتبة من السمو ، وربنا حين أثنى على رسوله انما اثنى عليه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) ونبينا يقول (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) •

واذا كنا ، في عصر الانحطاط ، بدأنا نتخلف عن المثل الاخلاقي الاعلى ، وظهرت في تاريخنا بعض انحرافات فردية من بعض الملوك الطغاة ، وبعض الجهال والرعاع ، فان كل أمة لها في تاريخها أمجاد ومخاز • ولكننا عند المقارنة مع غيرنا من أمم الارض ، قديمها وحديثها • لا نزال في المستوى العلمي التطبيقي أعلى منها جميعا بالف مرة ، في كل قواعد الاخلاق النجيبة الكريمة الاصيلة كالرحمة والعدل والشرف •• فليس في تاريخنا اننا كنا شعبا وحكومة تتلذذ بمشاهدة حفلات تسليط الضواري المجموعة على الاسرى المساكين والمسيحيين المؤمنين بالله ، لتأكلهم وهم احياء ، عضوا عضوا ، كما فعل الرومان •• ولا في تاريخنا اننا كنا اذا فتحنا

مدينة نقتـل جميـع من فيها من الشيوخ والعجـائز والصبايا والاطفـال والحيوانات ، ثم نحرقها حرقا ، كما كان يفعل اليهود باسم (رب الجنود) ، ولافي تاريخنا اننا عذبنا المؤمنين بالله ، وشويناهم على النار ، لنكرههم على ترك دينهم ، كما فعل معنا في اسبانيا بعض الرهبان •• ولا حرقنا الناس بالجملة في الافران ، كما فعل الالمان •• ولا اهلكنا ثلاثمائة الف انسان من بني آدم من سكان هيروشيما ، غير المحاربين ، بقنبلة ذرية واحدة كما فعل الامريكان ••• بل في تاريخنا الحربي الرحمة التي جعلت (غوستاف لوبون) يقول ـ (لم ير التاريخ فاتحا ارحم من العرب) وفي تراثنا العدل الذي يقتل به المسلم اذا قتل غير المسلم ، وفي تاريخنا الحرية التي يقول عنها القرآن (لا اكراه في الدين) ويقول رب القرآن لمحمد عبده ورسوله (افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) • وفي تراثنا شرف العهد والذمة الذي جعل محمدا يقول ((من آذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة) ••

ومن هذا البيان عن تراثنا الديني والاخلاقي يظهر بجلاء ان الرجعية التي ينسبونها الينا في الدين والاخلاق ، هي عين التقدمية ، وان التقدمية التي يريدها البعض لنا هي عين الرجعية •

تراثنا في التعاون الاجتماعي :

كذلك نقول عن تراثنا في التعاون الاجتماعي النابع من صميم ديننا ، انه المثل الاعلى للحق والخير للفرد والمجتمع •

فما من شريعة فرضت الزكاة للفقراء فرضا وجعلتها ركنا من اركان الدين ، التي لا يصح الاسلام الا بها ، سوى شريعتنا • وما من مذهب اجتماعي قديم او حديث استطاع ان يجمع ، في تناسق كامل ، بين تقديس حق الفرد ، لخيره وخير المجتمع ، وتقديس حق المجتمع لخيره وخـير الفرد ، كما فعل الاسلام حين علق سعادة الفرد على تماسك المجتمع ، وعلق تماسك المجتمع على سعادة الافراد ، وجعل مبدأ التضحية بالاموال والارواح في سبيل التعاون الاجتماعي ، في صلب العقيدة وصميم الأيمان •••

فتراثنا الاجتماعي النابع من صميم عقيدتنا وشريعتنا قد جعلنا ، في مفهوم الحرية في الاسلام ، أمة وسطا بين تطرف الرأسمالية في اطلاق الحرية الفردية الى حد الفوضى ، وتطرف الشيوعية في تقييدها الى حد الكبت للغريزة ٠

فنحن نستطيع على اساس فلسفة الحرية في الاسلام التي تعرض اجمل واعدل توازن وتناغم بين حق الفرد وحق المجتمع ، ان نضع جميع الانظمة الشرعية الصحيحة الصالحة لحل جميع مشاكلنا الاجتماعية الحديثة من غير ان نمتص شيئا من سموم التطرف الغربية عن روح الاسلام ٠

وليت الوقت يتسع لي حتى القي على اخواني في بغداد الكلمة التي القيتها على اخواني في القاهرة عن فلسفة الحرية في الاسلام ٠

تراثنا العلمي والفلسفي :

لقد حملنا مشعل العلم والفلسفة عصورا طوالا يوم كان الناس في ظلام دامس من الجهل يقتل ويحرق فيه العلماء والفلاسفة لأنهم علماء وفلاسفة ، ومددناه بلهيب من ذكائنا وعبقريتنا ، وتقديسنا للعقل والعلم ، ولكننا في عصر الانحطاط تخلينا عن دورنا في العلم ، حتى صرنا عالة على الناس ، وتخلينا ، في الفلسفة ، عن ذلك الدور العظيم الذي وفقنا فيه الى الجمع بين الدين والعلم والفلسفة في تناغم كريم ، وصرنا اليوم نلتقط عن موائد التفكير الفلسفي خليطا من الفتافيت المتناقضة نحشو بها عقول شبابنا في المدارس من غير تحقيق ولا تنسيق ولا توجيه ، وتخلينا عن دورنا في علم التاريخ الذي بدأناه في تاريخ النصوص الدينية ، على اعلى مستوى من صدق الرواية ، والتشدد في تحقيق عدالة الرواة وصدقهم وسلامة عقولهم ، وتخلينا عن دور الرجل الذي دفع فلسفة التاريخ الى المستوى الاعلى الذى لم يزد عليه اعظم المؤرخين في العصر الحديث الذين جاءوا بعد ابن خلدون بستة قرون ، سوى تمجيد هذا العبقري العربي العظيم ، وصرنا في مدارسنا عالة على المترجم من كتب التاريخ الغربية التي تصغر الكثير من

امجاد امتنا وتضخم القليل من مخازيها ، وتنسب كل انحطاط اصابنا الى دين الاسلام ، فخلقنا في نفوس شبابنا عقدة التخاذل والاستخزاء •

تراثنا الادبي :

ان لنا ادبا في اعلى مراتب السمو لا يقل عن آداب الامم الاخرى ، بل قد يفوقها في دقة تصوير الخلجات النفسية والخطرات القلبية ووصف دقائق الاخلاق الانسانية ، والكشف عن خفايا النفوس ، وابتكار جوامع الكلم في باب الحكمة •

ولكن ادبنا يقصر عن آداب الأمم الاخرى في الشعر القصصي ، والشعر التمثيلي ، لولا القليل مما وضعه شاعر العرب الاعظم احمد شوقي ، وفي شعر الامثال لولا بعض ما وضعه شوقي ، وما كان من نثر ابن المقفع في كليلة ودمنة ، وفي القصص التمثيلي ، وفي القصص الروائي ، لولا بوادر النهضة الأخيرة ، وفي آداب القصة القصيرة الذي ابدع الغربيون فيها ايما ابداع • اما وصف الطبيعة فنحن مقصرون فيه بالنسبة الى آداب الامم القديمة والحديثة • نعم لنا في وصف الرياض والازهار والمياه شعر كثير ولكننا القينا عليه ، بالتشبيهات والاستعارات ، غلالة من التصنع لا تتلائم مع بساطة الطبيعة وسحرها ، ولنا في وصف الابل والخيل والأسود شعر كثير ولكنه يأتي ، غالبا ، كالمقدمة لقصائد المديح والغزل ، ولنا ابيات رائعة في وصف المطر والسحاب والبرق ولكنها قليلة • اما وصف الطبيعة بكل صورها ومشاهدها المتجلية في جمال الحقول والجبال والوديان والانهار والبحيرات والبحر ، وفي سحر التفاعل الوجداني بين مشاهد الطبيعة ومشاهد الحياة القروية للزرع والحصاد وجني الثمار ، ورجوع الفلاح ، عند المساء بنتاجه والراعي بنعاجه ودفء الموقد بين ركام الثلوج ، وسكينة المنازل وسط الرياح الهوج ، فلا نجد لنا فيه شعرا يقارب الروائع التي عند الامم القديمة والحديثة •

الخلاف بين المجددين والمحافظين :

ان بين المجددين التقدميين وبين المحافظين الذين يسمونهم (الرجعيين) خلافا على امور كثيرة اهم ما يعنيني منها : التوسع في الاوزان والقوافي ، والادب الرمزي ، وتبديل الحروف العربية بحروف لاتينية •

اما التوسع في الأوزان والقوافي فلا سبيل للوقوف في وجهه بل من الخير ان نطلقه ولنا في الموشحات الأندلسية اجمل السوابق •

اما فن الادب الرمزي فانه شيء جميل ما دام في حدود الكلام المفهوم ، لان البلاغة التي عرفوها بانها ايصال المعنى الى ذهن السامع باقصر طريق ، قد تصبح ، احيانا اكثر تأثيرا واحلى على القلب ، حين نجعل القارىء يكد ذهنه كدا لطيفا حتى يلوح له المعنى ، فان هذا الجهد الذي يبذله القارىء ، قد تكون له ، احيانا ، لذة لا تكون في الكلام الشديد الوضوح •

ولكن هذا كله يجب ان يكون في حدود المعقول اما اذا خرج الرمز الى الطلاسم فانه لا يعود ادبا بل يكون قلة أدب مع الأدب ومع قراء الأدب ، وما أرى الذين يصنعونه الا من المعايين الذين يأتون بالأعيبة ليستروا عيهم •

واما تبديل الحروف العربية بلاتينية فان حسناته ، التي يزعمونها ، لا تشفع بسيئاته لانه ينطوي على خطرين خطر عظيم ، وخطر أعظم • فالخطر العظيم : ان ترك الحرف العربي يقطع صلتنا بتراثنا الفكري كله ، المطبوع والمخطوط • واما الخطر الاعظم فهو على الدين وعلى الرابطة الاسلامية : فانه ، ان كان هناك شيء ربط ويربط الى الابد ، بين الأمم الاسلامية على اختلاف لغاتها واقطارها المتباعدة فهو هذا القرآن ، وهذه الصلاة التي لا تصح الا بتلاوة شيء من القرآن • وفي تغيير حرف القرآن مكيدة على تلك الرابطة وعلى القرآن •

عودة للادب والتوجيه :

واختم كلمتي باعادة ذكر التوجيه . فنحن في نهضة ثورية لا يجوز أن نترك بها الى الفوضى ، باسم تقديس الحرية الفكرية . اننا بحاجة الى التوجيه في التفكير الديني والوطني والخلقي والسياسي والاجتماعي . وهذا التوجيه انما يفعله الأدب وحده ... ان تفكير شبابنا في فراغ . فعلينا ان نملأ هذا الفراغ بالتوجيه قبل ان يمتص المذاهب الغربية المنافية لروح الاسلام .

المقترحـات :

١ ـ اقترح توصية الدول العربية بتشجيع التوجيه .

٢ ـ اقترح تأليف لجنة من أكابر علماء الدين لوضع مؤلف فقهي واسع يكشف عن فلسفة التعاون الاجتماعي في الاسلام .

٣ ـ اقترح وضع كتاب موجز في (التاريخ المقارن) للامجاد والمخازي عند جميع الامم الكبرى في التاريخ على اساس بعدها أو قربها من المثل الحضـارية العليا ليقـلع شبابا عن التخـاذل والاستخزاء الذي نشاهده عند كثير منهم ، ولكي تعرف الشعوب غير المسلمة الطيبة ، التي لا نشك ابدا بحبها للحـق وميلهـا للانصاف ، أي مقام لنا في ركب الحضارة ، وفي أي مرتبة من مراتب الامم الكبرى نحن في الامجاد الحضارية الانسانية الكريمة ، وفي أي دركة من دركـات الامم الكبرى نحن في المخازي الاخلاقية الذميمة ، فتقلع عن كرهنا الذي يغذيه ضدنا الاستعمار والتعصب الديني والصهيونية .

عبدالله نديم الجسر
عضو مؤتمر الادباء العرب
عضو مجمع البحوث الاسلامية في الازهر

بغداد في ١٧/شوال/١٣٨٤ ـ ١٨/شباط/١٩٦٥

التراث والمجتمع الجديد

بقلم

الدكتور ناصر الدين الاسد

موضوع « التراث والمجتمع الجديد » من الموضوعات التي كثر الحديث عنها في كل عصر وأمة ، فهو موضوع قديم حديث ، يتمثل ــ من أحد جوانبه ــ في هذه المعارك المتعاقبة في كل عصر بين « القديم » و « الجديد » ، وبذلك لا ينحصر في جيل دون جيل و لايختص بزمن دون زمن •

واذا قصرنا حديثنا على أمتنا وحدها ، رأينا هذا الصراع يبرز أمامنا واضحا منذ كان لنا تراث معروف :

فقد كان أبو عمرو بن العلاء لا يعد شعر الا ما قاله الجاهليون والمخضرمون ، حتى لقد قال عنه الاصمعي : « جلست اليه عشر حِجج ، فما سمعته يحتج ببيت اسلامي » • ويبدو ان أبا عمرو تساهل وفرط حين نظر في شعر جرير والفرزدق فأعجبه بعضه ، فقال : « لقد حسن هذا المولدُ حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته » • ولكنه حين خشي على نفسه من التوسع فيما يعده شعرا وقف عند حدٍ أبىَ أن يتجاوزه فقال : « خُتِم الشعر بذي الرُمة » !

وجاء بعده تلميذه الأصمعي ، فسلك سبيله ، واختار مذهبه في تفضيل القديم والاقتصار عليه ، وان كان سار بعده شوطا ، فأدخل في عداد الشعراء بعض من جاء بعد ذي الرمة ، ثم وقف وتحرج من التوسع ، وقال : « ختم الشعر بابن هَرمَة » •

ولا يجوز أن تؤخذ هذه الاحكام على ظاهر نصها ، فما الى هذا قصد أولئك الاعلام ، ولكنهم كانوا يدفعون عن العربية وتراثها غـزوا يريد تدميرهما ، على الوجه الذي سنبينه • وكل ما يعنينا من هذه الاحكام هو دلالتها العامة على ان هؤلاء الرواة العلماء كانوا لا يرون الأدب الحق الا هذا التراث القديم ، وكانت كلما جاءت طائفة من تلامذتهم توسعت قليلا وأدخلت في نطاق التراث بعض ما سبق عصرها مما لم يدخله أساتذتها ، واقتصرت على رواية هذا التراث القديم وحده وتعصبت له ، وأنكرت نتاج من عاصرها من الشعراء ، وعدتهم من المحدثين أو المولدين الذين لا يسمون الى طبقة السابقين ، ورأت في نتاجهم ما لم يجرِ على نهج معبَّد ولا على طريق مرسوم • واستمر الامر على ذلك جيلا بعد جيل ، وسيستمر الى ما شاء الله •

* * *

وقامت مع قيام الطائفة الاولى ، واستمرت معها تواكبها ، طائفـــة أخرى ، تنكر هذا التراث القديم ، أو بعض جوانبه ، وتستهين به بـل تسخر منه وتسعى الى أن تهدمه هدما • وتَمَثَّل هذا الموقف في اتجاهين يختلفان في المصدر والغاية وقد يلتقيان في المورد والنتيجة •

أما أولهما : فهو ما ذهبت اليه جماعة من المسلمين ممن تمكنت منهم الغفلة واستحكمت فيهم السذاجة ، فنفـوا عن العـرب في جاهليتهم كل مأثرة ، ووصموهم بأنهـم كانـوا امة جاهلة لا حظ لها من علم أو معرفة ولا من عمران أو رقي ، بعيدة عن كل مظهر من مظاهر الحضارة والمدنية • وكل ذلك لينصروا الاسلام ، زعموا ، ويعلوا من شأنه • وبرز من هذه الطائفة بعض الوعاظ والزهاد الذين أدخلوا في وعظهم عناصر غريبة عن الاسلام وعن تراث العرب : من القصص والاخبار وضروب الاوهام ، يستعينون بها على التأثير في العامة ، فأساءوا ، من حيث لم يقدّروا ، الى ديننا والى تاريخنا بهذه الاساطير والاوهام • ثم سلك منهم فريق ، في حياتهم ،

سلوكا ظنوه زيادة في الورع والتقى ، وكا نمن تأثرهم في ذلك بمؤثرات غريبة عن الاسلام نفسه دخيلة على التراث ، ان انفصلوا عن روح الاسلام والتراث ، وانقطعوا عن الحياة برمتها ، وضلوا ضلالا بعيدا وأضلوا كثيرا من الناس في العصور المتلاحقة •

أما ثاني هذين الاتجاهين فهو ما ذهبت اليه جماعة تملكها الحقد واستبدت بها الضغينة وأعمتها العصبية ، فأخذت تنهال على هذا التراث هدما وثلبا • وصفها الجاحظ فقال : « ثم اعلم أنك لم تر قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ، ولا اعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكا لعرضه ، ولا أطول نصباً ، ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة • وقد شفى الصدور منهم طول جثول الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنان في قلوبهم ، وغليان تلك المراجل الفائرة ، وتسعر تلك النيران المضطرمة » •

فلم يروا في العرب الا أنهم رعاة ابل وغنم ، قبائل رحل متفرقة ، لم تجمعهم جامعة ، ولم تؤلفهم حاضرة ، ولم ينتظمهم ملك • فأخلاقهم وعاداتهم وانماط حياتهم ، كلها مثالب ، ليس لهم فكر ولا حكمة ، ولا أدب ولا علم ، وانما ذلك كله لغيرهم ، للامم الاخرى وخاصة الفرس ويونان والهند ، فقالوا : « من أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ، ويعرف الغريب ، ويتبحر في اللغة ، فليقرأ كتاب كاروند • ومن احتاج الى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات ، والالفاظ الكريمة ، والمعاني الشريفة ، فلينظر في سير الملوك • فهذه الفرس ورسائلها وخطبها والفاظها ومعانيها ، وهذه يونان ورسائلها وخطبها ، وعللها وحِكَمُها ، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة ، والخطأ من الصواب • وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسِيَرِها وعللها • فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول ، وغرائب تلك الحكم ، عرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة » •

فكيف تكون للعرب بلاغة وخطابة ، وقد خاطبهم أولئك الشعوبيون فطعنوا على خطبائهم : بأخذ المِخصرة عند مناقلة الكلام ومساجلة الخصوم،

وعابوا عليهم لغتهم وأصواتهم ، ووصموهم بأن قتالهم كان جُله بالعصي ، فقالوا : « فحملتم القنا في الحضر بفضل عادتكم لحملها في السفر ، وحملتموها في المَدَر بفضل عادتكم لحملها في الوبر ، وحملتموها في السلم بفضل عادتكم لحملها في الحرب . ولطول اعتيادكم لمخاطبة الابل ، جفا كلامكم ، وغلظت مخارج أصواتكم ، حتى كأنكم اذا كلمتم الجلساء انما تخاطبون الصُمَّان . وانما كان جُل قتالكم بالعصي ... » .

ألسنا نسمع كل ذلك ، وان اختلفت الالفاظ ، الى يومنا هذا من بعض من اسودت قلوبهم حقدا من بعض المستشرقين وتلامذتهم المستغربين، ومن بعض من اسودت عقولهم جهلا فاطلعوا على بعض ما عند الامم الاخرى وجهلوا ما لامتهم ، وغرهم ما يرون في حاضرهم ؟

وما شِعر العربي ، ألم يكن عَوجاً على رسم يسائله وعلى طلل يبكيه ؟ ومن كانت أولئك العرب من أسد وتميم وعُكل ويمن ؟ ألم يكونوا أعاريب ؟ « ليس الاعاريب عند الله من أحد » ! فكيف تترك الحضارة لمثل هذه البداوة الجافية ؟ ألم يقل شاعرهم :

فلستُ بتاركٍ ايوان كسرى ... لِتُوضِحَ أو لِحَومَلَ فالدخُولِ
وضبٌ في الفَلا ساعٍ وذئبٍ ... بها يعوي وليثٍ وسطَ غِيلِ

و :

دع الاطلال تسفيها الجَنُوبُ ... وتُبْلي عهد جِدَّتها الخطوبُ
وخَلِّ لراكب الوجناء أرضا ... تَخُبُّ بها النَّجيبة والنجيب
ولا تأخذ عن الأعراب لهواً ... ولا عيشاً فعيشهمُ جديب
دع الالبان يشربها رجال ... رقيق العيش بينهم غريب
بارض نبتها عُشَرٌ وطَلْحٌ ... وأكثر صيدها كلب وذيب

....

فأين البدو من ايوان كسرى ... وأين من الميادين الزروب

ولتستقيم الموازنة الساخرة بين حالة العرب وحالة الفرس كان لابد

ان يقول الشاعر في ذروة المجد العربي أيام بني أمية :

فاتركي الفخر يا أُمامَ علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الأحقاب
اذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاها بناتكم في التراب !

فهل أبقت العرب اذن تراثا يُعتزُ به ويحافظ عليه :

تراث انو شروان كسرى ، ولم تكن مواريثَ ما أبقت تميمٌ ولا بكرُ

فلابد اذن من التخلي عن كل هذا التراث العربي : في الشعر والنثر والاخلاق والعادات والقيم ، ولابد من احياء تراث فارس في كل ذلك :

أنا ابن الاكارم من نسل جَمْ وحائزُ ارث ملوك العَجَمِ
ومحيي الذي باد من عزهم وعفّى عليه طوال القِدَمِ
وطالب أوتارهم جَهرةً فمن نام عن حقه لم أنم

ومع ذلك فقد كانت هذه الشعوبية أعلم الناس بزيف دعواها وبطلان افترائها . فقد كانت تجمع في آنٍ بين تسفيه تراث العرب والتثقف بهذا التراث ، فنجد رجلا مثل أبي نواس كان « عالما فقيها ، عارفا بالاحكام والفتيا ، بصيرا بالاختلاف ، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث ، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ... وكان أحفظ لاشعار القدماء والمخضرمين وأوائل الاسلاميين والمحدثين » . وقد قال عن نفسه : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب ، منهم الخنساء وليلى ، فما ظنك بالرجال » !

فلم تكن دعواهم اذن الا تنفيسا عن حقد ، وترويجا للاباطيل بين الناس ليخدعوهم عن أنفسهم ، ويشككوهم في تراثهم ، ويزعزعوا ثقتهم بأمتهم ويفصلوا حاضرهم عن ماضيهم ، فيقطعوا ثقافتهم عن جذورها الاصيلة . ولا شك في أن هذه الدعوى وجدت من يصدقها حينئذ كما

تجد دعاوى تشبهها من يصدقها ويخدع بها في عصرنا هذا •

ومع خطورة هذه الدعوى فقد كانت عداوة مكشوفة وحقدا باديا يسهل على المرء درؤهما وتفنيدهما • ولكن البلاء الشديد يكمن في ذلك العمل الصامت الذي تضافرت فيه جهود كثيرين من هذه الطائفة لتشويه تراثنا وتدميره من داخله بما دسته فيه من زيف وتحريف ووضع ، فتسللت الى أيام العرب وأنسابها وأخبارها ، أي الى تاريخنا السياسي والاجتماعي ، والى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والى تفسير كتاب الله تعالى • حتى بتنا احوج الناس الى تمحيص هذا التراث وتحريره ، لنستبين الاصيل من الدخيل ، ونميز الصحيح من المزيف ، في تاريخنا السياسي والفكرى والادبي والاجتماعي •

فلم تكن اذن دعوة هذه الطائفة دعوة تقدمية الى نمو وتطور وبناء جديد ـ وان تظاهرت في بعض جوانبها بذلك خداعا وتضليلا • وانما هي دعوة رجعية ضيقة قائمة على العصبية والهدم ، سلاحها الافتراء والتزييف •

* * *

وقامت مع قيام هاتين الطائفتين ، واستمرت معهما تواكبهما ، طائفة ثالثة هي أقرب الثلاث الى الفهم السليم والى طبيعة الحياة الصحيحة • جمعت بين الحسنيين ، ورأت ان الحياة لا يمكن ان تجمد وتقف حيث كانت ، ولكنها في الوقت نفسه لا يمكن ان تنطلق متحللة من كل نظام يربطها بخصائصها ومقوماتها التي تتمثل في تراثها • فأنزلت هذه الطائفة قديمها في منزله الصحيح وعكفت عليه تدرسه وتحييه وتجدده وتستخرج كوامنه وتجلو روائعه • ثم مضت في حياتها على هدي من هذا التراث تستقبل الجديد وتحيا فيه حياة سليمة وتشارك فيه مشاركة أصيلة •

واذا أردنا ان نعرض نماذج من هذه الطائفة فربما كان أول من نبدأ بهم هم كبار الصحابة • فقد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بينهم ، فكانوا أقرب الناس الى فهم مراميه • لقد ندد

الوحي بالبالي من التقاليد الموروثة التي كانت تشد الناس الى الوراء شدا يحول بينهم وبين الفهم الصحيح للحياة ويعوق تطورهم • لقد كان ـ كما يحلو لبعض المحدثين أن يقولوا ـ ثورة على العادات البالية والمفاهيم الرثة • ولكنه لم يكن قط هدما للتراث والقيم القديمة كلها • ولذلك كان الصحابة يجمعون في حياتهم بين التطور والنمو في المجتمع الجديد وقيمه وبين التمسك بالتراث الجاهلي ومحافظتهم عليه • فكثيرا ما كان هؤلاء الصحابة يروون مآثر العرب ويتذاكرون اخبارهم ويتناشدون أشعارهم • وما اكثر الاخبار التي تروى عن عمر بن الخطاب وعنايته بالشعر الجاهلي ،واعجابه بأبيات منه بعينها ، وتفضيه لشاعر على شاعر • وكذلك كان ابو بكر عالما بأيام العرب وأنسابهم ، راوية للشعر الجاهلي ، يتمثل في مواقفه ، ويستنشد الشعراء ما قالوه في جاهليتهم واسلامهم • وكذلك كان جل الصحابة من الرجال والنساء • بل لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنشد الصحابة الشعر ويسائلهم عنه ، ويستعيد ما يستحسنه منه ، ويبدي اعجابه ببعضه • وكان هؤلاء الصحابة يرون الشعر ديوان العرب وسجل مآثرهم ، وكانوا يحضون على روايته ودراسته ، بل كانوا يرون انه من أسس ثقافتهم الاسلامية ، فكثيرا ما كانوا يستشهدون على ألفاظ في القرآن بأبيات من الشعر الجاهلي ويرون أنه لا يُفهَم بعض ذلك الا بهذا •

ومرت السنون ، واشتد الصراع بين دعاة التمسك بالقديم وايثاره ودعاة هدمه وانكاره • وقام من ينظر الى الامر نظرة الحق المبرأ من الهوى المجرد من التعصب • فهذا الجاحظ يعلن رأيه واضحا في قوله :

« وقد رأيت ناسا منهم يهرجون أشعار المولدين ، ويستسقطون من رواها • ولم أر ذلك قط الا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى • ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفي أي زمان كان » •

وزاد ابن قتيبة من وضوح القضية فقال : « لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل

ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ، في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره » .

وقال ابن رشيق : « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله » .

وتمثل ذلك واضحا في بيت الشاعر :

ان هـذا القديـم كـان جـديدا   وسيضحى هـذا الجديد قديما

وهي سنة الحياة و لا سبيل الى الخروج عليها .

ولذلك نجد بعض شعرائنا الذين ادركوا هذه الحقيقة في مختلف عصورنا الادبية قد عكفوا على هذا التراث الفكري والفني والاجتماعي والسياسي فدرسوه دراسة تعمق وشمول وعاشوا فيه وتمثلوا قيمه ومثله ، الى ان استقامت لهم طريقتهم فمضوا قدما يتفاعلون مع حياتهم الجديدة ، ويفتحون نفوسهم وعقولهم لانواع المعارف والثقافات ، فتلقوا منها ما شاءوا هم ، لا ما أريد لهم ، فأساغوها ، وهضموها حتى صارت جزءا من ثقافتهم ، من تراثهم ، من كيانهم ، ثم افرغوها في قالبهم واخرجوها لنا في معالم جديدة في الشكل والمضمون : في الالفاظ والاوزان وتنوع القوافي حينا وفي المعاني والصور والاخيلة والموضوعات ، أى في التجربة الفنية ، حينا آخر . فأصبح تجديدهم جزءا من تراثنا زاد من خصبه ومن غناه .

* * *

ونخلص من كل ما تقدم الى معالم واضحة :

أولها : ان تاريخنا الفكري قد عرف هذا الصراع بين القديم والجديد معرفة واعية ، وأنزله منزله الصحيح ، فقامت طائفة من العلماء والرواة والشعراء ورجال الفكر يتمسكون بالقديم ، ويدعون الى تقديمه وتفضيله ،

ويذودون عنه كيد الكائدين ودسائس المغرضين الذين أرادوا أن يهدموا هذا التراث ليجتثوا أصول الامة ، ويفصلوا حاضرها عن ماضيها •

ولم يكن موقف هذه الفئة عن جمود أو تعصب ، ولا عن جهل أو ضيق افق ، وانما كان موقف المدافع أمام هجوم مدبر ، ولابد للمدافع من التشدد والصلابة وعدم التفريط •

وقامت فئة ثانية تدعو دعوة الفئة الاولى ولكنها كانت تعلم ان هذا القديم ليس آثارا تحفظ في متحف ، وانما هو حياة نامية ، فقبلوا الجديد حين كان تطورا طبيعيا من القديم ، وحين كان يصدر عن نفس الامة ويعبر عن ذاتها ، وليس مجرد تقليد لمظاهر مجتلبة ولا محاكاة لانماط ومذاهب غريبة عن روح الامة وتراثها •

وثانيها : ان هذا التراث العربي — في ضوء ما تقدم — كان دائم التجدد ، لا ينفك يتفاعل مع الحياة تفاعلا خصبا ، ويتجاوب معها تجاوبا أصيلا • وكان دائما تراثا منفتحا على غيره ، غير مغلق على نفسه ، كان يأخذ ويعطي ، وكان دائما في أخذه وعطائه يصدر عن شعور عميق في نفس هذه الامة برسالتها الانسانية • ولذلك كان دائما في تجدده ينبع من ذات النفس العربية في صدق واصالة •

ولا يمكن لتراث غير أصيل ، لا يعبر عن ذات الامة التي ينتمي اليها ، ان تكون له رسالة انسانية ، حين يلتقط فتات الامم الاخرى ، في تقليد سطحي ومحاكاة ظاهرية •

وثالثها : ان جميع الذين نهضوا بعبء التجديد كانوا ممن تزودوا بالتراث العربي تزودا فيه تمكن وعمق ، وأحسوا بالروح العربية احساسا يسر لهم السبيل للتعبير عنها ، دون عجمة ولا اغراب ، فأصبح تجديدهم جزءا من هذا التراث في سيره العظيم • أما أولئك الذين كانوا ينزعون عن جهل ، يدعون التجديد عن عجز ، والذين كانوا يريدون ان يحرفوا

موكب التراث عن وجهته ليضل طريقه ، فقد باءت محاولاتهم بالخذلان ، وبقي التراث يؤدي رسالته ٠

ورابعها : ان تراث الامة هو روحها ومقوماتها وتاريخها ، والامة التي تتخلى عن تراثها تميت روحها وتهدم مقوماتها وتعيش بلا تاريخ ٠ والامم كلها ، مهما تكن فلسفتها الاجتماعية والاقتصادية ، تحرص أشد الحرص على تراثها وتبذل جهودا كبيرة لاحيائه ونشره وبثه في نفوس أبنائها ، بل ان بعض الامم الحديثة تفتعل لنفسها تراثا تجمع اجزاءه تجميعا وتنفخ فيه نفخا لتتم له صورة تفيء اليها الامة وتنطلق منها ٠ فليس صحيحا ان الاخذ باسباب الحضارة يستلزم هدم التراث ، وقد انخدعت بعض الامم بهذه الدعوى فأصبحت كالمنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ٠ وانما الصحيح ان تقدم الامة ــ حين تبدأ الحياة تنساب فيها ــ انما يكون من داخل نفسها وينطلق من تراثها ٠

وخامسها : ان تراثنا قد تعرض لضروب عنيفة من الغزو استطاع ان يقف للظاهر منها ويدفعه ٠ ولكن بعض هذا الغزو كان مستترا ، تقنع بأقنعة خادعة ، وهاجم هذا التراث من اعماقه ، من داخل حصونه : فكان ان وضع كثير من الاحاديث النبوية ، ودست في تفسير القرآن وفي تاريخنا الفكري والسياسي والاجتماعي أساطير وأقاصيص غير عربية ولا اسلامية ، من تراث اليونان والفرس والهند واليهود ، وبث فيه روايات ملونة بالاهواء المضلة ٠ وتداخل ذلك كله في تراثنا ، وانطلى علينا بعضه ٠ لذلك اصبحنا نرى التناقض والتشويه في بعض اجزاء هذا التراث ، فيما تفرق فيه من روايات وأخبار ، تدعو الى الحيرة والاضطراب ، وتمسخ جوانب من حياتنا الفكرية والاجتماعية ، وتشوه بعض المعالم الكبرى في تاريخنا ، وتلقي على رجالنا ، في شتى الميادين ، ظلالا قاتمة من الشك في اعمالهم وأقوالهم ، والانتقاص من قيمتهم الحقيقية ٠

وسادسها : ان جل جهودنا حتى الآن قد اتجه الى طبع هذا التراث طبعات تتفاوت في جودة تحقيقها ، وقد تيسر لنا في هذا الميدان قدر صالح ،

وان كان لا يزال دون ما نريد • واتجهت جهود اخرى أقل من الاولى ، وان كانت كبيرة القيمة في ذاتها ، الى تحرير هذا التراث من الزيف الذى علق به ، والى تخليصه من الشوائب التي كدرت صفاءه ، والى تجريده من الدخيل الذي هجنه • ولكن هذه الجهود ظلت محصورة في نطاق ضيق يقتصر على الصفوة والخاصة من العلماء والادباء • واتجهت آقل الجهود الى نشر هذا التراث بين الناشئة من تلامذة المدارس ، وبين طلبة الجامعات وجمهرة المتعلمين والمثقفين ، نشرا يعتمد على التذوق الفني لما فيه من جمال واصالة وصدق ، وعلى التقدير الحقيقي لما فيه من قيم ومثل ونظم اجتماعية وانسانية ، وعلى التعرف الموضوعي ـ البعيد عن العاطفة السطحية والانفعال العابر ـ الى ما فيه من جهد عميق في جميع ميادين المعرفة النظرية والتجريبية ، والى نصيبه الوافر ومشاركته الايجابية في بناء الحضارة الانسانية •

ان هذه الاحكام شائعة عامة ولكن اكثرنا يسمع بها بالتلقن السطحي العابر ، فلا يكون لها في العقل والنفس دلالة واضحة ولا احساس عميق ،بل ان اكثر متعلمينا ومثقفينا يشكون فيها بل انهم ليسخرون منها وينكرونها ،لانهم علموا بعض ما عند الاخرين وجهلوا ما عند قومهم ، ولانهم اطلعوا على بعض ما كتبه ذوو الاغراض والاهواء في التهوين من تراثنا والتقليل من شأنه والازراء به ، فانخدعوا به وصدقوه •

وما اكثر الكلام الذي يقال عن مجتمعاتنا الرجعية وأنظمتنا التي انقطع بها الزمن ، وعن تاريخنا الذي قام على السيف وجباية الاموال ، وعن سِيَر اعلامنا التي لم تلتفت الا الى الخلفاء والحكام والولاة ، وعن أدبنا الذى كانأدب كدية واستجداء ونفاق في بلاط الملوك والامراء ، وعن لغتنا التي اصبحت عاجزة عن مواكبة حياتنا العصرية ومتطلباتنا العلمية ، وعن فلسفتنا وعلومنا التي لم تكن الا نقلا مشوها لنتاج اليونان والهنود وغيرهم •

ولا يجوز ان نستهين بهذا الذي يقال ويكتب ، ونعده مما يكتب عنا الاعداء الاجانب ، فقد بدأ الاجانب بذلك ، ولكننا تلقينا عنهم وتلمذنا لهم ،

وأصبحنا نطعن أنفسنا بأنفسنا ، بل صار كثير منا أشد عداوة لنا من الاجانب •

ولابد لنا من ان نتدارك الامر قبل ان يزيد استفحالا وضراوة • ولا يكون ذلك الا بالعمل الواعي الدؤوب على احياء هذا التراث ، واعادة تقويمه ، وتحريره من كل ما اندس فيه ، وتنشئة الامة عليه تنشئة مبصرة تقودها الى معرفة ذاتها والثقة بنفسها •

وسابعها : ان التجديد في الادب خاصة ، وفي التراث الفني والفكرى عامة ، أمر لا يجوز ان يكون مثار جدال ولا موضع انكار ، حين تنتفي مظنة العداء لهذا التراث ، وحين يقوم بالامر افراد من انفسنا أحاطوا بتراثنا احاطة معرفة وفهم وتذوق ، وارتوت نفوسهم من معينه الثر ومن قيمه ومثله ، ثم تفتحت على آفاق جديدة لم نعرفها في التراث القديم ولكنها انحدرت من روحه ومن جوهر كيانه ، ونبعت من ذات الامة ومشاعرها وحياتها وحاجاتها وآمالها •

ولابد من روافد متجددة تصب في هذا التراث ، فتحرك ساكنه حينا ، وتزيد ماءه حينا آخر ، وتعمق مجراه وتوسعه حينا ثالثا • فلابد من الاطلاع على ثقافات الامم ومعارفها في القديم والحديث ، ولابد من ترجمة بعض هذه الروائع والذخائر ، فهي ملك الانسانية كلها • واذا كان تراثنا في الماضي لم يتردد في الاسترفاد بضروب التراث المختلفة عند الامم جميعها وامتص كثيرا منها وجعلها جزءا منه ، فاننا سنقصر في حق أنفسنا وكرامتنا الفكرية ، وفي حق التراث الذي نصنعه للمستقبل حين نغلق منافذ النور من حيث أتى ، ونقتصر على الاستضاءة بما عندنا ، فيفسد الهواء بعد حين، وينضب الزيت ، وينطفيء المصباح • فلابدّ من ان نفتح النوافذ كلها لنستقبل النور والهواء ، على أن نرى النور بأعيننا لا بأعين غيرنا ، وان نتنفس الهواء برئاتنا لا بالرئات التي تصنع لنا ، وأن نفتح النوافذ ونغلقها حين نريد نحن لا حين يراد لنا ، وعلى الصورة التي نختارها لا على الصورة التي تفرض علينا •

وليس الامر في التجديد أمر الفاظ أو أخيلة أو معان أو أوزان أو قواف . فذلك كله شيء قد كان في جميع عصورنا الادبية على تفاوت بينها . وهو شيء قد انصرفت اليه جهود موفقة في الثلث الاول من هذا القرن ، ولم تثر شيئا من الانكار عند الكثيرين .

الامر في التجديد ليس هذا كله ولا شيئا مثله ، ولكنه اعمق وأبعد . ان أساس الامر هو مدى انسجام المنهج النفسي والاحساس الفني عند المجددين مع المنهج النفسي والاحساس الفني للامة وروح تراثها . واذا كان لا يجوز لاحد أن يدعو الى تجميد التراث جيلا بعد جيل والى ان يحتذي الخلف خطوات السلف احتذاء تطابق وتشابه ، لان في ذلك حجرا على الحياة نفسها بل افناء لها ، فان السؤال الذي يجب ان يسأل دائما هو : هل هذا التجديد هو تطور أصيل ، نابع من وجدان الفرد والامة ، متجاوب مع طبيعة حياتها وجوهر كيانها ، مواكب للمرحلة التي تمر فيها ، متطلع الى المستقبل الذي ترنو اليه ، متسق مع روح التراث ، معبر عن تجربة فنية ذاتية . هل هو حلقة متماسكة في سلسلة متصلة تتدرج تدرجا طبيعيا يقود بعضها الى بعض وينتهي أولها الى آخرها ؟ أو انه شيء لا تعرفه الامة ، ولا تحس به ، ولا تتذوقه ، ولا تحتاج اليه . شيء غريب عنها ، دخيل عليها ، منقطع الصلة بهاوبأصولها وتراثها . شيء صنعه غيرها ، وكان عنده نتاجا طبيعيا في بيئته لانه نابع من ظروفه متطور عن مجتمعه ، فهو بذلك جزء من حضارته ، جزء من منهجه النفسي واحساسه الفني ؟ ثم جاء منا من يقلده ويحتذيه ، دون ان يتمثله ويهضمه ، ودون أن يصبح جزءا من احساسه واحساس امته . لئن كان احتذاء القديم تقليدا ، فماذا نسمي هذا الضرب من التقليد للاجنبي الغريب ؟ أليس انحرافا بالامة عن طريقها ، وتعويقا لها في انطلاقها ، وتضليلا لها عن نفسها ، وتدميرا لجذورها واصولها ، لتصبح كجذع الشجرة الذي يغرس على ظاهر الارض ، بغير جذور تضرب الى الاعماق ، وقد تركب له الغصون والاوراق والثمار المجلوبة المصنوعة فتعجب بعض الرائين وتخدعهم ، ولكنه لا يستطيع

ان يورق ولا ان يثمر لانه ميت لا حياة فيه •

ولابد لكل نتاج جديد ، يصح ان يعد في المستقبل تراثا ، من ان تكون له جذوره الحضارية الخاصة به التي تسبغ عليه اصالته وتطبعه بشخصيته المميزة • واذا كانت الصلة بين الادب والحياة صلة وثيقة ، فان كل تجديد في الادب والفن عامة ، يجب ان يكون متسقا مع طبيعة حياة الامة وروحها ، فالتطور في الادب ينبع من تطور المجتمع ، وحين يكون كذلك يكون في الوقت نفسه عاملا من عوامل تطوير هذا المجتمع تطويرا سليما دون ان يفصله عن جذوره ، ويقطعه عن اصوله ، ويعريه من اصالته •

الدكتور ناصرالدين الاسد

وفد الاردن

الادب والغزو الفكري

بقلم

نازك الملائكة

لعل الفرق بين الغزو العسكرى والغزو الفكرى هو الفرق بين المحسوس والمعنوى ، فهما كلاهما غزو وانما الفرق بينهما في الوسائل والنتائج وما يستثيران في الامة من طرق المقاومة • فالغزو العسكرى يتصدى للقوة بالقوة محافظا على شيء من الصراحة والعدالة • اما الغزو الفكرى فانه لا يقتل بالنار والحديد وانما يهدم بالكلمة والمعنى ، وسوى ذلك من سلاح غير محسوس ، فهو ينطوى على الظلم والخبث معا •

وانما وجه الخطر في الغزو الفكرى انه يستهدف روح الامة وجذورها فلا يلقيها الا وهي اشبه بثمرة امتص رحيقها فلم يبق منها غير القشر والنوى • وما ذلك الا لانه يمسخ شخصية الامة اي نبع الاصالة والابداع فيها فيشلها عن النمو والحياة • بينما لا ينجح الغزو العسكرى في اكثر من تخريب مظاهر السكن والعمران ، وهي امور يمكن تعويضها لانها لا تمس جوهر الحضارة ولا روح الامة •

ثم ان مقاومة الغزو العسكرى اسهل من مقاومة الغزو الفكرى لسببين اثنين (الاول) ان الهجوم العسكرى الصريح يستثير اغلبية افراد الامة فيهبّون للجهاد ودفع العدو ، بينما لا يستثير الغزو الفكرى الا القلة المدركة من عقلاء الامة وذوي الرأي فيها • وسر ذلك ان الاغلبية قلما تستطيع ادراك المعنويات ولا هي تحس الخطر على حياتها من عدو يهاجم الافكار والقيم •

والسبب (الثاني) ان وسائل الامة في مقاومة الغزو العسكرى ميسورة هي السلاح والفداء والجهاد بينما لا يجدى مثل ذلك في مقاومة الغزو الفكرى لان العدو هنا غير مرئي ولا تقتله النار ، فلا بد للامة ان تلجأ الى

اسلحة اصعب كالارتفاع الى افاق الاخلاق والثقة بالنفس وكرامة الذهن العام ٠

وبسبب هذه الاعتبارات كلها يسهل ان تغزى الامم المتوحشة غزوا فكريا ٠ اما الامم العريقة المتحضرة فانها سرعان ما تنهض وتقاوم وتنهض وتنتصر لان روحها لا تموت ٠

ولقد عرفت الامة العربية الغزو العسكرى مرارا عديدة دون ان تعرف الغزو الفكري ٠ ووجه ذلك اننا كنا في الماضي مصدر المعرفة والضياء في العالم ، وقد اعطينا حضارتنا الى الامم المجاورة حتى ونحن مغزوون يحكمنا الاجانب ، ومن ابسط الادلة على هذا ان الفرس الذين حكموا الارض العربية فترة ، لم يحكمونا الا عسكريا لاننا كنا خلال ذلك نحكمهم فكريا فلم يغادروا ارضنا الا وقد اتخذوا ديننا ولغتنا ٠ ولذلك تعج لغتهم اليوم بالاف الكلمات العربية ، فاذا تكلم الفارسى بفصحى الفارسية تحول كلامه الى العربية مع تغيير بسيط في قواعدها ٠

واما في عصرنا هذا ، بعد قرون الغزو الطويلة التي انهكتنا وشلت حياتنا ، فاننا فقدنا القيادة العلمية والصناعية ، وبات علينا ان نتعلم الدروس التي فاتتنا ٠ ولقد كان يمكن لنا ان نختار ما ناخذ عن الغرب ، فلا نسمح له ان يمس روحيتنا وجوهر حضارتنا ، غير ان الذي وقع غير ذلك فقد غزانا الغرب على جبهات حياتنا كلها فلم يترك جانبا الا حاول اقتحامه وهدمه ٠ وقد كنا حتى الان سلبيين في موقفنا من الغزاة ، فتركناهم يغيرون نظام بيوتنا وطراز مدننا ، وسمحنا لهم ان يلقنوها اداب مجتمعهم في السلوك والمعاملة واسلوب الحديث ، وبتنا نلبس ما يلبسون ونأكل ما يأكلون ٠ وما من شك في ان بعض ما اخذناه عنهم نافع وانما ننكر موقفنا العام من هذه المدنية الوافدة ٠ فقد بتنا نترك ما هو جوهري في حضارتنا وما نتفوق به على الغرب ، لناخذ مكانه بضاعة رخيصة تضرّبنا ٠

ولقد عرض للفكر العربي انهيار مماثل بازاء الحضارة الوافدة ، بلغ في هذه السنين الاخيرة اقصاه ، حتى أصبحنا نقلب المجلات العربية فنجد فيها مقالا عن (ارثر مللر) يجاوره مقال عن (بير كورني) يليه مقال عن

(برونو) ، ثم مقال عن (فولتير) ، فنعجب من ان تفكيرنا بات منحصرا في اداب الغرب فلا تتحدث الا عنها وكان ليس لنا أدب على الاطـــلاق • يضاف الى ذلك ان هؤلاء الكتاب لا يتخذون موقفا عربيا مما يكتبون عنه من أدب الغرب ، وانما يصدرون في تعليقاتهم عن عين الموقف الذي يصدر عنه الكاتب الغربي • فلو ترجمنا المجلة الى لغات اوربا لما وجد الغربي فيها اي جديد يشوقه • وما من انهيار يصيب امة من الامم افظع من هذا ، فان انتاج هؤلاء الاعلام الغربيين يحتوي على اتجاهات ومبادىء تصدم الفـكر العربي في صميمه ، فلو ارتفعنا الى مستوى شخصيتنا الحضارية لكانت لنا تحفظات واعتراضات على ما يقولون ، لا لاننا ننكر ما في انتاجهم من جوانب الجمال، وانما لمجرد اننا ابناء امة لها ادبها وحضارتها ودينها ، فاختلاف وجهات النظر امر بديهي متوقع ، واما الاعجاب بكل ما يقولون ويعتقدون ، فلا يدل على اكثر من اننا قد فقدنا ايجابيتنا وبتنا لا نفكر •

ولقد شاع بين الناشئة العرب اليوم احساس ضعيف تمكن من نفوسهم مؤداه ان علينا اذا اردنا ان نبني الادب العربي ، ان ننبذ تراثنا وماضينا جملة لنحلّ محلّه التراث الغربي دونما مناقشة أو تدبر • وعلى أساس هـــذا الاحساس غرق الناشئة في الاخذ والاقتباس والتقليد ، حتى بلغ الامر مبلغ الخطورة • ولقد تأملت مظاهر الغزو في أدبنا الحديث طويلا فوجدتهـــا تكمن في أربع جهات سأجملها فيما يلي :ـ

١ ـ موقفنا من الاخلاق

واول مظهر من مظاهر الغزو في ادبنا اليوم اننا فقدنا اللمسة الاخلاقية فيما نكتب ، فمن سمات الفكر العربي الحق انه فكر اخلاقي ، يدعو الى ارتفاع العقل الانساني الى مراتب الخير والكمال •

وحسبنا من ذلك ان كلمة (أدب) عند العرب كانت ترتبط بأدب النفس كل الارتباط ، فالاديب هو الذى يروى من الشعر والنثر ما يرتفع بالروح ويسمو بالخلق • وقد بقي الشعر العربي ، قبل اختلاط العـــرب بالاعاجم ، صورة تنطلق بالفضيلة والمرؤة وكمال النفس • وقد قال احـد

الخلفاء الامويين لمعلم اولاده (علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا) لان الشعر كان صورة النفس الماجدة ذات المروءة والخير • وقد ثبت هذا المعنى في عصورنا كلها • فبقى الادب من شعر ونثر يعرض اروع الصور في السلوك والمعاملات، كما يحفل بنماذج صافية من الاخلاق الجنسية • ويحسبنا ان تتذكر العشرات من دواوين الحماسة والشعر ، ومجموعات الخطب والرسائل ، واقاصيص النجدة والمروءة وكتب الارشاد الاخلاقي وقد ترك المتصوفة وحدهم تراثا اخلاقيا عظيما كله نبل وانسانية • وحسبنا ، على سبيل المثال ، ان نشير الى كتاب (الفتوحات المكية) لمحي الدين بن عربي فقد وردت في الجزء الرابع منه مئات الصفحات في الاخلاق فيها من الخلق الكريم مالا حدود لجماله وكماله • على اننا لا نحتاج ان نذهب بعيدا في التمثيل فان كتابنا الكريم (القرآن) يعرض من صور الاخلاق ما يكفي للافصاح عن روحية العربي • ومثله في الحديث النبوي واخبار الصحابة وادعية السجاد الامام زين العابدين وامثالهم ومؤلفات ادبية لا حصر لها في ادب النفس ومعاني الاخلاق • وقد تمثلت هذه القيم عمليا في قصصنا الشعبي عن سيف بن ذى يزن وعنترة العبسي وابي زيد الهلالي وامثالهم من قصص المروءة والبطولة •

ولم تفقد كلمة (ادب) مدلولها الاخلاقي الا في عصرنا ، فنحن اليوم نكاد نصدر في ما نكتب عن المفهوم الغربي للكلمة ، حيث تعني كلمة (ادب Literature) المعلومات والعلم ، ولا تتصل بالاخلاق • ويرجع فصل الغربيين بين الادب والاخلاق الى عهود قديمة فنحن نجد في مذهب ارسطو الذي أدرجه في كتابه عن الشعر (Poetics) ان جمال الادب لا يستند الى الاخلاقية ، وانما هو معنى منعزل لا شان له باية قيمة خارجية ، ومن السائغ عند ارسطو ان يكون الادب جميلا كل الجمال حتى وهو غير اخلاقي ، فلا دخل للمبادىء والمثل في الادب •

وقد سيطر هذا المذهب على الفكر الاوربي فبقى يتحدر من صفحة الى صفحة عبر تاريخ الادب والنقد وممن اسنده واضاف اليه الناقد الالماني ليسنغ (LESSING) في كتابه المعروف (Laocoön)

ولسنا ننكر ان طائفة صغيرة من مفكرى الغرب قد رفضوا هذا المذهب ودعوا الى ما يقرب من المفهوم العربي ، ومن هؤلاء الشاعر الروماني هوارس ((HORACE)) والناقد الانكليزي فليب سيدني ((Sidney)) والشاعر الالماني فريدريك شللر ((F. Schiller)) الا ان هذه الاصوات تاهت في خضم الفكر المادى فلم تؤثر تاثيرا محسوسا ، وبقيت الصورة الثابتة لاداب الغرب منفصلة عن الاخلاق حتى قال الفيلسوف المعاصر بنيديتو كروتشه ((Croce)) نصا (لا شأن للاخلاق في الادب) وهذا الحكم يعبر افصح تعبير عن تيار التبذل والتحلل في ادب اوربا اليوم •

وتمتد جذور هذا التيار الى القرن التاسع عشر وقد بالغ في الدعوة اليه انصار المذهب الطبيعي ((Naturalism)) الذين جعلوا واجب الاديب ان يصف كل ما يقع للانسان دونما اعتبار لقيم الاخلاق ومصلحة المجتمع • وحسبنا للتمثيل ان نشير الى قصة اميل زولا ((ZOLA)) المعنونة Germinal فقد هبط فيها الى أدنى مستويات الروح والخلق ، فوصف عالما موبؤ تلعب به الغرائز الحيوانية على شكل يلغي الحضارة ويرد الانسانية الى عهود الوحشية والبربرية • وما من شيء يبدو لنا اشد ايلاما من هذا فان زولا يرتفع في القصة نفسها الى افاق عالية من الفن والابداع ، فكأنه يضع فنه وانسانيته في خدمة التفسخ ، ويساهم في قتل الحضارة •

ولقد اقتبس ادباؤنا العرب هذه النظرة الى الادب في اتجاهيها السلوكي والجنسي حتى اصبح ادبنا يضم اشنع النماذج في الانسانية والخلق ، فالقصاصون المحدثون يصورون في قصصهم اشخاصا يعاملون اباءهم في قسوة وخشونة واحتقار ويرسمون ابطالا يتطاولون على اساتذتهم • وكم في القصائد والقصص من بذاءة وتبذل في اللغة ، وقد اصبح نموذج البطل ان يجعله المؤلف كثير السب واللعن ، ضيق الصدر ، ضعيف الخلق لا يترفع عن شيء • وشاعت صورة البطل المثقف الذى يبصق في الطريق ولا يعترف باية قيمة للاشياء والاشخاص • وكل هذا مناقض لادب النفس العربية الذى عرفه تراثنا • وانما هو موقف منقول من الغرب ، فذلك ما نجد في القصص

الحديثة هناك ، وفي المذكرات والرسائل ، فكان من علامات الثقافةالجديدة هناك ان يكون الانسان مبتذلا قاسيا مغرورا لا يتورع عن شيء •

اما النظرة الجنسية في ادبنا الحديث فلمسها في ذلك الركام الهائل مما كان قبل يسمى بالادب المكشوف ، فاصبح اليوم لا يسمى حتى بذلك ، لان ادب الجنس اصبح يعتبر مظهرا من مظاهر الواقعية والتحرر الفكرى والثقافة الحديثة • فما يكاد الناشىء يكتب ، حتى يصطنع الغرق في الرذائل والاستهتار بالقيم • ولا نهاية اليوم للكتب والمجلات التى تقذف بها المطابع ويصور فيها الانسان العربي وكأنه قد تحول الى حيوان اعجم لا يرتفع الى أعلى من الجسد والحواس • وقد قرأنا في دواوين الشعر التي صدرت هذه الاعوام عجبا عجابا من الاسفاف والجموح ، حتى أصبحت هذه ظاهرة أكيدة تطبع الانتاج الجديد • ومن عجب ان الحكومات العربية ما زالت غافلـــة عن هذه الظاهرة ، فلا نراها تتخذ اجراء بازائها ، لا في حقل النشر ولا في حقل التعليم والتوجيه • والواقع ان وراء هذه الظاهرة ثلاثة معان كلها خطير ينذر بالشر •••

أ ـ المعنى الاول ان هذا الادب المتحلل ، الذى يهدم الاخلاق والمجتمع ، يتعارض مع الدعوة القومية التي يعيش لها المجتمع العربي اليوم • فالقومية بناء وحياة ، بينما أدب الجنس هدم وانتحار • تهدف القومية الى بعث الامة العربية بقدراتها الاصيلة وماضيها الحضارى الوهاج ، بينما يهدف ادب الجنس الى هدم الاخلاق والعقائد والقيم • ومن ثم الى هدم المجتمع • قال ابن خلدون في مقدمته ، (اذا تاذن الله بانقراض الملك من امة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل منهم جملة ولا تزال في انتقاص الى ان يخرج الملك من ايديهم •) واستشهد بالاية الكريمة (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيهـا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) والحق ان من يتامل هذا الادب الجديد تاملا نزيها ينتهي الى الشعور باننا نعمل للقومية العربية بينما نترك ادبنا يعمل ضدها •

ب ـ المعنى الثاني ان هذا الادب لا يعبر تعبيرا سليما عن البيئة العربية المعاصرة ، وذلك لان الفرد العربي المتوسط ما زال يعد قضية الشرف فوق كل القضايا • والمثل الاعلى في حياتنا الشعبية ، وفي حياة الأسرة العربية ، هو مثل العفة والاحتشام وادب اللسان • واذن فان هؤلاء الادباء الناشئين قد ابتوا عن بيئتنا وباتت مراياهم تعكس اشباحا وظلالا من خارج الوطن العربي •

ج ـ والمعنى الثالث ان هذا الادب ليس ادبا صحيا سليما • لان تضخيم اثر الجنس في الحياة ينم عن انحراف في الطبيعة الانسانية ، والانسان السليم مزيج متوازن من العقل والروح والعاطفة والغريزة ، لا يطغى منه جانب على جانب • ومن كمال المجتمع ان تكون أغلبية أفراده من المتزنين الذين يعطون كل جانب من طبيعتهم حقها • ولا نظنه يخفى ان الاستغراق في حمأة الحواس ينتهي الى زوال الكرامة وضعف الارادة واختلاط الذهن • ومن ثم فان طغيان المعانى الحسية علىادبنا ليس اقل من مظهر يدل على عدم التوازن وينذر بتصدع خطير في حياتنا العامة •

موقفنا من الدين

كان لاقبالنا الشديد على قراءة اداب الغرب ونقلها الى لغتنا اثر سيء في حياتنا العقلية الحديثة ، فما لبث ان أصابها بالانحراف • فلقد اخذنا عنهم فيما اخذنا موقفهم من الدين ، والتقطنا نظرتهم المادية الى الحياة • وموقفهم من الدين يختلف اختلافا جسيما عن موقفنا نحن ـ فان الدين الاسلامي يرتبط كل الارتباط بالفكر ، وقد قامت حول القران اركان اللغة والادب والفقه والمنطق والتصوف والفلسفة جميعا بحيث تعد هذه العلوم كلها تفريعات لعلم القران ترتكز اليه وتدور حوله • لا بل ان طلب العلم ونشره قد بقي هو نفسه واجبا دينيا مفروضا يؤديه الطالب والعالم قربى الى الله • ومن ذلك ان النحوى العلامة ابن مالك كان يخرج ويقف على باب مدرسته

ويقول (هل من راغب في علم الحديث او التفسير ؟ قد اخلصتها من ذمتي) فان لم يجد راغبا او طالبا قال (خرجت من افة الكتمان) وتفسير ذلك ان العربي كان يعتقد ان لله حقا (فيما استودع العلماء من الفهم والعلم وانه اخذ عليهم البيان[1]) فلا يصح لهم السكوت عن نشر العلم واظهار الحق وتعرية الباطل •

اما في اوربا فان الدين يتصف بشيء من الانعزال عن الحياة فلا يرتبط بالادب والفكر الا من بعيد ، فالغربي يعد الدين لله والادب للحياة وكان الحياة نفسها ليست لله ، كما يعتقد العربي • ولذلك الموقف سببان اثنان :ـ

(الاول) ان المسيحية ، بتقريرها لقيام الخطيئة الاولى ، وبدعوتها الى التكفير بالرهبنة والامتناع عن الزواج ، قد احتفظت بنظرة مثالية لها جمالها غير انها عسيرة التطبيق • ولذلك بعد الدين عن الحياة بعدا طبيعيا ، وهو امر لم يعرفه المجتمع المسلم حيث الدين يجعل الزواج سنة مفروضة•

(الثاني) ان المسيحية ، التي نزلت في بلاد العرب ، قد فشلت في تحويل الغربي تحويلا كاملا عن وثنية ابائه ، فبقي ثنائي المعتقد ، يصلي لله ويؤمن ، رغما عنه ، بالهة الاغريق ، حتى انه يقسم في حياته اليومية بجوبيتر ، كبير الهة الاغريق ، وهو يذهب يوم الاحد الى الكنيسة للصلاة ، يلبث ان يرجع الى منزله ليقرأ الفلسفات اليونانية ويكتب أدبا طابعه وثني تتردد فيه اسماء الالهة الشريرة التي كان يعبدها اليونان والرومان • وانما نصف هذه الالهة بانها شريرة لانها كما قرر (سقراط) نفسه ، لا تتورع عن ارتكاب الشر والجريمة والصغائر • فهي كالبشر وانما تفوق في القدرة على الايذاء والظلم • وبسبب هذه الوثنية الغربية بقي المسيحيون العرب اوثق صلة بالمسيحية الحقة من مسيحي الغرب •

ولقد دعا الغزاة واعوانهم عبر السنين الماضية الى ان نحتضن الثقافة

---

(١) صورة معدلة من عبارة لعبدالعزيز بن يحيى الكناني كتاب(الحديد)• تحقيق جميل صليبا •

الغربية بكل ما فيها دونما تدبر او مناقشة ، فكان مما اخذناه عنهم هذا الفصل العجيب بين الدين والحياة • وقد كان لذلك تاثير سيىء في حياتنا وفكرنا ، لان الدين الاسلامي يكاد يكون هو الحياة العربية نفسها ، فلا نستطيع انتزاع احدهما الا بانتزاع الاخر ، فقد كان الاسلام دينا الهيا وثورة سياسية وفكرية واجتماعية معا • ولذلك اهتزت له الارض العربية اهتزازا خصبا ، واحدث انقلابا عميقا في مناحي الحياة معا • ولم يترك الاسلام في حياة العربي شاردة ولا واردة الا ضبطها واحصاها • وقد كان القران كتابا شاملا فيه اللغة والادب والشريعة والاخلاق جميعا فبني عليه تراثنا كله • فاذا فصلنا الدين عن الحياة لم يكن معنى ذلك الا ان نفصل العروبة عن تراثنا وحضارتها • ونحب ان نضيف الى هذا ، ان القران ـ باعتباره كتاب الدين الاسلامي والثقافة العربية معا ـ سيبقى أبدا كتاب كل عربي مهما كان دينه • فالمسيحي العربي الذى يحمل في نفسه خصائص الفكر العربي والحضارة ، لا يستطيع ان ينزع من نفسه وذهنه آثار القرآن ، لان التراث الاسلامي قد كان وما زال الثقافة الكبرى للعربي • وها نحن نرى اخواننا المسيحيين يحققون غير قليل من كتب التراث الاسلامي في اخلاص يثبت ما نقول اجمل اثبات •

ولقد اتخذ الادب الجديد الذى ينشره اليافعون العرب موقف الغربيين من الدين ، فظهرت عندنا الوثنية مصحوبة بالالحاد في ادنى مستوياته ، وهو مستوى الكفر بدافع التقليد والنقل ، فلا شك في ان هذا الالحاد اوطأ مرتبة من الحاد مصدره شك يعتري النفس فيضللها ويحيرها • وقد واكب هذا ابتعاد الجيل اليافع عن القرآن وما فيه من أجواء روحية وكنوز اخلاقية وثروة لغوية وأدبية • وكل ذلك يبشر بالخير فاذا مضينا فيه قطعنا جذورنا الحضارية واضعنا الروح العربي جملة •

٣ ـ موقفنا من اللغة العربية

كانت وسيلة الغزاة العظمى هى اضعاف لغتنا في الترجمة • والترجمة في ذاتها اغناء للغات ومد لافاقها ، فهى حق لنا وضرورة نتمسك بها • غير ان

الاشياء النافعة في الحياة الانسانية يمكن ان تتحول بسوء النية الى شر وضرر • ولذلك حرصت بعض المؤسسات المشبوهة والجماعات المغرضة على ان تعهد بترجمة أمهات الكتب الغربية الى كتاب ضعاف غير متمكنين من العربية ، فصاغوا تلك الكتب العظيمة صياغة حرفية ركيكة ، كان لهـا أثران سيئان في حياتنا الفكرية (الاول) ان كثرة قراء هـذه الترجمات قد نجحت في تحويل الركاكة الى مذهب في التعبير ، فأدى ذلك الى اضعاف المستوى العام للغة • و (الثاني) ان هذه الترجمة الركيكة حرمتنا فرصة تكتسب فيها لغتنا تعبيرات عربية جديدة لها الفصاحة والجدة معا • لان الكتاب المترجم اذا صيغ بعربية سليمة لها خصائص لغتنا افاد اللغة واغناها • اما اذا ترجم حرفيا فانه يخسرنا كما نخسره •

والمثل الذى نختاره للترجمة الركيكة وما تصنع هو ترجمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد فقد ترجم هذا الكتاب الجليل ، الذى يقدسه المسلم والمسيحي معا ، ترجمة ركيكة لا يقبلها الذوق السليم فساهمت في اضعاف الذوق الادبي العام واشاعت فينا العجمة • واخواننا المسيحيون العرب ذوو حظ كبير من البلاغة العربية وقد نبغ منهم كتاب كبار وباحثون وشعراء أغنوا مكتبتنا فلا يصح لهم السكوت على مثل هـذه الترجمة التي تشوه كتابهم ولغتهم معا وتحرمنا قراءة سيرة السيد المسيح والتمتع بما لها من روحية وجمال •

وقد انحطت لغة الترجمات واقتربت من الحرفية عاما بعد عام ، حتى درجت اليوم منهـا لغة ركيكة كثير من قواعدها وأساليبها غير عربي • وسوف ندرج فيما يلي مظاهر العجمة العامة في هذه اللغة •

١ ـ كثرة الاصطلاحات الأجنبية التي يصر المترجمون على ابقاء صيغتها الغربية مثل قولهم فوكلور وايديولوجية ، واكاديمية ، وكلاسيك ، وميتافيزيكية ، وبيروقراطية ، وتكتيك ، وليبرالية ، وامبريالية ، وأمثال ذلك كثير •

٢ ـ استعمال قواعد النحو اللاتيني مع انها في مقاييسنا النحوية تعد غلطا ، مثل تعدد المضافات الى مضاف اليه واحد وهو ما يسمى عندنا بلغة (قطع الله يد ورجل من قالها) ، ومثل الفصل بين المضاف والمضاف اليه بكلمات اجنبية وهو ركيك مستحيل في لغتنا لان المتضايفين ينزلان منزلة الاسم الواحد • ومن هذه الاساليب السقيمة تقديم الحال على عامله كقولهم (محملا يعود سيدي) ، ومنها تتابع الاضافات كقولهم (تقرير رئيس لجنة مكافحة أمراض المنطقة الحارة) وكل هذه الاساليب الغربية تصدم السمع العربي صدما أكيدا •

٣ ـ استعمال أساليب بناء العبارة اللاتينية وهي تخالف اساليبنا مخالفة مرجعها الى الفروق بين طبيعة اللغات • ومن ذلك تأخير الفعل في الجملة فلا يرد الا بعد ان يتقدم عليه سطران كاملان من الظروف والمجرورات والمعطوفات كقولهم (بعناية شديدة واهتمام ، ومن دون ان يتحدثوا في ذلك الموضوع مباشرة ، او يثيروه ، على نطاق عام ، وبعد ان فرغوا من دراسة التقرير ، اشتغلوا في توزيع الملابس على سكان الحي) • وهذا مخالف لما تعرف لغتنا حيث يتقدم الفعل على معمولاته لانه اشرف ما في العبارة ، ولا يتقدم المعمول الا في حدود الفصاحة ، في مجالات بلاغية محدودة •

٤ ـ استعمال وسائل البلاغة اللاتينية بدلا من العربية كقولهم (انسحب بانتظام ، والسوق السوداء ، والحرب الباردة ، وموتمر القمة) حتى نكاد ننسى ان لنا تلك الكنوز من وسائل البلاغة ولسنا بهذا نحاول ان نغلق لغتنا بازاء استعارة جميلة قد تنفعنا ترجمتها ، وانما نريد التنبيه الى موقفنا العام من ذلك فنحن اليوم نكاد نقف عن التفكير باللغة العربية فنترجم كل صيغهم دونما تدبر •

٥ ـ تقليد العبارة الغربية الحديثة في تعقيدها وغموضها كما في كتب (هنري جيمس James) و (وولتر بيتر W. Pater) وذلك بالاكثار

من الجمل الاعتراضية ، والفصل بين المبتدأ والخبر بكلمات كثيرة تربك القارىء • ومنه ايضا استعمال العبارات الطويلة طولا فادحا • وكل ذلك مما لا تسيغه بلاغتنا •

* * *

ولا بد لنا بعد هذا الاستعراض ان نذكر بان انكارنا للاساليب اللاتينية لا يعني اننا ننتقصها في لغاتها الاصلية ، وانما نعد تلك الاساليب بليغة في اللاتينية ركيكة في العربية ، لان لكل لغة قواعدها وقيمها البلاغية • وما قواعد اللغات الا مزيج من نفسية الامم وتاريخها وحضارتها وفكر الامة يرتبط بقواعد لغتها وأساليب بلاغتها كل الارتباط بحيث لا نملك ان نترجم لغات الغرب ترجمة حرفية الا اذا قضينا اولا على الفكر العربي •

ومن الحق ان نشير كذلك الى ان الترجمات الضعيفة في أسواقنا لا تصدر كلها عن سوء النية وانما ضعف بعضها نتيجة الجهل باللغة والتراث •

وقد ابتليت العربية في هذا القرن بكثير من الدعوات المشبوهة التي نادى بها مغرضون يضمرون الشر للعروبة ولغتها ، فرددها من العرب طائفتان طائفة الشعوبيين الذين يقصدون اضعاف العربية ، وطائفة المثقفين البسطاء الذين تخدعهم الفاظ الحرية والتجديد فيسيئون دونما قصد • فمن هذه الدعوات ، الدعوة الى نبذ الحرف العربي واتخاذ اللاتيني في مكانه ، والدعوة الى استعمال اللهجات العامية في الاذاعة وفي أدب القصة والمسرح •• وقد تصدى لهذه الدعوات كثير من كتابنا الافاضل فناقشوها وردوها الى أصلها المشبوه المريب • وما من جهة تستفيد من اثارة هذه القضايا مثل الغزاة ، فهم يعلمون انه اذا وقع الفصل بيننا وبين تراثنا انتهى الامر بنا الى اخطر تصدع عرفته الامة •

٤ ـ موقفنا من المعنوية الغربية

يحرص الغزاة وأعوانهم من الشعوبيين على قتل المعنوية العربية واحلال المعنوية الغربية محلها ويكادون اليوم ينجحون في ذلك ، فقد طلع في السنوات الاخيرة أدب عربي جديد تنعكس فيه سمات النفسية الاوربية ، ومظاهر الادب الغربي ، وقد استعان الغزاة في عملهم هذا بوسائل معنوية مكنتهم من اجتذاب الجيل العربي الناشيء الذى يملك ، بقلة علمه وتجاربه ، استعدادا فطريا للتاثر • والوسيلة الكبرى للتأثير في اليافعين هي استعمال القيم الرفيعة التي يحرصون عليها مثل الانسانية والحرية ، فباسم هذه القيم يتم تضليلهم فيوجهون توجيها يحطم المعنوية العربية •

أما الانسانية فان الشر الذي يتستر وراءها اليوم هو قولهم (الادب العالمي) • وبه يوحون لليافعين ان هناك أدبا عالميا يتخطى الحدود ويعبر عن نفسية الشعوب اجمعين ، بمعزل عن ظروفها وشخصيتها ، وان هذا الادب لا يناقش وانما يقبل في كل مكان ، فمن لم يقبله كان جامدا أو رجعيا أو جاهلا • وهم يضعون على عرش العالمية مجموعة من الاسماء الغربية في الغالب ويسألون الشباب ان يعجبوا بكل حرف يقوله اصحابها دونما فحص ولا مناقشة • وابرز هذه الاسماء تأثيرا في حياتنا جان بول سارتر الاديب والفيلسوف الفرنسي اليهودي • وسارتر من الناحية الادبية ذو فكر مبدع يسمو الى الذرى العالية وانا أول من يقر له بالقيمة والقدرة • وانما وقع الانحراف المغرض في فرض آرائه على القارىء الطالع • ووجه ذلك ان الاديب الغربي قد يكون عظيم الشهرة ، ذا تأثير في اوربا كلها دون ان يعنى ذلك ان اراءه تنفعنا او تتفق مع مطاليب حياتنا الاجتماعية والفكرية • والواقع ان آراء سارتر أغلبها تناقض روحيتنا وحضارتنا فلا مصلحة لنا في اعتناقها الا اذا أردنا ان نهدم انفسنا • ذلك ان جان بول سارتر ناشر فلسفة الغثيان ، ومضمونها ان المجتمع بغيض ،

وان وجود الناس حولنا هو الجحيم ، وان الاخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون ، وان الحياة خواء فارغ فلا يستحق الاهتمام فيه الا الجسد والجنس ، وان الانسان غير مسؤول لا أمام الله ولا أمام الضمير ولا امام المجتمع • ولقد انتهى الجيل اليافع الى تصديق خرافة العالمية فلم يقف عند الاعجاب بالاشكال الادبية واللفتات الفكرية والاساليب التعبيرية ، وانما قلد النظرة واعتنق الآراء •

واما القيمة الثانية التي يستغلونها في تضليل اليافعين العرب ، فهي الحرية ، وقد زعموا انها معنى مطلق لا يتقيد بشيء فكل حرية افضل من كل تقييد • وما من الحاد اجتماعي واخلاقي افظع من هذا • فان المطلق معنى لا وجود له في الحياة الانسانية ، لان منفعة الجماعات تتحكم فيه فتقيده وتشذبه • وهذا الزعم يجعل الحرية تتعارض مع الفضيلة ، ولا ينبغي للاخلاق ان يتعارض شيء منها مع شيء • وحسبنا دليلا على ذلك التعارض ان الحرية المطلقة للفرد تناقض مصلحة المجتمع ، ولذلك تقيد بحفظ حقوق الاخرين ، ومصلحة الجماعة كلها • وعلى هذا تبطل حجة الذين ينادون بحرية الاديب في نشر ادب الجنس والالحاد ، فان هذا الادب يهدم المجتمع ومن حق الجماعة ان ترفضه • فلا يحق للمواطن ان يطعن أمته في صميم كيانها الروحي والخلقي بدعوى حقه في الحرية •

وهكذا اتجه ادبنا الحديث بدوافع من الانسانية وحرية الفكر ، الى ترديد آراء الغربيين ، دونما فحص او مناقشة ، فانتشرت روحية التشاؤم في ادبنا ، وشاع الاحساس بان الحياة عبث وان العدم خير من الوجود ، وان المشاعر الطيبة قد للانسان ، وان الانسان غير مسؤول امام شيء • ولا يمكن للباحث المتأمل الا ان يلاحظ مدى بعد هذه النظرة عن طبيعة الحياة العربية اليوم ، فنحن نمر بفترة خصبة رائعة ، وقد رأينا مدننا الكبيرة تنهض من الفراغ في ظرف ثلاثين سنة فقط وشهدنا الاستقلال من الحكم الاجنبي وقيام الحكومات الوطنية ونهوض التعليم ورأينا كيف اختلف جيلنا في معارفه وأسفاره وعلومه عن جيل آبائنا • واليوم نعيش

فترة انتصارات القومية العربية وتكاد أعيننا تكتحل بفجر الوحدة • ومـا من شك في ان الفرد العربي احسن حالا وأكثر أملا مما كان فلا ندري من أين يأتي هؤلاء الادباء بالعدمية واليأس وانكار الحياة • اترى حياتنا الادبية تسير في أتجاه معاكس لحياتنا القومية ؟ ونبحث عن الجواب عند نقادنا فلا نجد لديهم أكثر مما نسمع من الناقد الغربي من ان هذا الجيل ـ كما يقولون ـ (ذو تركيبة مزاجية معقدة تعقد الحياة التي يحياها) فكأنهم لا يرون الفرق العظيم بين الفرد العربي والفرد الاوربي • والواقع ان بيننا وبين الغرب ثلاثة فروق جوهرية •

(الاول) اننا ابناء أمة تؤمن بالروح والروحيات وتضعها فوق المادة ، بينما ما زال الغرب يؤمن بالمادة والماديات • ومن مظاهر ايمان الفـرد البسيط هنا بالروح انه يتوكل على الله في أموره كلها فلا يعرف اليأس ولا القنوط ، وهو مؤمن بالحياة كل الايمان ، تنحدر اليه هذه النظرة من عهود سحيقة • وقد عرفنا في التراث العربي كله صفة الايمان والتفاؤل ، فحتى شعر الزهاد كان مليئا بالحياة بما فيه من تطلع الى الله ، وايمـان بالاخلاق والتضحية ومساعدة الاخرين •

(الثاني) اننا نختلف عن الغرب في الظروف التاريخية التي نمر بها ، فنحن نمر بفترة حياة وانبعاث تهتز لها ارضنا كلها • ان مشاكلنا القومية ، وزحفنا نحو فلسطين ، ومعركتنا في حرب الفقر والجهل والمرض والبطالة ، كل ذلك يمنحنا هدفا يستغرق حياتنا وكياننا • والمعروف عند علماء النفس ان المشغولين لا يجدون وقتا للقلـق واليأس والاحساس بالفراغ • وفي مقابلنا يجد الغربي نفسه فارغا له كثير من الوقت وقليل من الاهداف • ان في حياته فراغا روحيا عميقا سببه عدم ايمانه بالله ، وخلو حياته من الهدف الكبير الذي يضفي الجمال والرونق على الحياة •

٣ ـ وآخر الفروق بيننا وبينهم ان الغربي يرى غذاءه يصل اليه عن طريق استعمار الامم وسرقة قوتها ، ومن ثم فهو يحس قلقا غامضا

لا يعرفه العربي الذي يأكل القليل الحلال ويحمد الله وينهض الى عمله . وقد اشار الفيلسوف الالماني المعاصر (البرت شفايتزر) A. Schweitzer في كتابه (فلسفة الحضارة)[1] الى أثر هذا الظلم في نفسية الفرد الاوربي الذي اصبح لا يقوى على الاحساس بجمال الحياة .

ان هذه الفروق بيننا وبين الغرب تجعل نقلنا لموقف اليأس والعدمية والفراغ أمرا لا معنى له سوى تخلينا عن كرامتنا ومصلحتنا وشخصيتنا . فكأننا نبكي في يوم عيدنا . ويحاول بعض الادباء أن يبرروا الموقف بقولهم ان هذا الجيل اليافع هو جيل المأساة الذي شهد ضياع فلسطين ، فهو ينكر الحياة ويدعو الى الموت لذلك السبب . وذلك تعليل ابعد عن الحقيقة من السابق ، فان المأساة التي وقعت عام **١٩٤٨** قد الهبت الوطن العربي كله بنار الكفاح والعروبة فقامت الثورات العظيمة في القاهرة والجزائروبيروت وبغداد واليمن ، وعبر هذه السنين لم تكن نفسيتنا متخاذلة فقد انبعثت آمال عظيمة ونهضت العزة القومية في القلوب ، وشهدنا لحظات سعادة عميقة وانتصارات لا تنسى . فاللون الذي يغلب على حياتنا لون اخضر بهيج ، وفي مثل هذا الاطار المشرق يصبح الادب المتشائم المعلق على الصلبان ابعد ما يكون عن التعبير عن نفسية الامة . فلا وصف له الا ان ادباءنا وقفوا عن التعبير عن مشاعرهم وراحوا يكررون ما يقول الاديب الغربي . ولذلك تجد القومية العربية تغني بينما مسجلاتهم تذيع النواح وصراخ العدم . والفجر يتنفس على روابينا اجمل ما يكون بينما تشع قصائدهم الظلام والموت .

٥ ـ الحلول والمقترحات

يبدو لنا ان الواء الناجع في مثل ازمتنا ان تكون لنا فلسفة شاملة ، تمس كل ما هو جوهري في الحياة العربية ، وتقرر المبادىء والمثل

(١) ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي .

الكاملة التي ترفع مجتمعنا الى ذروة الكمال • ومن دون هذه الفلسفة لا نستطيع ان نجابه عدوا غزا حياتنا على الجبهات كلها • والحق ان افتقارنا الى نظرية فلسفية كاملة للحياة العربية ، بابعادها كلها يجعلنا مضيعين لا ندري اين نتجه ولا ماذا نأخذ او ندع • فلقد دخل حياتنا من العلوم والفنون والفلسفات ما قلب تفكيرنا واحدث في جونا الفكري بلبلة خطيرة وانشقاقا في وجهات النظر • ولذلك نرى المثقفين في العالم العربي منشعبين في الموضوعات كلها ، كل يدين بمذهب • وقد يقال ان هذا من الحيوية فنقول انه ليس كذلك ، فانما يكون الخلاف من علامات الحيوية حين يكون المخالفون قلة في مقابل اجماع الاغلبية على شيء ما • اما عندما يزول الاجماع ولا يبقى الا الخلاف فان ذلك ناقوس الخطر يدل على قيام تخلخل ذاهب في الاساس الفكري للامة •

اما بنود هذه الفلسفة التي نطلبها فينبغي ان تدعو الى وضعها الحكومات العربية ، على ان تجمع لها اهل العلم والفضل والنظر والعروبة ، فيتفقوا على ما ينفع وما يضر ، ويحددوا الطريق • فاذا اجتمعوا على شيء اخذت الحكومات على نفسها تطبيق هذه الفلسفة تطبيقا كاملا بالوسائل التالية :

١ ـ تعديل مناهج التعليم في المدارس العربية تعديلا يتناول الجذور والاسس مع الالحاح على موضوع اللغة العربية ، واضافة موضوع الاخلاق الى السنوات كلها •

٢ ـ انشاء مؤسسة عربية كبيرة تشرف على الترجمة وتنسق جهود المترجمين العرب في ديارهم كلها • وسيكون من واجب هذه المؤسسة ان تدرس ما يحتاج المواطن العربي الى ترجمته دونما نظر الى عالمية الاسماء ، فقد يكون الاديب عالميا وتكون فلسفته مناقضة لاهدافنا فتسيء الينا بدلا من ان تخدمنا •

٣ ـ انشاء قانون جديد للطباعة والنشر يجعل الصحافة والانتاج في

خدمة الامة العربية لا في مصلحة المؤسسات الاجنبية وتجار الافكار والقيم • وهذا كفيل بان يطهر الاسواق من كتب الجنس والابتذال والسطحية •

٤ ـ تحديد مجال الاذاعات وخاصة المرئية منها ، ووضع فلسفة عامة لمناهجها تراعى فيها مصلحة المواطن • وستترفع هذه الفلسفة عن اقرار افلام العصابات والسفاكين وروايات التفسخ الخلقي ، لان مشاهدة الصبيان والبنات لمثل هذه الاشرطة كل مساء حرى بان يهدم كل ما تبنيه المدرسة والتربية المنزلية من مثل اخلاقية •

وأخيرا أرجو ان يعنى المؤتمر باقامة جمعية موحدة للادباء العرب لها فروع في كل قطر ، تعمل في نشر التراث العربي وكشف جماله للجيل الناشيء ، باقامة معارض الكتب والقاء المحاضرات وتنظيم المناظرات واصدار المجلات وتشجيع التأليف المتزن السليم ، ونحو ذلك ومن الله التوفيق •

البصرة **نازك الملائكة**

وفد العراق

الأدب والغزو الفكري

بقلم

الدكتور شكري فيصل

١ ـ تمهيـــد

ملامح عامة عن هذا الغزو

في الحياة العربية كان ، منذ القدم ، هذا الغزو الفكري للوجودالعربي السليم المستقيم كلما حاول هذا الوجود أن يستأنف رسالته ، أو يجدد دعوته ، أو يحقق نهضته ، أو يقوم بمسؤولياته •• وكان الغزو محاولة مستمرة من العناصر الغازية في سبيل تهجينه او افساده وفي سبيل توهين قواه واستلاب عزماته •

ولم يكن هذا الغزو يأتي وحده •• كان يواكبه أو يتأخر عنه أو يتقدم عليه هذا الغزو المادي الآخر •• وما كان لهما معا أن يختلفا أو يتناقضا •• كان كل منهما يكمل الآخر ويتتامّ معه •• وكان أحدهمـا هو الذي يبدو حينا وكان الآخر هو الذي يبدو حينا آخر •• وكانا معا ـ على كل فترات التاريخ ـ شوكتين سامتين من شجرة جبيثة يحاول الوجـود العربي أن يجتثها ولكنه كان كلما أهوى على شق منها نبت شق •• لا يكاد يجتمع له هذا الاجهاز عليهما الا في الفترات النادرة من هذا التاريخ المديد •

وتكالب هذين الغزوين واستمرارهما على هـذا المدى من التاريخ الطويل ـ يعني شيئين :

يعني اولا أن هذه الامة من الناس لها جوهرها ولها دورها وان مكانها من الارض له امتيازه ولهتفرده •• انها أمةوسط من الانسانية والناس ، ومن العالم والارض •• لها دعوتها بحكم هذه الوسطية ، ولها رسالتها بحكم هذا التفرد •• ثم هو يعني ثانيا أن كل القوى الاخرى من حولهاتعرفمن أمرها

هذا التميز المادي والمعنوي ولذلك فهي تقابلها بهذا الغزو الفكري والمادي على السواء .

والوطن العربي يعاني في هذه الفترة ـ شأن أكثر فترات تاريخه ـ غزواً من هذا الغزو المتصل .. واذا كان الغزو المادي في بعض صوره قد توقف ، واذا كانت الجيوش الغازية قد أخلت بعض قواعدها واستغنت عن بعض مطاراتها ، واذا كانت قد أنزلت بعض الاعـلام وأغلقت بعض الثكنات ، فان هنالك قواعد اخرى لا تزال متمكنة ، واعلاما لا تـزال مرفوعة ، ومواقف لا تزال موصولة بمصادرها .. ودوراً ومعاهد تتابـع عملها ، وخبراء يتجلببون بالخبرة ، ورجالا يلبسون مسوح العلم ، وناسا يطلون مظاهرهم بكل أصباغ التجرد والنزاهة والغيرة يجوسون خلال الديار باسم العلم حينا وباسم الفكر حينا .. باسم الثقافة مرة وباسم الحـرية مرة .. باسم كل هذه المقدسات التي تسمو عند العربي الى رتبة الدين .. يكتبون في أدق الموضوعات ، ويخوضون في أعقد المسائل ، ويثيرون كل قضية .. وما يملك أحد أن يقول لهم ، وهم يحاولون التعبد في محاريب الكلمة الطيبة ويتسترون بالثقافة ، ماذا تفعلون .. على حين يهدفون الى ان يعودوا عن طريق الفكر من حيث خرجـوا ، وأن ينـزلوا من الناس في رؤوسهم بدل من أن ينزلوا في جيوبهم ورقابهم ، وان يكون لهم باسم المشاركة الفكرية كل حقوق المشاركة في خيرات الوطن والامة .

قلت : ان هذا الغزو الفكري ليس جديدا ، ونخطىء ان ظننا أنه بدأ بهذه الاكداس المكدسة من نشـرات الدعـاية وكتـب المـذاهب .. انه في الواقع قديم بدأ قبل ان يبدأ السيل الاوربي يجتاح أرض المشرق ، ولجأت اليه اوربة ليكون سبيلها الى التمكين والسيطرة .. انه كان يسبق ويواكب ويتابع كل مرحلة من هذه المراحل التي سقطت فيها قطعة من وطن العرب في قبضة غزاة من الغزاة ، ثم يتمركز بعد ليؤكدها ويبررها ويوجد لها المناخ الذهني والنفسي الذي يتقارب منها .. انه كان بمـثـابة الجسور التي تعبر عليها القوى المادية حينا وبمثابة التربة التي تتأصل فيها هذه القوى المادية حينا آخر .

ومنذ كانت غزوة نابوليون لمصر كان هذا الغزو يأخذ سبيله الى الوضوح •• كان جيش من العلماء يسير مع الاسطول ويرافق المدفع ويتابع الكتائب ويجوز طريق الاسكندرية الى القاهرة ، يكتشف المعالم ويستبطن الارض •• والاكذوبة الكبرى التي لا يزال يعيش عليها تاريخنا الادبي أن النهضة الحديثة انما بدأت مع هذه الغزاة •• اننا نفعل ذلك اغترارا بالمظاهر فلم تبدأ النهضة مع هذه المظاهر التي رافقت نابوليون من عمل العلماء • ولم يكن أثر الغزوة ايجابيا في ذلك •• انه كان ، على العكس ، أثرا سلبيا لان سنابك الخيل التي قرعت أرض الازهر لم توقظ النائمين ولكنها أفزعتهم •• لم تفتح أعينهم وانما جهرتهم •• انها اورثتهم ، مع هذا الغزو ، عقدة الاجنبي الغريب المتسلط الذي يحتقر المعتقدات أو يتستر بها ولكنه يضمر لها الشر على كل حال ، الاجنبي الذى يملك بيده مثل عصا موسى ولكنه لا يضعها ، في اخوة وثقة ، في أيدي الناس ولا يفتح لهم طريقها •• ان غزوة نابوليون كانت قضاءا على الجيل الاول الذى كان يمكن أن يتفتح للحياة الجديدة ، وكانت تأخيرا للنهضة التي تأتي في مكانها ، لانها خلقت في نفوس المواطنين هذه العقد القاسية في محاولة التلاقى مع الذي يغزو دارك ويدوس معتقداتك ثم يأخذ يملك عليك بصرك ببعض معطيات العلم الاولى في التراكيب الكيماوية ••ولو فتح المشرق عينيه على ثقافته لوجد في تاريخه أضعاف اضعاف ما عرض العلماء الفرنسيون في الحملة من مظاهر العلم وبداياته •

واستمر هذا الغزو الفكري بعد نابوليون وتقدم جماعات من العلماء في زي تجار ودبلوماسيين ومبشرين كل معركة من المعارك التي خسرناها على أرض الوطن العربي في جناحه الشرقي والغربي ؛ وكان هؤلاء المتظاهرون بالعلم يرودون آفاقا من دراسات اللغة واللهجات والطبيعة والناس والتقاليد والعادات والارض حتى لا يكذبوا من وراءهم •• ومن المستشفيات والمدارس ودور القنصليات بدأت الهجمات الاولى ، وبها كان يتستر هذا الغزو ، وفي غرفها وأبهائها كان يحتمي •• وانك لتنظر في كل ما صدر من دراسات اجنبية عن أى جزء من أجزاء وطننا العربي وبخاصة

في الفترة المبكرة فلا تجد ان واحدة من هذه الدراسات كانت مجردة عن الهوى ، مجردة من الغرض ، مقطوعة الاسباب بهذا الاستعمار الذى بُلينا به أو ممهدة له •• ان كل حقيقة سمَّوها حقيقة علمية كانت تسميما للابار الداخلية في المجتمع العربي ومعالم تنصب على طريق الغزاة •• وكان لهذه الحقائق التي سموها علما مهمة مزدوجة : كانت تضيء الطريق للغزو وكانت تقطع الطريق على الدفاع •• كانت لاولئك الغزاة تمهيدا ، وكانت لهؤلاء المغزوّين إضعافا وتشتيتا •• ولم يغفل هذا الغزو الفكرى جانبا من الحياة ولم يغمض عن جانب •• فقد وغل في اللغة واللهجة ، في العقيدة والطريقة ، في الحياة والمجتمع في الاجناس والدماء ، في الطوائف والمذاهب ، في التاريخ القديم الموغل وفي التاريخ الجديد ، في الارض آثارها وطبيعتها •• والى كل منحى يتصل باذهان الناس ونفوسهم كان يمتد هذا الغزو الفكري في حذق منه وغفلة من السكان الطيبين •

وهل نحتاج ان ندلّ على ميادينه في هذين القرنين الاخيرين ؟•• اننا لا نزال نعيش فيه ونعاني من أثره على أشكال متصلة متجددة •• اننا نتعرض لاسلحته ونعاني غاراته ونكابد شداته •• انه في حياتنا الفكرية والشعورية على السواء ، في حياتنا الداخلية على نحو ما هو في حياتنا الخارجية •• انه في هدر المشخصات العربية ، في عيب اللغة ، في النقمة على الماضي ، في الانصراف عن التراث ، في التشكيك بالمثل الاعلى العربي ، الذى يتمثل بالاتجاه نحو المروءة عند الرجل والعفة عند المرأة ، انه حتى في اهدار الحرف العربي في قيمه التعبيرية والتزيينية••وانه كذلك في الابقاء على مظاهر الجمود ومخلفات الانحطاط المتبقية عن عصور الجمود والحفاظ عليها باسم السياحة والفولكور والإطراف والقطع النادر•• انه في مئات من مظاهر النشاط الانساني ومئات من مظاهر السلوك الفردى والاجتماعي •• ان جوانب واسعة من هذا المناخ الفكرى والفني الذي نعيش فيه متسممة به •• في كل واد أثر منه •• فقد كان قنبلة قذرة لا حدّ لقذارتها ، تحمل أنواع الجرائم والعدوى •• ولم يكن هناك في هيروشيما ، ولكنه كان هنا في وطننا كله : من المحيط الى الخليج •

٢ ـ مراحل هذا الغزو

ويتخذ هذا الغزو الفكرى طريقه في مرحلتين اثنتين :

اولاهما هذه المرحلة التي ينظر فيها في تكويننا الفكرى الخاص وفي كل مشخصات هذا التكوين من تراث أصيل ، وتقاليد مضيئة ، وفن خصب ، وحياة أخلاقية رائعة ، ومثل انساني رفيع ، فيحاول ان يزعزع هذا التكوين حين يشوه التراث ، ويبدد التقاليد ، ويشكك في الاخلاقية ، ويثير الغبار حول المثل الاعلى •

والاخرى هذه التي تحمل الينا الفكرة والرأى ، وتنقل الينا العقيدة والسلوك ، وتغرينا بالمذهب والوجهة •• كل ذلك على سبيل البديل •

وهاتان المرحلتان من مراحل الغزو الفكري متكاملتان : احداهما ـ اذا استعرنا التعبير العسكري ـ تحدث الفراغ عن طرق مختلفات : عن طريق القرف والتشكيك والزراية والعيب أو عن طريق معطيات بعض الافكار الخاطئة أو عن طريق المقايسة القلقة التي تنسى الفروق بين ما كان في اوربا وما كان في الشرق ، أو باسم بعض الحقائق العلمية التي لا يجد الفكر العربي ـ والشرقي بعامة ـ فرصه الكافية لامتحانها بحكم الغلبة السياسية والفكرية والعسكرية للقوى الاجنبية الجامحة وانما هو يسلم بها تسليما مطلقا في النطاق العلمي ويسلم بها تسليم الآخذ بها في نطاق الدراسات الانسانية دون أن يحاول مناقشتها أو امتحانها •

فاذا أحدث الغزو الفكري هذا الفراغ اندفع بعد ذلك يملؤه هو على النحو الذي يرى أنه يضمن له الغلبة ويؤكد السيطرة •• لا يملؤه أفكارا وانما يملؤه دعاوى ، ولا يسكب فيه الحقائق وانما يهيل فيه الظلال ، ولا يتيح له أن يكون ـ وهو يسوق اليه الغذاء ـ في موقف المتفاعل معه وانما يكرهه على أن يكون في موقف المتلقي له •• ولا يبيح له مناقشته وانما يبيح له متابعته •• على ما يحفظ له هو حق السيطرة أو على النحو الذي يقلب معه الافكار الى عصي تسوق المفكرين ولا ترشدهم وتدفعهم ولا تستمهلهم •

ونحن لا نخشى في الغزو الفكرى هذه المرحلة الثانية حين يحمل الينا الرأى ـ أيا كان ـ بمقدار ما نخشى المرحلة الاولى التي تحقق الفراغ أمام هذه الاراء •• ذلك لان الفراغ هو الذى يتيح التمكن وحيث استطيع ان احتفظ بشخصيتي الفكرية استطيع ان أكون آمنا مهما يكن من شأن الفكر الوافد لانني استطيع ان استصفي خيره وان ادفع شره

ان خلق الفراغ هو اخطر المرحلتين لانه تمهيد مؤكد لانتصار هذا الغزو •• انه إضعاف للقوى التي تستطيع ان تقابل الفكرة بالفكرة والرأى بالرأى والمنهج بالمنهج أو ان تتيح لهما أن يتلاقيا أو يتقابلا او يتفاعلا •

ولقد شهد جيلنا هاتين المرحلتين للغزو الفكرى على السواء : شهد مرحلة التشكيك والتفريغ ، وشهد مرحلة التزوير والخديعة •• فهناك اولئك الذين انفصلوا عن ذواتهم واولئك الذين ذابو أو كادوا في ذوات غيرهم •• اولئك الذين سلخت جلودهم وأولئك الذين ركبت لهم جلود غيرها •• والذين كانت لهم رؤوس ثم أديرت رؤوسهم الى الوراء أو الى الاسفل فاذا هي في مكان أقدامهم أو بين أرجلهم •• ان رصد الحياة النفسية والفكرية على السواء لهذا الجيل العربي يعطي نماذج واضحة وكثيرة على طول الحياة العربية لهذين المسارين المتكاملين •

والامثلة الامثلة أكثر من أن يتسع لها مجال •• ولكني أرجو ان اعرض هذا المثل القصير الذى شهدته في بلد عربي ، في واحدة من العواصم العلمية التي زرتها ، فقد كنت استمع الى محاضرة ألقاها شاب من شباب هذا الجيل المتطلع القلق فيها كل ما عند الشباب من اهتمامات واماني وكل ما عنده كذلك من اندفاع ورغبة ، ولذلك جاءت المحاضرة وفيها نظرات لا تكاد تغادر جانبا من جوانب الحياة الفكرية او النفسية او السياسية •• من العقيدة الى الزي ، ومن نظام الحكم الى رصف الشوارع •• ومن سلامة اللغة الى حركة المواصلات •• اكداس من القضايا التي أثيرت وفيها الخطير الخطير •• فماذا كان من اثرها عند الذين أتيحت لهم بعد ذلك مناقشتها ؟

ان واحدة من القضايا الخطيرة لم تلفت واحدا من ثلاثمائة شاب كانوا يستمعون اليها •• ولكن قضية واحدة فرعية أثارت العدد الكبير من المناقشين •• وكانت تلك قضية التجريدية والتكعيبية في بعض اللوحات العربية المعاصرة عند بعض الفنانين العرب •• لا الايمان ولا التعريب ولا مشاكل المجتمع ولا النظام السياسي ولا اتجاه التدريس ولا حركة التعليم أثار أحدا ولكن المدرسة التجريدية وحدها هي التي أثارت هؤلاء الذين يمثلون هذا الجيل في هذه العاصمة •• وكان معها ـ حتى أكون اكثر دقة ـ قضية أخرى تتصل ببعض آراء سارتر في الحياة الادبية •

ولست أحتاج أن أقول ان المناقشة دارت في اطار من السذاجة أحيانا •• ذلك لان هذه الكثرة قد فُرغت على نحو ما من محتواها ، من مشكلاتها ، من مشخصاتها ، من كل ما يتصل بوجودها الذهني الاصيل ، ووجودها النفسي الخصب ، من حاضرها وماضيها ومن مستقبلها كذلك لتُملأ أذهانها عن طريق الصحافة والمعارض والاذاعة بالحديث عن التجريدية والتكعيبية والرمزية من غير إدراك الى ان هذا الحديث نهايات لاشياء ضخمة وراءها وليس بدايات •• انه نهايات لمعاناة شعوب كاملة لمشكلاتها وليست بداية لها •

وكذلك ترون كيف يعمل هذا الغزو الفكري •• انه يعمل ذلك في الحياة الذهنية كما يعمله في الحياة اللغوية أو الادبية مثلا •• ان الفراغ اللغوي الذي صنعته هذه الغزوات في المغرب هو الذى أتاح للاستعمار ان يزرع في هذا الخواء لغته الغربية وان يحاول اخضاع الملايين من الناس أجيالا متعاقبات لهذا التنافر الاليم بين حركة الوجدان وحركة اللسان ، بين عمل الفكر وبين عمل اللغة في التعبير عن هذا الفكر •

٣ ـ الاهداف الكبرى لهذا الغزو

ان تبين أهداف هذا الغزو وراء المظاهر الجزئية الكثيرة التي نلمحه فيها هو الذي يجب أن نتعرف اليه حتى نكون على بينه واضحة منه ، فلا نؤخذ بالتفاصيل والمماحكة فيها والمناقشة حولها •• ان التفاصيل قد تثير شيئا كثيرا من العناد الشخصي ، ويؤدي العناد الشخصي الى حجب الحقيقة الاصيلة ، وتنحجب الحقيقة فنقع في الضلال •

هذا الى ان معرفة هذه الاهداف هو الذي يمكن لنا من أن نحكم موقفنا منها ، وان نضبط جهودنا في مدافعة ما ندافع منها •

ومن حسن حظ هذا الجيل أن معرفة هذه الاهداف لم تعد ـ بعد أحداث القرنين الاخيرين بخاصة ـ غامضة •• لقد بدت كما يبدو الليل لكل ذي عينين ، وتعرت في كثير من المواقف عن هالاتها المصطنعة وصلاحها المزعوم وتظاهرها بخدمة الحقيقة •• وأضحى واضحا ان هنالك هـذه الاهداف الاربعة الكبرى للغزو الفكري :

الهدف الاول : الاشعار بالعجز

ان من اهداف الغزو الفكري أن يشعرنا ، جماعات وافرادا ، بالعجز •• وشعور الجماعة بعجزها وتضخيم هذا الشعور أثقل الادوار التي تصاب بها •• ولذلك سلك الغزو الفكرى الى هذه الغاية كل سبيل •• انه يحاول أن يؤكد على « الدور » الذي يزعم انه كان له في نهضتنا الجديدة •• انه يزرع في نفوسنا أننا عرفنا تاريخنا به ، ومهدنا الطريق الى أدبنا عن طريقه ، وبفضل جهوده وبعض مدارسه وبعثاته كانت عندنا هذه المعاجم أو هذه الحركة اللغوية •• وبالذي ينقل الينا من معطيات حضارته نعيش •

انه ليذهب في تأكيد هذا العجز وتضخيمه خطوات أخرى بعيدة ، فيحاول ان يؤصل عندنا ان هذه الحضارة التي نفتتن بها حقا ليست حضارة جديدة مرتجلة سريعة في وسع الشعوب الاخرى الناشئة أن تسهم بها ••

وانما هي بنت القرون والقرون •• بنت التاريخ البعيد ، بنت يونان •• ومن أين لنا أن نلحق بها !؟

انه يسقط كل مراحل التطور الانساني مروراً بالحضارة الاسلامية العظيمة ليصل بين يونان أمس واوربا اليوم من غير اهتمام بالحلقات الوسطى النامية بينهما •• حتى لا تكون هذه الحلقات الاصيلة شاهدا على نسبنا الحضاري •

وكذلك يكون من شأن كل هذه القالات والافكار التي تتنوع اليها الطرق أن يرث جيلنا هذا شعوراً مبهما بالعجز تتظاهر على دعمه آراء وافكار واحاديث ، غرضها ان تجعله لا يندفع ولكنه يتهالك ، ولا يعمل لكنه ينتظر أن يعمل له الاخرون ، ولا يفكر ولا يتفلسف وانما يتلقى الافكار والفلسفات جاهزة •• وحسبه أن تكون كثرته الغالبة تعمل وهي من وراء المحراث ، وقلته القليلة تتلقى وهي من وراء المكاتب •

ومن هنا كانت بعض هذه المظاهر التي نلمحها في نطاق هذا الهدف فاذا رجل الفن في حياتنا الفنية هو الذى يصل الاسباب بين فنه وبين واحد من الاتجاهات الاجنبية المحدثة على غير صلة نفسه وذهنه وواقعه بها •• واذا رجل الادب في حياتنا الادبية هو الذي يستطيع اذا انتج أن يكون في انتاجه ما يقارب بينه وبين انتاج اديب اجنبي آخر نعرف عنه انه في مستوى القمة •• واذا الانسان المثقف في اصطلاحنا هو الذي يكون أول المتحدثين عن كتاب جديد في موضوع يوشك أن يكون منقطع الاسباب بالحياة العربية في كل وجوهها ، في واقعها أو في تطلعها •• ان مثل هذه المظاهر الخادعة كثيراً ما تتحكم فينا وتحاول ان تبسط ظلها المرهق كسحابة متجهمة في اجوائنا ، لولا أن اذهانا واعية واقلاما حرة تحاول أن تحول بين هذه الايحاءات وبين تشبثها بنا وسيطرتها علينا •

الهدف الثاني : التبعية

هدف الغزو الفكري لا يخالف عن هدف الغزو المادى •• انه كذلك يتجه الى أن يكون الخاضعون له والواقعون فيه ناسا من الناس الذين

لا هوية لهم •• لا يرتبطون بشيء أصيل ، ولا تقوم لهم خصائص •• اذا رجعوا الى حياتهم لم يكن لهم ، في أعينهم ، في هذه الحياة وجود متميز ، واذا نظروا الى نفوسهم لم يكن لهم ملامح يتفردون بها •• انهم لا ينتجون التفكير ولكنهم يستهلكون بعض مظاهره القريبة •• ان مهمة هذا الغزو بعد الاشعار بالعجز ان يرمي هذا الجيل من الناس في أحضان التبعية وان يسوقه الى رقبتها تتحكم فيه •

انه يريد الناس أتباعا له لا أندادا ولا اخوانا ولا شركاء •• يطعمهم من نفاية ما يطعم ، ويشربهم مجاجة ما يشرب ، ويضع بين ايديهم الشيء الذي عفا عليه الزمن •

انه لا يريد ان يكتسبوا تجاربه ولكنه يريد ان يضللهم في مساق التجارب •• لايدلهم على أقصر الطريق ولكنه يلوي الطريق بين أيديهم •• ولا يبيح لهم أن يعرفوا من الامور إلا ما يريد ان يصل اليهم •

انه يعلم ان الذي يصلح له والذي يصلح لغيره ، الذى يتداوى به هو والذى يمكن أن يتداوى به غيره ولكنه يحاول ان يفرض عليهم غير ما يصلح لهم وغير ما يتداوون به •• لا لشيء الا ليجعل منهم في النهاية اتباعا •

ان أخشاه ما يخشاه الاجنبي اليوم أن تنشأ في هذا العالم الجديد ـ العالم الجديد هو كل هذا العالم النامي ـ هذه القوى الجديدة •• وكما يخشى أفريقية ثروة ويخشى آسية ثورة ، فانه يخشى أفريقية وآسية معا دنيا جديدة لا تنقاد اليه ولا تنطوي تحت جناحيه •• انه يعاني أزمته ، ويعاني فوق ذلك أزمة الخوف ، ولكنه لا يجبن •• ولذلك يحاول أن يقذف هذا العالم الناشيء بكل محاولات التبعية ليكون رديفا له •• يريد أن يقتل فيه شخصيته المتميزة ليكون شخصية ممسوخة عنه •• ولو أراده مثله لكان هنالك مجال لحديث ، ولكنه يريده الظل التابع الممسوخ أو الظل المتقدم المشوه ، ولكنه ظل موهوم على كل حال مهما يكن من طوله أو قصره •

هذه التبعية هي التى يريدها الاجنبي ، يريدهـــا في جامعاته التي ينشئها ودراساته التي يقوم بها وثقافته التي يصدرها •• انه يتطلع اليهـا على أنها عنوان نجاته ، وسيظل يهدف دائما الى ان يمسك بغطاء القمقم لان هذا المارد ان انطلق فسيكون له رأى آخر في سير العالم •

واذا كان الغزو الفكري ، أيا كان ، يريد العالم الجديد ، أقصد العالم النامي ، تبعا له مرة ، فانه يريده ، بالقياس الى الوطن العربي ، مرات مضاعفات •• يعمل له هنالك مرة ويعمل له هنا عشرين مرة •• يجهد في سبيله هناك باكثر القوة ويجهد في سبيله هنا بالقوة كلها •• ذلك أنه يعلم ان هذا الوطن العربي لا ينهض على غير سابق حضارة ، وفارط نهضة ، ومتقدم علم •• وانما يقوم على أسس من الحق مكينة ، وعلى دعائم من الثقافة متينة ، وعلى ركائز من الخلق رصينة ، وعلى موصول من الثقافة عميق الجذور بعيد المدى •• ثم هو يعـــرف أنه يقوم على أساس من احياء ذلك ونشره ، وعلى أساس من تجديده وصقله ، وعلى اساس من الاحساس بالرسالة والشعور بالمسؤولية وريادة العالم •• ولذلك فهو يخشاه فوق ما يخشى أى شيء غيره ، ولذلك فهو يحذره فوق ما يحذر سواه ويعدّ له من القوى فوق ما يعد لكل وطـن آخر •• انه يدرك ، فوق ذلك ، مكانه من العالم أرضا ، ومن العالم رسالة ، ومـن العالم ريادة وقيادة •• ويعرف أنه امة من مائة مليون يظاهرها اربعمائة مليون ولذلك يدخر له من العداء مثل الذي يتوازى مع مستقبله المرموق ودنياه المنشودة •• فلا عجب اذا هو وضع ، بعد ذلك ، تبعية هذا الوطن له في أبرز مشروعاته ومخططاته •

الهدف الثالث : التفتيت

والغزو الفكري ، أيا كان ، يعرف ان هنالك غاية اخرى ، مع التبعية ووراءها ، هي في هذا التفتيت للوطن العربي أرضا وناسا وهذا التمزيق له روحا وتاريخا •• ان التفتيت أمضى الاسلحة في يده وأقواها ، واشدها ، وأعتاها ،

انه ليستعمل هذا السلاح في ذكاء وفي خبث معا ، وانه ليداور به ويحاور حينا ، ويرمي فيقصد حينا ، ويطعن فينفذ الطعنة في كل الاحايين •• ان مهارته في استعمال هذا السلاح أنه يسقيه السم حتى يرويه ثم يضع من فوقه الشهد لمن يحبون الشهد ، و « الشوكولاته » لمن يحبون «الشكولاته» وحبات الخزر ومرايا البلور يبيعها على السواحل للذين يحبون الخزر الملون ويسرهم أن ينظروا في مرآة من بلور •• ثم يقول في خبث مكشوف انه يقدم للناس ما يشتهون على حين يقدم الموت الذي يشتهى لهم •• وعن طريق التعرف اليهم يثير نعراتهم ، وعن طريق دراستهم يفرق كلمتهم ، وعن طريق لهجاتهم يفسد لغاتهم ، وعن طريق دينهم يثير عصبيتهم ، وعن طريق وحدتهم الجامعة يفرق وحدتهم •• انه يأتيهم من الطريق ليصل بهم الى الطريق المضاد •

هل تحبون أن اتحدث اليكم ايها السادة عن هذا التفتيت ؟•• اني لا أريد أن اتحدث عن امثلة من التفتيت المادى فنحن في الحديث عن الغزو الفكري •• ولكن الغزو الفكري والمادي يسيران في خطين متوازيين دائما وان قصر أحدهما عن الاخر أو امتد بعيداً عنه •• ان احد الخطين يغيب احيانا ويظهر الثاني ، ولكن ما لم يكن موجودا منه بالفعل فانه موجود بالقوة ، فاسمحوا لي اذن أن يكون مثلي الذي اسوقه من زاوية الغزو المادي •

خذوا بايديكم خريطة هذا العالم الجديد النامي •• فهل هنالك الا التجزئة ؟ من البحر الصيني الى بحر الظلمات هل هنالك الا التفتيت ؟•• الشرق ادنى وأوسط ، والمغرب أقصى وأدنى ، وافريقية سوداء وبيضاء ، والولاية التي كانت واحدة آلت عددا من الدول ، والجزيرة الواحدة أقطار ، والقطر الواحد اجزاء ، وما هو على المتوسط غير ما هو على اكتاف الصحراء ، والناس صحراويون وساحليون ، بدو رحل ومقيمون ، مدريون ووبريون ، حاميون وساميون •• كل قطعة أرض قابلة للتجزئة ، وكل معلم يصلح أن يكون حدا بين دولتين جديدتين حتى ولو كان نهرا لا ماء فيه ، أو جبلا لا ذكر له •• كل رملة صحراء ، وكل ارض دولة ،

وكل مدينة كيان لانه كان منها ذات مرة شاعر أو كانت لها لهجة •• والويل للذين لا يصدقون لان وراءهم أكداسا من العلماء الذين أعدوا ليثبتوا أن هذه المنطقة تختلف عن تلك في أنها تستعمل اسم الموصول أو حرف المضارعة استعمالا خاصا ولذلك فهي جديرة أن تقتطع وأن تميز وأن تفصل عن اخوتها •• والا فان الذين يعارضون ذلك يكفرون باساليب العلم ومعطيات البحث •

ثم لماذا اتحدث اليكم عن التفتيت في الغزو المادى ؟ •• أليست أمثلة التفتيت في الغزو الفكرى أشد وآلم ، وأوضح وانكى ؟•• ألسنا نشهد هذا التفتيت في كل بلد عربي •• من المغرب الى المشرق تستطيع أن تتتبع سلسلة من البدع والزندقات الجديدة : العرب والبربر ، والافارقة السود والافارقة البيض ، العربية واللهجات ، الطوائف والاقليات والعصبيات •• لم يدعوا بلداً من غير فتنة ، وانظروا تروا ، فما سامع كمن رأى •

ان الغزو الفكري في جملته قائم على تغذية كل ما يفتت الجماعة الواحدة ، وعلى اختلاق كل ما يساعد على تفتيتها •

الهدف الرابع : الفتنة

هنالك دائما في مخططات الغزو الفكري أن يفتن الناس وأن يشتد في فتنتهم ، أن يدفع بينهم البغضاء حتى لا تقوم لهم قيامة ، فلا تخلو الجماعة الى أثقالها تتخلص منها وانما تزيد عليها أثقالا فوق اثقالها ، ولا تطرد عنها الظلمات وانما تكون الظلمات بعضها فوق بعض •• وتحاول أن تتقدم فتجد ان لونا من ألوان هذه الفتنة ـ وهي ألوان لا تنتهي ـ تطل عليها ثم تقترب منها ثم تحط فوقها في ثقل الصخر وحرارة الجمر فتكاد تصعد أنفاسها •• فاذا هي تنصرف الى معالجة هذا البلاء الطارىء عن البلاء الاصيل• ومن هذه الفتن ما يتصل بالحياة ومنها ما يتصل بالمجتمع ، منها ما يتصل بالعقيدة ومنها ما يتصل باللغة •• بل ان منها ما يشبه أن يكون زرع العناصر الغريبة في حياة الجماعة لتكون مصدر ازعاج لها على نحو ما تزرع

الجراثيم المرضية في جسم حي •• الذي تم في فلسطين المحتلة مثلا في النطاق المادى يتم نحو منه لا يكاد يفترق عنه في شيء في النحو المعنوي •• فهم في فلسطين زرعوا هذا الاخطبوط بين شطري الوطن العربي ، في قلب هذا النسر ذى الجناحين غرزوا هذا السهم ثم قالوا للنسر لن تطير •• ومثل ذلك من غير أي فرق وعلى نحو أشد شناعة وبشاعة زرعوا بعض الافكار في المغرب حين أثاروا العربية والبربرية وفي المشرق حين أثاروا العربية والكردية •• بل ألا تخشون أن يحاولوا أن يثيروا قصة اليمنية والقيسية على نحو من الانحاء ؟•• باويلهم ـ عفوكم لقد اخطأت التعبير ـ يا ويلنا نحن ان نمنا على السهم المغروز طرفة جفن •

٤ – موقف الادب من هذا الغزو

تلك أيها السادة اهداف الغزو الفكرى أو بعض اهدافه • فماذا يكون موقف الادب والادباء منها ؟ أترون أني أطلت في شق الموضوع الاول ؟•• ولكن شقه الاخر هذا ليس الا نظيرا معاكسا له • اني لم أعطكم طرف الموضوع ولكني أعطيتكم في لحظة واحدة طرفيه معا •• أن موقف الادب والادباء هو على النقيض من هذه الاهداف ، على الطرف الاخر المعاكس لها •• اني واثق أنكم أدركتم هذا الموقف ، ومع ذلك فلننتقل اليه لنتحدث عنه •

وأحب قبلُ أن استأذنكم في ملاحظة صغيرة ولكنها جديرة بالاهتمام ونحن نجوز العدوة الى العدوة الاخرى •• ذلك أننا حين نتحدث عن موقف الادب والادباء فنحن لا نتحدث بحال عن واجب من واجبات الادب او واجبات حملته •• اننا لا نعرف اسلوب « التجنيد » هذا ولا نؤمن به •• لا لاننا لا نؤمن بالواجب ، فمنه ننطلق وبه نتميز وعليه نحيا ، ولكن لان هذا الواجب لا يصل الينا من فوق ، لا يأتي من خارج ذواتنا وانما ينطلق من اعماقنا أو بما ينعكس عن أعماقنا •• انه ليس حلية ولكنه عضوية من عضوياتنا ، وليس زينة ولكنه وجود من وجودنا ، لا نتكلفه

وانما نصدر عنه ، ولا ننفعل به وانما هو الذي يكوّن انفعالاتنا ، ولا نريده وانما هو ارادتنا ، ولا نحاول أن نجده وانما هو وجداننا •• انه هو كل كياننا النفسي •• ان الموقف الذى نتحدث عنه هو نحن •

وراء هذه الملاحظة نستطيع ان نقول ان موقفنا كما قدمت ، يتلخص في انه نقض وبناء •• نقض لاهداف الغزو الفكري وبناء في آن واحد للحياة الجديدة التي تريد ان تقطع الطريق على هذا الغزو •

- ١ -

فاذا كان الغزو الفكرى ، أيا كان ، يهدف الى الاشعار بالعجز ، والتبعية ، والتفتيت ، والفتنة •• فماذا يكون موقفنا المعاكس ؟

اننا من حيث نحن انسانيون نؤمن بالفرد في نطاق الاسرة ، وبالاسرة في نطاق المجتمع ، وبالمجتمع الصغير في نطاق المجتمع الكبير ، وبالمجتمع الكبير في نطاق الانسانية ، وبالانسانية في الحياة الدنيا في نطاق الايمان بالحياة الآخرة •• اننا من حيث نحن ناس نؤمن بهذا التسلسل الذي ينسرب فيه هذان الاتجاهات متوازيين ومتكاملين : من الانسان الفرد ـ مرورا بالاسرة والوطن والعالم ـ الى الله ، ومن الله مرورا بالعالم والوطن والاسرة ـ الى الانسان الفرد •• اننا من حيث نحن ناس نؤمن بهذا الطريق المزدوج ـ المنفرد متساوقون ، من غير أي توقف أو تردد الى مناقضة اهداف هذا الغزو الفكرى مناقضة كاملة ، حماية منا للفكر نفسه : فكر الانسانية كلها ، أن يتخذ مطية ذلولا للشهوات والاستعماريات والدنيويات والسيطرات •

ان الادباء ـ وفي وطننا العربي وفي العالم الجديد كله ـ لا يؤمنون بالعجز الذى يريد الغزو الفكرى أن يحملهم عليه •• انهم يصدرون دائما ، تفكيرا وتعبيرا ، عن ايمان بأنه ليس هنالك متخلفون ومتقدمون •• بل بان هنالك ظروفا فرضت التقدم ؟ وأخرى ، قابلة للتغيير ، فرضت

التأخر •• وليس هنالك متمدنون ومتوحشون •• ليس هنالك عبقرية بيضاء ولا قصور أسود •• ان كل محاولة لاشعار جماعة ما من الجماعات بالعجز انما هي خيانة عريقة للانسانية •• والادب في وطننا انما يصدر عـــن محاربة لمظاهر العجز لا عن تثبيت له ، عن نقض لاسبابه لا عن اقتناع بها •• عن انكار له لا عن رضى بواقعه ، عن ثورة على كل معانيه لا عن سكوت عنه •• والادباء ، والادباء العرب بخاصة ، يؤمنون أن الحضارة الحديثة ليست حضارة اوربا ولا حضارة أمريكا •• ان الحلقة الاخيرة أو الحلقات الاخيرة لن تكون من هناك أو من هنالك ، والحلقات التي تقدمتها والتي جاءت هذه تكملة لها ومتابعة انما هي في ضمير الانســـان العربي راكدة في أعماقه تحتاج من يثيرها ليندفع صاحبها وراء اكتشاف المجهول الذي يندفع اليه العالم •• انها في أعماقه في العلم ، وفي أعماقه في العمل ، وفي أعماقه في العقيدة وفي اعماقه في الفن والفلسفة •• ولا يحتاج الا الى أن يكشف التراب الذى تكدس فوقها ، بعيدا عن افتعال المضاعفات والفتن، ليكون في مكانه من القافلة الانسانية •

ان الادب العربي الجديد انما يهدف في الخارج الى مثل ما يهدف اليه في الداخل : الفرص المتكافئة في الداخل أمام الافراد والفرص المتكافئة في الخارج أمام الشعوب •• العدالة للجماعة الانسانية والعدالة للجماعات الانسانية فيما بينها •• مداواة الجراح التي خلفها الانحطاط والجمـود والتبلد في الوطن ومداواة الجراح التي خلفها أشنع مرض أصيبت بـــه الانسانية ، مرض الاستعمار ، ليلحق بعض الركب الانساني ببعض •• تلك هي اهداف الادب العربي التي تعيش في أعماق ادبائه فيصدرون عنها من غير استسلام لادعاءات العجز وادعاءات القوة •• بل إسلام لدعــوة القوة وحدها : قوة الحق وقوة العلم ، والايمان بان وسائل التقدم العلمي كفيلة أن ترتفع بالشعوب التي تزحف على بطونها الى أبعد المستويات حين يكون العمل سليما صافيا خالصا مخلصا لوجه الله من غـــير استعلاء ولا استثمار ولا تغطية •

- ٢ -

والهدف الثاني في موقف الادباء نقيض الهدف الثاني من أهداف الغزو الفكري •• ان الغزو يهدف الى التبعية ونحن نهدف الى الاعتزاز •• لسنا نفعل ذلك رد فعل منعكس أعمى وانما نفعل ذلك حماية بعيدة لذواتنا الانسانية ووجودنا السليم •• انالتبعية لاتعني شيئا الا الموت ، والادباء العرب والادب العربي لا يعني الا الحياة •• وهو هنا ، في هذا الوجه ، لا يعني الا الاعتزاز والتميز والاعتداد بذاته وبالقوى الانسانية كلها •• ان هذا الاعتداد هو مرادف الارادة السليمة الصحيحة وهو جوهرها •• ومن هنا كان لابد من أن نجدد ايماننا بقول الله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس •• ان ذلك لا يعني أننا فوق كل أمة كما تذهب الى ذلك بعض الدعوات ، ولا أننا الامة المختارة كما تدعى بعض الجماعات •• وانما يعني اننا الامة التي تتجه اكثر ما تتجه الى الخير •• وفي نطاق هذا الفهم يصدر أدبنا العربي وأدباؤنا المحدثون في حياتنا الجديدة عن الايمان بالشخصية المستقلة التي تملك قدراتها والتي تسخر هذه القدرات للعطاء والسماحة ، وتملك مشخصاتها وتدير هذه المشخصات على المروءة والخير والحق ، وتملك مواهبها وتمنح هذه المواهب للفن والجمال والمعرفة •• وهي لذلك لا تعرف التبعية ولا تؤمن بها لا في ذاتها ولا في ذات الجماعات الانسانية الاخرى ، ولا تؤمن بالالحاق ولا الذيول ولا الدرجات والسلالم، وان الفروق حين تكون انما هي عرض طارىء ، وحتى حين تكون حقيقة في الاسرة الانسانية الواحدة فانما هي بمثابة الفروق في الاسرة الواحدة المتحابة المتكاملة •• أدعى الى الافادة منها في الوجوه التي تنفرد بها وأدعى الى المعالجة في الوجوه التي تحتاج الى معالجة وترميم •

ان الايمان بالتميز ضد التبعية لا يعني تميز الاستعلاء وانما يعني — في هذه الفترة وفي مواجهة التبعية — التميز الذي يطمح الى المساواة ان صح هذا التعبير ••

- ٣ -

موقف ثالث يقفه الادب العربي المعاصر من الغزو الفكري •• ان الغزو الفكري يهدف الى التفتيت والادب العربي المعاصر ، معرفة منه بماضيه وواقعه ، وحدسا منه بمصيره ومستقبله ، يدعو الى الوحدة ويعمل لها •• وانه يؤمن ان التوحيد كان دائما نجمة الصبح في ركب القافلة العربية يهديها ويدفع عنها الضلالات •• وقد انتهى في وعيه وفي أعماق لا وعيه الى أن هنالك دائما هذه الحقيقة الازلية الخالدة في حياة العرب والعربية منذ كانت حتى تكون الساعة •• هذه الحقيقة التي ترتسم على الافق العربي مع كل اطلالة صباح واطلالة مساء وتبدو في وهج الظهيرة وفي ماتع الضحى وفي الاصائل والبكور ، في اليوم القاتم وفي اليوم الصائم ، وتبدو للسميع وتبدو للبصير ، تؤكد أنه في كل مرة تكون فيها الوحدة تتحقق كل معاني الرسالة الانسانية التي يحملها العرب أو تسلك الى تحقيقها الطريق •• وفي كل مرة يحيد فيها الركب العربي عن هذه الوحدة الى غيرها أو يجادل فيها أو يستخدم اساليب من اساليب النفاق أو المكر او الخديعة فيها انما ينحرف عن ذاته ، عن مساره الطبيعي الذي خلقه الله له الى مسار من ضلالات وضعف •• بل لعل هذا هو الذي اراده الله تعالى ـ أيها السادة ـ حين دعا الى التوحيد •• ان التوحيد لغة السماء لاهل الارض ، والوحدة لغة الارض •• فاذا قالوا غير ذلك فقل لهم : انتهوا خير لكم •

العربية لغة ، والقرآن كتابا ، وتعاليم الاسلام لمن اراده من بني العربية ، وريادة العالم بهذا الركب كله في طريق الحق والخير ، تلك هي معالم هذه الوحدة ضد الهجمات والهرتقات والزندقات والعصبيات والعنصريات ، ضد كل خروج مدروس أو غير مدروس •• في عالم متفتح على الانسانية كلها ، متسابق معها الى الخير ، وفي محاولة لتحقيق أن يكون هذا الركب ـ ما وسعه ذلك ـ خير أمة أخرجت للناس •

انا في ذلك لسنا أعداء لاحد •• انا أوفياء لذواتنا ، أعداء للذين يكرون علينا ذواتنا •• اصدقاء لوجودنا أعداء للذين يهدمون وجودنا •• اصدقاء لتاريخنا أعداء للذين لا يـرون من هذا التاريخ الا سقطاته •• بناءون ايجابيون لمستقبلنا على أنه جزء من مستقبل الانسانية السعيدة اعداء لكل الـذين يضعـون في طريق الانســانية اشــواكا مسمومة من المكـر والخداع •• أصدقاء للخير حيث يكون الخير ، أعداء للشر حيث يكون الشر •• في نطاق من إيحاء الآية الخالدة : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة •

- ٤ -

وموقف الادب العربي من الهدف الرابع للغزو الفكري وهو اشاعة الفتنة موقف النقيض كذلك •• ذلك انه اذا كان الغزو الفكري تخريبي في حقيقته البعيدة يرمي الى الفتنة ويَشْغل بها ويصرف الجماعـات عن معالجة مشاكلها الخاصة التي تحول بينها وبين النهوض الى معالجة مشاكل فرعية يختلقها ، وفتن يؤججها ، وبدع يقذف بها •• اذا كان الاستعمار الاخطبوط يمد في كل يوم ذراعا جديدة فان الادب العربي يقف هنـا موقف مزدوجا : يطفىء الفتنة من نحو ويعفي على آثارها بالعمـل المثمر من نحو آخر •• انه لا يسعه أن يخرس الفتنة وانما يسعه أن يغرس مكانها المودة حتى يستوي له أن يعفي عليها •• ان كل مظهر من مظاهر الفتنة مجتلب مختلق ، ولذلك يسعى الادب العربي والادباء العرب في هذا الجيل الى أن يعودوا دائما الى الاصول السمحة الاولى يأخـذون بها ويدعون اليها ويجعلون منها موازين للعمل والحياة •• ذلك لان الاصل في الحياة العربية انما هو الخير ، بل ان الخير انما هو مبرر وجودها •• والفتنة شر •• ولذلك لن يدع الادباء العرب فيما ينشئون سبيلا الى غلبة الشر المجتلب الذي يبتعثه الغزو الفكري على الخير الذى هو آصل ما في

حياتهم وأفواه •• انهم جديرون أن يكونوا حذرين أمام هذه الفتن كأشد ما يكون الحذر ذلك لانها أحيانا كقطع الليل المظلم تحاول أن تسد عليهم الافق فلا يجدون فرارا منها الا اذا نظروا نجمة الصبح وعرفوا موقفها •• والفتن التي يحملها الغزو الفكري لا تصرح ولا تواجـــه وانما تداري وتحاول أن تستدرج الناس اليها ، خاصة الناس وعامتهـــم •• والادب العربي والاديب العربي من حقه ومن طبيعته أن يكون شديد الذكاء شديد الحساسية كامل التنبه لقيمه الاصيلة فلا يضل ولا يزل ولا يُستدرج ، وانما يحمي نفسه ويحمي بأصالته وألمعيته الجماعة العربية كلها ، فينبهها ويثيرعندها حس الاحتراس •• والكلمة الطيبة التي وكل اليه أمرها هي الكلمة التي تحمل في بردها اطفاء الفتن •• وما أجدره أن يكون حريصا عليها •

* * *

وبعد فهذه أهداف الغزو الفكري وهذه مواقف الادب العربي منها •• انها ، كما قدمت ليست مواقف سلبية ولا ردود فعل منعكسة •• انهـــا موقف بصير ، سليم ، قائم على أن النقيض يداوى بالنقيض لا لمجـــرد المناقضة ، بل لان النقيض الاول طعنة في الصميم والنقيض له دفاع عن هذا الصميم •• النقيض المهاجم محاولة للنيل من هذا الوجود حينا ومسخه حينا وتشويهه حينا آخر ، والنقيض الادبي العربي حماية لهذا الوجود من أن يمسخ أو يشوه •

لقد قلت ان الادباء العرب ـ وهم الطليعة ـ انما يقاومون الغـــزو الفكري بأهداف نقف لها على الطرف الاخر وتكشف زيفهـــا وتبطـــل عملها •• ولكن ذلك لا يكفي •• انه اول الطريق ، ولابد للطليعة العربية بعد ذلك من أن تتابع الخطى علی الطريق ، من أن تسير أشواطا بعيـدة الى الامام في بناء الحياة العربية الجديدة •• انها حين تدافع عنها تحميها ، ولكنها مسؤولة كذلك ـ باختيار منها ورضى وعن طواعية وايمان ـ أن تنصرف الى عملية البناء •• ان تزاوج بين الدفاع من نحو والبناء مـــن نحو آخر •

وعملية البناء هي الاخرى عملية شاقة ، ولعلها أن تكون أشق واجبات

الطليعة •• ان البناء يقتضي مئات من الجزيئات الكثيرة التي تندرج وراء هذه المواقف •• وما من سبيل الى أن تحصر هذه الجزيئات وأن يتحدث عن كل منها •• ولكن ينتظمها جميعا أن نكون حذرين أشد الحذر في تمييز الجزيئات الرديئة من الجزيئات الصالحة ، والتفريق بين العشب السام وبين العشب النافع •• اننا كثيرا ما نؤتى من هذه التفاصيل وكثيرا ما يلتقي تفكيرنا العام على الكليات ولكنه حين ينداح في الجزيئات يوشك أن يتشتت •• فلا نستطيع أن نفرق بين ما هو غزو فكري وما هو حركة واجبة في طريق التطور •• ما هو عقرب الساعة الذي يجري الى الوراء وما هو عقرب الساعة الذي يجرى الى الامام •• اننا لا نريد أن نحمل على الغزو الفكري ما هو تفاعل مع الفكر الانساني الطيب ، وما هو افادة من التجربة الانسانية الكبرى ، وما هو قدر مشترك بين جمهرة بني الانسان •

ان عملية البناء يجب أن تتم في نطاق قيمة كبرى هي ايماننا بالكلمة الطيبة وبالتقاء النفس العربية للفرد العربي بهذه الكلمة الطيبة واستجابته لها وتفاعله معها •• هذه الكلمة وحدها هي التي تسوق هذا الانسان العربي الى أبعد الآفاق •• من دون الوسائل الاخرى التي يمكن أن تتظاهر عليه •• فالوسائل الاخرى التي تتخذ من القهر والاكراه ليست من طبيعته ولا من تكوينه •• ولعله من أجل ذلك اختار الله له فن القول ومعجزته سبيلا الى الايمان •

ان الادباء مدعوون الى أن يؤصلوا هذه الدعوة الى الكلمة الطيبة في نطاق الحياة الداخلية لجماهير الشعب العربي ، واعتبارها وحدها الطريق الى قلوب هذه الجماهير وتوحيدها •• اما العنف والقهر والاكراه فوسائل تشتيت وتمزيق •

* * *

ايها السادة . ذلك هو الغزو الفكري في أهدافه ، وتلك فيما يبدو مواقف الادب العربي منه ، وقيمه التي يتسلح بها في مقاومته لاعدائه الخارجيين ويتحلى بها في مقاومته لخصومه الداخليين .

وهل يسع الطليعة الادبية التي تحمل هموم الانسان العربي وتطلعه أن تسكت عن هذه الاهداف وأن تتخلى عن هذه المواقف وان تتجرد من هذه القيم ؟

انها قيم تاريخها الطويل ومستقبلها الاطول : تاريخها الذي يذهب بعيدا في الماضي الى اغواره ، ومستقبلها الذي يمتد في المستقبل الى أبعد آماده .

ايها السادة .. انكم لا تبحثون عن موقف .. أنا معكم لا أبحث عن موقف .. انا نؤكد جميعا موقفنا ووجودنا واعتقادنا .

الدكتور شكري فيصل
عضو المجمع العلمي العربي
استاذ كرسي الادب العربي بجامعة دمشق

فاس « ظهر المهراز »
كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة محمد الخامس

الأدب والغزو الفكري

بقلم

عبد الكريم غلاب

كان النقاد القدماء ومقلدوهم من المحدثين يتجهون الى الحديث ـ حينما يريدون ان يؤرخوا عصرا أدبيا ـ عن اسباب ازدهار الادب في ذلك العصر ، ويعودون بظاهرة الازدهار الى ما يفكرون فيه من تلك الاسباب •
ونحن في عصرنا الحاضر نبحث الامن اسباب الازدهار • ولكن عن اسباب التخلف ، عن العوائق التي ضعت الادب العربي عن ان يكون في مستوى الاداب العالمية • عن عوال الهدم التي اسهمت بخط وافر في تقييم الكلمة والسمو بمكانة الحرف ، وجعله طريق الهداية النفسية والفكرية والسلوكية • وهو في مقدمة الاداب العالمية التي تعقمت النفس الانسانية في حبها وبغضها ، ونزقها وغضبها ورضاها ، وسلمها وعدوانها وجورها وطهورها ، وسموها ووضاعتها ، فتحدث عنها ووصفها وكشفها لعشاق الحرف ومحبى الكلمة •

ان أدبنا لم يكن أدب لفظ ولم يكن أدب خطابة وتهريج ، ولم يكن أدبا متخلفا عن العصوا التي عاش فيها ، ورلكن عوامل الهدم التي طوحت بالمجتمعات العربية طيلة الاجيال الماضية اصابت الادب برشاشها فتخلف نتيجة لتخلف المجتمع ، وهو الان يحاول الانصار على التخلف كما يحاول المجتمع ، ولعل من مظاهر هذه المحاولة عقد هذا المؤتمر الذى يبحث ـ فيما يبحث فيه اثر الغزو الفكري في الادب •

ولعل من سخرية الاقدار ان ننسب الغزو الى الفكر ، وان نتحدث عن الغزو الفكرى كما نتحدث عن الغزو العسكرى او الغزو الاقتصادى او الغزو الاستعمارى ، وكأن الفكر وسيلة من وسائل الغزو او كأنه سلاح هدم وهو المعروف عنه انه اداة بناء •

ولكن هذه هي الحقيقة المرة ، فان الفكر استخدم كسلاح للغزو ، لم يكن الغزو من طبيعة ، وانما الذين استغلوه واستخدموه سخروه كما سخروا المعرفة والفنون التقنية والآلة للغزو ، واتخذوها جميعا كما اتخذوا فرقة عسكرية لاحتلال بلد ما واستغلال ممكناتها وتسخير سكانها واستعباد المواطنين فيها •

وكلنا يعرف ان نابليون حينما عزم على احتلال مصر قدم بين يديه مجموعة من العلماء والمفكرين ليمهدوا للغزو نفسيا وعلميا وفكريا ، وان اثرهم كان كبيرا في تقبل طائفة من المصريين لهذا الغـزو ، وفي انسياق طائفة من هؤلاء نفسيا وفكريا لمحاسن الغزو الفرنسي وكلنا يعرف كذلك ان فرنسا حينما اتجهت الى احتلال المغرب العربي قدمت بين يدي جيش الاحتلال جماعة من العلماء والمفكرين والادباء والرحالين والجغرافيين وبعض الذين يتقنون العربية او الذين انقطعوا لتعليم اللهجات البربرية التي يتحدث بها قسم من سكان بلاد المغرب ، ومن المؤسف ان نقول انها قدمت بين يدي جيش الاحتلال مجموعة من الرهبـان سخروا الدين للاحتـلال ، وسخروا بعد ذلك الاحتلال للتبشير بالديانة التي يـدين بهـا المحتلون ، وهؤلاء جميعا مهدوا للاستعمار ، وكانوا هم الجيش الخفى الذى يمهد للمعركة ويخرب الارض الصلدة تحت اقـدام الابطـال الـذين قاومـوا الاستعمار ، وقدموا دماءهم فداء لبلادهم •

فكان الفكر اذن وسيلة من وسائل الغزو ، وكان المفكرون فصيلة في جيش الاحتلال ، ومن سوء الحظ انها كانت اقوى فصيلة مهدت لانهزام الحرية في وطننا العربي •

الاثر الذى تركوه في تحريف المقومات العلمية والحضارية لبلادنـا العربية • فقد نصبوا انفسهم لكتابة تاريخنا فشوهوه ومزقوه وادخلوه في باب تاريخ العصور المظلمة واذا كانوا قد نسوا وتناسوا الجهود الحضارية والفكرية التي بذلها العرب في تاريخهم ، فانهم قد اتجهـوا الى جوانب الضعف في هذا التاريخ فركزوا عليها ابحاثهم ، وبذلك اصبح العـرب

عندهم مجموعة من القبائل تتصارع من اجل الغلبة والصلطة واصبح الحكم والحاكمين عندهم مجموعة من المتسلطين الذين استعبدوا شعوبهم ، واضاعوا كيانها ليستطيعوا استغلالها افظع استغلال ، ولذلك لا غرابة ان تخفض في كتب التاريخ التي كتبها الاستعماليون الجوانب المشرقة في تاريخها لتبرز جوانب الضعف او الجوانب المكذوبة •

وقل مثل ذلك حينما يحدثون عن التراث الحضارى العلمي او الفن او الفكر فانهم يوجهون البحث توجيها استعماريا ، فينكرون على علمائنا الاصالة الفمكرية وكل ما اتوا به انما هو ترجمة او شرح او تكرار للفلسفة اليونانية او للفقه الروماني او لفن المعمار الغربي او لفن النقش والرسم الاسباني او الموسيقى الاجنبية ، وكل اصالة فكرية في أدبنا تعود عندهم الى اصول يونانية او اجنبية على العموم انحدرت اليه بواسطة الوراثة الجنسية عن جر قديم او جرة اعرق في القدم •

ومثل ذلك يقال حينما يقيمون انتاجنا ، فالمغرب عندهم مثلا انما يستطيع ان ينتج في الفقه والجدل اللفظي اما الفلسفة واما فلسفة التاريخ واما الادب ، فهم يعودون باصول ذلك الى تراث اندلس وهو تراث مطعم بفكر غربي وليست عربيا اصيلا رغم ان الحضارة الاندلسية لم تكن في اصلها ومبناها الا حضارة عربية مغربية اصيلة • وما استفادته من اى تراث اخر انما هو من قبيل ما يمكن ان تستفيده اية حضارة من اية حضاة اخرى •

ولا يمكن ان نذكر هؤلاء الباحثين الذين ساروا في ركب الاستعمار او كانوا رواده دون ان تذكر اللغة ، وهى الوسيلة الاولى للفكر – واثرها في الغزو الفكرى ، فقد كانت لغة المستعمر – ونتحدث عن تجربتنا في الغرب المعربي الوسيلة الاولى للغزو الفكرى الاستعمارى ، دخلت بلادنا الا على انها لغة فكر وحضارة وثقافة ، ولكن على انها لغة رفع الامية ولغة حديث ولغة غازية تحل محل اللغة القومية في الحديث والكتابة والمعاملة • واذا كانت قد دخلت المدرسة والادارة فقد غزت كذلك السوق

والمعمل والمصنع والمزرعة والنزل ، وطاردت العربية في كل مجال يمكن ان تتنفس فيه نسيم الحياة • واذا لم تستطع القضاء على لغتنا القومية نهائيا ، فقد كانت اثار مطاردتها قوية عنيفة وخاصة في الجزائر حيث اصبحت اللغة العربية لغة متخلفة لا تستطيع ان تسد حاجتنا الفكرية ولا حاجتنا الحضارية والادارية •

واذا سمع اخواننا في الشرق العربى حملة المواطنين العرب في المغرب من اجل التعريب فلا يستغربوا ، فقد اصبحت العربية في هذه البلاد غريبة من كل مجال فكرى او حاضرى او ادارة ، واصبحنا نتكلم بلغة ونفكر وندير ونتعامل بأخرى ، لان اللغة الغازية احتفظت بمكانتها ، فلا يكاد يخرج المتعلم مناصف مجال الحديث العادى حتى يلتجىء اليها لتساعده في التعبير عن افكاره ، ولو كانت افكار مجردة لا علم فيها ولا تقنية •

واللغة كما لا احتاج ان اقول ليست اداة ومكنها فكر وروح ، ليست اسماء وافعالا وحروفا ، ولكنها تحمل كل مقومات الامة التي تبينت فيها وسايرت تاريخها وكل تطوراتها الاجتماعية والفكرية والاقتصاديةوالحضارية فاذا استغلت كأداة للغزو فانها ـ بالاضافة الى قضائها على اللغة القومية ـ تحمل معه طابع الامة الغازية وفكر الامة الغازية ، وتحمل مع الطابع والفكر التقدير والاعتراف والتأبى (أى الاعتراف بالابوة) وغير ذلك مما يمكن ان يكنه المواطن للغته القومية • فهي اذ تحل محل اللغة القومية تتمتع بكل الممكنات المادية والمعنوية التي يمكن ان تتمتع اللغة القومية •

وذلك غزو خطير للفكر والنفس والذوق سبيلة اللغة التي تقوم في بلادها بدور آخر في خدمة الفكر والادب والذوق والروح والنفس • ولهذا الغزو اللغوي مركبات او عقد نفسية خطيرة واتحدث هنا ايضا عن تجربتنا في المغرب العربي •

في مقدمة هذه المركبات :

احتقار اللغة القومية ، والانسان بطبعه عدو لما يجهل فاذا وقع المتعلم في مأزق بين لغتين احداهما فيما يعلم قوية متطورة تمكنه من التعبير والتفكير

وتقدم له نماذج حية يقراها ويفهمها بسهولة ، والاخرى فيما يعلم لمتخلفة تعيش في الماضي وتقدم نماذج ميتة لا يقيم اود قراءتها ولا يتفهمها ، اراه او لم يرد . الى الابتعاد عن هذه كلما اقترب من تلك والى احتقار لغته القومية كلما اعتز باللغة الاجنبية . ومن ثم نجده يقوم مقام المستعمر في تحقيق الغزو الفكري .

ثم الدفاع عن اللغة الغازية على حساب اللغة القومية لان التي يدافع عنها هى فيما يعلم الاوضح والاقوى والاجمل والافيد ، ثم هى اللغة التي تقوم عليها حياته ، وليس في استطاعته ولا لامن مصلحته ان يعود اميا او نصف متعلم ولذلك فهو يتبنى الفكرة التى يقوم عليها الغزو الفكرى الاجنبي والامة هى الضحية .

ومن اخطر هذه المركبات ان المتعلم وهو يحتقر اللغة القومية ويدافع عن اللغة الغازية يجد نفسه فكريا ونفسيا في غير وطنه او هو يجد نفسه فكريا ونفسيا في غير وطنه او هو يجد نفسه واقعيا ومعاشيا في غير وطنه الفكرى والنفس ، فهو موزع الشخصية منقسمها يعيش بين قوم ويتكلم لغتهم ولكنه منفي في فكر اخرين واحاسيسهم ومشاعرهم ومثلهم صلته بهؤلاء اقوى وأمن من صلته بالاخرين ولكنه مع ذلك ليس واحدا من هؤلاء ولا هو ابنا من ابنائهم . فبأى فكر يفكر ؟ وبأية لغة يكتب ؟ بل لمن يكتب ولمن يفكر ؟

نتيجة هذا المركب الخطير انه ينصرف عن التفكير والكتابة ليخلد الى السكينة في ركن مجهول من ادارة ما ، وهو المصير الذى انتهى اليه كثير من اصحاب المواهب الادبية عندنا ، اما انه يعيش عمليا ـ كما يعيش فكريا ونفسيا ـ في بلد اللغة الغازية لفكر لها وبها كما حدث لكثير من ادباء المغرب العربى وخاصة الجزائر قبل استقلالها وثورتها المظفرة .

والنتيجة ان اللغة العربية كانت في الغالب أضعف من ان تسعف الحاسة الادبية عند أغلبية المتعلمين في المغرب العربي ، وكانت اللغة الاجنبية تشعرهم بهذا المركب الخطير فينصر فوق عن الادب ، وذلك سبب من

أسباب الضعف الذى تعانيه الحركة الادبية في المغرب العربي •

اذن فالغزو الفكرى تسرب عن طريق غزو اللغة الى الادب وكان أثره الخطير ان أصحاب المواهب الادبية أحد رجلين : رجل يتقن لغة اجنبية ويفكر بها ويستطيع ان ينتج بها ، ولكنه يتخلى عن الانتاج لانه يعيش بين جمهور له لغة قومية أخرى ربما لا يقدر انتاجه اولا يتفهمه ، ورجل يتقن لغته القومية : العربية ، ولكن آفاقه محدودة لانه لا يستطيع ان يفتحها على آداب عالمية أخرى فهو يجهل لغة اجنبية تمكنه من ذلك •

وتلك خسارة أية خسارة للادب العربي •

واشير هنا ـ وانا بسبيل الى التحدث عن اخطار هذا المركب ـ الى ظاهرة هامة نلمسها نحن في المغرب العربي وخاصة في المغرب والجزائر ، وذلك ان اللغة الاجنبية طاردت اللغة العربية في مناطق لا تتكلم عندنا اللغة العربية في كثير من المناطق الجبلية أو السهلية التى تتحدث بلهجات بربرية كما هو الشأن في بعض مناطق النوبة أو المناطق الكردية التى تتحدث الكردية في العراق مثلا ، في هذه المناطق المغربية حاولت الفرنسية او الاسبانية ان تخلف اللغة العربية التى كانت هي لغة التعليم والثقافة والمعاملات الادارية والدينية قبل الاستعمار • وخلفتها بالفعل الى حد بعيد ، وبذلك أصبح المغربي في هذه المناطق يبعد عن العربية لانه يتحدث في البيت البربرية ويقرأ ويكتب ويفكر بالفرنسية أو الاسبانية ولا يمكن ان تتطلب من هذا ان يكون أديبا عربيا مهما تكن مواهبه ، والمتفوقون من هؤلاء ـ وخاصة في الجزائر ـ انتجوا بالفرنسية ولم ينتجوا بعربية ولا ببربرية •

من المركبات الخطيرة الناتجة عن الغزو الفكرى الاستعمارى اضعاف الشعور بالقومية وانحلال الحاسة الوطنية عند بعض المتتمين الى الادب وخاصة اثناء العهد الاستعمارى ، فقد سخر بعض الادباء والشعراء وبعضهم كان متفوقا في زمنه سخروا ادبهم للاشارة بالاستعمار وبالحاكمين الاستعمارين •

ولا نأسف على شيء قدر أسفنا على مواهب وامكانيات فكرية غمرها

الضياع لان اصحابها قصروا انتاجهم ـ وقد كان موظبهم من كتاب الدواوين الحكومية الاستعمارية ـ على مدح الحكام الاستعماريين والاشادة بمزاياهم بشعر لا بأس بلغته واسلوبه •

والاشادة باعمال الحاكمين في الصحف الاستعمارية بنثر فني كان من أجود ضروب النثر الفن في العالم العربي آنذاك •

ايها السادة :

تعل اخطر مظاهر الغزو الفكرى تتمثل في فساد القيم الفكرية والاجتماعية التى انتشرت مع الاستعمار ، فالحملة التي قامت بها كتيبة العلماء والمفكرين والاساتذة التابعة للحملة الاستعمارية لم تمكن لتتخلى عن مهمتها في نشر قيم خطرة في المجتمعات العربية • واذا كانت الطائفية في الشرق العربي أحد مظاهر هذه القيم الخربة المخربة فان العنصرية في مقدمة هذه القيم التى اضطلع بها الغزو الفكرى في المغرب العربي • المجتمع الواحد اصبح مسلما ومسيحيا ويهوديا وعربيا وقبائليا وبربريا وكرديا وتحلل المجتمع الذى كان من الممكن ان ينهض بفكر عربي موحد على أساس قومية عربية واحدة الى مجموعة من الطوائف والقوميات كان الاستعمار يهدف من ورائها ـ لولا ان ادركته اليقظة الوطنية ـ الى خلق مجموعة من الشعوب المتصارعة ليتمكن بذلك من اضعاف امكانياتها الوحدوية من جهة وليتمكن من اضعاف امكانياتها الانتاجية من جهة أخرى ، ولتكفية مهمة التوغل في السيطرة عليها • وربما يكون قد نجح في ذلك حتى أصبح الحكم في بعض البلاد العربية بين الطوائف والقوميات المختلفة التى ابتدعها• فتفقيت المجتمع العربي وتمزيقه لم يأت عن طريق القوة فحسب ولكنه اتى عن طريق الفكر الذى سخره علماء الاستعمار ومفكروه • الذين بحثوا في الاصول للمجتمعات قبل ان توحدها العروبة أو يوحدها الاسلام ، ودفعوا بالسلطة الحاكمة الاستعمارية الى تمزيق المجتمعات على اساس هذه

الاصول أو على أســاس الطوائف الدينية أو العنصرية ، وكان لهذا أثر خطير على الفكر العربي كذلك •

وللادب دور في صد هذا الغزو كما سنرى •

والاستعمار الذى كان يكون مذهبا موحد اله اصوله وقواعده وسيرته واعرافه تلقف العالم العربي في وقت تكوين القوميات الموحدة ، وبـدلا من ان يساعد هذا العالم على الوحدة ساعد على التمزيق والتفريق وخلـق الحدود المصطنعة والدول المختلفة والوطنيات الضيقة واذا كانت هذه الوطنيات قد نشأت تحت تأير فكرة مقاومة الاستعمار فقد تعمقت فيها جذور الوطنية حتى أصبحت كل مجموعة منها تكون وطنا ودولة وحدودا تقف في بعض الاحيان جيوشها للدفاع عنها •

هذه الوطنية الضيقة التي غزت العالم العربي انما هى نتيجة للغـزو الفكرى الذى نقل فكرة القوميات والوطنيات الاوروبية بكل مباذلهـا وسيآتها الى عالم كل ما فيه يدعوا الى الوحدة والترابط وما من شـك في ان الـكفاح الوطنى قد استفاد من هذه الافكار في مقاومة الاستعمار ، ولكنه قد خسر الزمن فيما نعتقد لانه كافح الاستعمار جزء جزء وبلدا بلدا وخسر الزمن كذلك لانه ما يزال حتى الان يبحث فـكرة الوحدة مذهبيا وعمليا ، وما يزال يجد في تحقيقها كثيرا من الصعوبات لم تجدها الدول التى كانت عماد كفاحها في القرن الماضي ومنتصرة على كل التعقيدات الاقتصــادية والاجتماعية التى نشأت مع تطور الحضارة والنمو الاقتصـادى ومنتصرة كذلك ـ وهذا مهم جدا ـ على آثـار وعقد الحروب الطاحنة التى قامـت بينها في القرن الماضى وفي النصف الاول من هذا القرن •

وهكذا نجد ان الدول الاستعمارية التى نشرت القوميات الضيقة فـي البلاد العربية قد تخلت الان عن هذه القوميات وبدأت تنادى مثلا بأوربـا للاوروبيين بدلا من النداءات السابقة : فرنسا للفرنسيين أو المانيا للالمانيين ونجد كذلك ان الغزو الفـكرى تبنى افكار أو نظريات اجتماعية من شأنها

ان تحطم قوة المجتمع وتضعف وحدته .. فالفلاحون مثلا لم يخلقوا الا لـكي ينتجوا للحضريين الذين عليهم ان يفكروا والعمال طبقة كادحة عليها أن تنمي الدخل الفردى لاقطاعي الصناعة كما ينمي الفلاحون الدخل الفردى لاقطاعيين الفلاحة . والبلاد ـ مثلا ـ تقسم الى المناطق النافعة وهى المناطق المنتجة المستغلة غير النافعة . والسكان يتالمون حظهم في العناية وفي الاستفادة بمقدار ما ينتج اقليمهم .

وما من شك فى ان افكارا تقسم المجتمع على هذا الاساس كانت خطرا على المجتمع نفسه وعلى المواطنين العرب الذين كانوا ضحيتها رغم كفاحهم للتخلص من السيطرة الاستعمارية .

ونجد افكارا اجتماعية واردة قد تحطم مجتمعنا العربية ، وهى مع ذلك تدخل مع الفكر الهادف الغازي لتزيد فى بلبلة الفكر القومي العرب ، ولتشغلنا عن المعركة التى نخوضها والتى يجب ان تنصرف اليها معركة التحرر ومقاومة التخلف .

تلك بعض مظاهر الغزو الفكرى التى اتت عن طريق الغزو الاستعمارى القديم منه والحديث واذا كنا ضحية لهذا الغزو في ماضينا فيجب ونحن نبحث عن الحياة الافضل في حاضرنا ومستقبلنا ان نتخلص من هذا الغزو الفكرى كما تخلصنا من الغزو السياسي والاستعمارى .

والادب باعتباره الوسيلة الاولى لبث الوعي وتحرير الفكر من رواتب التخلف وانقاذ المجتمع من الانحلال يجب ان يخوض المعركة ضد الغزو الفكرى . وعن طريق القلم نستطيع ان نصحح الاوضاع التى استهدفت للانحراف والتزييف فيما كتبه المنحرفون من رواد الاستعمار الفكرى ، ونستطيع ان نبصر الشعوب العربية بقيمة اللغة العربية وتراثها الحضارى والفكرى ونستطيع ان تحرر الفكر العربى من التعبر للقيم الفكرية والعلمية المزعومة التى نشرها بين الباحثين علماء ومستشرقون استهرفوا بابحاثهم الانحرافية تزييف التاريخ والتفكر لحقائق العلم .

أما التزاميون في معركة التحرر التي نخوضها ودورنا هو دور القلم الملزم الموصوف بالحرية المتعطش لان يخوض في سبيلها معركة ضد كل مظاهر الغزو الفكرى معركتنا في صميم معركة الحرية ولن تكون الا رد فعل للمعركة التى ضافها المثقفون المنحرفون الذين باعوا أنفسهم للاستعمار فكانوا في ركبة الغازي وصرفوا أعمارهم باحثين منقبين عن كل وسيلة لتحطيم قوميتنا ومجتمعنا وتراثنا .

عبدالكريم غلاب

وفد المغرب

الغزو الفكري في البلاد العربية

بقلم
عبد الله عبد الجبار

حينما تمنى أمة من الامم بكارثة الاستعمار ، فانه لا ينهب ثرواتها المادية فحسب ، وانما يقضى على ثرواتها الروحية كذلك ، ولا يسجن حريتها الشخصية والسياسية وحدها ، وانما يسجن معها ايضا لغتها القومية . ذلك لان هذه اللغة تحمل في طياتها الثقافية الوطنية للامة ، والروح الاصيل السارى في كيانها عبر التاريخ .

ومن أجل هذا تتجه الفلسفة الاستعمارية الى القضاء على هذه اللغة الوطنية أو خلخلتها وصرف الشعب عنها ، حتى يتاح له اقتلاع شخصية الامة المستعمرة من جذورها ، وحينئذ يتسنى له احكام قبضته ويتمكن من استغلال خيراتها أتم وأوفى استغلال .

وهذا هو السر في اصرار الاستعمار على فرض لغته على الامة المنكوبة به حتى تفكر تفكيره ، فاللغة ، كما هي وسيلة تعبير وسيلة تفكير أيضا ... وسرعان ما يفرض لمستعمر « أيديولوجيته » الاستعمارية عن طريق هذه اللغة مستعينا بفئة تتعلم لسانه وترتبط مصالحها بمصالحه ، يمكن لها لتمكن له في رقاب الشعب وابتزاز ثرواته .

ومما يؤسف له أن البلاد العربية تعرضت لالوان شتى من الاستعمار : تركي وانكليزي وفرنسي وايطالي وغيره ...

الاستعمار التركي :

وعلى الرغم من الظروف التاريخية التي جعلت العثمانيين في موقف السلطان الحامي للعالم العربي والاسلامي من الغزو الغربي ، فان الاستعمار

التركي لم يخرج كثيرا عن السمات العامة للاستعمار من التسلط والابتزاز وفرض اللغة والايديولوجية ••• والوالي هو الحاكم المطلق الذي يدير دفة الحكم مستبدا مستغلا ساحقا الفلاحين والتجار وسائر فئات الشعب بالضرائب والمكوس والاتاوات •

هذا هو طابعه العام • وان اختلف قليلا في بعض الاحيان لاعتبارات خاصة كما حدث في الحجاز حيث نلاحظ ازدواج السلطان بين الحكام الاشراف وبين ممثلي الباب العالي ••• الا ان الغرض الاخير من هذا الازدواج هو اخضاع البدو والاعراب بواسطة هؤلاء الاشراف •

وكانت اللغة التركية ـ في معظم الاحيان ـ هي اللغة الرسمية في الدوائر الحكومية ، وفي المحاكم والمدارس وظل الحجاز بلا جرائد ولا مجلات حتى سنة [١٣٠١هجرية] حيث أنشأت الحكومة العثمانية بمكة أول صحيفة أسبوعية أطلق عليها اسم « الحجاز » وكانت تصدر باللغتين التركية والعربية ••• وظل الحال هكذا : جريدة يتيمة واحدة الى ان صدرت جريدة « شمس الحقيقة » عام [١٣٢٧هـ] وكانت لسان حال « جمعية الاتحاد والترقي » وهي جريدة يومية كانت تصدر بمكة كذلك مرة كل اسبوع اللغتين السالفتين وتوقفت بعد بضعة شهور •

أما جريدة « الاصلاح » العربية فقد انشئت في العالم نفسه ولم تستمر أكثر من شهور معدودة • ولم يصدر من جريدة « الصفا » باللغة العربية الا عدد واحد •

ولم تكن حال التعليم أقل سوءا من حال الصحافة ، فلم يكن هناك طيلة العهد العثماني سوى مدرسة حكومية واحدة يدرس فيها التلاميذ قشورا من العلوم الاولية لا بلغتهم القومية ، وانما باللغة التركية •

أما التعليم الاهلي فلم يكن بمكة آنذاك سوى المدرسة الفخرية ، والمدرسة الصولتية ••• وهما تُعنيان بالعلوم الدينية ••• هذا عدا الحلقات المسجدية أو شبه المسجدية التي تعنى بأطراف من الثقافة الاسلامية •••

اللغة التركية ـ اذن ـ هي السائدة ••• لها وللمتحدثين بها الحظوة والجاه والسلطان في الحجاز ، بينما تتعثر الثقافة العربية واللغة العربية

في أسمال بالية من الركاكة والتأخر والاستعجام •

فاذا انتقلنا من الحجاز الى العراق كانت الصورة التي تواجهنا لا تقل سوادا عن صورة الحكم في الحجاز والبلاد المقدسة ••• فمن عام ١٩٠٠م الى عام ١٩١٩م يكاد يكون الوالي التركي هو الحاكم المطلق للبلاد العراقية يسيطر على رئاسة المدن والبلدان والامراء والجيش والعشائر وما شابه ذلك ••• وعلى حد تعبير جريدة « صدى بابل » كان العراق بلدا حاق به الخراب والظلم والخوف والاضطراب » ••• كان العراق في حاجة الى العدل ولا عدل ، والى الامان ولا أمان ، والى العلم ولا علم •••

وليس هناك أي أثر للتعليم يذكر الا في المساجد بالمدن الكبرى على نطاق ضيق ••• وكما يرى الاستاذ الدكتور « يوسف عز الدين » انه « لولا عناية رجال الدين في مساجد بغداد والبصرة والموصل والنجف الاشرف لقضي على اللغة العربية ••• » وكانت هناك بارقة أمل في عهد مدحت باشا لكنها ما لبثت أن اندثرت بعد ذهابه من بغداد ••• ومن أعجب المفارقات أن الحكومة كانت تدفع للبواب « ٥٠٠ » قرش ولا تدفع للمعلم الا مائتي قرش !!

وكانت اللغة العربية ممنوعة من دخول الدوائر الرسمية حتى بعد ان ظهر الدستور العثماني ••• واذا ما قدم العربي ملتمسه رفضت « عريضته » ووجب عليه أن يكتبها بالتركية ••• وهكذا وجد الشعب العراقي نفسه مضطرا لتعلم لغة الدخيل لكي تقضي مصالحه ، ولكي يستطيع العمل في الدوائر الحكومية ••• ومهما يكن من شيء فان نسبة التعليم في العراق في تلك الفترة لم تكن تزيد على نصف في المائة ! ومع ذلك فقد كانت صيحات بعض الادباء العراقيين تدعو الى العدل والانصاف وفك الاغلال ، بل الى الثورة على تلك الدولة الهمجية التي تسوى بما يقضي هواها وتعمل :

فترفع بالأعزاز من كان جاهلا وتخفض بالأذلال من كان يعقل

الاستعمار الانكليزي :

واذا انتقلنا الى الاستعمار الانكليزي في مصر ، ألفيناه يبذل ما في وسعه لصبغ الحياة العامة بصبغته ، وطبع التعليم العام بطـابعه مادة ولغة وتاريخا... فلغة المكاتبات الرسمية ، ولغة التعليم العام هي لغة المستعمر... أما اللغة القومية فلغة أجنبية ثانوية ...

والتاريخ الذى يلقى العناية هو تاريخ الدولة المستعمرة ... أمجاد زائفة يفرضها المستعمر فرضا وينطلق بها في استخفاء الى عقول النشىء حتى يشدها بعظمته وقوته فتؤمن به وتصاب بمركبات النقص التي تشعره بالذلة والتبعية ... فعند المستعمر كل شيء وهنا لا شيء ... وخلال ذلك يبذر في نفوس المتعلمين أفكارا خاصة ... والذى اتيح له أن يقرأ تلك الاوراق التي كان يوزعها مفتشو اللغة الانكليزية على الطلاب ابان الحرب العالمية الثانية سيجد فيها ترسيخا لتلك الفكرة الشيطانية التي عمـل الاستعمار الانكليزى على تمكينها في نفوس المصريين ... وهي ان مصر بلد زراعية ولا يمكن أن تكون بلدا صناعية ... فهذه ـ في زعمه ـ طبيعتها ولـن تجد لطبيعتها تبديلا ... وعدم توافر المواد الخام والعناصر الفنية يجعـل التصنيع شبه مستحيل ... وتوافر ذلك يتطلب عهودا طويلة ... وهـكذا يبعث الاستعمار في نفوس الشباب روح الشك والخوف والتشاؤم من ارتياد الطريق السليم طريق التصنيع للنهوض بالحياة ...

وكل ذلك لتبقى مصر مزرعة كبرى تمد بريطانيا بالقطن تشتريـه بأبخس الاثمان . لـكن لم تمض على مصر « الثورة » الا بضع سـنوات بعد أن خرج الاستعمار البريطاني منها حتى كان التصنيع بها قد اجتـاز مرحلته الضخمة بين الابرة والصاروخ وخسىء الاسـتعمار ونظريته الاستعمارية الخبيثة .

وكان الاستعمار يعمل على حجب التعليم الصحيح عن الشعب ... وكانت سياسة « دنلوب » تستهدف تخريج طائفة من الموظفـين المكتبيين يسيرون على نمطية مقيتة » ويتلقون الاوامر العليا من المستشار الانكليزى حتى يسير الجهاز الادارى وفقا للمصالح الاستعمارية البريطانية .

وظلت الانكليزية لغة التدريس بمدارس الحكومة فترة طويلة من عهد الاحتلال قبل ان تثمر الجهود الوطنية التي بذلك لتمصير هذا التعليم أو تعريبه ••• ولم يسلم من هذا الاستعجام الاستعمارى الا دار العلوم والازهر معقل الدين واللغة العربية ••• وكان من أعظم الوسائل التي ساعدت على نجاح مهمة الزعماء الوطنين في الاثارة اجادتهم الخطابة باللغة العربية حيث تلتهب نفوس الجماهير حماسا وثورة ضد الدخلاء المغتصبين •••

وكما كانت صحف وطنية مبدئية على حسب المفهوم آنذاك ، كانت هناك صحافة وصحف انكليزية ولكنها تكتب باللغة العربية ••• وهكذا نجد ان اللغة العربية حين يستخدمها المستعمر لا يستخدمها الا لتحقيق أهدافه الاستعمارية ، وحين اضطر الاستعمار للنزول على رغبة الوطنين في تعريب التعليم حافظ على مخططاته في أن تكون المدرسة في عزلة عن المجتمع ، لا تلتحم باحتياجاته الحقيقية ••• وحين وافق مرغما على انشاء المدارس الالزامية جعلها كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والحساب ، لا أثر لخريجيها ولا مستقبل ••• ولكن رغم كل الاعيب الاستعمار فان الروح الوطنية قد ثقبت الجدار الاستعمارى ودخلت المدارس الابتدائية والثانوية •••

وكان الاستعمار يحارب انشاء مدارس حرفية ، ويقاوم تأسيس كليات علمية ••• واذا حدث شيء من ذلك فرغم أنفه ••• لان الاتجاه نحو الصناعة يمنح الشعب شعورا بالذات وبالاستقلال وبطاقته على التغير والتطوير والثورة على المغتصبين • ومن أعجب العجب ان يكون للثقافة العربية الاسلامية دور في انشاء المعاهد الصناعية بمصر ••• ففي بواكير هذا القرن نشأت بعض المدارس الصناعية بوساطة جمعيات دينية اسلامية مثل جمعية المساعي المشكورة في الاسكندرية •

اذن لقد كان هناك صراع مرير بين اهداف الشعب ، وبين أغراض المستعمرين ••• بين اللغة والثقافة العربية من جهة ، وبين اللغة والثقافة

الانكليزية من جهة أخرى ... واخيرا انتصرت الكلمة العربية على الحرف الانكليزي في مصر ... وكان للخطابة السياسية والمقالات الوطنية والاغاني والاشعار الثورية دور خطير في التعجيل بالثورة على المستعمرين الانكليز ... بل ان المصريين قد استخدموا سلاح اللغة الانكليزية نفسه ضد الانكليز انفسهم . وردوا هذا السلاح الذى طالما استخدمه الانكليز لقتل الروح الثورية والثقافة القومية في نحورهم ، فقد نشأت قبل الثورة اذاعة سرية وجهت خاصة الى الانكليز في القنال فأصابتهم بالرعب والتخاذل ... وكان لها مع أعمال الفدائيين الابطال دور في اشعار المستعمرين الا بقاء لهم في أرض الكنانة !!

الاستعمار الفرنسي :

واذا انتقلنا الى الحديث عن الاستعمار الفرنسي ، ألفيناه يختلف عن صنوه الاستعمار الانكليزى . ذلك ان الانكليز حين استعمروا مصر لم يقولوا : « مصر أرض انكليزية » كما قال الفرنسيون بتبجح : « ان الجزائر أرض فرنسية » ... واذا كانت المستعمرات الانكليزية تسمى مناطق تحت الحكم الذاتي البريطاني ـ فان المستعمرات الفرنسية كانت تسمى « فرنسا فيما وراء البحار » ومن ثم كانت وطأة الاستعمار الفرنسي أشد قسوة ، وكان التخريب الثقافي الذى أحدثوه في الجزائر لتحقيق هذه « الفرنسة » أو « الادماج » أكثر واعظم هولا ...

وماذا يقول الكاتب الاستعمارى « أوجستين برنارد » في الغرض من غزو الجزائر ؟ انه يقول : « اننا لم نحضر للجزائر لاقرار الامن بل لنشر الحضارة واللغة والافكار الفرنسية . وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية ، ولاهي « دومينيون » مثل « كندا » ولكنها جزء من فرنسا كما كانت أيام روما ... اننا نريد ان نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات ... وسيتم هذا بعد نشر لغة « فيكتور هيجو » » .

ولننظر ماذا صنعت الحضارة الفرنسية المزعومة للجزائر وثقافة

الجزائر في بواكير الاحتلال الغاشم المشئوم عام ١٨٣٠ ميلادية « لقد كانت مدينة الجزائر ـ على حد تعبير السيد « بشير الحاج علي » ـ مدينة جميلة عاصمة لمجتمع متحضر له قيمه الثقافية ، ولديه حرفه المزدهرة ••• بها مائة مدرسة ابتدائية ، وعدد من المدارس الثانوية • و ١٣٢ مسجدا •••• وكانت علوم الفقه والادب تدرس ، وكان التعليم منتشرا بين الوطنيين في المساجد والكتاتيب على أيدى المعلمين •

لكن في ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ فتحت صفحة جديدة دامية ••• سقطت مدينة الجزائر وغطت جوانبها الجراح ولم تكد سنة ١٨٣٢ تحل حتى كان ٦٢ مسجدا قد احتلت ، ومسجدان قد دمرا ، وهجر معظم الاساتذة البلاد ، ولم يبق من المدارس الا عدد محدود بعد أن كان بالجزائر كلها أكثر من (٣٠٠٠) مدرسة •

وهاجر الفلاحون الى المدن بعد ان اغتصب الاوربيون أراضيهم ، وتفاقمت الخسائر في الانفس والممتلكات واختل التوازن الاجتماعي والاقتصادى في المدن والريف • وتأثرت القيم الجمالية بهذه التقلبات الاقتصادية والاجتماعية ، فاضمحل الادب المكتوب واللغة المكتوبة والثقافة الرفيعة ••• وزاد من حدة هذا الاضمحلال العمل المباشر لتدمير القيم الثقافية ••• فالمدارس أغلقت ••• والعربية اعتبرت لغة أجنبية معادية ••• واستخدمت اللغة الفرنسية اداة للقضاء على الشخصية الجزائرية ، ولتربية موظفين يكونون خدما للاستعمار » •

هذا مثل صغير لما صنعته الحضارة الفرنسية بالحضارة العربية والثقافة الاسلامية بالجزائر ! ولكن هل استسلم الشعب الجزائرى لوحشية الفرنسيين الضارية ؟ كلا !

لقد ناضل نضال الابطال على مدى السنين والايام منذ وطئت أقدام الاستعمار الغاشم أرضه • وقام بعدة ثورات ، آخرها الثورة الجزائرية الكبرى التي اندلعت نيرانها عام ١٩٥٤م •

ولم تكن هذه الثورات منقطعة الصلة بالتيارات الثقافية والادبية •••

بل على العكس من ذلك نجد هناك تفاعلا عجيبا بين هذه التيارات وبين الكفاح السياسي والوطني فهناك التحام بينهما ...

لقد أصبحت الكلمة المكتوبة والمنطوقة أداة فعالة من أدوات النضال ... أشعار الشعراء ومقالات الكتاب ، وخطابة الخطباء ، وأناشيد المنشدين المجهولين ولوحات الفنانين ، وجمعيات الموسيقى الكلاسيكية مثل « المطربية » و « الموصلية » كل هذه كان لها أثر فعال في نضال شعب الجزائر ...

لقد استلهم هذا الشعب بعد ان تمزق وضاع استقلاله شخصيته القوية بمقوماتها الخالدة التي تمثل في الايمان بالله وفي الاخلاق الاسلامية العربية، والعنعنات العربية العظيمة وروح الاباء العربي الذى يتأبى على الضيم ... وفي لغته التى تحمل خصائص ثقافته الاصلية لجأ اليها ليبني أساسا قويا لكفاحه .

عرف هذا الشعب بفطرته ان المحافظة على هذه المقومات هو الذى يمكنه من الانتصار مهما طال الامد بالاستعمار وبالمستعمرين ...

وكان لمدارس القرآن أثر بالغ في ذلك . يقول الدكتور صادق هجرس « ان مداس تحفيظ القرآن كانت تعطينا شيئا أكبر بكثير من مجرد تعريفها بالمبادىء الاولى باللغة . فهي رغم اطارها الجامد كانت عاملا من عوامل الوحدة التي تربط البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وكانت العوامل التي ساعدتني على ايجاد جذور متينة تربط بين المشاعر الوطنية الجزائرية منذ طفولتي ومكنتني من تكوين شخصية تختلف اختلافا تاما عن الشخصية التي كانت المدرسة تسعى الى صياغتها ... » .

« ان معرفتنا بالحروف العربية تعصمنا ونحن نتعلم القراءة والكتابة بالفرنسية ، من ان يسحقنا ذلك التعليم وهو الاساس الذى تقوم عليه حضارة كاملة لديها العديد من الوسائل الاخرى لتأكيد دورها . ان مجرد استيعابنا للاساس الاول للغتنا كان نقطة ارتكاز صلبة تحمي رؤسنا من الدوار » .

« وخلال سنوات طويلة أصبح لدينا تيار ثقافي قائم على الادب

الشفوي ، كان هو العمود الفقرى لمقاومة الجهود المبذولة للقضاء على الشخصية الجزائرية » .

لقد كان الاستعمار الفرنسي قوة ضاغطة تهدف دائما الى سحق الشخصية الجزائرية . وفي عام ١٨٣٤ م اعتبرت الجزائر فرنسية .. وفي عام ١٨٦٥م اعتبر الجزائرى أيضا فرنسيا . وآلت جميع ألوان الوقف الى الحكومة الفرنسية وامسى الموظف الديني تحت السيطرة الاستعمارية فهو يتلقى مرتبه منها ... وقد أحكمت الرقابة على الوعاظ والخطب المنبرية ... وفي عام ١٩٠٤م صدر قانون ينص على انه « لا يسوغ لاى معلم مسلم أن يتولى ادارة مكتب ليعلم اللغة العربية بدون رخصة من السلطات الفرنسية » .

وفي يوم ٨ مارس سنة ١٩٣٨م صدر قانون مشئوم باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية . ومعنى هذا حظر تعليمها ... وأحداث عام ١٩٤٥م جرت في ذيولها اغلاق جميع المكاتب ، وفرض على جميع المعلمين معرفة الفرنسية بهدف القضاء على اللغة العربية ... ولكن الشعب العظيم قد قاوم بكل ما أوتي من قوة هذه القوى الغاشمة المدمرة للثقافة العربية الاسلامية ... قاومها بافتتاح الكتاتيب السرية هنا وهناك ... قاومها بالاغتراب الى البلاد العربية الاخرى للاغتراف من مناهل العلم في الازهر .. في جامع الزيتونة ... في حلقات الدرس بالحجاز ... وفي مراكز التعليم ببغداد ودمشق وفي غيرها من المناهل ... قاومها بالدروس الخاصة للمريدين ... وعلى رأس الرواد الكبار الذين أسهوا في تثبيت الشخصية العربية الاسلامية كانت شخصية الشيخ عبدالحميد بن باديس [١٨٩٠ - ١٩٤٠] الذى تبلورت في ذهنه فكرة مقاومة الاستعمار الفرنسي عامة والاستعمار الثقافي خاصة ... طاف بأرجاء الجزائر وتخير طائفة من ألمع الشباب زودهم بما يلزم من الثقافة العربية والاسلامية ، ورسم لهم منهجا خاصا حتى يضطلعوا بأداء رسالتهم على خير الوجوه ... وهكذا افتتحت مدارس كثيرة للبنين والبنات على السواء ، وأقيمت نواد ثقافية

يلقى فيها الطلاب تاريخ العرب وعلوم الدين ... وكان الشيخ بن باديس نفسه يلقى الكثير من المحاضرات لتثقيف عامة الشعب وتنويرهم .

وكان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور خطير ، سرعان ما انضم اليها عدد من المستنيرين وكان لها مدارس ودعاة يبثون كراهية الاستعمار ومحاربة الخرافات والخزعبلات ـ كما كانت مجلة « الشهاب » الشهرية التي أصدرها بن باديس عام ١٣٤٣ هجرية تؤدى رسالتها في التوعية وابراز الشخصية الجزائرية ، ومناهضة الفرنسة والاندماج .

وظل الشعب الجزائرى العظيم في كفاحه ضد الاستعمار الداعر ، وظلت الكلمة العربية تحدو هذا الكفاح وتسجل بطولاته النادرة ، وانتصاراته الرائعة .

ومن الزنزانة رقم ٦٩ بسجن بربروس ، ومن خلال القضبان والظلام ، والعذاب والآلام شهد العالم العربي ميلاد نشيد الثورة الجزائرية في ٢٥ أبريل (نيسان) ١٩٥٥م لابن تومرت الشاعر الثائر يزيد الثوار ثقة فوق ثقة ، وصلابة فوق صلابة :

قسما بالنازلات الماحقات
والدماء الزاكيات الدافقات
والبنود اللامعات الخافقات
في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا ، فحياة أو ممات
وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا ...

وهكذا انتصرت الجزائر بعد ان ضحت باكثر من مليون شهيد ، وانتصر بانتصارها الحرف العربي والثقافة العربية على الثقافة الفرنسية والاستعمار الفرنسي .

لكن هذا الاستعمار الفرنسي حين غشي سوريا ولبنان لم يبدأ بمثل هذه الدعارة والضراوة الذى بدأ بهما في الجزائر فقد وجدت فرنسا فيهما

كما يقول الامير مصطفى الشهابي « شعبا لا تنجح في أساليب التعليم السقيمة أو الاجرامية التي كانت تسير عليها في مستعمراتها وفي محمياتها ، ووجدت انه من العبث التفكير في (توقيف) تيار التعليم ، أو في محاربة اللغة العربية ، لفرط انتشارها في المدارس الحكومية والخصوصية ، ولما تحدثه محاربتها من تأثير سيء في سياسة فرنسة العامة ، وفي الشعب السورى واللبناني • ولهذا تتعرض فرنسة للغة التدريس في الجامعة الســـورية وفي سائر مدارس الحكومة السورية ، فظلت العربية لغة التدريس فيها • وكذلك لم تتعرض للمجمع العلمي العربي الذى كان تاسس في سنة ١٩١٩م » •

لكنها فرضت سياسة تعليمية مواتية لهـا تقوم على الاسس الآتية : الاول فرض اللغة الفرنسية على جميع مدارس القطرين • والثاني فرض الاساليب والمناهج الفرنسية في التدريس • والثالث اقصاء كل ثقافة غربية غير فرنسية • والرابع استبقاء مخصصات التعليم في الموازنة العامة صغيرة • والخامس تشجيع فتح المدارس الفرنسية سواء أكانت مدارس تبشيرية ، أم كانت مدارس علمانية •

وقد تضاعف عدد المدارس الفرنسية في ظـــل الانتداب الفرنسي ، وأنبثت تلك المدارس في انحاء سورية ولبنان • وكلها تدرس العلوم باللغـة الفرنسية ، وتعنى بهذه اللغة أكثر من عنايتها ، ويتخرج تلاميذها وهـــم عارفون من تاريخ فرنسة وجغرافيتها وآدابها وعاداتها أكثر مما يعرفونـه من تاريخ قومهم ، وجغرافية بلادهـــم ، وآداب مجتمعاتهم ، وعادات أبناء جلدتهم » •

ورغم ذلك وللاسباب التي ذكرناها فيما سبق كتبت الغلبة للغة الضاد على لغة « فيكتور هيجو »

وهـكذا يمضى الصراع في بقية الاقطار •

بعد هذه الجولة المقتضبة عن دور الاستعمار في تخريب الثقافة القومية العربية ، أود أن أفرق بين التأثر الثقافي وبين الغزو الفكرى ، ومن البدهي أننا لا نسمي غزوا ما نأخذه اليوم من علوم الذرة وكل العلوم الرياضيـة وعلوم الطب والحـياة ، ونظرية التطور والنسبية حتى ولو كان صاحبهـا يهوديا • فأوربا قد أخذت عن العرب علومهم كالرياضة والحساب والهندسة والفلك والـكيمياء والطب وغيرها • فلم يكن هذا غزوا ••• فاذا أخذنا نحن اليوم عن الغرب علومه والاسس التي قامت عليها هذه العلوم ومناهج البحث والتنقيب فليس هذا بدعا ، وانما هو دورة التاريخ ••• وليس هذا غزوا وانما هو تنمية علمية ثقافية نبني بها عقولنا وحياتنا •

وليس من الغزو تلقى الفنـون الجميلة التي تزيدنا ثراء انسانيا ، وليس من الغزو الفكرى كذلك كل نتاج فـكرى يمثل الحرية الحقيقية والعدالة الاجتماعية اذا لم يعارض « فـكريتنا » •

انما الغزو الفكرى هو ما يحاول الاستعمار أن يبثه في الفكر العربي من أفكار لا انسانية كفكرة « العنصرية » ، وتفوق بعض الاجناس على بعضها الآخر بالفطرة • وقد أثبت العلم الحديث ان الناس تحت الجلد سواء ••• وان فصائل دم الاسود هي ذاتها فصائل دم الابيض ••• وفي أمريكا أجريت تجربة اختبار ذكاء بين البيض والملونين فكانت النتيجة الا تفوق في الذكاء للبيض على السود •••

والفكرة العنصرية البغيضة اذا ما اندست في عقولنا أصابتنا بالعقـد النفسية ومركب العجز فلا نتقدم الى الانطلاق الـكبير •••

ومن الغزو الفكرى الافـلام الخليعة والـكتب الانحلالية التي تصيب شعبنا بالانحلال والتعلق بالمتع الزائفة وقشور المدنية ، وبذلك نفقدنا كثيرا من الصلابة والروح الايجابية التي يجب ان يتشـبع بها الشباب العربي •••

ومن الغزو الفكري تأريث الخلاف بين المذاهب ... بين الديانات ... بين الطوائف ... وكيف يتسنى للعروبة تحقيق فكرة الوحدة ما دام هناك خلاف حاد مستشر بين شافعي وزيدي .. وسني وشيعي ... وحنفي ومالكي ... ووهابي وغير وهابي ... ولابد من بث فكرة التقريب بين المذاهب ، والتعايش السلمي بين الطوائف ... وأن تكون الفكرة القومية فوق كل خلاف ...

ان التمزق المذهبي كالتمزق الاقليمي سواء بسواء كلاهما هدف يسعى اليه المستعمر والشعوبيون ـ ولا يزالون ـ بشتى الوسائل والاحابيل.

بل ان هذا التمزق أيضا هو مطلب صهيوني يهودي كبير ، ففي مدينة براغ عام ١٨٦٩م ألقى الحاخام « ريتشورن » خطبة في اجتماع سري عقده اليهود على قبر قديسهم « سيمون بن يهودا » وقد جاء فيها « اذا كان الذهب هو القوة الاولى فان الصحافة هي القوة الثانية ، فعلينا بواسطة الذهب ان نستولي على الصحافة ... وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين الى تحطيم الحياة العائلية والاخلاق والدين والفضائل ... ويمضي الحاخام في خطبته الجهنمية فيقول « ان علينا ان نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ، وتضعف الروابط المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد » .

ومن المؤسف حقا ان هذه الخطة قد نفذت في العالم العربي فلم تستلب فلسطين الا لان العروبة قد تمزقت شيعا ومذاهب وطوائف وأقاليم ... ولا يمكن ان نسترد هذه الفلذة الحبيبة الا اذا قضينا على هذا التمزق البغيض .

هذه هى بعض الخطوط العامة للغزو الفكري كما أراه ... ومن المحزن حقا ان البلاد العربية لا تزال تصدر بها بعض الصحف والمجلات التى تخدم بطريق مباشر وغير مباشر الافكار الاستعمارية والصهيونية ، ولكن بعض المفكرين والادباء المستنيرين والمجلات القومية دأبت على فضح تلك الافكار ودسائسها ... وفي طليعة هذه المجلات مجلة الآداب ،

البيروتية و « الكتاب » العراقية اللتان تؤديان رسالة العروبة والفكر العربي في سبيل التحرير والتطوير والوحدة على وجه حسن نرجو له المزيد .

ومهما يكن من شيء فان مقاومة « الغزو الفكرى الاجنبي » في الوطن العربي الكبير لا يمكن أن تؤتي ثمارها المطلوبة الا بعلاج جذرى حاسم يتوسل اليه بمثل هذه الوسائط :

١ ـ لابد من كتابة التاريخ العربي من جديد على منهج علمي صحيح وأساس قومي سليم ، بحيث يكون تاريخ الشعب في حركاته وانتفاضاته منذ أقدم العصور حتى الان في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والادبية ، ونفي لعناصر الدخيلة على كيانه ، وابراز قوته وخصائصه وأصالته والعوامل الحقيقية التي أثرت في مجرى حياته ، وجعلته في الظروف الحالكة كثيرا ما ينسى الخلافات ويلتحم التحاما قوميا ضد الغزو الاجنبي أيا كانت صوره وأشكاله ... وفي جملة واحدة تعميق الاحساس بالوحدة العضوية الحية بين الزمان والمكان في الضمير الجمعي للامة العربية وفي التطور والمصير .

ولتحقيق هذا الغرض لابد ان تكون لجان من كبار الباحثين المختصين كل في مجال اختصاصه لوضع هذا التاريخ القومي الكبير ـ تستخلص منه المختصرات الملائمة ، وتفرض دراستها على تلامذة المدارس في مختلف أقطار العروبة .

وقد أسعدني جدا نبأ انشاء لجنة لتأليف « دائرة معارف عربية» برئاسة الدكتور طه حسين وهذه الدائرة بطبيعة الحال ستكتب من وجهة النظر العربية ، وستثبت « الشخصية العربية » وترد عن مطاعن المستشرقين والصهيونيين واعداء العروبة ، وترسخ الاسس السليمة لمعنى « الوحدة العربية » وبخاصة دائرة المعارف الاسلامية التي تجرى اعادة طبع اجزائها مرة ثانية بلغات ثلاث تحمل كثيرا من أخطاء الطبعة الاولى رغم التعليقات والتصويبات القيمة التي قام بها الغير من الباحثين العرب في الطبعة العربية التي لم تتم بعد .

فهذه الموسوعة العربية بالاضافة الى ذلك « التاريخ القومي الكبير » ومختصراته المدرسية من أهم الوسائل لمقاومة التيارات الاجنبية الوافـدة التي تخرب ثقافتنا وتشوه تراثنا وتصيب شبابنا بكثير من البلبلة والشـك والاضطراب وبعبارة أخرى لابد لنا من توحيد « المحتوى الايديولوجي » للثقافة العربية في أذهان العرب جميعا وتوضيحه وفي هذا صمام الامن ضد الغزو الثقافي الاجنبي •

٢ ـ ولـكن تحقيق هذا الهدف لا يمكن أن يتم على الوجه المطلوب الا اذا قضينا على ذلك الحاجز السميك بين العربي ، وبين ثقافته القومية ، الا وهو عدم الاحساس بالفصحى ، فلابد ان تخالط الفصحى عقولنا وقلوبنا ومشاعرنا ونشعر بجمالها وتتذوق أسرار بلاغتها ، حتى نؤمن بها وبتراثهـا وثقافتها وايديولوجيتها ، ورغم ما بذل ويبذل من جهود في تدريس اللغـة العربية واعداد المدارس العربي الا ان الشكوى عامة من ضعف مسـتوى التدريس العربي ومستوى الخريجين ••• ومن أعجب العجب ان كثيرا من مدرسي اللغة العربية لا يتحدثون الى تلامذتهم وفي فصـولهم بالعربية وانما بالعامية ••• وعلى المهيمنين على شئون اللغة العربية أن يزيدوا من عنايتهم بهذه اللغة حتى تكون العلاقة بينها وبين أبناء الجيل ضربا من الغرام والعشق الثقافي •••

٣ ـ احلال « التفكير العلمي » محل « التفكير الوهمي في دنيـا العروبة • فمما لاشك فيه ان المجتمع العربي يعاني لونا من الاستعمار لا يقل عن ألوان الاستعمار الاخرى ، ألا وهو « استعمار الخرافة » فلا بد مـن القضاء على الاوهام والاباطيل التي تضرب بأجنحتها الضخمة على مساحة كبيرة من الرقعة العربية •••

ان من أهداف الاستعمار نشر السلبية والروح الانهزامية ، وبذلـك تتخدر الامة فلا تطالب بالحرية والاستقلال وحقها في الحياة ، أو تظـل كسيرة تعاني من الاستعمار الجديد بعد الاستعمار القديم •

ان علينا لـكي ترقى الامة العربية ان نـكون حضاريين لا قبوريين ،

فليحطم الادباء هذا الصنم الاكبر ، صنم الخرافة .

٤ ـ واخيرا لتمض أجهزة الاعلام الرسمية من صحافة واذاعة وتلفزيون ، وليمض رجال الفكر في اداء رسالة الفكر العربي الصاعد المتطلع لارحب الآفاق تقدما ورقيا ، وليحارب المثقفون العنصرية والسلبية والانهزامية والطائفية والاقليمية والشعوبية وغيرها من معوقات الانطلاق .. وليفصحوا عن الاعيب الاستعمار المعروفة والمستورة ، وليردوا على مفتريات المستعمرين والصهاينة ودسائسهم واحابيلهم لعرقلة موكب العروبة العظيم عن المسير ... وليتخذ الادباء من القصة والاقصوصة والمسرحية والقصيدةوسائط لتحقيق هذه الرسالة العظيمة على نحو أكثر فاعلية وجدية وفنية من قبل ...

أما دحض المفتريات سواء اتخذ شكل حديث أو مقالة قصيرة أو بحث طويل فاني أرى ان يكون أكثر موضوعية ومنهجية ... وحبذا لو كونت الروابط الادبية في مختلف البلاد العربية لجانا خاصة مهمتها تفنيد المزاعم الاستعمارية والصهيونية والرد على المطاعن التي توجه الى العروبة أيا كان لونها ... فان هذا ـ مع ما يقوم به الافراد الغير ـ أكثر جدوى في قضية الحرب الفكرية بين القومية العربية وأعدائها في كل مكان .

عبدالله عبدالجبار

وفد السعودية

المحتويات

وقائع المؤتمر

٩ ـ ١٥٦

الأدب وفلسطين

١٥٧ ـ ٣١٠

الأدب والتراث

٣١١ ـ ٤٢٨